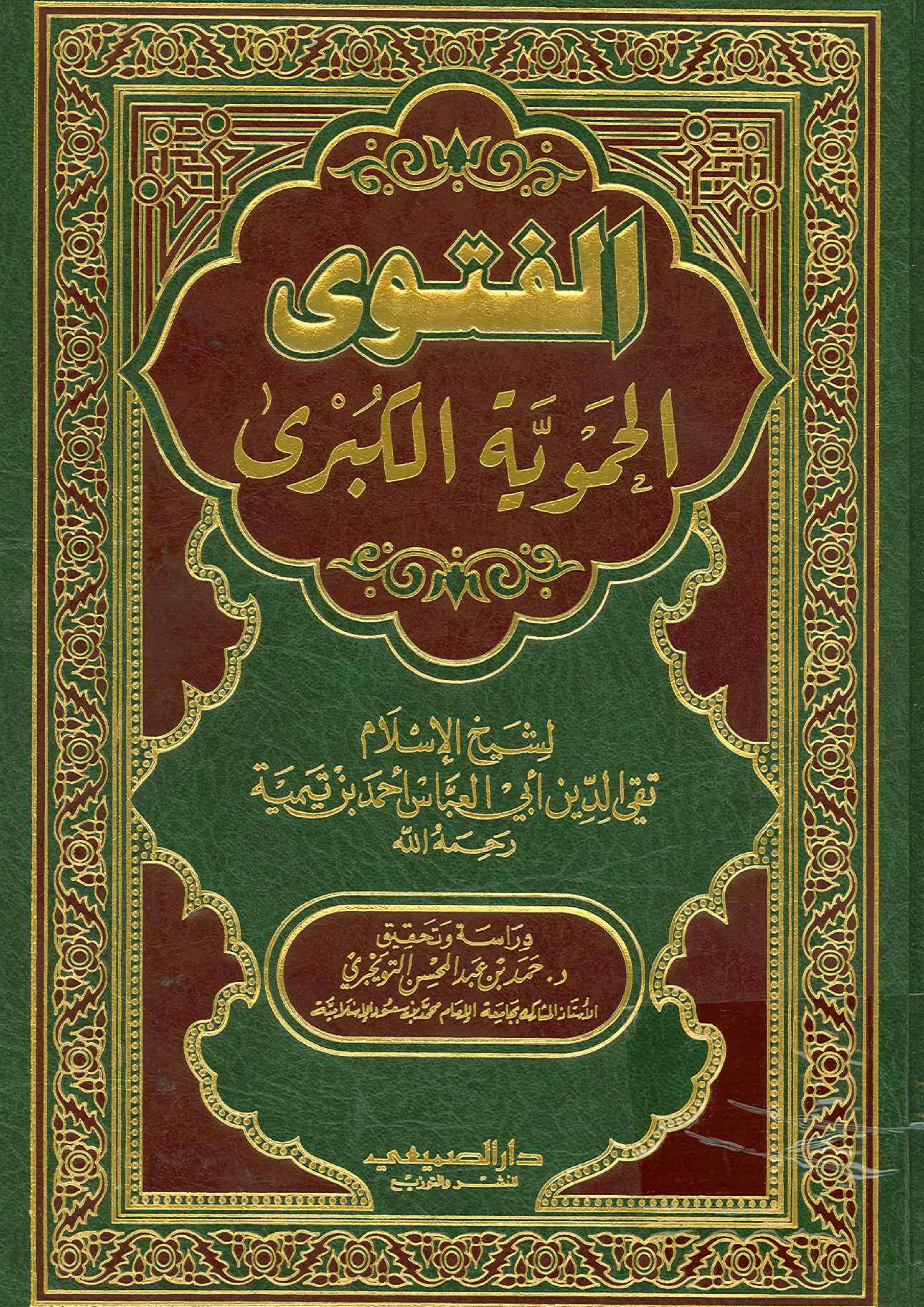


الفتوى
الحموية الكبرى
لشيخ الإسلام
تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية
رحمه الله
دراسة وتحقيق
د. حمد بن عبد المحسن التويجري
الأستاذ المشارك بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
دار الصميعي
للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم








الفَتْوىٰ الحَمَوِيَّة الكُبْرىٰ

لِشيخ الإسلام

تقي الدِّين أبي العبَّاس أحمد بن تيمية

رحمه الله

دِراسة وتحقيق

د. حمد بن عبد المحسن التويجري

الأستاذ المشارك بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

دار الصّميعي للنّشر والتّوزيع







الطَبعَة الثَانيَة
١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م
طَبعَة مُصَحَّحَة وَمُنَقَّحَة

دار الصّميعي للنّشر والتّوزيع

هاتف: ٤٢٦٢٩٤٥ - ٤٢٥١٤٥٩ - فاكس: ٤٢٤٥٣٤١
الرياض - السويدي - شارع السويدي العام
ص.ب: ٤٩٦٧ - الرمز البريدي: ١١٤١٢
المملكة العربية السعودية




بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء :١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١] .

أما بعد :

فإن من نعم الله على هذه الأمة أنْ خصَّها بخاتم الرسل، وأفضل الكتب، وأكمل الأديان، وجعله للناس ديناً إلى قيام الساعة لا يُقبل من أحد سواه، وتكفل بحفظه للأولين والآخرين على حد سواء، لتقوم عليهم الحجة ويتم البلاغ.

كما أن من نعم الله - وهي كثيرة لا تحصى - أن عقيدة الإسلام وأدلتها من القرآن والسنة واضحة يفهمها عامة الناس فضلاً عن علمائهم، فلا طلاسم ولا مكاشفات، ولا رموز ولا إشارات ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر : ١٧] .

ولقد جعل الله من أسباب حفظ هذا الدين وسلامته أن هيأ له طائفة من عباده الصادقين ووفّقهم للحق المبين، فصاروا ينفون عنه تحريف الغالين

وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، من أولئك الذين استغوتهم الشياطين، فأغمضوا أعينهم عن الدلائل الواضحات، وأصموا آذانهم عن الآيات البينات، وركبوا كل صعب، وتعرضوا للأخطار، فتاهوا في دياجر الضلال، وفي زعمهم أن هذا هو الأسلوب الأمثل للوصول إلى اليقين الأكمل.

لقد تصدت لهم الطائفة المنصورة الذين رفعوا رايات الحق، فصارت بحمد الله ظاهرة مشهورة، وصاحوا بهم في كل أصقاع المعمورة، فتهاوت مباني الباطل وصروحه التي بُنيت على شفا جرف هار.

ولقد كان من أعظم الرياح العاتية التي هبت على عقيدة الإسلام تلك الشبه المنحرفة التي بثها أفراخ المتفلسفة الصابئين ومن سار في ركبهم من المتكلمين بطوائفهم المختلفة، ممن طبل لأفكارهم وغفل عن قصدهم ومرادهم، فخبطوا خبط عشواء، فضلُّوا وأضلُّوا.

لكن كتائب الطائفة المنصورة كانت لهم بالمرصاد، فتنادت من كل قطر لمواجهة هذا الخطر العظيم الذي يهدد أصل الدين وأساسه المتين، وعقدوا العزم على حسم هذا الداء قبل استفحاله، فعقدوا لذلك المناظرات وكتبوا الكتب والأجزاء، وأبانوا للمسلمين خطرهم وعواقب كيدهم، فنسفوا تلك البدع والضلالات، وهبَّت رياحُ النصر بحمد الله ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ﴾ [الأحقاف: ٢٥] .

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية ممن خاض هذه المعركة ؛ حيث تصدى لأولئك بكل ما أُوتي من قوة. ففي القرون الوسطى من تاريخ هذه الأمة عمّ الجهل، وانتشرت البدع والأهواء، وكثر الاختلاف، وانطمست معالم العقيدة الصحيحة، واندرس مذهب السلف، ولم يعد له وجود إلا على نطاق فردي محدود، وتوارى أهله وانطووا على أنفسهم إلا ما شاء الله، وخلت الساحة لأهل الباطل، وأضحت الصولة والجولة لهم، يُفرِّخون بأفكارهم المنحرفة حيث شاؤوا، ويبثون سمومهم بين الناس بلا نكير.

خلا لكِ الجوُّ فبيضي واصفري ونقِّري ما شئتِ أنْ تُنَقِّرِي

وفي هذه الأثناء ومن خلال هذه الأمواج المتلاطمة، رفع الأشاعرة رؤوسهم، وقويت شوكتهم، وسمعت كلمتهم، وأضحى مذهبهم هو دين العامة والعلماء، ولقي الحماية من السلطة آن ذاك، وعاش في كنفها وتحت مظلتها، وأطلق عليه أصحابه ـ زوراً وبهتاناً مذهب أهل السنة والجماعة ـ، فاكتسب بذلك شهرة واسعة ونفوذاً قوياً، فلم يعد أحد يجرؤ على معارضته وتوجيه الانتقاد إليه، ومن سولت له نفسه بذلك فالويل له ثم الويل له، بل قد يتهم بالخروج والكفر.

وفي هذا الظلام الحالك، ومن خلال هذا العالم المتهالك لاح نورٌ في الأفق ليبدد بشعاعه المتناثر هذا الظلام الغاسق، تلألأ هذا الكوكب الوهاج بين هذه الحنادس الحالكة، نعم إنه ابن تيمية.

لقد تكفل الله بحفظ هذا الدين ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ واقتضت حكمته أن يكون الحفظ بأسباب، ولعل الشيخ أحد هذه الأسباب.

فتح شيخ الإسلام عينيه على هذا العالم فماذا يرى؟ وجد كل شيء فاسداً ومتهلهلاً، وبحاجة إلى إصلاح وبناء متكامل. والسؤال الذي يطرح نفسه: ماذا سيفعل فرد واحد في مواجهة ذلك كله؟ لكن لما كانت العاقبة مضمونة والنتائج متحققة، واستشعر الشيخ أن من كان الحق معه فهو الأمة وإن كان واحداً، فلا يبالي بوحشة الطريق وقلة الرفيق، شمر عن ساعديه بجد وإخلاص، وهاجم الباطل من كل نواحيه، ودكَّ قلاعه وحصونه ، يحدوه في ذلك كله الإيمان الراسخ والعزم الثابت، وذاد الناس بعصا الكتاب والسنة، يدعوهم ليرتووا من حياضهما حيث المعين الصافي الذي لم تكدره دلاء أهل الباطل وأهواء البشر.

فما لبث غير قليل حتى بدأت قلاع الباطل تتهاوى على أصحابها، الواحدة تلو الأخرى، وخر عليهم السقف من فوقهم، وساخت الأرض من

تحت أقدامهم، وتنادوا بالويل والثبور﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ [الصافات :١٧٧] .

لقد رحم الله هذه الأمة، وتداركها بعنايته، حيث هيَّأ لها هذا الرجل في هذه الظروف الحرجة ليجدد لها ما اندرس من معالم عقيدتها، وصدق الشاعر :

قام ابنُ تيمية بنَصْرِ شِرْعَتنا مَقامَ سيِّد تيم إذ عَصَتْ مُضَر

وأيم الله إنه لثالث ثلاثة كانت لهم مواقف متشابهة في مسار الأمة الإسلامية عبر عصورها الغابرة، حيث وقف هؤلاء بعزيمة وصدق وفي وقت كانت الأمة تمر بأخطر منعطفاتها وأسوأ ظروفها، وهم : أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، والإمام أحمد وشيخ الإسلام رحمهما الله .

انبهر الناس ـ وحق لهم أن ينبهروا ـ بهذا الفتى المتوقد، الإمام الفحل الذي كان غريباً على زمنهم وبيئتهم، ليس لهم عهد بالصفات التي تحلى بها والرسالة التي يحملها إلا من خلال صفحات التاريخ التي تحكي الرعيل الأول، وقد ترجمها هذا الإمام عملياً يرونها عياناً بأبصارهم، نعم إنه العلم المترجم بالعمل، الزهد المحفوف بالورع، وبهذا لهجت الألسن بذكر ابن تيمية، وذاع صيته، وأصبح حديث العامة والخاصة، وهذا مما أتاح لحاسديه المجال لينالوا منه ويحطوا من قدره، وما ذاك إلا لأن نفوسهم المريضة امتلأت حقداً وحسداً تكاد تميز من الغيظ، حينئذ شمروا عن سواعدهم وأجلبوا عليه بخيلهم ورَجِلهم، وألصقوا به التهم، وسعوا به إلى الحكام والولاة، وتناولوه بالكيد والدس، ولم يألوا جهداً في التأليب والمكر. كل ذلك : ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾ [التوبة :٣٢] .

وكان انتشار هذه « الفتوى » ـ الحموية ـ في أيدي الناس إيذاناً ببداية المعركة بينهم وبينه، وحيث وجدوها فرصة سانحة استغلوها أسوأ استغلال، حاديهم في ذلك الظلم والحسد، وحجتهم ومستندهم الكذب والبهتان وتحريف الكلم عن مواضعه، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين .

لقد باءت هذه المحاولات كلها بالفشل، وعادوا بالذل والخسران، ثم ما فتئوا يكيدون له ويمركون ويتتبعون السقطات والعثرات حتى دعوه للمناظرة أكثر من مرة، فإذا ألجمهم الحجة، وشرقوا بالحق، عمدوا إلى حيلة العاجز، وامتطوا صهوة المنهزم باستخدام ما أمكنهم الله من سلطة ونفوذ فأودعوه السجن حسداً من عند أنفسهم ـ قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين ولسان حاله يقول ـ رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه .

تقبَّل الشيخ هذا كله بقلب صابر شاكر، وبنفس يملأها الرضا بالقضاء، والإيمان بما كتب. بقي على هذا الحال خالياً بربه، يتقلب في عبادته ومناجاته، وقد حسب الناس أن السجن له نقمة، وعدَّها هو نعمة، قال له الناس: هذا موطن الصبر، فرد عليهم : بل هذا موطن الشكر، ويخاطب خصومه قائلاً : « الموت يجمعنا، والقيامة تضمنا، والله يحكم بيننا » .

وهكذا ظل على هذا الوضع لا يعول على مخلوق قط إلى أن وافاه رسول ربه، وفاضت روحه الطاهرة إلى بارئها .

نعم لقد مات ابن تيمية، ولكن ما مات ذكره معه.

ليس من مات فاستراح بميت ... إنما الميت ميت الأحياء

ورحم الله الحسن البصري حيث قال : «لما رأيتُ الناس لا يرضون عن خالقهم علمت أنهم لا يرضون عن مخلوق مثلهم»اهـ[١] .

ولقد استمر خصومه في عداوتهم الشرسة لـه حتى بعد وفاته، فلا يجرؤ أحد على إبراز مصنفاته، بل إن وجود كتاب من كتبه عند أحد من الناس يُعد جريمة لا تُغتفر ، فتفرقت مصنفاته وتشتت هنا وهناك، ولهذا حرص تلامذة الشيخ على إخفائها والاحتفاظ بها، وفي هذا الصدد يقول أحد معاصريه ومحبيه ـ الشيخ شهاب الدين أحمد بن مري الحنبلي ـ في معرض

---

(١) رواه الحافظ ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » ص٤٢٢.

رسالة بعثها إلى تلامذة الشيخ في دمشق يوصيهم فيها بجمع تراثه والعناية به، قال رحمه الله : «والله إن شاء الله ليقيمن الله سبحانه لنصر هذا الكلام - يعني كلام ابن تيمية - ونشره وتدوينه وتفهمه، واستخراج مقاصده واستحسان عجائبه وغرائبه رجالاً هم على الآن في أصلاب آبائهم، وهذه سنة الحياة الجارية في عباده وبلاده، والذي وقع من هذه الأمور في الكون لا يحصي عدده غير الله تعالى..»اهـ[1] .

فأيم الله لم يحنث في قسمه، فما هي إلا مدة ليست بالطويلة، حتى جاء تأويل وعده، وتسابق العلماء والباحثون لإخراج كتبه ونشرها بين الناس وصارت المكتبات تزخر بمصنفاته، وتبوأت آراؤه واختياراته لدى الباحثين مكاناً بارزاً، وجَمَّل العلماء والكتَّاب مؤلفاتهم بأقواله وفتاويه. وإن من طريف ما يذكر أن اسم «ابن تيمية» على غلاف كتاب ما كفيل بانتشار هذا الكتاب وسرعة اقتناء الناس له.

وإن من بين التراث الضخم الذي خلفه هذا الإمام هذه الرسالة التي بين أيدينا « **الفتوى الحموية الكبرى** » التي كتبها في وقت مبكر من عمره، واتسمت بردود فعل قوية وصدى واسع، وإني لأتشرف بتقديم هذا السفر المبارك للقراء، بل إن خدمة هذا الإمام ونشر تراثه عبادة أتعبد بها وأعد ذلك وساماً أفتخر به.

ومما دعاني وشجعني إلى تحقيق هذا الكتاب بعد الاستخارة والاستشارة أمور؛ منها على سبيل الإجمال :

أولاً: قيمة الكتاب العلمية، وذلك أنه يعتني بجانب عظيم من جوانب العقيدة الإسلامية، وهو توحيد الأسماء والصفات، وخاصة فيما يتعلق بعلو الله واستوائه على عرشه، وصفاته المسماة بالصفات الخبرية. ومع أن الكتاب

---

(١) قطعة من مكتوب الشيخ الإمام الزاهد شهاب الدين أحمد بن مري الحنبلي ص١٨.

ليس بالحجم الكبير بالنسبة إلى مؤلفات الشيخ الأخرى، إلا أنه ورد بأسلوب تقريري ذي طابع تميز بالقوة في الرد والتأصيل.

ثانياً : فإن هذا الكتاب يعد من أقوى الردود على مذهب الأشاعرة، وهذا المذهب الذي عالجه شيخ الإسلام وردّ عليه في هذه الفتوى هو نفسه الموجود الآن بين أظهر المسلمين المنتشر في أرجاء العالم الإسلامي المعاصر بأصوله وقواعده. إذن فهذا الكتاب يعالج انحرافاً عقدياً متغلغلاً بين الأمة الإسلامية في الوقت الراهن.

ثالثاً : لقد تميز هذا الكتاب بالإضافة إلى قوة عبارته ومتانة رده أنه ذو أسلوب سهل ويسير يفهمه العالم والمتعلم، ويعد من أمهات الكتب السلفية التي لا يستغني عنها طالب علم.

رابعاً : مسيس الحاجة لإخراج هذا السفر العظيم محققاً موثقاً، لما احتوى عليه من قواعد وردود وفوائد جمة لا يمكن حصرها.

إضافة إلى كثرة النصوص والآثار والنقول التي أوردها الشيخ، والتي تفتقر إلى التخريج والتوثيق وعزوها إلى مصادرها.

لهذه الأسباب ولغيرها اخترت أن يكون موضوع بحثي هذه الفتوى القيمة دراسة وتحقيقاً .

* **خطة البحث** :

المقدمة: فيها ذكرت بيان أهمية الموضوع وسبب اختياره وخطه العمل فيه.

التمهيد: عبارة عن ترجمة موجزة للمؤلف.

القسم الأول: الدراسة ، وتشتمل على أربعة فصول .

١- اسم الكتاب ونسبته إلى المؤلف.

٢- أسباب تأليفه وتاريخ ذلك.

٣- موضوعه.

٤- مجمل مباحث الكتاب، ومنهج المؤلف في تأليفه .

٥- مصادر المؤلف في هذا الكتاب.

الفصل الثاني : موقف المتكلمين في هذا الكتاب.

الفصل الثالث : دراسة بعض المسائل التي اشتمل عليها الكتاب .

الفصل الرابع :

١- النسخ الخطية للكتاب .

٢- طبعات الكتاب .

القسم الثاني : الكتاب محققاً .

*** منهجي في التحقيق :**

١- توثيق النص وضبطه، والمقابلة بين النسخ، واتبعت في ذلك ما يلي:

- اعتمدت نسخة الظاهرية رقم ٣١، ٣٣/ ٢ أصلاً ورمزت لها بـ(الأصل).

- إذا كانت هناك زيادات من النسخ الأخرى أو من أحد الكتب التي نقل منها المؤلف، فإني أضعها بين معكوفتين هكذا [ ] وأشير في الحاشية إلى ذلك، كما اعتمدت النص في الأصل، وما رأيته خطأ أو خلاف الأولى أثبته في الحاشية.

- إذا طال السقط أو الإضافة على ما في الأصل أضعه بين نجمتين هكذا * [ ] *.

- اعتمدت على الكتابة الإملائية الحديثة في كتابة المخطوط وصححت بعض الآيات التي وقع فيها بعض الأخطاء دون أن أشير إلى ذلك.

٢- عزوت الآيات إلى سورها ورقمها، وجعلت ذلك في الأصل بين معكوفتين حتى لا أثقل الحواشي.

٣- خرَّجتُ الأحاديث من مظانها، فإن كان الحديث في الصحيحين اكتفيت بالعزو إليهما، وإن كان في غيرهما اجتهدت في تخريجه من مظانه مع ذكر ما قاله العلماء في الحكم عليه إن وجد.

- إذا كان للحديث شواهد يتقوى بها فإني أذكرها مخرجة من مظانها .

- في عزو الحديث أذكر الجزء والصفحة ورقم الحديث ثم الكتاب والباب.

- إذا أشار الشيخ إلى الحديث إشارة؛ كقوله : «ثم إن الرسول ﷺ أخبر بأن أمته ستفترق ...» فإني أذكر في الهامش نص الحديث كاملاً، أو مضوع الشاهد منه إذا كان طويلاً.

٤- اجتهدت في تخريج الآثار من المصادر الأصلية، إضافة على من ذكرها من العلماء، خاصة الإمام ابن القيم في «اجتماع الجيوش» والإمام الذهبي في «العلو» مع ذكر حكم العلماء عليها إن وجد.

٥- حاولت توثيق النقول وعزوها إلى مصادرها سواءً أكان المصدر مطبوعاً أم مخطوطاً، مع الحرص على مقابلة النص المنقول مع الكتاب الأصلي إن وجد .

- إذا لم أعثر على المصدر، فإني أذكر من أورده من العلماء، خاصة إن وجد من يرويه بالإسناد، مع الإشارة إلى المواضع الأخرى التي ذكره فيها شيخ الإسلام من كتبه.

٦- ترجمتُ للأعلام الوارد ذكرهم في النص عدا الصحابة والمشهورين من العلماء كالأئمة الأربعة .

- اقتصرتُ في الترجمة على اسم المترجم له وسنة وفاته وبعض مؤلفاته ، مع ذكر ما قاله العلماء فيه خاصة فيما يتعلق بمعتقده، وغالباً ما أقتصر على قول واحد ، وفي نهاية الترجمة أذكر بعض المراجع لمن أراد المزيد .

- أسهبتُ نوعاً ما في ترجمة بعض الأعلام كأبي الحسن الأشعري ،

وأبـي حامد الغزالي نظراً لكثرة الكلام حول هذه الشخصيات من ناحية المعتقد.

٧- أشـرتُ إلى الكتب التي ذكرها المؤلف في الأصل مما يسر الله الاطلاع عليه

٨- علقت على بعض المسائل التي رأيت أنها تحتاج إلى تعليق، فإن كانت من المسائل التي وقع الخلاف فيها، فإني أذكر مذهب أهل السنة فيها ومذهب من خالفهم، متوخياً الاختصار في هذا كله، ثم أذكر في نهاية التعليق جملة من المـراجع التي تحدثت عن الموضوع بالجزء والصفحة لمن أراد التوسع في ذلك. وإن وجدت بعض الكتب التي بحثت المسألة استقلالاً فإني أشير إليها.

- ومـن المعلـوم أن شـيخ الإسـلام مـن العـلماء الذيـن خدمـوا أنفسهم بأنفسـهم، فمـا أجمله في موضع فقد فصله وبسطه في موضع آخر، ولهذا فإنه إذا عـرض لـي مسـألة في الأصل، وقد بسط الشيخ القول فيها في موضع أو موضوع آخر فغالباً ما أنبه إلى ذلك.

- توسعت في التعليق على بعض المسائل كالتعليق على حديث «الصورة» وذلـك بسـبب مـا وقـع مـن اللـبس في هـذه المسـألة لدى بعض أهل السنة أنفسهم؛ فضلاً عن غيرهم.

٩- عرّفتُ بالفرق والأماكن الوارد ذكرها في النص.

١٠- عرّفـتُ بعض المصطلحات الكلامية والمنطقية والعلمية التي وردت في النص.

١١- شـرحت الكـلمات الغريـبة مـن خـلال كتـب غريب الحديث وكتب اللغـة، وقـد حرصت أن أوضح ذلك بشاهد من القرآن أو من الحديث أو بيت من الشعر لتقريب المعنى إلى ذهن القارئ، كما قمت بتشكيل بعض الكلمات.

١٢- وضـعت عـناوين جانبية للكتاب، وحاولت أن تكون مختصرة قدر الإمكان.

١٣- بعض الرموز والمصطلحات التي استخدمتها أثناء التحقيق:

الأصل : نسخة الظاهرية.

ج : نسخة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

ع : نسخة جامعة الملك سعود .

- إذا قلت : « رواه - وذكرت أحد الأئمة الأربعة أصحاب السنن » وأطلقت فأعني في « سننهم » وإذا أردت غيرها قيدت بذلك بقولي : «رواه فلان في كذا» .

- وإذا قلت : « رواه أحمد » وأطلقت، فأعني في المسند .

- وإذا أردت أن أحيل إلى «صحيح البخاري » فإني أعزو لـ«فتح الباري» لسهولة الرجوع إليه.

- كثيراً ما أقول : ذكر الشيخ أو قال الشيخ أو نحو ذلك، وأعني « شيخ الإسلام » .

١٤- وضعت فهارس للكتاب، وتشمل ما يلي :

١- فهرس الآيات .

٢- فهرس الأحاديث .

٣- فهرس الآثار والأقوال .

٤- فهرس الأعلام .

٥- فهرس الفرق .

٦- فهرس المصطلحات العلمية.

٧- فهرس الكلمات الغريبة.

٨- فهرس الأماكن والبلدان.

٩- فهرس الكتب الواردة في النص.

١٠- فهرس الشعر.

١١- فهرس المصادر والمراجع.

١٢- فهرس الموضوعات. وهذا الفهرس يشمل موضوعات الأصل وبعض التعليقات التي في الهامش، وأرمز لها بحرف « ت » .

وفي الختام هذا هو جهدي المقل، فما كان فيه من صواب فمن عند الله وحده لا شريك له، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي والشيطان، وأستغفر الله من ذلك، كما أسأله أن يجعل عملي خالصاً خاصاً لوجهه الكريم، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، ورحم الله امرءاً عرف خللاً فنبهني إليه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

التمهيد

ترجمة موجزة للمؤلف





التمهيد

ترجمة موجزة للمؤلف

يُعدُّ هذا العلم من أبرز الشخصيات التي حظيت بالدراسة والخدمة، فأفردت ترجمته بكتب مستقلة وبحوث مفردة في القديم والحديث تصل إلى ثلاثة وخمسين، ما بين كتاب كبير ورسالة صغيرة تقريباً[١].

بل إن هناك الندوات التي جمعت بين العلماء والمفكرين من أنحاء العالم لدارسة بعض جوانب حياته العلمية[٢].

ولهذا آثرت الاختصار في هذه الترجمة، وسأشير عبر هذه الصفحات بإيجاز إلى الملامح العامة لحياته لتكون مدخلاً للرسالة.

وسأذكر في نهاية هذا المبحث أهم المراجع التي تحدثت عن هذا الإمام، ومن أراد التوسع فليرجع إلى ذلك.

أولاً: اسمه ونسبه ومولده:

هو : شيخ الإسلام، تقي الدين أبوالعباس ، أحمد ابن الشيخ الإمام العلامة شهاب الدين عبدالحليم ، ابن الإمام العلامة مجد الدين أبي البركات عبدالسلام ابن أبي محمد عبدالله ابن أبي القاسم الخضر بن محمد بن الخضر ابن علي بن تيمية الحرّاني .

وتيمية: يقال : إنها أم جده محمد، وكانت واعظة، فنسب إليها، وعرف

---

(١) ذكر جملة من ذلك محمد بن إبراهيم الشيباني فيما جمعه في كتاب « أوراق مجموعة من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية » ص ١٨٨- ٢٠٠.

(٢) ومن ذلك : الندوة العلمية العالمية، التي قامت بها« الجامعة السلفية في بنارس الهند » من ٢٩ ربيع الأول ٢ربيع الآخرة، سنة ١٤٠٨هـ، وقدم في هذه الندوة عدة بحوث تصل إلى خمسة وثلاثين بحثاً. وقد خرجت الندوة بعدة توصيات وقرارات.
انظر : تفصيل هذه الندوة في المصدر السابق ص ٢٠٨-٢١٢.

بها، ولهذا أطلق على هذه الأسرة « آل تيمية ».

ولد شيخ الإسلام بحرَّان، يوم الاثنين عاشر، أو ثاني عشر، ربيع الأول سنة ٦٦١هـ.

وبعد أن هجم التتار على بلده وعاثوا فيها فساداً سافر به والده مع إخوانه إلى الشام فوصل دمشق سنة ٦٦٧هـ، واستقر بها.

ثانيا: نشأته وبداية حياته العلمية:

نشأ شيخ الإسلام في بيت علم ودين، فقد كان جده الشيخ مجد الدين أبوالبركات من كبار علماء الحنابلة، وفقهاء العصر، تفقه على يد عمه فخر الدين الخطيب. قال عنه شيخ الإسلام: « كان الشيخ جمال الدين ابن مالك يقول : أُلين للشيخ المجد الفقه كما أُلين لداود الحديد » ، وقال أيضاً : « كان جدنا عجباً في سرد المتون وحفظ مذاهب الناس وإيرادها بلا كلفة » اهـ.

وقال عنه الذهبي : « تفقه، وبرع واشتغل، وصنف التصانيف، وانتهت إليه الإمامة في الفقه..» .

من أهم مصنفاته « المنتقى من أحاديث الأحكام » الذي شرحه الشوكاني في كتابه «نيل الأوطار»، ومن مؤلفاته «الأحكام الكبرى»في عدة مجلدات[1] .

أما والده شهاب الدين عبد الحليم بن عبد السلام، فقد سمع من والده مجد الدين أبي البركات، ورحل في صغره إلى حلب، وسمع هناك من عدد من المشايخ، قال عنه الذهبي: « قرأ المذهب حتى أتقنه على والده، وأفتى وصنف، وصار شيخ البلد بعد أبيه وخطيبه وحاكمه، وكان إماماً محققاً لما ينقله، كثير الفوائد، جيد المشاركة في العلوم، له يد طولى في الفرائض...» .

وقال عنه البرزالي : « كان من أعيان الحنابلة، وعنده فضائل وفنون،

---

(١) انظر : السير (٢٣/ ٢٩١)، البداية والنهاية (١٣/ ١٨٥)، ذيل طبقات الحنابلة (٤/ ٢٤٩)، شذرات الذهب (٥/ ٢٥٧).

وباشر بدمشق مشيخة دار الحديث السكرية بالقضاعيين وبها كان يسكن، وكان له كرسي بالجامع يتكلم عليه أيام الجمع من حفظه » اهـ[١] .

وممن اشتهر بالعلم والعبادة والزهد من هذه الأسرة إخوة الشيخ وهم ثلاثة : أخوه شرف الدين عبدالله[٢] ، وزين الدين عبدالرحمن [٣] وأخوه لأمه بدر الدين محمد[٤] .

أما والدة الشيخ، فهي : ست النعم بنت عبد الرحمن بن علي بن عبدوس الحرانية[٥].

من هذا البيت المبارك، والأسرة الصالحة خرج شيخ الإسلام فنشأ وتربى في حجر والده، وبدأ في طلب العلم مبكراً، وكانت علامات النجابة والفطنة تظهر عليه منذ حداثة سنه، ونعومة أظفاره، وكان مفرط الذكاء ذكر ابن عبدالهادي أن أحد علماء حلب قدم من دمشق، وقال : سمعت في البلاد بصبي يقال له: أحمد بن تيمية، وأنه سريع الحفظ، وقد جئت قاصداً لعلي أراه. فقال له خياط : هذه طريق كتَّابه، وهو إلى الآن ما جاء فاقعد عندنا، الساعة يجيء يعبر علينا ذاهباً إلى الكتاب. فجلس الشيخ قليلاً فمر صبيان، فقال الخياط للحلبي : فذاك الصبي الذي معه اللوح الكبير هو أحمد بن تيمية، فناداه الشيخ فجاء إليه فناول الشيخ اللوح، فنظر فيه، ثم قال : يا ولدي امسح هذا حتى أملي عليك شيئاً تكتبه، ففعل. فأملى عليه من متون الأحاديث أحد عشر أو ثلاثة عشر حديثاً، وقال له : اقرأ هذا، فلم يزد على

---

(١) انظر: العبر للذهبي (٣/ ٣٤٩)، ذيل طبقات الحنابلة (٤/ ٣١٠).

(٢) انظر : ذيل طبقات الحنابلة (٤/ ٣٨٢)، شذرات الذهب (٦/ ٧٦).

(٣) انظر : البداية والنهاية (١٤/ ٢٢٠)، شذرات الذهب (٦/ ١٥٢).

(٤) انظر: ذيل طبقات الحنابلة (٤/ ٣٧٠)، شذرات الذهب (٦/ ٤٥)

(٥) انظر : البداية والنهاية (١٤/ ٧٩).

أن تأمله مرة بعد كتابته إياه ثم دفعه إليه، وقال: اسمعه عليَّ ، فقرأه عليه عرضاً كأحسن ما أنت سامع، فقال له: يا ولدي امسح هذا ففعل. فأملى عليه عدة أسانيد انتخبها، ثم قال : اقرأ هذا، فنظر فيه كما فعل أول مرة فقام الشيخ، وهو يقول: إن عاش هذا الصبي ليكونن له شأن عظيم، فإن هذا لم يُر مثله. أو كما قال» اهـ[1] .

حفظ القرآن في سنٍّ مبكرة ، ثم أكبَّ على طلب العلم فدرس على والده، وبعض المشايخ عصره[2] ولم يتجه إلى فن معين، بل درس الحديث وسمع المسانيد، والكتب الستة، وبعض المعاجم، وأقبل على التفسير، وعلم الفقه والأصول، إضافة إلى علم اللغة.

وقد جلس للإفتاء وعمره تسع عشرة سنة، وخلف والده في التدريس بدار الحديث السكرية وعمره اثنتان وعشرون سنة بعد أن توفي والده سنة ٦٨٢هـ، وجلس الشيخ للتدريس في الثاني من شهر الله المحرم سنة ٦٨٣هـ، وقد حضر درسه الأول كبار علماء دمشق، يقول ابن كثير واصفاً هذا الدرس : «.... وحضر عنده قاضي القضاء بها الدين ابن الزكي الشافعي، والشيخ تاج الدين الغزاوي شيخ الشافعية والشيخ زين الدين ابن المرحل، وزين الدين ابن المنجا الحنبلي، وكان درساً هائلاً، وقد كتبه الشيخ تاج الدين الفزاري بخطه لكثرة فوائده، وكثرة ما استحسنه الحاضرون. وقد أطنب الحاضرون في شكره على حداثة سنه وصغره، فإنه كان عمره إذا ذاك عشرين سنة وسنتين ...»[3] .

وأيضاً في اليوم العاشر من شهر صفر من هذه السنة جلس للتفسير في

---

(١) العقود الدرية ص٤ .

(٢) وسيأتي ذكره في تعداد شيوخه وتلاميذه.

(٣) البداية والنهاية (١٣/ ٣٠٣).

الجامع الأموي بعد صلاة الجمعة، وقد استمر هذا الدرس سنين طويلة، وكان يحضره الجمع الغفير من الناس.

قال الإمام الذهبي : نشأ - يعني الشيخ تقي الدين - رحمه الله في تصون تام، وعفاف وتأله وتعبد، واقتصاد في الملبس والمأكل، وكان يحضر المدارس والمحافل في صغره، ويناظر ويفحم الكبار ويأتي بما يتحير منه أعيان البلد في العلم. فأفتى وله تسع عشرة سنة، بل أقل، وشرع في الجمع والتأليف من ذلك الوقت، وأكب على الاشتغال، ومات والده - وكان من كبار الحنابلة وأئمتهم - فدرس بعد بوظائفه وله إحدى وعشرون سنة، واشتهر أمره، وبعد صيته في العالم..»[1].

هكذا بدأ شيخ الإسلام تقي الدين حياته العلمية حتى أصبح آية من آيات الله في الفهم وسعة الاطلاع، وقوة الحجة، وسرعة البديهة.

ثالثا : بعض الصفات التي اتصف بها :

أ- صفاته الخَلْقية :

وصفه الذهبي : بأنه كان أبيض، أسود الرأس واللحية قليل الشيب، شعره إلى شحمة أذنيه، كأن عينيه لسانان ناطقان، ربعة من الرجال، بعيد ما بين المنكبين، جهوري الصوت، فصيحاً، سريع القراءة، تعتريه حدة، لكن يقهرها الحلم[2].

ب- صفاته الخُلُقية :

١- كرمه:

كان رحمه الله سخياً جواداً، لا يرد سائلاً قط، ويجود بكل ما يستطيع، حتى ولو يشاطره بعض لباسه الذي عليه، ومن طريف ما يروى في ذلك ما

---

(١) العقود الدرية ص ٤-٥.

(٢) الدرر الكامنة (١/ ١٦١)، البدر الطالع (١/ ٦٤) .

ذكره البزار، قال: حدثني الشيخ العالم الفاضل المقرئ أبو محمد عبد الله ابن الشيخ الصالح المقرئ أحمد بن سعيد، قال : كنت يوماً جالساً بحضرة شيخ الإسلام ابن تيمية رضي الله عنه ، فجاء إنسان فسلم عليه فرآه الشيخ محتاجاً إلى ما يعتم به، فنزع الشيخ عمامته من غير أن يسأله الرجل ذلك فقطعها نصفين، واعتم بنصفها ودفع النصف الآخر إلى ذلك الرجل..» اهـ[1] .

وذكر البزار أيضاً، قال : حدثني من أثق به أن الشيخ رضي الله عنه كان ماراً يوماً ببعض الأزقة، فدعا له بعض الفقراء، وعرف الشيخ حاجته، ولم يكن مع الشيخ ما يعطيه، فنزع ثوباً من على جلده ودفعه إليه، وقال : بعه بما تيسر وأنفقه، واعتذر إليه من كونه لم يكن معه شيء من النفقة» اهـ[2] .

وما يُروى عنه في هذا الباب كثير مما يدل على كمال مروءته وسخاء نفسه.

٢- قوته وشجاعته :

لقد ضرب شيخ الإسلام أروع الأمثال في ميدان القوة والشجاعة ؛ ففي ميدان الجهاد بطل مغوار لا يشق له غبار، يتبين هذا جلياً ممَّا فعله ضد التتار، ويأتي الكلام على شيء من ذلك.

إضافة إلى أنه كان ذا شخصية قوية، ونفس لا تهاب الصعاب؛ كان يقف أمام السلاطين والظلمة ينصحهم ويخوفهم ويحذرهم برباطة جأش يهابه كل من حضر، لا يخاف في الله لومة لائم.

ومن مواقفه المشهورة التي تترجم قوة شخصيته وتنبئ عن شجاعته: موقفه من « قازان » سلطان التتار ـ مع ما اشتهر عنهم من التسلط والظلم والبربرية ـ فقد ذهب إليه شيخ الإسلام مع مجموعة من تلامذته، وكلَّمه

---

(١) الأعلام العلية ص٥٩.

(٢) المصدر السابق ص٦١.

بشدة ، ومما قال له : « أنت تزعم أنك مسلم ومعك مؤذن وقاضٍ وإمام وشيخ، على ما بلغنا فغزوتنا وغزوت بلادنا على ماذا؟ ... إلى أن قال : وأنت عاهدت فغدرت، وقلت فما وفيت » ولما قربوا الطعام، فأكلوا إلا شيخ الإسلام، فقيل له : ألا تأكل ؟ فقال كيف آكل من طعام وكله مما نهبتم من أغنام الناس وطبختموه بما قطعتم من أشجار الناس.

ووقعت له معه أمور تبين مقدار ما يتمتع به شيخ الإسلام من قوة وشجاعة يعجز عنها الوصف[١].

وكان إذا حضر الجهاد مع المسلمين يشجعهم ويثبتهم، ويعدهم النصر، ويقوي عزائمهم حتى كأنه هو القائد، وهو الأمير، وهو السلطان، وما هو إلا واحد من الجند.

ولم أرَ أمثال الرجال تفاوتوا لدى الفضل حتى عُدَّ ألفٌ بواحد

قال عنه الذهبي : « وأما شجاعته فبها تضرب الأمثال، وببعضها يتشبه أكابر الأبطال » اهـ[٢]

ومن مواقفه البطولية التي خلدها التاريخ عندما سار جيش التتار إلى الشام، ابتدر شيخ الإسلام وذهب مع البريد إلى مصر ودخل على السلطان، وخاطبه بقوة قائلاً له : « إن تخليتم عن الشام ونصرة أهله، والذب عنهم » وهدده بأن أهل الشام سيقيمون لهم من يحميهم ويقوم بأمرهم فأجابه السلطان إلى ما أراد[٣].

وبهذه المواقف وغيرها أصبحت شجاعة ابن تيمية وقوته مضرب المثل.

وقد وُشِيَ بالشيخ إلى السلطان الملك الناصر، فأحضره بين يديه، ومن

---

(١) انظر تفصيل ذلك في البداية والنهاية (١٤/ ٨٩).

(٢) العقود الدرية ص١١٨.

(٣) انظر: ذيل طبقات الحنابلة (٤/ ٣٩٥-٣٩٦)، شذرات الذهب (٥/ ٤٥٥).

جملة ما قال له الناصر: أخبرت أنك أطاعك الناس، وأن في نفسك أخذ الملك، فرد عليه بنفس مطمئنة وقلب ثابت، وبصوت عالٍ سمعه كثير ممن حضر: أنا أفعل ذلك؟ والله إن ملكك وملك آبائك لا يساوي عندي فلسين. فتبسم السلطان لذلك[١].

ويذكر ابن القيم ما منحه الله من قوة القلب وانشراح الصدر وسرور النفس مع أنه كان محبوساً في القلعة ويقول : « وكنا إذا اشتد بنا الخوف وساءت منا الظنون وضاقت بنا الأرض، أتيناه، فما هو إلا نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله، وينقلب انشراحاً وقوة ويقيناً وطمأنينة»[٢].

ويقول خادمه إبراهيم بن أحمد الغياني: «... ثم بعد أيام جاء عند الشيخ ـ يعني ابن تيمية ـ شمس الدين بن سعد الدين الحراني، وأخبره أنهم يسفرونه إلى الإسكندرية. وجاءت المشايخ التدامرة[٣] وأخبروه بذلك، وقالوا له: كل هذا يعملونه حتى توافقهم، وهم عاملون على قتلك أو نفيك أو حبسك، فقال لهم: « أنا إن قتلت كانت لي الشهادة، وإن نفوني كانت لي هجرة ولو نفوني إلى قبرص لدعوت أهلها إلى الله وأجابوني، وإن حبسوني كان لي معبداً، وأنا مثل الغنمة كيفما تقلبت على صوف » فيئسوا منه وانصرفوا ... ثم ذكر أنه لما ركب مع نائب السلطان متوجهاً إلى الإسكندرية، فقال له إنسان : « يا سيدي هذا مقام الصبر »، فقال له : «بل هذا مقام الحمد والشكر، والله إنه نازل على قلبي من الفرح والسرور شيء لو قسم على أهل الشام ومصر لفضل عنهم، ولو أن معي في هذا الموضع ذهباً وأنفقته ما أديت عشر هذه النعمة التي أنا فيها». اهـ[٤].

---

(١) الأعلام العلية ص٦٥ .

(٢) الوابل الصيب ص ٤٥.

(٣) نسبة إلى « تدمر » إحدى مدن الشام، انظر معجم البلدان (٢/ ١٧) .

(٤) ناحية من حياة شيخ الإسلام لإبراهيم بن أحمد الغياني ص ٣٠ ، ٣٢.

٣- زهده وتواضعه :

مع ما منح شيخ الإسلام من سعة العلم، وقوة الشخصية وعلو المكانة، مع هذا كله فقد كان في غاية التواضع، والإزراء على النفس، كان زاهداً قانعاً بما في يده، لم يتطلع في يوم من الأيام إلى منصب أو جاه، ولم تكن الدنيا في عينه تساوي شيئاً، وقد رضي منها القليل، واكتفى بما يغنيه عن الناس، ويسد حاجته، وربما اكتفى بشيء من الخبز يأكله في الصباح وفي المساء، حتى قال عنه زين الدين الواسطي - وقد أقام مع الشيخ - : « وكنت أسأله أن يزيد على أكله فلا يفعل، حتى إني كنت في نفسي أتوجع له من قلة أكله.. »[١] .

وقال الحافظ البزار : « وأما تواضعه، فما رأيت ولا سمعت بأحد من أهل عصره مثله في ذلك، وكان يتواضع للكبير والصغير، والجليل والحقير، والغني الصالح والفقير، وكان يدني الفقير الصالح ويكرمه ويؤنسه ويباسطه بحديثه المستحلي زيادة على مثله من الأغنياء، حتى إنه ربما خدمه بنفسه، وأعانه بحمل حاجته، جبراً لقلبه، وتقرباً بذلك إلى ربه... » ثم ذكر أنه لا يسأم ممن يسأله ويستفتيه مهما كان[٢].

وقال أيضاً في وصف الشيخ : « ولقد اتفق كل من رآه، خصوصاً من أطال ملازمته، أنه ما رأى مثله في زهده في الدنيا، حتى لقد صار ذلك مشهوراً، بحيث قد استقر في قلب القريب والبعيد من كل من سمع بصفاته على وجهها، بل لو سئل عامي من أهل بلد بعيد من الشيخ : من كان أزهد أهل هذا العصر، وأكملهم في رفض فضول الدنيا، وأحرصهم على طلب الآخرة؟، لقال: ما سمعت بمثل ابن تيمية.. »[٣] .

---

(١) الأعلام العلية ص ٤٨ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٨-٤٩ .

(٣) المصدر السابق ص٤٤-٤٥ .

رابعا : مواقفه الجهادية:

لم يكن شيخ الإسلام عالماً يصدر الفتاوي، ويؤلف الكتب، ويجلس للطلاب في حلقات العلم فحسب، ولم يكن يعيش في معزل عن مجتمعه، بعيداً عن واقعه، لا يعلم ما يدور حوله، بل عايشه بقلبه وقالبه. وإذا قضى حياته مجاهداً بقلمه ولسانه، فقد كان من حملة السيف، وأبطال المعارك، ترجم علمه بعمله، وقوله بفعله، ولنأخذ نموذجاً وموقفاً من مواقفه الجهادية التي خاض غمارها وشق غبارها، ومن خلالها يمكن أن نستشف ما كان يتمتع به هذا الرجل من روح جهادية، خلدت اسمه ورفعت شأنه.

عاش شيخ الإسلام عصراً محموماً يعج بالفتن والقلاقل. كانت الأمة الإسلامية فيه مليئة بالأحداث الجسام والمصائب المتلاحقة، تعيش تمزقاً لم يسبق له مثيل، فما كادت الحملات الصليبية تنتهي، إلا وفجعت أمة الإسلام بالجيش التتري الغاشم يجتاح العالم الإسلامي، ويأتي على الرطب واليابس، أصبحت ممالك المسلمين تتساقط في أيديهم الواحدة تلو الأخرى . وهم يعيثون فيها خراباً، سلباً ونهباً. وأسراً وقتلاً،حتى أتوا على حاضرة العالم الإسلامي«بغداد» وطوقوها عام ٦٥٦هـ وسقطت في أيديهم بعد أن قتلوا الخليفة العباسي«المستعصم» ، وما صاحب ذلك من سفك الدماء ودمار شامل لم يعرف التاريخ له نظيراً[(١)] .

وبهذا أصبح شبح التتار يثير الرعب في نفوس المسلمين وترتعد له القلوب خوفاً وهرباً.

وفي سنة ٦٩٩هـ عزم « قازان » حاكم التتار على غزو الشام، وسبقت الإشارة إلى موقف شيخ الإسلام من هذا ومقابلته قازان، ورجوع الأخير

---

(١) انظر تفصيل ذلك في : البداية والنهاية (١٣/ ٢٠٠-٢٠٤)، سير أعلام النبلاء (٢٣/ ١٨١-١٨٣) دول الإسلام للذهبي ص ٣٦٠-٣٦٢.

عن عزمه[١].

وفي رجب سنة ٧٠٢هـ شاعت الأخبار بعزم التتار على دخول بلاد الشام، فأصاب الناس ذعر وهلع وخوف شديد، وبدؤوا في الخروج إلى الديار المصرية، وهنا يبرز أثر الشيخ، فيقف ويهدِّئ الناس ويطمئنهم ويعدهم النصر، ويحثهم على الجهاد، ويأمرهم بالصبر والمصابرة، ويكثر من الابتهال إلى الله والتضرع إليه.

وفي هذه الأثناء سار إلى السلطان وحثه على قتال التتار فأجابه إلى ذلك، وكان يحلف للأمراء والناس أنهم لمنصورون، فيقول له الأمراء : قل : إن شاء الله، فيقول : إن شاء الله تحقيقاً لا تعليقاً. وكان يتلو بعض الآيات في ذلك.

وقد حصل عند الناس شبهة، وتردد في قتالهم، على أي شيء يقاتلون! فإن الظاهر منهم هو الإسلام. فسارع شيخ الإسلام وأزال هذه الشبهة، وأوضح للناس أنهم من قبيل الخوارج الذين قاتلهم الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وقال لهم بكل قوة وعزيمة : «إذا رأيتموني من ذلك الجانب ـ أي في جانب التتار ـ وعلى رأسي مصحف فاقتلوني» اهـ. وبهذا زال ما وجد لدى بعض الناس وقويت عزائمهم.

وطلب منه السلطان أن يقف معه في المعركة، فقال له الشيخ : «السنة أن يقف الرجل تحت راية قومه، ونحن مع جيش الشام لا نقف إلا معهم ».

وأفتى الناس بالفطر مدة قتالهم، وليكون هذا أقبل للنفوس أوضح هذا عملياً، فكان يدور على الأمراء والجند، ويأكل من شيء معه في يده. ويقول: «إن الفطر أقوى لكم» ويتأول فعل النبي ﷺ في غزوة الفتح حيث أصبح مفطراً.

---

(١) انظر : مبحث « قوة شيخ الإسلام وشجاعته» ص٢٤.

وابتدأت المعركة. وكانت الدائرة في النهاية للمسلمين، وأعز الله جنده، وكان لشيخ الإسلام فيها أعظم المواقف، وهي ما عرفت في التاريخ باسم «معركة شقحب»[(١)].

يقول ابن عبد الهادي في ذكر بعض مواقف الشيخ البطولية في هذه معركة: « ولقد أخبرني أمير من أمراء الشاميين ذو دين متين، وصدق لهجة معروف في الدولة، قال : قال لي الشيخ - يعني شيخ الإسلام - يوم اللقاء،... وقد تراءى الجمعان: يا فلان أوقفني موقف الموت. قال : فسقته إلى مقابلة العدو، وهم منحدرون كالسيل تلوح أسلحتهم من تحت الغبار المنعقد عليهم . ثم قلت له : يا سيدي. هذا موقف الموت، وهذا العدو، وقد أقبل تحت هذه الغَبَر. فدونك وما تريد ... إلى أن قال : ثم حال القتال بيننا والالتحام، وما عدت رأيته، حتى فتح الله ونصر... قال وإذا أنا بالشيخ وأخيه يصيحان بأعلى صوتيهما تحريضاً على القتال، وتخويفاً للناس من الفرار» اهـ[(٢)] .

وبهذا تبوأ ابن تيمية منزلة جهادية لا يُستهان بها، وكان له الأثر الواضح في ميدان المعارك تنبىء عن هذا الإمام بأنه ليس إمامَ قلم فقط ،بل قلم وسيف، وإنه رجل المواقف.

خامسا: محنته ووفاته رحمه الله :

إن هذه الشهرة الكبيرة والمنزلة العالية التي حظي بها الشيخ، وذياع صيته في كل مكان بين الخاصة والعامة أثارت الضغائن، وحركت أصحاب النفوس الضعيفة لإيذائه، وتأليب الحكام عليه، وإلصاق التهم به، حسداً من

---

(١) انظر: تفصيل هذه المعركة في: البداية والنهاية (١٤/ ٢٣-٢٧)، دول الإسلام ص٣٩٩-٤٠٠، العقود الدرية ص١٧٥-١٧٧، ذيل مرآة الزمان لليونيني (١/ ٨٥).

(٢) العقود الدرية ص ١٧٧- ١٧٨ .

عند أنفسهم، وهذه سنة جارية، أن من لمع نجمه وبرز اسمه كثر حاسدوه والناقمون عليه.

لقد سُجن الشيخ أكثر من مرة، وأوذي وامتحن، ولكن هذا لا يزيده إلا قوة في الحق وصلابة في الدين.

وفي سنة ست وعشرين وسبعمائة ظفر خصوم الشيخ بفتوى أفتى بها قبل سنوات[١] في مسألة «شد الرحال إلى القبور»[٢] ـ وقد نقل أعداء الشيخ هذه الفتوى محرفة بعد أن زادوا فيها ونقصوا[٣] وزعم أولئك أن الشيخ ينتقص جناب الأنبياء والأولياء، ونشروها بين العامة ليوغروا صدورهم عليه، ولم يكتفوا بذلك، بل أرسلوا إلى السلطان آنذاك ـ الناصر ـ بذلك وحرضوا عليه.

وفي عصر يوم الاثنين السادس من شهر شعبان في السنة نفسها اعتقل

---

(١) ذكر ذلك الشيخ نفسه في كتابه « الرد على الأخنائي » ص ٨، وانظر : العقود الدرية ص ٣٢٨،٣٣١، وقد حددها ابن عبد الهادي أنها قبل سبع عشرة سنة.

(٢) وقد أورد ابن عبد الهادي نص الفتوى التي نقموا بها عليه، انظر: العقود الدرية ص ٣٣٠-٣٤٠ الفتاوى (٢٧/ ١٨٢-١٩٢، ٢١٤-٢٢٥) .

انظر : الكلام حول هذه المسألة ـ شد الرحال إلى القبور ـ في : كتاب الرد على الأخنائي ، الجواب الباهر في زوار المقابر. كلاهما لشيخ الإسلام، وانظر : الفتاوى (٢٧/ ١٩٤وما بعدها)، الصارم المنكي في الرد على السبكي لابن عبد الهادي، جلاء العينين للألوسي ص٥٠٥-٥١٨.

(٣) يقول شيخ الإسلام في « الرد على الأخنائي » ص٩ موضحاً التحريف الذي حصل في جوابه : « ونقل هذا المعارض عن الجواب ما ليس فيه، بل المعروف المتواتر عن المجيب في جميع كتبه وكلامه بخلافه وليس في الجواب ما يدل عليه، بل على نقيض ما قاله، وهذا إما أن يكون عن تعمد للكذب، أو عن سوء فهم مقرون بسوء الظن وما تهوى الأنفس، وهذا أشبه الأمرين به.. »

الشيخ – رحمه الله – بعد أن ورد مرسوم سلطاني بذلك بقلعة دمشق، وأقام معه أخوه زين الدين ليخدمه.

لقد تقبل الشيخ هذا الخبر بسعادة ورحابة صدر، وقال بكل عزة وأنفة، وإيمان ويقين : « أنا كنت منتظراً ذلك وهذا فيه خير عظيم »(١) وقال : « لو بذلت ملء هذه القلعة ذهباً ما عدل عندي شكر هذه النعمة، أو قال : ما جزيتهم على ما تسببوا لي فيه من الخير »اهـ(٢) .

ولما دخل القلعة وصار داخل سورها نظر إليه، وقال: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾(٣) [الحديد : ١٣] .

لم يكن الشيخ أول من دخل السجن، بل سبقه إلى هذا الطريق العلماء والأئمة، وقبلهم الأنبياء والرسل.

وهو لمثل هؤلاء كالنار للذهب، لا تزيده النار إلا صفاء ونقاء، ولهذا قال الشيخ كلمته المشهورة : «ما يصنع أعدائي بي ؟ أنا جنتي وبستاني في صدري، إن رحت فهي معي لا تفارقني. إن حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة » اهـ(٤) .

وقد كان هذا الامتحان والإيذاء للشيخ من أسباب انتشار دعوته وعلمه، يقول في إحدى رسائله : « ومن سنة الله : أنه إذا أراد إظهار دينه، أقام من يعارضه فيحق الحق بكلماته، ويقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ...»(٥) .

---

(١) العقود الدرية ص ٣٢٩ .

(٢) نقله عن ابن القيم في الوابل الصيب ص ٤٤.

(٣) المصدر السابق ص٤٤، الذيل على طبقات الحنابلة (٤/ ٤٠٢).

(٤) الوابل الصيب ص٤٤، الذيل على طبقات الحنابلة (٤/ ٤٠٢).

(٥) الفتاوى (٢٨/ ٥٧)، العقود الدرية ص٣٦٤.

وضُيِّق على الشيخ في سجنه شيئاً فشيئاً، ومُنع دخول التلاميذ عليه، ثم صدر مرسوم بإخراج جميع أدوات الكتابة من عنده منعاً له من التأليف، وبعد هذا تفرغ تفرغاً تاماً للعبادة والخلوة بربه، وكان يكثر من قراءة القرآن والتضرع إلى الله.

وقبل وفاته ببضع وعشرين يوماً أَلَمَّ به بعض المرض، فبقي على هذه الحالة إلى أن وافاه الأجل المحتوم في ليلة الاثنين لعشر بقين من ذي العقدة لسنة ثمان وعشرين وسبع ومائة رحمه الله رحمة واسعة .

وقد فوجىء الناس بهذا الخبر، وانزعجوا لذلك انزعاجاً كبيراً. وحضروا زرافات وفرداناً للقلعة حيث كان موجوداً، وهالهم الخطب، وأغلقت المتاجر، وذكر أخوه زين الدين، الذي كان يصحبه في سجنه ـ أنه كان يقرأ هو وأخوه القرآن في داخل السجن، وأن آخر ما انتهى إليه الشيخ قبيل وفاته قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾[1] [القمر :٥٤-٥٥] .

وغُسل شيخ الإسلام وكُفن وصُلِّي عليه في الجامع الأموي، وقد حضره جم غفير من الناس، حتى وقفوا مرصوصين رصًّا في داخل الجامع لا يتمكن أحد السجود إلا بكلفة لكثرتهم، وذكر ابن كثير أنه لم يتخلف عن حضورها أحد من أهل العلم إلا ثلاثة نفر؛ وهم : ابن جميلة، والصدر، والقفجاقي، وذكر أن هؤلاء اشتهروا بعداوة الشيخ، فاختفوا خوفاً على أنفسهم من الناس[2]. وقد صُلي عليه الظهر، ولم يدفن إلا قرب العصر لكثرة الزحام، ودُفن في مقبرة الصوفية إلى جانب أخيه شرف الدين عبدالله.

ورحم الله الإمام أحمد حيث قال : « قولوا لأهل البدع : بيننا وبينكم

---

(١) البداية والنهاية (١٤/ ١٣٨)، والذيل على طبقات الحنابلة (٤/ ٤٠٦).

(٢) انظر : البداية والنهاية (١٤/ ١٣٩).

الجنائز»[(١)] قال البرزالي بعد إيراد هذا الأثر : « ولا شك أن جنازة أحمد بن حنبل كانت هائلة عظيمة بسبب كثرة أهل بلده واجتماعهم لذلك، وتعظيمهم له، وأن الدولة كانت تحبه، والشيخ تقي الدين ابن تيمية توفي ببلده دمشق وأهلها لا يعشرون أهل بغداد حينئذ كثرة، ولكنهم اجتمعوا لجنازته اجتماعاً لو جمعهم سلطان قاهر، وديوان حاصر لما بلغوا هذه الكثرة التي اجتمعوا في جنازته، وانتهوا إليها. هذا مع أن الرجل مات بالقلعة محبوساً من جهة السلطان...»،ثم ذكر تشويه بعض المنتسبين إلى الفقه لشخصيته بين الناس[(٢)].

وقد رُؤيت له منامات طيبة ورُثي بمراثي كثيرة من علماء عصره وممن بعدهم[(٣)].

سادسا : مكانته العلمية وثناء العلماء عليه.

تبوأ الشيخ مكانة علمية واسعة ؛ فقد فاق أقرانه ؛ إذ هو الإمام حقاً، وشيخ الإسلام صدقاً، وهو البحر من أي جهة أتيته، لا تكدره الدلاء.

إمامٌ وأي إمام، لقد طبَّق اسمه الدنيا، وبلغت مؤلفاته ما بلغ الليل والنهار، وأصبح عَلَم المذهب السلفي ، فكل من التزم المذهب الحق في باب العقائد قيل : هو على مذهب ابن تيمية، فهو إذاً مدرسة الأجيال تخرج منها فطاحل العلماء، والأئمة العظماء.

فإذا كان عصره يعج بالتيارات الفكرية المتباينة، ممثلاً مذاهب عقدية

---

(١) ذكره الحافظ ابن كثير في « البداية والنهاية » (١٠/ ٣٤٢) من رواية الدارقطني ، وفي (١٤/ ١٣٧) من رواية أبي عثمان الصابوني عنه.

وذكره الذهبي في « السير» (١١/ ٣٤٠) من رواية السلمي عنه.

(٢) البداية والنهاية (١٤/ ١٣٧-١٣٨)، وانظر : تقريظ الحافظ ابن حجر على الرد الوافر ص١٢-١٣ تحقيق محمد الشيباني.

(٣) انظر: في مراثيه: العقود الدرية ص٣٩٢- ٥١٦، الكواكب الدرية ص١٨١-٢٣٢.

منحرفة من جهمية، ومعتزلة، وأشاعرة ... إلخ، إضافة إلى صوفية خيمت على العالم الإسلامي بسلوكياتها وأصولها الفاسدة، أضف إلى أن بضاعة الفلاسفة والمناطقة رائجة، وسلعتهم نافقة، هذا مع ما كان المسلمون يتلقونه من حرب فكرية عاتية من الصليبية الحاقدة لا تقل خطراً عن حروبهم العسكرية الشرسة.

وقد تصدى الشيخ لكل هؤلاء، وانبرى للرد عليهم، وتفنيد أقوالهم، وكان يعمل على جميع الجبهات. فلم تشغله مناقشة هؤلاء عن الرد على أولئك.

وكان إذا تكلم في فن حسبه السامع لا يحسن غيره، وظنه قد تخصص في هذا الجانب، بل إن أصحاب المذاهب الأخرى يستفيدون منه علوماً في مذاهبهم كانوا يجهلونها وتخفى عليهم[1]، حتى ذكر أنه ما تكلم في علم من العلوم سواءً ـ كان علوم الشرع أم من غيرها ـ إلا فاق فيه أهله، والمنسوبين إليه، وما ناظر أحداً فانقطع معه[2].

وإن القارئ ليقف منبهراً أمام هذه العلمية الفذّة وخير من يجلّي الحقيقة ويُوفّي الموضوع حقه أو بعضه، هم العلماء الفحول، صيارفة الرجال، والأئمة النقاد، الذين وصْفُهم هو الوصف، ومدحهم هو المدح، وثناؤهم هو الثناء.

يقول الإمام الذهبي في معرض وصفه لشيخ الإسلام : «.... وصار من أكابر العلماء في حياة شيوخه، وله المصنفات الكبار التي سارت بها الركبان، ولعل تصانيفه في هذا الوقت تكون أربعة آلاف كراس وأكثر، وفسَّر كتاب الله تعالى مدة سنين من صدره في أيام الجمع، وكان يتوقد ذكاءً ، وسماعاته من الحديث كثيرة، وشيوخه أكثر من مائتي شيخ، ومعرفته بالتفسير إليها

---

(١) انظر العقود الدرية ص ٧.

(٢) المصدر السابق ص ٧.

المنتهى، وحفظه للحديث ورجاله وصحته وسقمه، فما يلحق فيه، وأما نقله للفقه، ومذاهب الصحابة والتابعين، فضلاً عن المذاهب الأربعة، فليس له فيه نظير. وأما معرفته بالملل والنحل، والأصول والكلام فلا أعلم له فيه نظيراً ... » ، وقال أيضاً : « كان آية في الذكاء وسرعة الإدراك، رأساً في معرفة الكتاب والسنة والاختلاف، بحراً في النقليات، وهو في زمانه فريد عصره علماً وزهداً» . إلى أن قال: « وقرأ وحصل، وبرع في الحديث والفقه، وتأهل للتدريس والفتوى وهو ابن سبع عشرة سنة. وتقدم في علم التفسير والأصول، وجميع علوم الإسلام : أصولها وفروعها ودقها وجلها، سوى علم القراءات . فإن ذكر التفسير فهو حامل لوائه، وإن عدّ الفقهاء فهو مجتهدهم المطلق، وإن حضر الحفاظ نطق وخرسوا، وسرد وأبلسوا، واستغنى وأفلسوا، وإن سمي المتكلمون فهو فردهم، وإليه مرجعهم، وإن لاح ابن سينا يقدم الفلاسفة فَلَّهُم وتَيَّسهم، وهتك أستارهم وكشف عوارهم. وله يد طولى في معرفته العربية والصرف واللغة. وهو أعظم من أن يصفه كلمي، أو ينبه على شأوه قلمي ... »، وقال : « وإليه المنتهى في عزوه إلى الكتاب والسنة والمسند، بحيث يصدق عليه أن يقال : « كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث » ولكن الإحاطة لله، غير أنه يغترف من بحر، وغيره من الأئمة يغترفون من السواقي...، وقال : « فلو حلفت بين الركن والمقام لحلفتُ أني ما رأيت بعيني مثله، ولا ـ والله ـ ما رأى هو مثل نفسه في العلم» اهـ[1] .

وقال الشيخ تقي الدين ابن دقيق العبد، وقد سئل عن شيخ الإسلام بعد اجتماعه به، كيف رأيته ؟ فقال : « رأيت رجلاً سائر العلوم بين عينيه، يأخذ

---

(١) المصدر السابق ص٢٢-٢٥ الذيل على طبقات الحنابلة (٤/ ٣٩٠-٣٩١)، الرد الوافر ص٦٨-٧٢، الشهادة الزكية ص٤٠-٤٣، شذرات الذهب (٦/ ٨٢) .

ما شاء منها، ويترك ما شاء ..»[١] .

وقال ابن عبد الهادي : « وأخبرني غير واحد أنه كتب مجلداً لطيفاً في يوم، وكتب غير مرة أربعين ورقة في جلسة وأكثر، وأحصيت ما كتبه وبيضه في يوم، فكان ثمان كراريس في مسألة من أشكل المسائل، وكان يكتب على سؤال الواحد مجلداً »اهـ[٢] .

هذه لمحات يسيرة من ثناء الأئمة على الشيخ، من خلالها يمكن للقارئ معرفة ما مَيَّز الله هذا الرجل من وفرة العلم وسعة الاطلاع. وإلا ما ذكرته ما هو إلا قطرة من بحر، وذرة من رمل، وشيء يسير جداً ، ومن أراد التوسع فليراجع بعض الكتب التي أفردت لهذا الشأن[٣]. وبنظرة سريعة على فهارس « مجموع الفتاوى » يمكن للشخص أن يأخذ من خلالها حكماً أولياً على المكانة العلمية الواسعة والشاملة لهذا الرجل.

ويكفيه فخراً واعتزازاً أن له الفضل ـ بعد الله ـ في تجديد ما اندرس من المنهج السلفي القائم على الكتاب والسنة، ودعوة الناس من جديد للعودة إلى هذا المعين الصافي والأخذ منه مباشرة، وقد كان لذلك الأثر الكبير على الأمة الإسلامية إلى يومنا هذا.

يقول عبد الله بن حامد في معرض كلامه على مدى تأثره بشيخ الإسلام، وأنه كان سبباً في هدايته للحق والصواب، بعد أن فتش في كتب أهل الكلام، متقدميهم، ومتأخريهم باحثاً عن النهج السويّ، والطريق المستقيم، يقول ـ رحمه الله ـ : « وكنت قبل وقوفي على مباحث إمام الدنيا، رحمه الله،

(١) الرد الوافر ص ١٠٧، الشهادة الزكية ص ٢٩، شذرات الذهب ص ٨٣.

(٢) العقود الدرية ص ٦٤.

(٣) ومن هذه الكتب : كتاب «العقود الدرية» لابن عبد الهادي، و«الأعلام العلية» للبزار و«الرد الوافر» لابن ناصر الدين، و«الشهادة الزكية» لمرعي بن يوسف، وغيرها كثير.

قد طالعت مصنفات المتقدمين، ووقفت على مقالات المتأخرين من أهل الإسلام، فرأيت فيها الزخارف والأباطيل والشكوك التي يأنف المسلم الضعيف في الدين أن تخطر بباله، فضلاً عن القوي في الدين، فكان يتعب قلبي ويحزنني ما يصير إليه الأعاظم، من المقالات السخيفة، والآراء الضعيفة التي لا يعتقد جوازها آحاد الأمة، وكنت أفتش على السنة المحضة في مصنفات المتكلمين من أصحاب الإمام أحمد على الخصوص، لاشتهارهم بمنصوصات إمامهم في أصول العقائد، فلا أجد عندهم ما يكفي، وكنت أراهم يتناقضون....» إلى أن قال : « فإذا جمعت بين أقاويل المعتزلة والأشعرية، وحنابلة بغداد، وكرّامية خراسان، أرى إجماع هؤلاء المتكلمين في المسألة الواحدة على ما يخالف الدليل العقلي والنقلي، فيسوؤني ذلك، وأظل أحزن حزناً لا يعلم كنهه إلا الله ..» إلى أن قال : « إلى أن قدَّر الله سبحانه وقوع تصنيف الإمام إمام الدنيا في يدي قبيل واقعته الأخيرة بقليل، فوجدت فيه ما يبهرني في موافقة فطرتي، لما فيه من عزو الحق إلى أئمة السنة والسلف الأمة مع مطابقة المعقول والمنقول، فبُهتّ لذلك سروراً بالحق، وفرحاً بوجود الضالة التي ليس لفقدها عوض.. »[(١)] .

وقال شهاب الدين أحمد بن مري الحنبلي - أحد تلامذة الشيخ - في رسالة إلى تلاميذ الشيخ يحثهم فيها على جمع مؤلفاته، يقول في معرض ذلك : «فإن يسر الله تعالى وأعان على هذه الأمور العظيمة صارت إن شاء الله مؤلفات شيخنا ذخيرة صالحة للإسلام وأهله، وخزانة عظيمة لمن يؤلف منها وينقل، وينصر الطريقة السلفية على قواعده ويستخرج ويختصر إلى آخر الدهر إن

---

(١) رسالة قصيرة في فضل شيخ الإسلام ابن تيمية، ومحبة أهل العلم له، لعبد الله بن حامد الشافعي ص ١٢-١٤، تحقيق محمد الشيباني، وانظر : العقود الدرية ص٥٠٣ -٥٠٤، الأعلام العلية ص٣٣، الرد الوافر ص١٩٦.

شاء الله تعالى ...»[١] .

وصدق ـ والله ـ فإنه قلما يكتب أحد في أي مسألة من المسائل، وخاصة فيما تعلق بالأصول، إلا وينقل عن شيخ الإسلام، ويستفيد مما كتب وألف.

ومن طريف ما يذكر عن سرعة بديهة الشيخ وقوة علميّته أنه مرة كان جالساً في حلقته، إذ جاءه سؤال على لسان ذمّي ينكر صاحبه القدر، وكان السؤال عبارة عن أبيات من الشعر، ومطلعها:

أيا علماء الدين ذمي دينكم ... تحير دلوه بأعظم حجةِ

إذا ما قضى ربي بكفري بزعمكم ... ولم يرضَه مني فما وجهُ حيلتي

فلما قرأ الشيخ الأبيات فكر قليلاً، ثم أنشأ يكتب في الحال جواباً لهذا الاعتراض، وكان الطلاب يظنون أنه يكتب نثراً، ولما فرغ وقرأه من حضر من أصحابه وإذا هو نظم من الشعر، من نفس البحر والقافية الذي ورد به السؤال، يزيد على مائة بيت، وقد ذكر أنه أبرز فيها من العلوم ما لو شرح لجاء شرحه في مجلدين كبيرين، يقول في مطلعها:

سؤالُك يا هذا سؤالُ معاندٍ ... تخاصم ربَّ العرشِ باري البريةِ

وهذا سؤال خاصم الملأ العلا ... قديماً به إبليسُ أصل البليةِ

ومن يكُ خصماً للمهيمنِ يرجعن ... على أم رأس هاوياً في الحفيرةِ

إلى آخر الأبيات[٢] .

سابعاً: مؤلفاته وآثاره:

كما سبق أن عرفنا، فقد كان الشيخ أشبه ما يكون بموسوعة، له في كل

---

(١) قطعة من مكتوب الشيخ الإمام الزاهد شهاب الدين أحمد بن مري الحنبلي، ص١٦، تقديم وتحقيق محمد الشيباني.

(٢) انظر: الأعلام العلية ص٢٨، العقود الدرية ص ٣٨٣- ٣٩٣، الكواكب الدرية ص ٧٩-٨٠، الدرر الكامنة (١/ ١٩٦).

فنّ نصيب، كان قلمه سيالاً، تميز بسرعة الكتابة، ولولا ذلك ـ والله أعلم ـ لما خلّف هذا التراث الضخم .

يقول أخوه أبو عبد الله : « وقد مَنَّ الله عليه بسرعة الكتابة، ويكتب من حفظه من غير نقل ».اهـ[١] .

وقد ذكر ابن عبد الهادي أنه يكتب مجلداً لطيفاً في يوم، بل إنه كتب «الحموية» ـ وهي الرسالة التي بين أيدينا ـ في جلسة بين الظهر والعصر[٢]، وكتب « الواسطية » في قعدة بعد العصر[٣].

وغالب ما كتب في « باب العقائد » إما ردٌّ على مبتدع ، أو جواب لسؤال ورد عليه، كما ذكر ذلك هو عن نفسه في مناظرة الواسطية، قال : « وأما الكتب فما كتبت إلى أحد كتاباً ابتداءً أدعوه به إلى شيء من ذلك، ولكنني كتبت أجوبة أجبت بها من يسألني من أهل الديار المصرية وغيرهم » [٤] .

وقد كان للفتن والمحن التي مر بها الشيخ أثر في ضياع بعض مصنفاته وكتبه «فكثيراً ما يقول : قد كتبت في كذا وكذا ويسأل عن الشيء فيقول : كتبت في هذا ، فلا يدري أين هو ؟ فيلتفت إلى أصحابه ، ويقول : ردُّوا خطي وأظهروه ليُنقل ، فمن حرصهم عليه لا يردونه ، ومن عجزهم لا ينقلونه فيذهب ولا يعرف اسمه »[٥] .

وأيضاً من أسباب ضياع بعض كتبه: أنه يكتب في بعض الأحيان الجواب لمن سأله، فإن وجد من ينقل الجواب ويبيّضه، وإلا أخذ السائل الجواب وذهب[٦] .

---

(١) العقود الدرية ص٦٤.

(٢) انظر : المصدر السابق، ص ٦٤-٦٧.

(٣) انظر : الفتاوى (٣/ ١٦٤)، العقود الدرية ص ٣١١.

(٤) انظر : الفتاوى (٣/ ١٦١) ، العقود الدرية ص٢٠٧ .

(٥) المصدر السابق ص٦٥ ، وانظر : البداية والنهاية (١٤/ ١٣٤) .

(٦) انظر : العقود الدرية ص٦٥ .

وذكر ابن عبدالهادي أن الشيخ لما حُبس تفرَّق أتباعه ، وتفرقت كتبه، وخوَّفوا أصحابه من أن يظهروا كتبه ، وذهب كل أحد بما عنده وأخفاه ، ولم يظهروا كتبه ، فبقي هذا يهرب بما عنده ، وهذا يبيعه ، أو يهبه ، وهذا يخفيه ويودعه ، حتى إن منهم من تسرق كتبه أو تجحد فلا يستطيع أن يطلبها، ولا يقدر على تحصيلها فبدون هذا تتمزق الكتب والتصانيف، ولهذه الأسباب وغيرها تعذّر إحصاء مصنفاته وتباينت أقوال العلماء في تعدادها(١) .

يقول الحافظ البزار: « وأما مؤلفاته ومصنفاته، فإنها أكثر من أن أقدر على إحصائها، أو يحضرني جملة أسمائها، بل هذا لا يقدر عليه غالباً أحد، لأنها كثيرة جداً، كباراً وصغاراً، وهي منشورة في البلدان. فَقلَّ بلد نزلته إلا ورأيت فيه من تصانيفه، ثم ذكر أنه يمكن تعداد ما ينيف على المائتين من مؤلفاته(٢).

أما تلميذه ابن القيم، فقد ذكر نحواً من سبعة وثلاثين وثلاثمائة مصنف للشيخ، إجابة لمن سأل عن تعداد ما ألفه شيخ الإسلام، وذكر أن هذا هو الذي يحضره وأنه لم يستوعبها(٣).

وقد قيل إن تعداد مؤلفاته تصل إلى الألف، وقيل : خمسمائة، وقيل : ثلاثمائة، وقيل : غير ذلك، وكل يذكر ما وصل إليه(٤).

وإنه لمن الصعب ذكر جميع مؤلفاته عبر هذه الترجمة الموجزة، ولكن ما لا

---

(١) العقود الدرية ص٦٥-٦٦ .

(٢) الأعلام العلية ص ٢٥ ، ٢٧.

(٣) انظر: كتاب « أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية » لابن القيم ، تحقيق : د. صلاح الدين المنجد.

(٤) انظر تذكرة الحفاظ (٤/ ١٤٩٧) ، ذيول العبر (٤/ ١٨٤) ، الرد الوافر ص٧٢، المنهل الصافي (١/ ٣٦٢)، طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٥٢١، شذرات الذهب (٦/ ٨٤)، جلاء العينين ص ٧، القول الجلي ص١٠٠.

يدرك كله لا يترك جلّه، وسأذكر هنا نموذجاً لبعض مؤلفاته الكبار، وخاصة فيما يتعلق بالعقيدة، والذي سبق أن طبع، فمنها:

١- **درء تعارض العقل والنقل** : والكتاب طبع بتحقيق د. محمد رشاد سالم، في عشرة أجزاء، والحادي عشر فهارس. ط الأولى ١٣٩٩هـ - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٢- **منهاج السنة في نقض كلام الشيعة القدرية** : وأيضاً طبع أخيراً بتحقيق د. محمد رشاد سالم، في ثمانية أجزاء التاسع منها فهارس. ط الأولى ١٤٠٦هـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٣- **نقض التأسيس** : طبع منه جزءان، بعناية : محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، والكتاب حقق في عدة رسائل علمية ـ في قسم العقيدة بكلية أصول الدين ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٤- **الجواب الصحيح لم بدل دين المسيح** : طبع في جزأين، وقد حقق في عدة رسائل علمية، في قسم العقيدة بكلية أصول الدين ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٥- **الاستقامة** : طبع بتحقيق د. محمد رشاد سالم، في جزأين . ط الأولى ١٤٠٣هـ - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٦- **اقتضاء الصراط المستقيم** : طبع أخيراً بتحقيق د. ناصر بن عبدالكريم العقل، في جزأين ط الأولى ١٤٠٤هـ ـ مكتبة الرشد للنشر والتوزيع ـ الرياض.

٧- وهناك عدة رسائل نحو : التدمرية، والتسعينية، والحموية - وهي التي بين أيدينا - ، وشرح الأصفهانية، وغير ذلك.

كما أن كثيراً من مؤلفات الشيخ قد طبعت ضمن مجاميع، مثل: « مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» جمع وترتيب : عبد الرحمن بن قاسم، و«مجموعة الرسائل الكبرى » و « الفتاوى الكبرى » و « مجموعة الرسائل

والمسائل » و « مجموعة الرسائل المنيرية »[١].

ثامنا: شيوخه وتلاميذه:

لقد سمع من كثير من الشيوخ وروى عنهم، يصل عددهم إلى أكثر من مائتي شيخ، جاء ذكر بعضهم في « الأربعين لشيخ الإسلام »[٢].

وممن روى عنه الشيخ: والده عبدالحليم بن عبدالسلام، وابن عبدالدائم، وابن أبي اليُسر، والشيخ شرف الدين أحمد بن نعمة المقدسي، والمجد ابن عساكر، ويحيى ابن الصيرفي، وابن عبد القوي، وغيرهم[٣].

أما تلاميذه، فشيخ الإسلام ليس إلا مدرسة تخرج منها علماء أفذاذ، وجهابذة حفاظ، وإنه من الصعب الإحاطة بجميع تلامذته، والمتأثرين به، وأنا أذكر هنا:

نموذجاً ممن تخرج من هذه المدرسة، ومن أشهر هؤلاء :

- محمد بن أبي بكر، المعروف « بابن قيم الجوزية ». المتوفى ٧٥٢هـ.
- أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي. المتوفى ٧٤٨هـ.
- الحافظ ابن كثير، أبو الفداء. المتوفى ٧٧٤هـ.

---

(١) ومن العلماء الذين عنوا بذكر مؤلفات الشيخ : ابن القيم في كتابه « أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية» ومحمد بن شاكر الكتبي في «فوات الوفيات» (١/ ٧٥-٨٠)، وابن عبد الهادي في « العقود الدرية » ص ٢٦ ، ٢٧، وابن رجب في « ذيل طبقات الحنابلة » (٤/ ٤٠٣-٤٠٤).

(٢) طبعت ضمن مجموعة الفتاوى (١٨/ ٧٦-١٢١)، وهي : أربعون حديثاً يرويها شيخ الإسلام بسنده إلى النبي ﷺ، وقد طبعت مفردة بتحقيق حسن بن أمين آل مندوه، وترجم في هذا الكتاب لشيوخ شيخ الإسلام.

(٣) انظر: العقود الدرية ص ٣، البداية والنهاية (١٤/ ١٣٦-١٣٧)، ومعجم الشيوخ للذهبي (١/ ٥٦)، وذيل طبقات الحنابلة (٤/ ٣٨٧)، وشذرات الذهب (٦/ ٨٠).

- محمد بن أحمد، المعروف «بابن عبد الهادي». المتوفى ٧٤٤هـ

- عمر بن علي البزار. المتوفى ٧٤٩هـ .

وغير هؤلاء كثير.

هذه ترجمة موجزة جداً لهذا الإمام لا تعدو أن تكون قطرة من بحر حياته، وغيضاً من فيض جهاده، ولو أقسم شخص : أنه لم يأتِ أحد بعده مثله، إلى يومنا هذا، لما حنث في يمينه، والله أعلم.

وإنه لمن الجدير بكل مسلم، وخاصة العلماء منهم والدعاة أن يدرسوا حياة هذا الشيخ دراسة متمعنة ووافية، وينهلوا من معينها الصافي.

ومع هذا كله لا يخرج عن كونه بشراً يصيب ويخطئ، ولكن كما قال الإمام ابن كثير: «.. ولكن خطؤه بالنسبة إلى صوابه كنقطة في بحر لُجيٍّ، وخطؤه أيضاً مغفور له، كما في صحيح البخاري : « **إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر** »[1] فهو مأجور..»[2] .

والله أسأل أن يجزل لنا وله ولجميع المسلمين الأجر والمثوبة، وأن يرفع منزلته في أعلى عليين مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً[3] .

---

(١) رواه البخاري (١٣/ ٣١٨) رقم ٧٣٥٢، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو خطأ.

(٢) البداية والنهاية (١٤/ ١٣٩-١٤٠) .

(٣) * **مصادر الترجمة :**

- التذكرة والاعتبار والانتصار للأبرار « دفاعاً عن ابن تيمية » لعماد الدين بن إبراهيم الواسطي، تحقيق :علي حسن عبد الحميد.
- « ناحية من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية » لخادمه : إبراهيم بن أحمد الغياني. تحقيق محب الدين الخطيب. =

....

= - « العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية » لابن عبد الهادي.
- « الأعلام العلية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية » للبزار.
- « أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية » لابن القيم.
- « قطعة من مكتوب الشيخ شهاب الدين أحمد بن مري الحنبلي، أحد تلامذة شيخ الإسلام إلى حنابلة دمشق ..» . تحقيق محمد الشيباني .
- « الوافي بالوفيات » للصفدي (٧/ ١٥- ٣٣).
- « فوات الوفيات » للكتبي (١/ ٧٤-٨٠).
- « البداية والنهاية » لابن كثير، (١٤/ ١٣٥-١٤٠).
- « دول الإسلام » للذهبي ص ٤٢٠.
- « تذكرة الحفاظ » (٤/ ١٤٩٦-١٤٩٨).
- « ذيول العبر » (٨٤).
- « معجم الشيوخ » للذهبي (١/ ٥٦-٥٧).
- « ذيل طبقات الحنابلة » لابن رجب (٤/ ٣٨٧- ٤٠٨).
- « الرد الوافر » لابن ناصر الدين الدمشقي.
- «رسالة قصيرة في فضل شيخ الإسلام ابن تيمية ومحبة أهل العلم له» لعبد الله بن حامد. تحقيق محمد الشيباني.
- « الدرر الكامنة » لابن حجر (١/ ١٥٤-١٧٠).
- « تقريظ للحافظ ابن حجر على الرد الوافر لابن ناصر » تحقيق محمد الشيباني .
- « المنهل الصافي » لجمال الدين أبي المحاسن (١/ ٣٥٨-٣٦٢).
- « طبقات الحفاظ » للسيوطي ص ٥٢٠- ٥٢١.
- « شذرات الذهب » (٦/ ٨٠-٨٦).
- « الكواكب الدرية في مناقب ابن تيمية » لمرعي بن يوسف الحنبلي.
- « الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية »، لمرعي بن يوسف الحنبلي.
- « البدر الطالع » للشوكاني (١/ ٦٣-٧٢).
- «القول الجلي في ترجمة الشيخ تقي الدين ابن تيمية الحنبلي» لصفي الدين الحنفي.

....

❊ ❊ ❊

- « جلاء العينين في محاكمة الأحمدين » للألوسي.
- « الفتح المبين في طبقات الأصوليين » للمراغي (٢/ ١٣٤- ١٣٧).
- « معجم المؤلفين » لعمر كحالة (١/ ٢٦١).
- « الأعلام » للزركلي (١/ ١٤٤).
- « ابن تيمية حياته وعصره » لأبي زهرة.
- « رجال الفكر والدعوة في الإسلام خاص بحياة شيخ الإسلام » لأبي الحسن الندوي .
- « حياة شيخ الإسلام ابن تيمية » لمحمد بهجة البيطار .
- « الإمام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل » لمحمد السيد الجليند.
- « باعث النهضة الإسلامية، ابن تيمية السلفي » لمحمد خليل هراس.
- « ابن تيمية المفترى عليه » لسليم الهلالي.
- « شيخ الإسلام ابن تيمية إمام السيف والقلم » لسعيد صادق محمد.
- « رسائل من السجن » لمحمد العبدة.
- « ابن تيمية وجهوده في التفسير » لإبراهيم خليل بركة.
- « أوراق مجموعة من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية » لمحمد الشيباني.
- « شيخ الإسلام ابن تيمية سيره وأخباره عند المؤرخين » لصلاح الدين المنجد.

القسم الأول

الدراسة








الفصل الأول

١ـ اسم الكتاب ونسبته للمؤلف

٢ـ أسباب تأليفه وتاريخ ذلك

٣ـ موضوعه

٤ـ مجمل مباحث الكتاب ومنهج المؤلف في تأليفه

٥ـ مصادر المؤلف في هذا الكتاب





الفصل الأول

أولاً: اسم الكتاب ونسبته للمؤلف:

كما هو معروف فإن الشيخ لم يؤلف هذا الكتاب ابتداء، بل كان عبارة عن إجابة لسؤال ورد عليه، ومن هنا يعلم أن المؤلف لم يضع له عنواناً مستقلاً، كما هي الحال في بعض كتبه. ولهذا أطلق على هذا المؤلَّف أسماء عدة، وإن اختلفت، إلا أنها متقاربة.

فمن الأسماء التي أطلقت عليه:

١- المسألة الحموية:

وممن أطلق هذا الاسم: شيخ الإسلام نفسه، فقد أشار إلى هذا الكتاب بهذا الاسم في « مناظرة الواسطية »[(١)]. وذكره ابن رجب في « الذيل على طبقات الحنابلة »[(٢)]، وجاء هذا الاسم أيضاً على النسخة المطبوعة ضمن «الفتاوى العراقية».

٢- جواب الفتوى الحموية:

ذكر هذا شيخ الإسلام في «نقض التأسيس»[(٣)].

٣- الفتوى الحموية:

ذكر هذا شيخ الإسلام أيضاً[(٤)]، وابن القيم في « أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية »[(٥)].

---

(١) انظر: الفتاوى (٣/ ١٨٠، ٢٠٦).

(٢) انظر: ذيل طبقات الحنابلة (٤/ ٣٩٦).

(٣) انظر: نقض التأسيس ـ مخطوط ـ (٢/ ٣٥٩-٣٦٠).

(٤) انظر: الفتاوى (٣/ ٢٢٧).

(٥) انظر: أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية ص٢٠.

وابن حجر[١]، ووضع هذا العنوان على بعض النسخ الخطية[٢]، وجاء هذا الاسم أيضاً على النسخة المطبوعة في الهند سنة ١٣٢٢هـ.

٤- الحموية الكبرى :

أورد هذا الاسم ابن عبد الهادي[٣]، ومرعي بن يوسف[٤]، ووضع هذا العنوان على بعض النسخ الخطية[٥].

٥- الحموية :

ذكره ابن كثير[٦].

٦- المسائل الحموية:

ذكره البزار[٧].

٧- القاعدة الحموية :

وضع على إحدى النسخ الخطية[٨].

٨- جواب المسألة الحموية في العقيدة السلفية :

---

(١) انظر : الدرر الكامنة(١/ ١٥٥).

(٢) ورد هذا الاسم على نسختين إحداهما مصورة من « الظاهرية » رقم ٣٣،٣١/ ٢، الأخرى مصورة من « المكتبة السعودية » رقم ٥٩٣/ ٨٦.

(٣) انظر : العقود الدرية ص ٦٧

(٤) انظر : الكواكب الدرية ص ١٠٢، ١١٢.

(٥) وضع هذا العنوان على نسختين خطيتين مصورتين من « جامعة الملك سعود » رقم ٤١٢٢، ورقم ٣٩٤٦، ووضع أيضاً على إحدى النسخ المصورة من « المكتبة السعودية » رقم ٦٨٦/ ٨٦

(٦) انظر : البداية والنهاية (١٤/ ٤).

(٧) انظر : الأعلام العلية ص ٢٧.

(٨) وضع على إحدى نسخ « الظاهرية » رقم ٣٠٢٨ .

هذا العنوان جاء على إحدى النسخ الخطية[1].

٩- الفتوى الحموية الكبرى:

هذا الاسم جاء عنواناً لأغلب النسخ المطبوعة.

١٠- العقيدة الحموية الكبرى:

ورد عنواناً على النسخة المطبوعة ضمن مجموعة الرسائل الكبرى.

هـذا مجمـل مـا ذكـر حـول عنوان الكتاب، وليس بينها تباين واضح، بل الكل متقارب في المعنى، والعنوان الذي أختاره : **الفتوى الحموية الكبرى.**

وذلـك لأنـه يجمـع مـا ذكره شيخ الإسلام، وابن القيم وابن عبد الهادي، أيضـاً؛ فغالـب النسـخ المطـبوعة لهذا الكتاب عنون لها بهذا الاسم، فاختياره يعطـي صورة واضحة للقارئ لئلا يتبادر إلى ذهنه أن هذا الكتاب لأول مرة يرى النور، إضافة إلى أنه مستوحى من أصل الكتاب.

أمـا معـنى العـنوان: فإطلاق مسمى « الفتوى » عليها لأن أصل الكتاب جواب لاستفتاء ورد على الشيخ.

ووصفها بـ « الحموية » لأن السؤال وارد من « حماة » كما سيأتي إيضاح ذلـك، واشـتقاق عـنوان الكـتاب من أسماء بعض المدن كثير، والتي غالباً ما يكـون الكـتاب جوابـاً لأهـل هـذه المدينة أو لأحد المنتسبين لها، مثل ذلك : التدمرية، الواسطية، المدنية ... إلخ.

أمـا وصـفها بــ « الكـبرى » فتميـيزاً لها عن « الصغرى » علــى فرض وجودها كما سيأتي.

وهـنا ســـؤال يطـرح نفسه : ما وجه وصفها بـ «الكبرى » ؟ وهل هناك

---

(١) وضـع هـذا العـنوان عـلى النسـخة المصـورة مـن « مركـز الملـك فيصـل للـبحوث والدراسات الإسلامية » رقم ٢٠٣ف .

«حموية صغرى»؟ .

وقد بحثت كثيراً علّني أقف على شيء من هذا، ولم أعثر على إجابة وافية سوى ما أشار إليه ابن عبد الهادي في « العقود الدرية » حينما سرد مؤلفات شيخ الإسلام ذكر منها : الحموية الصغرى، والحموية الكبرى، وساق مطلع الحموية الكبرى، وهي الكتاب الذي بين أيدينا، أما الصغرى فلم يذكر عنها شيئاً[(١)].

أما محمد عبد الرزاق حمزة، فيذكر في مقدمة الطبعة الرابعة ١٣٥١هـ للكتاب ـ الحموية ـ أن شيخ الإسلام كتب هذا الجواب أولاً، فانتشر بين الناس، ثم أعاده الشيخ مرة ثانية وزاد فيه زيادات أخرى بإضافة بعض النقول عن بعض الأئمة، فصارت الحموية بأيدي الناس صغرى وكبرى.

وإلى هذا الرأي ذهب قصي محب الدين الخطيب في تقديمه للطبعة الرابعة ١٤٠١هـ للكتاب ـ الحموية ـ والله أعلم.

أما ما يتعلق بنسبة الكتاب للمؤلف، فليس هناك أدنى شك في نسبته إليه، ومما يزيد الأمر يقيناً ما يلي :

أ ـ أن هذا الكتاب قد صرح شيخ الإسلام باسمه وأحال إليه في بعض مؤلفاته الأخرى[(٢)].

ب ـ تصريح بعض تلامذة الشيخ بنسبته إليه ونقلهم منه في كتبهم، ومن هؤلاء : ابن عبد الهادي، وابن القيم ـ مع العلم أنهما من أخص تلامذة الشيخ ـ أما ابن عبد الهادي فقد ذكر في كتابه « العقود الدرية » مؤلفات الشيخ وذكره ضمنها، ثم أورد جزءاً من الكتاب، فقال : « وله ـ يعني شيخ

---

(١) انظر : العقود الدرية ص٦٧.

(٢) انظر : على سبيل المثال : الفتاوى (٣/ ١٨٠، ٢٠٦، ٢٢٧)، الفتاوى الكبرى (٥/ ٢١ ، ٣٧) نقض التأسيس ـ مخطوط ـ (٢/ ٣٥٩-٣٦٠).

الإسلام - الحموية الكبرى والحموية الصغرى ، فأما الحموية الكبرى ... » إلى أن قال : « وقال في مقدمتها وهي عظيمة جداً : « قولنا فيها ما قاله الله ورسوله والسابقون الأولون ... إلخ »[١] .

أما ابن القيم، فقد نقل منه في أول كتابه « الصواعق المرسلة » ونسبه إلى شيخه، يعني شيخ الإسلام[٢].

ج - لقد حصل بسبب هذه الفتوى - الحموية - ردود فعل قوية وصدى واسع، فغالب من ترجم للشيخ يشير إلى ذلك، وقد انبرى أحد القضاة المعاصرين للشيخ للرد عليها في مؤلف صغير[٣].

د - غالب من ترجم للشيخ في القديم أو الحديث يذكر هذا الكتاب ضمن مؤلفاته.

هـ - لم يشكك أحد قديماً ولا حديثاً في نسبة هذا الكتاب إلى شيخ الإسلام، ولم ينسب إلى غيره.

و - إن من يتصفح صفحات هذا الكتاب لا يشك أنه من مؤلفات شيخ الإسلام؛ يتجلى هذا واضحاً من حيث الأسلوب والمنهج.

ثانياً: سبب تأليف الرسالة، وتاريخ ذلك:

لقد كان سبب تأليف الكتاب سؤال ورد عليه من أهل « حماة » يسألونه فيها عن الآيات والأحاديث الواردة في صفات الله تعالى، فأجابهم بهذا الجواب الذي بين أيدينا.

أما تاريخ ذلك، فتكاد المصادر تتفق أنه وقع في أول شهر ربيع الأول لسنة ثمان وتسعين وستمائة.

---

(١) انظر : العقود الدرية ص ٦٧-٩٥.

(٢) انظر : الصواعق المرسلة (١/ ١٦٢- ١٧٠).

(٣) وسيأتي الحديث عن ذلك تفصيلاً في « الفصل الثاني » من هذه الدراسة .

يقول شيخ الإسلام : « كنت سُئلت من مدة طويلة بعيد سنة تسعين وستمائة عن الآيات والأحاديث الواردة في صفات الله في فتيا قدمت من «حماة» فأحلت السائل على غيري، فذكر أنهم يريدون الجواب مني، فكتبت الجواب في قعدة بين الظهر والعصر...».اهـ[١] .

وقد ألفها في جلسة فيما بين الظهر والعصر، كما نص هو على ذلك كما سلف وأشار إلى هذا أيضاً ابن عبد الهادي وابن القيم[٢] .

ثالثاً: موضوع الكتاب:

موضوع الكتاب في جملته : الآيات والأحاديث الواردة في الصفات، وخاصة فيما يتعلق بما يسمى « بالصفات الخبرية » التي هي معترك النقاش بين الأشاعرة وأهل السنة، يتجلى هذا واضحاً في نص السؤال الوارد على الشيخ في أول الرسالة: « ما قول السادة العلماء أئمة الدين في آيات الصفات، كقوله تعالى : ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾... إلى غير ذلك من آيات الصفات، وأحاديث الصفات كقوله ﷺ : «**إن قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن** »، وقوله : « **يضع الجبار قدمه في النار** »[٣] إلى غير ذلك . . .

وأيضاً قول الشيخ في النص الذي سبق إيراده : « كنت سئلت من مدة طويلة ... عن الآيات والأحاديث الواردة في صفات الله ...»[٤] .

---

(١) نقض التأسيس ـ مخطوط ـ (١/ ٣).

وانظر : العقود الدرية ص ١٩٨- ٢٠١، البداية والنهاية (١٤/ ٤)، الدرر الكامنة (١/ ١٥٥)، الكواكب الدرية ص ١٠٢-١١٢.

(٢) انظر : العقود الدرية ص٦٧، أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية لابن القيم ص٢٠ .

(٣) يأتي تخريج هذه الأحاديث في أول الرسالة.

(٤) انظر : التعليق رقم (١) من هذه الصفحة.

كما أن إثبات صفة العلو والاستواء لله كان له نصيب كبير من الرسالة.

رابعاً: مجمل مباحث الكتاب، ومنهج المؤلف في تأليفه:

لقد ابتدأ المؤلف كتابه بذكر أن الرسول ﷺ قد أحكم باب الإيمان بالله، وأوضح ما يجب لله من الأسماء الحسنى والصفات العلى، وما يجوز عليه وما يمتنع في حقه، وبيَّن أن هذا هو أصل الدين، وأساسه المتين، وأعظم شيء اكتسبته القلوب، وحصَّلته النفوس.

ثم أشار إلى استحالة تقصير الصحابة وأهل القرون الفاضلة فيما يتعلق بباب العقائد بحال من الأحوال.

وانتقل بعد هذا للرد على عبارة اشتهرت عن بعض المتأخرين من أهل الكلام، يفضلون فيها طريقة الخلف على طريقة السلف، ويتهمون فيها مذهب السلف بأنه مجرد الإيمان بألفاظ النصوص دون فهم المعاني والدلالات.

وعبارتهم هي: «طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم».

فأوضح أن طريقة السلف هي الأسلم والأعلم والأحكم.

يقول الشيخ: «فإن هؤلاء المبتدعة الذين يفضلون طريقة الخلف على طريقة السلف إنما أتوا من حيث ظنوا: أن طريقة السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث، من غير فقه لذلك ... وأن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات...»[1].

ثم بَيَّن أن النتيجة لهذه المقولة، هي: استجهال السابقين الأولين، وأنهم بمنزلة الصالحين من عامة الناس ممن كان أمّيّاً ليس له معرفة بحقيقة العلم بالله سبحانه، وأن الخلف حازوا السبق في هذا كله.

---

(١) ص١٨٨.

وأوضح أن المراد بالخلف عند هؤلاء : جماعة من المتكلمين الذين كثر اضطرابهم، وعظم اختلافهم، يقول ـ رحمه الله ـ : «لاسيما والإشارة بالخلف إلى ضرب من المتكلمين الذين كثر في باب الدين اضطرابهم، وغلظ عن معرفة الله حجابهم...»(١) .

وساق بعض الأمثلة لمن انتابتهم الحيرة من أولئك، ورجوع بعضهم إلى مذهب السلف في نهاية أمره، بعد تأمل طرق المتكلمين، ومناهج الفلاسفة .

ثم انتقل من هذه المقدمة إلى الحديث عن بعض الصفات، مبتدئاً بصفة «العلو» مستدلاً عليها بالكتاب والسنة، قائلاً في مطلع الكلام عليها : « فهذا كتاب الله من أوله إلى آخره، وسنة رسوله ﷺ من أولها إلى آخرها، ثم عامة كلام الصحابة والتابعين، ثم كلام سائر الأئمة مملوء بما هو إما نص وإما ظاهر في أن الله سبحانه وتعالى فوق كل شيء، وعليٌّ على كل شيء..»(٢) .

ثم ذهب يشرح هذه القاعدة، وأن الأدلة الدالة على علوِّ الله على خلقه من أبلغ المتواترات في اللفظ والمعنى التي تكسب المرء علماً ضرورياً لا يستطيع الانفكاك عنه، بل إن هذا مما فطر الناس عليه قاطبة من عرب وعجم، في الجاهلية والإسلام.

وأوضح أنه ليس هناك نص من كتاب ولا من سنة، بل ولا عن أحد من سلف الأمة يخالف ما ذكر من علو الله على خلقه.

وانتقل بعد هذا للكلام حول نُفاة الصفات، وأن عمدتهم ومعولهم على مجرد عقولهم، يقول ـ رحمه الله ـ في معرض كلامه على ذلك : « فإن حقيقة الأمر على ما يقوله هؤلاء : إنكم يا معشر العباد لا تطلبون معرفة الله

---

(١) ص١٩١ .

(٢) ص٢٠١ .

عز وجل وما يستحقه من الصفات نفياً وإثباتاً، لا من الكتاب ولا من السنة ولا من طريق سلف الأمة، ولكن انظروا أنتم؛ فما وجدتموه مستحقاً له من الأسماء والصفات فصفوه به ... وما لم تجدوه مستحقاً له من عقولكم فلا تصفوه به»[1].

وبيَّن هنا أنهم فريقان :

فريقٌ يقول : ما لم يثبت بالعقل يجب نفيه.

والفريق الآخر يقول : بل يجب التوقف فيه.

وذكر عدة لوازم باطلة لهذه المقالة :

منها: أن الرسول ﷺ معزول عن التعليم والإخبار بصفات من أرسله.

ومنها : ألا يكون الكتاب هدى للناس، ولا بياناً، ولا شفاءً لما في الصدور، ولا نوراً ولا مرداً عند التنازع.

ومنها : أن يكون ترك الناس بلا رسالة خيراً لهم في أصل دينهم، لأن مردهم قبل الرسالة وبعدها واحد.

ثم انتقل إلى بيان أصل مقالة التعطيل ومنبعها، وأنها أول ما ظهرت في بيئة غير إسلامية، فأول من أثر عنه ذلك في الإسلام هو « الجعد بن درهم » وأخذها عن الجعد « الجهم بن صفوان » فأظهرها ودعا إليها فنسبت مقالة الجهمية إليه، وقيل : إن الجعد ورث هذه المقالة عن بيان بن سمعان ، وبيان أخذها عن طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم، واستقاها طالوت من لبيد بن الأعصم اليهودي الذي سحر النبي ﷺ ، وأيضاً : فإن الجعد من أهل «حرَّان» وهذه المنطقة موطن كثير من الصابئة والفلاسفة، فقد يكون الجعد استقى هذا المذهب من أولئك، وتأثر بهم.

---

(١) ص٢٢٤.

ثم ذكر الشيخ أن كثيراً من التأويلات الموجودة بأيدي الناس كالتي ذكرها أبو بكر بن فورك في كتاب « التأويلات »، والتي ذكرها الرازي في كتابه «أساس التقديس» وغيرهم، هي عينها تأويلات « بشر المريسي » ، وقد أجمع الأئمة على ذم « المريسية » .

ثم سَرَدَ الشيخ بعض الكتب التي عنيت بذكر كلام السلف في « باب الأسماء والصفات »[1] ، وانتقل بعد هذا فعقد « فصلاً » مستقلاً ـ مع العلم أنه الفصل الوحيد في الرسالة ـ لمجمل مذهب السلف في « الأسماء والصفات » قائلاً في مطلعه :

« ثم القول الشامل في جميع هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ وبما صفه به السابقون الأولون لا يتجاوز القرآن والحديث »[2] .

وأخذ في شرح هذه القاعدة موضحاً عدة أسس يقوم عليها مذهب السلف في هذا؛ منها :

- أن صفات الله توقيفية لا يتجاوز فيها القرآن والحديث.

- أن ما وصف الله به نفسه من ذلك، فهو حق على حقيقته ليس فيه لغز ولا أحاجي، يعرف معناه من حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامه.

- أن إثبات الصفات لله إثبات بلا تمثيل ولا تكييف، وتنزيهه عن مشابهة صفات المخلوقين تنزيه بلا تحريف ولا تعطيل.

- أن مذهب السلف وسط بين التعطيل والتمثيل .

ثم انتقل الشيخ ليوضح أن كلاً من فريقي التعطيل والتمثيل جامع بين التعطيل والتمثيل : أما المعطلة، فلم يفهموا من أسماء الله وصفاته إلا ما هو

---

(١) انظر : مصادر المؤلف في هذا الكتاب.

(٢) ص٢٦٥ .

تماثل لأسماء وصفات المخلوقين، ثم شرعوا في النفي والتعطيل.

وأما الممثلة : فقد مثلوا الخالق بالمخلوق، وعطلوا حقيقة ما يستحقه من الصفات اللائقة به سبحانه.

ثم بَيَّن أن جميع الفرق المخالفة للكتاب والسنة ـ من فلاسفة، وجهمية، ومعتزلة، وأشاعرة ـ كل من أنكر من هؤلاء شيئاً يزعم أن العقل يحيل ذلك، فهم فيما بينهم مضطربون مختلفون، ليس لهم منهج مُطَّرِد، ثم أردف قائلاً : « ويكفيك دليلاً على فساد قول هؤلاء : أن ليس لواحد منهم قاعدة مستمرة فيما يحيله العقل، بل منهم من يزعم أن العقل جوَّز أو أوجب ما يدعي الآخر أن العقل أحاله، فيا ليت شعري بأي عقل يُوزن الكتاب والسنة... »[1] .

وبعد أنْ أوضح أنَّ الواجب تلقي هذا العلم عن طريق النبوة، وأن الرسول ﷺ جلَّى الحقيقة في ذلك وأوضحه أتم إيضاح، وبيَّنه غاية البيان، انتقل وقسَّم المخالفين لطريقة السلف إلى ثلاث طوائف :

الأولى : أهلُ تخييل : وهم المتفلسفة ومن اقتفى أثرهم من متكلم ومتصوف. ومذهبهم : « أن ما ذكره الرسول ﷺ من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر؛ إنما هو تخييل للحقائق لينتفع به الجمهور لا أنه بَيَّن به الحق ».

الثانية : أهل تأويل : وهو مذهب أهل الكلام عموماً. ومذهب هؤلاء : أن الرسول ﷺ لم يبين معاني نصوص الصفات، ولا دلّ الخلق عليها، بل «أراد أن ينظروا فيعرفوا الحق بعقولهم، ثم يجتهدوا في صرف تلك النصوص عن مدلولها ».

وذكر الشيخ أن هذه الطائفة هي المقصودة بالرد في هذه الفتوى.

الثالثة : أهل التجهيل : وهم الذين يقولون : إن نصوص الصفات لا

---

(١) ص٢٧٢ .

يعلم أحد معناها سوى الله، فهو المتفرد بذلك، وعلى مذهب هؤلاء حتى رسول ﷺ وجبريل ليس لهما علم بذلك.

ثم استطرد ـ رحمه الله ـ في بيان أن للتأويل ثلاثة معان ، وأن المعنى الذي أراده المتأخرون من أهل الكلام ودرجوا عليه، هو : صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح.

ثم انتقل بعد هذا ليورد مجموعة من النقول عن بعض الأئمة المتقدمين، والمتأخرين، ويحكي أقوالهم في هذا الباب، ويعلق على كثير منها.

وقد نقل عن أئمة المذاهب الأربعة، وعن بعض أئمة الأشاعرة، وبعض الأئمة الذين ينتسب إليهم كثير من أهل التصوف.

وبعد إيراد الشيخ هذه النقول شرع في الجمع بين أدلة العلو والاستواء وأدلة « المعية »، وأن هذه لا تناقض تلك ولا تتعارض معها، وذلك أن كلمة « مع » في اللغة لا يلزم منها المماسة، أو المحاذاة، فهي تختلف دلالتها بحسب المواضع الواردة فيها .

ثم أوضح أن كون الله في السماء، ليس معناه: أن السماء تحيط به أو تحويه، ومن توهم ذلك « فهو كاذب إن نقله عن غيره، وضال إن اعتقده في ربه ».

وبعد هذا انتقل ليناقش أهل الكلام في مسألة طال الجدل حولها، بين أهل السنة وبين أولئك، وهي : « هل ظاهر النصوص مراد، أو غير مراد؟» .

وبين أن هذا اللفظ مجمل يحتمل حقاً وباطلاً، وأن الناس تجاه نصوص الصفات من هذه الناحية ستة أقسام:

قسمان يقولان : تُجرى على ظاهرها ، وهما أهل السنة والمشبهة .

قسمان يقولان: هي على خلاف ظاهرها. ويمثل ذلك أهل التعطيل بفرقهم المختلفة؛ فمنهم من يتأولها ويعين المراد.

والقسم الآخر من يقول : الله أعلم بما أراد بها، لكنا نعلم أنه لم يرد

إثبات صفة خارجية.

والقسمان الباقيان : مذهبهم الإمساك والسكوت. فمن هؤلاء من يقول : يجوز أن يكون ظاهرها المراد اللائق بجلال الله، ويجوز ألا يكون المراد صفة الله؛ والقسم الآخر من يمسك عن هذا كله، ولا يزيد على تلاوة القرآن وقراءة الحديث معرضاً بقلبه ولسانه عن هذه التقديرات كلها.

وفي نهاية الكتاب أشار إلى علم الكلام وحال من دخل فيه من المتكلمين، وأن الناس حياله على ثلاثة أقسام :

قسم لم يدخل فيه فهو في عافية وسلامة . **وقسم** دخل فيه وبلغ نهايته وعرف غايته . **والقسم الأخير** وهم المتوسطون، وذكر الشيخ أنه يخاف على هؤلاء ما لا يُخاف على غيرهم من أهل القسمين السابقين .



منهج المؤلف في الكتاب

كما هو معلوم فإن الكتاب هو جواب لسؤال ورد عليه، لهذا خلا من الأبواب والفصول[١] والعناوين الجانبية.

ويمكن استخلاص منهج المؤلف في هذا السِّفر من خلال النقاط التالية:

١- كثرة النقول :

أكثر المؤلف النقل عن الأئمة، وقد شغلت هذه النقول حيزاً من الكتاب، مما أكسبه القوة والأصالة. إضافة إلى أنه لم يكتف بالنقل فقط، بل أعقبها في كثير من الأحيان بالتعليق والإيضاح.

كما أنه أحياناً عندما يريد النقل عن بعضهم يذكر في جملة اعتراضية شيئاً من المكانة العلمية لهذا الإمام المستشهد بكلامه لبيان أهمية قوله.

مثال ذلك : عندما نقل عن الأوزاعي قال : «وقد حكى الأوزاعي، وهو أحد الأئمة الأربعة في عصر تابعي التابعين : الذين هم مالك إمام أهل الحجاز...»[٢] .

وقال عندما عَرَض لقول الزهري ومكحول : « والزهري ومكحول : هما أعلم التابعين في زمانهم..» [٣] .

وقال بعد أن نقل كلاماً عن أبي عبيد القاسم بن سلام : « أبو عبيد أحد الأئمة الأربعة الذين هم الشافعي، وأحمد .... وله معرفة بالفقه واللغة والتأويل، وهو أشهر من أن يوصف ...» [٤] .

ونحو هذا كثير.

---

(١) عدا فصل واحد ورد في أول الكتاب.

(٢) ص٢٩٧ .

(٣) ص٣٠١.

(٤) ص٣٣٢.

٢- الأسلوب العلمي في إقناع الخصوم :

ويتجلى هذا في النقطتين الآتيتين:

أ- الاحتجاج عليهم بكلام أئمتهم :

وذلك أن المؤلف لم يقتصر في النقل عن أئمة أهل السنة فقط، بل أورد كلام بعض الأئمة الذين ينتسب إليهم بعض الفرق المخالفة نحو : أبي الحسن الأشعري، والباقلاني، وأبي المعالي الجويني ، وأبي بكر البيهقي . ونقل أيضاً عن عبد القادر الجيلاني، والحارث المحاسبي، وعمرو بن عثمان المكي وغيرهم.

وأيضاً فإنه عاش في عصر غلب عليه التعصب المذهبي، وكان الواحد من هؤلاء المردود عليهم وهم « الأشاعرة » لا يخرج في الغالب عن أحد هذه المذاهب، ولهذا فقد حرص المؤلف أن يضمن مؤلفه كلام بعض أئمة هذه المذاهب، ليكون الرد أقوى وأبلغ .

ب- استخدام أساليبهم الجدلية :

استخدم المؤلف في هذا الكتاب الأسلوب المنطقي في بعض الأحيان؛ وذلك حينما يعرض المقدمات ويستخلص النتائج منها، ولعل من حيثيات استخدام هذا المنهج أن خصوم الشيخ ـ المردود عليهم بهذا الكتاب ـ من أهل الكلام الذين يهتمون بهذه النواحي.

مثال ذلك : في معرض كلام المؤلف في إيضاح أن أصحاب القرون الفاضلة لم يقصروا في معرفة الحق وتجليته للناس، أورد بعد ذلك مقدمتين لازمتين لمن يفضل طريقه الخلف على طريقة السلف، ثم استخلص النتيجة استجهال السابقين الأولين واستبلاههم[١] .

ومن أمثلة استخدامه لأسلوب المتكلمين أيضاً : قوله في تقرير أن الله منزه

---

(١) ص١٩٠.

عن كل من ما أوجب نقصاً أو حدوثاً : « ويمتنع عليه الحدوث لامتناع العدم عليه، واستلزام الحدوث سابقه العدم، ولافتقار المحدَث إلى مُحدِث، ولوجوب وجوده بنفسه »[(١)] .

٣- التجرد للحق وقبوله ممن جاء به :

ليس كل من نقل عنه الشيخ في هذه الرسالة موافقاً له جميع مسائل العقيدة والعكس بالعكس، فالحق يقبل ممن جاء به؛ وفي هذا الصدد يقول ـ رحمه الله ـ : « وليس كل من ذكرنا شيئاً من قوله ـ من المتكلمين وغيرهم ـ يقول بجميع ما نقول في هذا وغيره، ولكن الحق يقبل مِن كل مَن تكلم به...»[(٢)] .

٤- الأمانة العلمية والدقة في النقل :

من يتصفح الكتاب يلمس الأمانة العلمية لدى المؤلف والتحري في دقة النقل، فالنقول التي أوردها لم تكن بالمعنى بل بالنص تماماً، مع العزو إلى المصدر والقائل، وهذا تبين جلياً بالتتبع والمقابلة على أصل هذه النقول، وقد نصَّ الشيخ على هذا المنهج؛ حيث قال : « ونحن نذكر ألفاظ السلف بأعيانها وألفاظ من نقل مذهبهم ...»[(٣)] .

وأيضاً فإنه قد يورد كلاماً عن شخص ما، ويشير إلى أن هذا الكلام ورد عنه بلفظ آخر ثم يذكره، مع العلم أن المعنى واحد، اللهم إلا أن يكون هناك تقديم وتأخير في الألفاظ .

مثال ذلك : لما نقل عن أبي حنيفة في « الفقه الأكبر » من رواية أبي مطيع قوله :« قلت ـ يعني أبا مطيع يسأل أبا حنيفة ـ : فإن قال : إنه على العرش

---

(١) ص٢٦٦.

(٢) ص٢١٨ .

(٣) ص٢٩٦.

استوى، ولكنه يقول : لا أدري العرش في السماء أم في الأرض ؟ قال : هو كافر، لأنه أنكر أن يكون في السماء ..» . قال شيخ الإسلام : « وفي لفظ : سألت أبا حنيفة عمن يقول : لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض؟ قال : فقد كفر...» [(١)] .

٥- الموضوعية والعدل :

من الأمور التي تتجلَّى من خلال صفحات هذه الرسالة: الجانب الموضوعي لدى المؤلف، وهذه السمة تبرز في كثير من مؤلفاته، فكثيراً ما يثني على من يرد عليهم، ويذكر النواحي الإيجابية لديهم، وهذا أمر اشتهر به، فهو لا يغمط الآخرين حقهم، ولا يهضم ما عندهم من الحق.

فمثلاً في هذه الرسالة التي بين أيدينا عندما تكلم عن تأويلات أهل الكلام كابن فورك والرازي والغزالي وغيرهم، وأنها مشابهة لتأويلات بشر المريسي، ذكر أن هذا لا يخرجهم من أن يكون لهم كلام حسن في أشياء أُخَر[(٢)].

٨- التكرار :

تكررت بعض المسائل وبعض الأدلة، سواء أكانت من القرآن أم من السنة، وسبب ذلك كثرة النقول.

فمثلاً يورد المؤلف كلام هذا الإمام في إثبات صفة « العلو » لله، والأدلة التي استدل بها، ثم ينقل عن الإمام الآخر كلامه في إثبات هذه الصفة، ويذكر الأدلة التي استدل بها، ولهذا تكررت الأدلة والمسائل. ولعل مراد الشيخ من هذا التأكيد على أن هذه المسألة أثبتها جمع من العلماء على اختلاف مناهجهم ومذاهبهم.

---

(١) ص٣٢١ .

(٢) انظر ص٢٤٧-٢٥٠ .

٨- الاستطراد :

قد يُسهب الشيخ ويستطرد في النقل أحياناً، حتى إنه أثناء إيراد كلام بعض الأئمة يذكر مسائل ليس لها علاقة مباشرة بأصل الكتاب.

مثال ذلك : عندما نقل كلام « ابن خفيف » أورد له من خلال سياق هذا النقل نحواً من سبع وأربعين مسألة من مسائل العقيدة.

٨- الاختصار :

لم يتعرض المؤلف في الجملة لذكر شُبَه الخصوم، واقتصر على بيان الحق وسببه، واعتذر عن ذلك أكثر من مرة بكون الكتاب عبارة عن فتوى، وهذا لا يحتمل البسط في عرض الشُّبه والإجابة عنها، ولهذا سلك منهج الاختصار.

يقول ـ رحمه الله ـ : « وأنا أعلم أن المتكلمين النفاة لهم شبهات موجودة ولكن لا يمكن ذكرها في الفتوى ...»[١] .

ويقول في موضع آخر : « لكن هذا الموضوع لا يتسع للجواب عن الشبهات الواردة على الحق .. »[٢] .

ويقول أيضاً : « فأما تقرير ذلك بالدليل وإماطة ما يعرض من الشبه وتحقيق الأمر على وجه يخلص إلى القلب ما يبرد به اليقين، ويقف على مواقف آراء العباد في هذه المهامِهِ، فما تتسع له هذه الفتوى...»[٣] .

٩- تنوع المنهج في سياق الأحاديث والآثار والحكم عليها :

حينما يورد المؤلف الحديث أو الأثر يحكم عليه في بعض الأحيان، وفي أحيان أخر يكتفي بذكر من رواه.

---

(١) ص٢٦٣.

(٢) ص٢٧١.

(٣) ص٥١٩.

من أمثلة ما حكم عليه :

تكرر قوله : « في الصحيح » أو « في الحديث الصحيح »[١] .

وقوله : « روى أبو بكر البيهقي في – الأسماء والصفات – بإسناد صحيح ...»[٢] .

وقوله : « روى الخلال بإسناد كلهم أئمة ثقات ...»[٣] .

ونحو ذلك كثير.

كما أنه في الغالب لا يذكر سند الحديث أو الأثر، بل يكتفي بقوله : «روى فلان بإسناده عن فلان...»، ولكن في مواضع قليلة يسوق الإسناد من طريق من نقل عنه.

مثال ذلك : عندما أورد قول الفضيل بن عياض ساقه بالإسناد، فقال : «وقال الشيخ الإمام أبو بكر... الخلال في كتاب « السنة » : ثنا أبو بكر الأثرم، ثنا إبراهيم بن الحارث.. » وذكر الإسناد إلى الفضيل[٤] .

١٠- سعة الاطلاع :

من خلال صفحات هذا الكتاب يلمس القارئ سعة اطلاع المؤلف وقوة علميته؛ خاصة وأنه ألفه في وقت مبكر، وعمره آن ذاك نحوٌ من سبع وثلاثين سنة، إضافة إلى أنه يواجه بهذا الكتاب جمهور علماء عصره.

ويتضح ذلك من ثنايا بعض عبارات المؤلف، فمثلاً حينما أورد الأدلة من الكتاب والسنة الدالة على علو الله على خلقه قال : « ثم ليس في كتاب الله، ولا عن سنة رسوله ﷺ، ولا عن أحد من سلف الأمة ـ لا من الصحابة،

---

(١) انظر : ص٢٠٤، ٢١١، ٢١٢ .

(٢) ص٢٩٦ .

(٣) ص٣٠٣ .

(٤) ص٣٧٤-٣٧٥.

والتابعين ، ولا عن أئمة الدين الذين أدركوا زمن الأهواء والاختلاف حرف واحد يخالف ذلك لا نصاً ولا ظاهراً... »[(١)] .

١١- الأسلوب الأدبي :

مع أن الكتاب أخذ طابع القوة في الرد والتأصيل، إلا أن ذلك لم يفقده الأسلوب الأدبي الذي يطرب له القارئ من سلاسة اللفظ، وحسن الصياغة والعرض، ففي ثنايا كلام المؤلف تبرز هذه المعاني التي تفتقدها بعض الكتب التي تبحث في هذا الفن.

من الأمثلة على ذلك : عندما تحدث عن العبارة التي اشتهرت عند المتأخرين من أن «طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم» ، وفي أثناء الرد عليهم قال : « كيف يكون هؤلاء المتأخرون، لاسيما والإشارة بالخلف إلى ضرب من المتكلمين، الذين كثر في باب الدين اضطرابهم، وغلظ عن معرفة الله حجابهم، وأخبر الواقف على نهاية إقدامهم، بما انتهى إليه مرامهم...»[(٢)] .

ويقول أيضاً في أثناء كلامه على هؤلاء : « كيف يكون هؤلاء المحجوبون، المفضولون، المنقوصون، المسبوقون، الحيارى، المتهوكون، أعلم بالله وأسمائه... من السابقين الأولين، من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان من ورثة الأنبياء وخلفاء الرسل، وأعلام الهدى، ومصابيح الدجى، الذين بهم قام الكتاب وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا..»[(٣)] .

وقال أيضاً في بيان حال الفلاسفة وأهل الكلام : « من علم أن المتكلمين من المتفلسفة وغيرهم في الغالب ﴿لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝﴾

---

(١) ص٢٢٠.

(٢) ص١٩١.

(٣) ص١٩٦ .

إلى أن قال: ومن وجه آخر إذا نظرت إليهم بعين القدر، والحيرة مستولية عليهم، والشيطان مستحوذ عليهم، رحمتهم وترفقت بهم؛ أوتوا ذكاءً وما أوتوا زكاءً، وأعطوا فهوماً وما أعطوا علوماً؛ وأعطوا سمعاً وأبصاراً وأفئدة ﴿فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم مِّن شَيۡءٍ إِذۡ كَانُواْ يَجۡحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾[1].

هذه أبرز السمات وأهم الملامح العامة لمنهج المؤلف في الكتاب.

خامساً: مصادر المؤلف في هذا الكتاب:

لقد استفاد المؤلف من عدة مصادر خلال كتابه هذا، وتوسع في النقول عمن سبقه من العلماء والأئمة، وهذه النقول التي أوردها توحي بضخامة وسعة «الكم» العلمي الذي كانت تحويه مكتبة شيخ الإسلام، كيف وجزء من الكتب التي ذكرها وأشار إليها، بل نقل منها لا يزال مفقوداً.

وهذه المصادر كالتالي:

أولى هذه المصادر ومُقدَّمها: الكتاب والسنة، ليس فقط في هذا الكتاب، بل في جميع مؤلفات شيخ الإسلام، تظهر أدلة الكتاب والسنة سمة بارزة عليها، وهذا غير مستغرب إذا عرف أن منهج الشيخ منهج سلفي متجرد في حياته العلمية، لا يتعصب لطائفة، ولا ينحاز إلى فرقة أو مذهب

أما بقية المصادر التي استفاد منها، ونصّ عليها، فهي كما يلي:

١- الإبانة للباقلاني
٢- الإبانة لابن بطة
٣- الإبانة لأبي الحسن الأشعري
٤- إبطال التأويلات للقاضي أبي يعلى
٥- الأسماء والصفات للبيهقي

---

(١) ص٥٥٤-٥٥٦.

٦- أصول السنة لابن أبي زمنين
٧- أصول السنة للالكائي
٨- الأصول لأبي عمرو الطلمنكي
٩- اعتقاد التوحيد لأبي عبد الله ابن خفيف
١٠- التعرف بأحوال العباد والمتعبدين لعمرو بن عثمان المكي
١١- تفسير عبد الرزاق لعبد الرزاق الصنعاني
١٢- التمهيد للباقلاني
١٣- التمهيد لابن عبدالبر
١٤- تنزيه أئمة الشريعة عن الألقاب الشنيعة لابن درباس
١٥- التوحيد لابن خزيمة
١٦- جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر
١٧- خلق أفعال العباد للبخاري
١٨- رد الدارمي على بشر المريسي للدارمي
١٩- الرد على الجهمية للبخاري
٢٠- الرد على الجهمية لابن أبي حاتم
٢١- الرد على الجهمية للدارمي
٢٢- الرد على الجهمية للجعفي
٢٣- الرسالة النظامية للجويني
٢٤- سنن ابن ماجه لابن ماجه
٢٥- سنن أبي داود لأبي داود
٢٦- سنن الترمذي للترمذي
٢٧- السنة لأبي بكر ابن الأثرم
٢٨- السنة لأبي الشيخ
٢٩- السنة للخلال
٣٠- السنة لعبد الله ابن الإمام أحمد

٣١- صحيح البخاري	للإمام البخاري
٣٢- صحيح مسلم	للإمام مسلم
٣٣- عقيدة السلف	للصابوني
٣٤- الغنية	لعبد القادر الجيلاني
٣٥- الغنية عن الكلام وأهله	للخطابي
٣٦- الفاروق	للهروي
٣٧- الفقة الأكبر	رواية أبي مطيع البلخي
٣٨- فهم القرآن	للمحاسبي
٣٩- محجة الواثقين	لأبي نعيم
٤٠ – مقالات الإسلاميين	لأبي الحسن الأشعري.

* * *

الفصل الثاني

موقف المتكلمين من هذا الكتاب






الفصل الثاني

موقف المتكلمين من هذا الكتاب

سبقت الإشارة إلى أن المذهب الذي كان سائداً في المجتمع والفترة التي عاشها شيخ الإسلام هو المذهب الأشعري. هذا في الجملة؛ وكانت كلمة أهل الكلام مسموعة، ورايتهم مرفوعة؛ بل إنه في أغلب الأحيان كان الحكام يقفون في جانبهم انتصاراً لهذا المذهب عن اقتناع ذاتي؛ أو لغرض كسب بعض القضاة وأهل الفتوى ممن كان لهم قاعدة عريضة في أوساط المجتمع آنذاك، وما يتمتع به أولئك من سلطة ونفوذ قوي، غالبهم على المذهب الأشعري، خاصة من بيدهم الحل والعقد.

وهذا لا يمنع أن يوجد في هذا الوقت من القضاة ـ بل والحكام ـ من كان ذا عقيدة سلفية، لكن في غالب الأحيان لم يكن لهم من القوة والنفوذ ما لأولئك، ولهذا كان أثرهم محدوداً.

ومن أجل ذلك كان لهذه الفتوى ردود فعل قوية، وصدى واسع، امتحن بسببها شيخ الإسلام محنة عظيمة، كانت من أوائل المحن التي تعرض لها.

ويمكن تقسيم ردود الفعل هنا قسمين :

أ- القسم الأول :

وتمثل في محاولة النيل من شخصية الشيخ مباشرة ، والحط من قدره، وتشويه سمعته، وتشكيك الناس في علمه، واتهامه بأمور هو بريء منها براءة الذئب من دم يوسف، وفي الجملة فقد كانت أشبه بالحرب النفسية عليه وعلى أنصاره.

يقول الشيخ في هذا الصدد : « واستشعر المعارضون لنا أنهم عاجزون عن المناظرة التي تكون بين أهل العلم والإيمان، فعدلوا إلى طريق أهل الجهل والظلم والبهتان، وقابلوا أهل السنة بما قدروا عليه من البغي باليد عندهم

والسنان، نظير ما فعلوه قديماً من الامتحان»[١] .

ويقول أحد تلاميذه ـ وهو ابن عبد الهادي ـ في معرض كلامه عن هذه المحنة: «.. وملخصها : أنه ـ أي شيخ الإسلام ـ كتب جواباً سئل عنه من «حماة» في الصفات، فذكر فيها مذهب السلف ورجَّحه على مذهب المتكلمين؛ وكان قبل ذلك بقليل أنكر أمر المنجِّمين، واجتمع بسيف الدين جاغان في ذلك في حال نيابته بدمشق وقيامه، فقام نائب السلطنة وامتثل أمره، وقبل قوله والتمس منه كثرة الاجتماع به، فحصل بسبب ذلك ضيق الجماعة مع ما كان عندهم قبل ذلك من كراهية للشيخ وتألمهم لظهوره وذكره الحسن، فانضاف شيء إلى أشياء، ولم يجدوا مساغاً إلى الكلام فيه لزهده وعدم إقباله على الدنيا وترك المزاحمة على المناصب وكثرة علمه وجودة أجوبته وفتاويه، فعمدوا إلى الكلام في العقيدة لكونهم يرجحون مذهب المتكلمين في الصفات والقرآن على مذهب السلف، ويعتقدونه الصواب، فأخذوا الجواب الذي كتبه، وعملوا عليه أوراقاً في رده، ثم سعوا السعي الشديد إلى القضاة والفقهاء واحداً واحداً، وأغروا خواطرهم وحرفوا الكلام ، وكذبوا الكذب الفاحش، وجعلوه يقول بالتجسيم ـ حاشاه ذلك ـ وأنه أوعز ذلك المذهب إلى أصحابه، وأن العوام قد فسدت عقائدهم بذلك.. وسعوا في ذلك سعياً شديداً...، وافقهم جلال الدين الحنفي قاضي الحنفية يومئذ على ذلك، ومشى معهم إلى دار الحديث الأشرفية، وطلب حضوره، وأرسل إليه فلم يحضر، وأرسل إليه في الجواب : أن العقائد ليس أمرها إليك، وأن السلطان إنما ولاّك لتحكم بين الناس ، وأن إنكار المنكرات ليس مما يختص به القاضي.

فوصلت إليه هذه الرسالة فأغروا خاطره، وشوشوا قلبه، وقالوا : لم

---

(١) نقض التأسيس- مخطوط- (٣/ ٤) .

يحضر، ورد عليك. فأمر بالنداء على بطلان عقيدته في البلدة..»[١] .

فنُودي في بعض البلد بذلك، لكن سيف الدين جاغان انتصر للشيخ وعاقب أولئك، وسعى في القبض على بعضهم فاختفوا وتفرقوا.

وجلس الشيخ كعادته يوم الجمعة في الجامع، وفسر قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٤] وأمر بالحلم وحث على استعماله.

ثم اجتمع بالقاضي الشافعي إمام الدين، واجتمع به بعض العلماء وبحثوا معه في « الحموية » وطال النقاش حولها، وقرئت من أولها إلى آخرها، وأوضح الشيخ بعض موارد النزاع. وبعض المواضع التي حصل فيها الإشكال، وأقر الحضور جميع ما في هذه الرسالة، وقال القاضي : (كل من تكلم في الشيخ يُعزَّر) ؛ وقد رجع الشيخ إلى داره في ملأ من الناس مستبشرين بذلك فرحين فرحاً شديداً بما وهبه الله من النصر والتأييد[٢] .

يقول ابن عبد الهادي أثناء كلامه على هذه المحنة وخصوم الشيخ الذين سعوا فيها: « وكان سعيهم في حقه أتمَّ السعي، لم يبقوا ممكناً من الاجتماع بمن يرتجون منه أدنى نصر لهم، وتكلموا في حقه بأنواع الأذى، وبأمور يستحيي الإنسان من الله سبحانه أن يحكيها، فضلاً عن أن يختلقها ويلفقها ، فلا حول ولا قوة إلا بالله، والذين سعوا فيه معروفون عندنا وعند كل أحد، قد اشتهر عنهم هذا الفعل الفظيع ، وكذلك من ساعدهم بقول أو تشنيع أو إغراء أو إرسال رسالة أو إفتاء أو شهادة أو أذى لبعض أصحاب الشيخ..

---

(١) العقود الدرية ص ١٩٨-٢٠٠.

(٢) انظر: المصدر السابق ص ٢٠١-٢٠٢، البداية والنهاية (١٤/ ٤)، الذيل على طبقات الحنابلة (٤/ ٣٩٦)، الدرر الكامنة (١/ ١٥٥)، الكواكب الدرية ص ١٠٢-١١٤.

أو شتم أو غيبة أو تشويش باطن، فإن ذلك شيء كثير من جماعة كثيرة». اهـ[١] .

وهكذا ثبت الشيخ رحمه الله في أولى معاركه مع خصومه بقوة يقين ورباطة جأش ، وأثبت للآخرين أنه جبل لا تزعزعه رياح الباطل، وأعاصيره الهوجاء، وقف وقوف الواثق بنصر الله لا يعوّل في ذلك على مخلوق قط، فإنه وإن كان فرداً في هذا الميدان، فهو الأمة وهو الجماعة بما معه من الحق، ولم تكن هذه المحنة لتحدّ من نشاطه في تصحيح عقائد الناس وتجديد ما اندرس منها؛ بل إنها كانت حافزاً ودافعاً لمواصلة هذه المهمة العظيمة بنشاط منقطع النظير.

وهذا ما حدا بخصومه أن يلجؤوا إلى الأسلوب الآخر، والمتمثل فيما يلي:

ب : القسم الثاني :

عندما أخفق معارضو الشيخ في جولتهم الأولى من المعركة الفكرية التي دارت بينهم وبينه نتيجة لهذا الجواب، ورأوا أن هذا الإخفاق، وهذه الخسارة قد زادت من مكانة الشيخ وتبوأ منزلة عالية عند الخاصة والعامة، ونتيجة لذلك ازداد مؤيدوه وأنصاره.

عند ذلك لجأ الخصوم إلى أسلوب آخر؛ هو الأسلوب الكتابي للرد على هذه الفتوى عن طريق تأليف بعض الكتب والرسائل لنقض ما ورد فيها وتفنيده، وإثارة بعض الشُّبه حولها وتشكيك الناس في القواعد التي دلّت عليها.

ولا شك أن هذا الأسلوب من القوة والنفوذ ما هو معلوم، حيث إن الردود الشفهية محدودة الزمان والمكان، تنتهي في أغلب الأحيان بانتهاء مواقفها، أو موت أصحابها؛ بخلاف الكتابية منها في الغالب، فإنها تبقى دهوراً وأزماناً، فهي إذاً ليست مقصورة على زمن أو مكان معين، ولا على فئة دون

---

(١) العقود الدرية ص٢٠٢.

فئة، ولا على جيل دون جيل.

وقد انبرى أحد معاصري الشيخ، وأحد علماء المذهب الشافعي للرد على هذه الفتوى في رسالة صغيرة، حرص أعداء الشيخ على إظهارها وإبرازها.

ومن خلال الأسطر القادمة سألقي الضوء على هذا الكتاب مبتدئاً ذلك بترجمة للمؤلف.

*** المؤلف :**

شهاب الدين أحمد بن يحيى بن إسماعيل بن طاهر بن جهبل، أبو العباس الحلبي، ثم الدمشقي الشافعي.

ولد سنة سبعين وستمائة، واشتغل بالعلم، لزم الشيخ صدر الدين ابن المرحل، ودرس على شرف الدين المقدسي، وسمع من أبي الحسن البخاري، وعمر بن عبد المنعم القواس، وأحمد بن هبة الله ابن عساكر، وغيرهم.

وسمع منه الحافظ علم الدين البرزالي.

درس بالصالحية بالقدس، ثم تركها وتحول إلى دمشق، وتولى مشيخة دار الحديث الظاهرية مدة. ثم تولى البادرائية إلى أن توفي في يوم الخميس التاسع من جمادى الآخر، لسنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة، بعد العصر، ودفن بمقبرة الصوفية عن ثلاث وستين سنة.

نعته ابن كثير بقوله : « الشيخ الإمام الفاضل، مفتي المسلمين، كان من أعيان الفقهاء ». اهـ.

وقال عنه الذهبي : « كان فيه خير وتعبد، وله محاسن وفضائل وفطنة في العلم بالفروع » اهـ .

وقال عنه ابن الكتبي : « كان عالماً ورعاً ، ولما مرض تصدق كثيراً حتى بثيابه ». اهـ.

لم يُذكر له من المؤلفات سوى هذا الرد على شيخ الإسلام.

أما مذهبه : فهو شافعي في الفروع، وأما في الأصول، فيمكن أن نستشف من كتابه هذا أنه أشعري.

وقد أكثر في كتابه هذا النقل عن أئمة الصوفية، والاستدلال بأقوالهم كالجنيد، ويحيى بن معاذ الرازي، وذي النون المصري، وأبي بكر الشبلي، والخواص، وغيرهم، وهذا ما يجعل الاحتمال قائماً من أن المؤلف ذو نزعة صوفية[1].

*** منهج ابن جهبل في كتابه :**

ألّف ابن جهبل هذا الكتاب رداً على شيخ الإسلام في جوابه « الحموية » ، وانصبّ رده على ما أسماه « بنفي الجهة لله » وذلك أنه يرى أن ابن تيمية حاول في جوابه « الحموية » إثبات الجهة لله.

يقول في مقدمة كتابه : « فالذي دعا إلى تسطير هذه النبذة ما وقع في هذه المدة مما علقه بعضهم في إثبات الجهة، واغتر بها من لم يرسخ له في التعليم قدم، ولم يتعلق بأذيال المعرفة..»[2] .

وهذا الكتاب ساقه السبكي في «طبقات الشافعية» كاملاً في إحدى وثلاثين صفحة من المطبوعة، وذلك من خلال ترجمة ابن جهبل هذا[3].

وقد أخرج الكتاب وطبع مفرداً بعناية د. طه الدسوقي حبيشي ،

---

(١) انظر : ترجمته في : البداية والنهاية (١٤/ ١٦٣)، ذيول العبر (٤/ ٩٦-٩٧)، طبقات الشافعية للسبكي (٥/ ١٨١) ، الدرر الكامنة (١/ ٣٥٠) ، شذرات الذهب (٦/ ١٠٤)، معجم المؤلفين (٢/ ٢٠١).

(٢) الحقائق الجلية ص٢٩.

(٣) انظر : طبقات الشافعية (٥/ ١٨١-٢١٢).

والظاهـر ـ والله أعـلم ـ أن المحقـق لم يعـتمد في ذلك على نسخة خطية، بل اعتمد على النسخة التي ساقها السبكي في الطبقات[١].

ومما يلحظ أن المؤلـف لم يضـع لكتابه هذا عنواناً، ولم يقسمه إلى أبواب وفصـول، كمـا أنه خلا من العناوين الجانبية، ولكن المحقق اجتهد ووضع لـه عنواناً من عند نفسه باسم « الحقائق الجلية في الرد على ابن تيمية فيما أورده في الفتوى الحموية ».

يقول د. طه الدسوقي في مقدمة الكتاب :« ولقد وجدنا هذه الرسالة بغير عـنوان، وبحثنا لها عن عنوان يكون صاحبها قد وضعه، فلم نجد لها عنواناً في جميع المصـادر الـتي أشـارت إلـيها[٢]، فرأيـت أن أتقمص شخصية المؤلف، وأعـيش عصـره، وأحـاول أن أقـرأ مؤلفـه وهضـم أفكـاره ثـم أخلص من الاتجـاهين ـ مـن تقمـص شخصـية المؤلـف وفهـم عصره، وهضم المؤلف، موضوعاته، فوقع الاختيار على العنوان الذي وضعته ..»[٣].

ومـن الأمـور الـتي تصـرف فيها المحقق في الكتاب ـ وقد أغفلها المؤلف ـ وضع بعض العناوين في صلب المؤلَّف، لأنه يرى أن القارئ يحتاج إلى ذلك، يقـول المحقـق شارحاً وجهة نظره هذه : « إلا أن الشيخ ـ يعني ابن جهبل ـ لم يضـع معـالم يراها القارئ فيدرك أنه ينتقل من حال إلى حال، أو يتريض بين فكـرة وفكرة، والقارئ خاصة في مثل هذا الزمان يحتاج إلى مثل هذه المعالم..

---

(١) طبع هذا الكتاب في مطبعة الفجر الجديد عام ١٩٨٧م .

(٢) بـل إن جميع المصادر التي تشير إلى هذا المؤلف لا تزيد على أن تذكر أن لـه كتاباً في نفي الجهة رداً على ابن تيمية.

انظـر: طـبقات الشـافعية للسـبكي (٥/ ١٨١)، شـذرات الذهب (٦/ ١٠٤)، معجم المؤلفين (٢/ ٢٠١)

(٣) مقدمة الحقائق الجلية ص٢٤ .

فرأينا أن نضيف إلى الكتاب بعض العناوين التي تشعر القارئ أنه ينتقل من مسألة إلى أخرى » اهـ[١] .

ابتدأ المؤلف كتابه بمقدمة، ثم انتقل وتكلم في ثلاثة مواضيع أساسية أوضح هذا في أول كتابه حيث قال : « فأحببت أن أبين عقيدة أهل السنة والجماعة، ثم أبين فساد ما ذكر ـ يعني ابن تيمية ـ .. ثم استدل على عقيدة أهل السنة .. وها أنا أذكر قبل ذلك مقدمة يستضاء بها في هذا المكان ..»[٢] .

وعلى هذا يمكن جعل كتابه في مقدمة وثلاثة أقسام :

أما المقدمة : فذكر فيها مذهب الحشوية- على حدّ زعمه ـ في إثبات الجهة، وأشار إلى أنهم فريقان :

أ ـ فريق لا يتحاشى في إظهار الحشو.

ب ـ فريق يتستر بمذهب السلف، وذكر أن تستره هذا من أجل الحصول على بعض المكاسب الدنيوية من منصب وتجميع الناس حوله، واجتلاب حطام الدنيا، واتهم أهل هذا الفريق بأنهم يتحلون بالرياء والتقشف، وصنّف شيخ الإسلام من هؤلاء، ثم استطرد في بيان أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا لا يخوضون في هذه المسائل ، بل ولا أثر عن النبي ﷺ ذلك.

القسم الأول :

وفيه يذكر عقيدة أهل السنة ـ على حدّ قوله[٣] ـ وخاصة في نفي صفة «العلو» يقول في ذلك: « عقيدتنا أن الله قديم أزلي، لا يشبه شيئاً ولا يشبهه

---

(١) الحقائق الجلية ص ٢٥.

(٢) المصدر السابق ص ٣٠ .

(٣) ومراده بأهل السنة هنا : الأشاعرة ؛ فهم الذين من بين أهل البدع غالباً يطلقون على أنفسهم هذا الاسم .

شيء، ليس له جهة ولا مكان، ولا يجري عليه وقت ولا زمان، ولا يقال أين ولا حيث، يرى لا عن مقابلة، ولا على مقابلة؛ كان ولا مكان»اهـ[1].

ثم ذكر أن هذا مذهب أهل السنة ومشايخ الطرق، وساق بعض النقول عن بعض أئمة الصوفية؛ وكلها تدور حول نفي صفة العلو عن الله.

القسم الثاني :

وهذا القسم هو الأصل، والذي من أجله صنف المؤلف كتابه هذا؛ وهو الرد على شيخ الإسلام في « الفتوى الحموية ».

ومنهجه في هذا القسم : عرض كلام الشيخ ثم الرد عليه، ففي بعض الأحيان يورد نص كلام الشيخ، وفي أحيانٍ أُخَر لا يذكره بالنص، وإنما يورد المفهوم فقط.

وقد سرد الآيات والأحاديث التي استدل بها الشيخ، وسلط عليها سيف التأويل آيةً آيةً، وحديثاً حديثاً على طريقة أسلافه؛ ثم انتقل وناقش الشيخ في المعية والجمع بينها وبين نصوص العلو.

واختتم هذا القسم بإيراد بعض النقول التي ذكرها شيخ الإسلام في «الحموية» وحاول جاهداً أن يجعلها شاهدة له لا عليه، ودالة لما ذهب إليه؛ وطعن في بعض الأئمة الذين نقل عنهم الشيخ؛ كما فعل مع ابن خزيمة وابن عبد البر، وزعم أن ما ذكروه مخالف لما عليه العلماء، كما أنه في بعض النقول لا يستطيع الطعن في القائل، ولا وجه للاحتجاج بقوله، فيضرب عن ذلك كله، ويلتمس إجابة أخرى كما فعل مع قول عبد القادر الجيلاني الذي أورده شيخ الإسلام، حيث قال: « وحكى ـ يعني ابن تيمية ـ عن عبد القادر الجيلي أنه قال : الله بجهة العلو مستو على عرشه، فليت شعري لِمَ احتج

---

(١) الحقائق الجلية ص٤٢ .

بكلامه وترك مثل جعفر الصادق، والشبلي، والجنيد، وذي النون المصري ؟..»[1] .

القسم الثالث :

اختتم ابن جهبل كتابه بذكر قواعد عامة تجب مراعاتها تجاه نصوص الصفات، وهي :

١- التقديس .

٢- الإيمان والتصديق .

٣- الاعتراف بالعجز .

٤- السكوت والإمساك عن التصرف في الألفاظ الواردة.

٥- اعتقاد أن ما خفي عن المرء لم يخفَ عن الرسول ﷺ ولا عن أكابر الصحابة.

ثم شرع في هذه القواعد، وانتقل بعد هذا ليعقد فصلين : أحدهما : في تنزيه الله عن الجهة، مثبتاً ذلك بدلالة العقل كما يرى، ولهذا ابتدأ هذا الفصل بإيضاح منزلة العقل، ومكانته في الشرع، وأنه مناط التكليف، وخوطب في القرآن أكثر من مرة، وتكرر الاستدلال به في مواضع، ثم استطرد في ذكر بعض البراهين على حد زعمه على نفي الجهة عن الله المستفادة والمقتبسة من أقوال من أسماهم «بمشايخ الطرق» فهو يذكر أقوالهم ويستنتج بنفسه تقرير الدلالة من هذه الأقوال.

ثم ساق شيئاً من القرآن على تلك القضية، وذكر أن وجه الدلالة من هذه الآيات تعرفه الخاصة دون العامة .

---

(١) الحقائق الجلية ص ١١٦

ومن الآيات التي أوردها: قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧] ونحو ذلك.

وآخر قضية ناقشها المؤلف: « هل ظاهر النصوص مراد أو غير مراد؟» . وقد ذهب إلى ما ذهب إليه جمهور المتكلمين من أن ظاهر النص إذا أوهم ما ينزه الله عنه - على قولهم- فهو غير مراد، وأن آيات الصفات من المتشابه التي لا يعلم تأويلها إلا الله والراسخون في العلم.

*** الملامح الرئيسة في الكتاب :**

من خلال ورقات هذا المؤلَّف تتجلى بعض السمات والملحوظات، والتي أهمها :

- الشبهة التي تمسك بها المؤلف واتكأ عليها في نفي علو الله: أن إثبات ذلك يستلزم التجسيم، وهو ليس بدْعاً في هذا، بل إن هذه الشبهة هي مُعَول جمهور النفاة[1] .

- مما يلحظ على الكتاب الاختصار والإيجاز في الرد.

- إطلاق بعض العبارات النابية والمستهجنة في حق شيخ الإسلام، واتهامه بما ليس فيه، مما جعل هذا الرد بحاجة إلى الموضوعية في النقد، والروح العلمية.

فمن ذلك قوله في الشيخ :« وتجاسر المدعي ـ يعني ابن تيمية ـ على المعرفة؛ وأن ابن الحيض قد عرف القديم على ما هو عليه، ولا غرور ولا جهل أعظم ممن يدعي ذلك..»[2] .

---

(١) وسيأتي مناقشة هذه الشبهة في الفصل الثالث.

(٢) الحقائق الجلية ص٤٩ .

وقوله في موضوع آخر : « بل سرد آية من كتاب الله ـ يعني ابن تيمية ـ وهي قوله تعالى : ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ ولا ندري هل حفظها أو نقلها من المصحف.. »[١]، وهو يعلم أن شيخ الإسلام يحفظ هذه الآية أعظم من حفظ ابن جهبل لاسمه.

وقال في الشيخ أيضاً « ... هذا ما قاله، وهو الموضع الذي صرع فيه وتخبطه الشيطان من المس... »[٢].

واتهم الشيخ بالتستر بمذهب السلف لأجل الحصول على بعض المكاسب الدنيوية من منصب أو جاه، وزعم أنه يزهد في القليل ليحصل على الكثير، ونحو ذلك من الاتهامات العارية عن الصحة المجانبة للصواب[٣].

وزهد الشيخ وانصرافه عن الدنيا بقضها وقضيضها جملة وتفصيلاً أشهر من أن يذكر، وشهد له بذلك أعداؤه قبل أنصاره، واشتهر بين الخاصة والعامة؛ وابن جهبل يتجاهل ذلك[٤].

ومما يلحظ أيضاً على المؤلف : ضعف الرد في بعض الأحيان ضعفاً يدركه صغار المتعلمين، ومن ذلك :

أن شيخ الإسلام لما ذكر أن الرسول ﷺ لا يمكن أن يترك الأمة في باب العقائد بلا إرشاد ولا تعليم، وقد علمهم كل شيء حتى الخراءة[٥].

انبرى ابن جهبل، وانقض على شيخ الإسلام بخيله ورَجِله ليرد عليه،

---

(١) الحقائق الجلية ص ٧٣.

(٢) المصدر السابق ص ٩١.

(٣) انظر : المصدر السابق ص ٣١-٣٢.

(٤) وقد مَرَّ شيء من ذلك أثناء ترجمته.

(٥) انظر ص١٧٨ .

وذكر أن هذا الكلام لا ينطلي على الصيارفة النقاد، ثم قال: « أوَما علم أن الخراءة يحتاج إليها كل واحد، وربما تكررت الحاجة إليها في اليوم مرات...»[١].

أوَما علم ابن جهبل أن ما يعتقده المرء في ربه يحتاجه في كل لحظة من لحظات حياته، ليس فقط في وقت دون وقت.

وأيضاً في رده على شيخ الإسلام عند استدلال الشيخ على علو الله بقوله تعالى حكاية عن فرعون: ﴿يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَـٰبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ﴾ [غافر: ٣٦-٣٧] ووجه الدلالة من هذه الآية واضح، فلو لم يخبر موسى فرعون أن ربه فوق السماوات، لما حاول فرعون الصعود إليها للاطلاع عليه، وهذا لا يحتاج إلى كثير جهد.

قال ابن جهبل في رده على هذا الاستدلال: « فليت شعري كيف فهم من كلام فرعون أن الله تعالى فوق السماوات وفوق العرش يطلع إلى إله موسى ؟! ، أما أن إله موسى في السماوات فما ذكره، وعلى تقدير فهم ذلك من كلام فرعون فكيف يستدل بظن فرعون وفهمه مع إخبار الله تعالى عنه أنه زُين له سوء علمه، وأنه حاد عن سبيل الله عز وجل، وأن كيده في ضلال؟ »[٢].

وأيضاً في رده على شيخ الإسلام عند استدلاله بقوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧١] وقوله: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١١] أن «في» تأتي بمعنى «على» فيكون قوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: على السماء.

فلما أراد ابن جهبل أن يرد على الشيخ في هذا أضرب عن ذلك، وانتقل إلى قضية أخرى لم يتطرق لها الشيخ، وهي: قضية التمكن والاستقرار، وأن

---

(١) الحقائق الجلية ص ٤١-٤٢.

(٢) المصدر السابق ص ٥٩.

المصلوب متمكن مستقر في الجذع[١] ، وهذا الإضراب قد يكون لعجزه عن الإجابة والرد.

ومثله تماماً عندما نقل شيخ الإسلام كلام ابن المبارك : « نعرف ربنا بأنه فوق سمائه على عرشه، بائن من خلقه، ولا نقول كما تقول الجهمية أنه هاهنا في الأرض» قال ابن جهبل معلقاً على هذا : « فنقول له : قد نص عبدالله أنه فوق سمائه على عرشه، فهل قال عبد الله : إن السماء والعرش واحد، وهي جهة العلو » اهـ[٢] .

ومن طريف ما يذكر هنا : أن المؤلف أورد كلاماً للإمام أحمد ذكره شيخ الإسلام في « الحموية »، وخلط كلام الإمام أحمد بكلام شيخ الإسلام ظاناً أن هذا كله كلام الإمام أحمد، ويتضح هذا في النص الآتي ، قال ابن جهبل:

«ولو تنازل واكتفى بما نقل عن إمامه الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه حيث قال : لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ لا نتجاوز القرآن والحديث . ونعلم أن ما وصف الله به من ذلك فهو حق ليس فيه لغو ولا أحاجي، بل معناه يعرف من حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامه، وهو مع ذلك ليس كمثله شيء في نفسه المقدسة المذكورة بأسمائه وصفاته، ولا في أفعاله، فكما أن الله له ذات حقيقة، وأفعال حقيقة، وكذلك صفات حقيقة، وهو ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، وكل ما أوجب نقصاً أو حدثاً، فإن الله منزه عنه حقيقة، فإنه سبحانه مستحق الكمال الذي لا غاية فوقه، وممتنع عليه الحدوث لامتناع العدم عليه، واستلزام الحدوث سابقة العدم، وافتقار المحدث إلى محدث ووجوب

---

(١) الحقائق الجلية ص ٨٣.

(٢) المصدر السابق ص ١١١.

وجوده بنفسه . اهـ .

قال ابن جهبل: هذا نص إمامه، فهلا اكتفى به ، ولقد أتى إمامه في هذا المكان بجوامع الكلم، وساق أدلة المتكلمين على ما يدعيه هذا المارق بأحسن رد وأوضح معان، مع أنه لم يأمر به هذا الفريق » اهـ[١] .

هكذا خلط ابن جهبل كلام الإمام أحمد بكلام شيخ الإسلام ، فإن كلام الإمام أحمد انتهى عند قوله : « لا نتجاوز القرآن والحديث » واحتج على شيخ الإسلام بكلامه من حيث لا يعلم، ولهذا أثنى على هذا الكلام وعظّمه.

يقول ابن عيسى في رده على ابن جهبل بعد أن أورد كلامه السابق: « لله در هذا الحلبي، ما أمد باعه وأشد جمعه للعلوم واطلاعه، حيث أدرج كلام الإمام أحمد من غير تمييز، كلام الإمام أحمد انتهى بقوله :« لا نتجاوز القرآن والحديث » فظن الحلبي بجهله أن الجميع كلام الإمام أحمد، فأخذ يحتج به على ابن تيمية وهو نفس كلامه، وليس هذا ببدع من أفعال هؤلاء ..» اهـ[٢] .

ومن الملحوظات أيضاً : أن المؤلف عند ذكره للقواعد التي أطلق عليها : الوظائف الواجبة على سامع الأخبار المتعلقة بالصفات : التقديس .. إلخ»[٣] قد استفادها من كلام الغزالي في كتابه « إلجام العوام»[٤] بل إنه في بعض المواضع ينقل نصاً من كلام الغزالي دون أن يشير إلى ذلك[٥] .

و في ختام كلامه وَعَدَ أنه سيتتبع كلام شيخ الإسلام في غير هذا الموضع

---

(١) الحقائق الجلية ص ٣٧-٣٨.

(٢) تنبيه النبيه والغبي لابن عيسى ص ٢٤٤ .

(٣) انظر : الحقائق الجلية ص ١٢١-١٢٦.

(٤) انظر إلجام العوام للغزالي ص ٥٤ وما بعدها.

(٥) ولم ينبه المحقق أيضاً على هذا .

ويرد عليه، حيث قال : « ونحن ننتظر ما يرد من تمويه وفساد لنبين مدارج زيغه وعناده، ونجاهد في الله حق جهاده ... »[(١)] .

ولكن ـ ولله الحمد والمنة ـ لم يذكر أنه ألّف غير هذا الكتاب .

وقد تصدى الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى[(٢)] في كتابه « تنبيه النبيه

---

(١) الحقائق الجلية ص ١٤٣.

(٢) ابن عيسى، هو : الشيخ أحمد بن إبراهيم بن حمد بن عيسى، أحد أئمة الدعوة السلفية في نجد، وُلد في مدينة « شقراء » من بلاد نجد عام ١٢٥٣هـ، درس على الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين، وعبد الرحمن بن حسين بن محمد بن عبدالوهاب، والشيخ حسن بن محسن الأنصاري ، تولى القضاء في بلَدِه « المجمعة » من منطقة سدير في نجد، وتعامل بالتجارة مع الشيخ عبد القادر التلمساني من أعيان «جدة » ، وكان هذا الأخير على المذهب « الأشعري » فهداه الله لمذهب السلف على يد الشيخ ابن عيسى؛ فكان للتلمساني الأثر الطيب في نشر هذا المذهب، فقد طبع بعض الكتب السلفية كالنونية لابن القيم، والصارم المنكي، وهدى الله على يديه الشيخَ محمد نصيف إلى المذهب السلفي أيضاً.

وكان الشيخ ابن عيسى يتصل بالولاة ويناصحهم، ويأمرهم وينهاهم، ومن ذلك : أنه اتصل بأمير مكة الشريف عون الرفيق ، وكلمه بخصوص هدم القباب على القبور وبين له أن هذا مخالف للإسلام؛ فأمر الشريف بهدم جميع القباب عدا القبة التي على قبر خديجة والقبة التي على القبر المنسوب إلى « حواء » في جدة.

توفي بعد صلاة الجمعة الرابع من جمادى الآخر لسنة سبع وعشرين وثلاثمائة وألف.

من مؤلفاته : شرح النونية لابن القيم في جزأين، تنبيه النبيه والغبي، الرد على شبهات المستعينين بغير الله، تهديم المباني في الرد على النبهاني.

انظر : مشاهير علماء نجد ص ١٨٥-١٨٨، علماء نجد خلال ستة قرون (١/ ١٥٥-١٦٢)، الأعلام للزركلي (١/ ٨٩)

والغبي»[١] للرد على ابن جهبل، ولكن لم يكن الرد مفرداً في الرد على ابن جهبل في كتابه « الحقائق الجلية » بل رد عليه بالتبع، وذلك أن أصل ردّ ابن عيسى كان على كتاب « التنبيه بالتنزيه » لمحمد سعيد المدراسي، وهذا الأخير أدخل ضمن كتابه كتاب ابن جهبل الآنف الذكر، فكان ردّ ابن عيسى شاملاً للاثنين[٢] .

---

(١) طبع هذا الكتاب طبعة قديمة مع « الرد الوافر » ضمن تسع رسائل في العقائد. في مطبعة كردستان العلمية سنة ١٣٢٩هـ ويقع الكتاب في ٢٨٤ورقة من الحجم الكبير.

(٢) وكتابه « التنبيه بالتنزيه » كتاب كبير يقع في ٤٣٦صفحة، طبع طبعة حجرية عام ١٣٠٩هـ ومنه نسخة موجودة في مكتبة الحرم المكي رقم ٨٤٩.

وقد ألفه المدراسي في الرد على من أسماهم بـ « الحشوية » في إثبات الجهة لله، وما قالوا في صفات الله تعالى.

ولعله قصد الرد في هذا الكتاب على شيخ الإسلام، والإمام الشوكاني، وبعض أئمة الدعوة في نجد، كما أشار إلى ذلك أبو الجميل معين الدين محمد عبد الجليل النعماني في تذييله على هذا الكتاب « التنبية بالتنزيه » ص ٤٤٢.

وقسم كتابه إلى مقدمة وسبعة أبواب وخاتمة:

الباب الأول : تنزيه الله تعالى عن المكان والجهة ـ على حدّ قولـه ـ .

الباب الثاني : في الدلائل العقلية والنقلية للمجسمة في إثبات جهة الفوق لله تعالى مع ردهم على ما ذكره المتكلمون.

الباب الثالث : في بيان صفات الله تعالى وذكر السلف والخلف فيها.

الباب الرابع: في ذكر آيات الصفات وأحاديثها وشرح ما قاله المفسرون والمحدثون في معناها.

الباب الخامس : في معنى المحكم والمتشابه والتفسير والتأويل .

الباب السادس : في ذكر الآيات والأحاديث وأقوال السلف التي استدل بها الحشوية ـ على حدّ زعمه ـ في إثبات الجهة وحملها على ظاهر معناها اللغوي.

الباب السابع : في الآيات والأحاديث التي تعارض الآيات والأحاديث في جهة الفوق.

قال ابن عيسى في مقدمة كتابه : « ثم إنه لتمام شقاوته - يعني المدراسي - وشدة غباوته استمد مما كتبه الوقح الغبي « أحمد بن يحيى الحلبي » في مسألة الرسالة الحموية ..»[(١)] .

وقد عورض شيخ الإسلام في جوابه « الحموية » من قبل معاصريه، وربما كانت هذه الاعتراضات شفهية أو تحريرية، أو بهما جميعاً . ولعلها أثيرت عليه حال وجوده في « مصر »؛ وقد انبرى لها شيخ الإسلام وأجاب عن هذه الاعتراضات في كتاب كبير لم يصل لنا منه إلا اسمه، وهو كتاب « جواب الاعتراضات المصرية على الفتوى الحموية »[(٢)] .

---

(١) تنبيه النبيه والغبي ص ٢٣٥-٢٣٦.

(٢) أشار إلى هذا الكتاب شيخ الإسلام نفسه، وبعض تلاميذه؛ فقد أحال الشيخ على الكتاب كثيراً في مسائل متعددة، فكثيراً ما يقول : « قد بسطنا هذه المسألة في جواب الاعتراضات المصرية ..».

انظر : نقض التأسيس - مخطوط - (٣/ ٦ ، ٩٤ ، ٩٧ ، ١٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٩)، الفتاوى (٥/ ٣٤٠)، الاستقامة (١/ ١٣٩)، الفتاوى الكبرى (٥/ ٣٧، ١٤١)

وممن ذكره أيضاً تلميذه ابن القيم في كتابه « أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية » ص ١٩ باسم «جواب الاعتراضات المصرية على الفتيا الحموية » وذكر أنه أربع مجلدات، بينما ذكر أن كلاً من « درء تعارض العقل والنقل » و« منهاج السنة » يقع في أربع مجلدات ، مما يجعل الاحتمال قائماً أنه في الضخامة قريباً من هذين الكتابين.

وأشار إليه ابن رجب في « ذيل طبقات الحنابلة » (٤/ ٤٠٣) ضمن مصنفات شيخ الإسلام الكبار؛ والكتبي أيضاً في « فوات الوفيات » والصفدي في «الوافي بالوفيات» (٧/ ٢٤).

وانظر : هداية العارفين (٥/ ١٠٦)

وقد حرصت كل الحرص على أن أقف عليه، أو على بعضه، لكن لم أعثر له على عين ولا أثر.

ويحتمل أن يكون هذا الكتاب « جواب الاعتراضات .. » رداً على كتاب ابن جهبل الآنف الذكر، فقد ألمح إلى ذلك الشيخ بقوله : « ومن قضاتهم الفضلاء من كتب اعتراضاً على « الفتيا الحموية »، وضمنه أنواعاً من الكذب وأموراً لا تتعلق بكلام المعترض عليه، وقد كتبت جوابه في مجلدات»اهـ[١] .

وقال في موضع آخر : «.. وحصل بعد ذلك من الأهواء والظنون ما اقتضى أن اعترض قوم على هذه الفتيا بشبهات مقرونة بشهوات وأوصل إليّ بعض الناس مصنفاً لأفضل القضاة المعارضين، وفيه أنواع من الأسئلة والمعارضات، فكتبت جواب ذلك وبسطته في مجلدات..»[٢] .

وقد أشار الشيخ أن كتابه الضخم « نقض التأسيس » تتمة وتكملة لكتابه «جواب الاعتراضات ..» حيث ذكر أن المعارضين له ليسوا مستقلين بهذا الأمر استقلال شيوخ الفلاسفة والمتكلمين، وأن غالب كلامهم مستقى من كتب أئمة أهل الكلام، خاصّة من كلام أبي عبد الله الرازي فاقتضى الأمر تفنيد ما ذهب إليه لتتم الفائدة ويحصل المقصود.

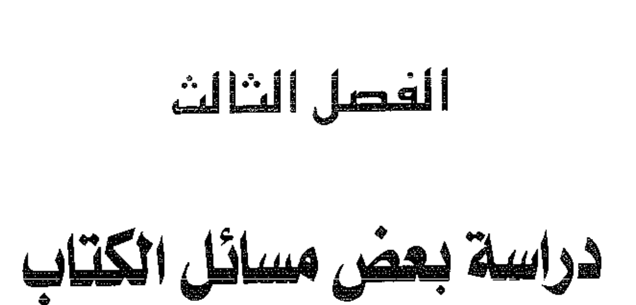
يقول ـ رحمه الله ـ في هذا الصدد : وإنما يعتمدون ـ يعني المعارضين له ـ على ما يجدونه في كتب المتجهمة المتكلمين، وأجلّ من يعتمدون كلامه هو أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي إمام هؤلاء المستأخرين، فاقتضى ذلك أن أتم الجواب عن الاعتراضات المصرية الواردة على الفتيا الحموية بالكلام على ما ذكره أبو عبد الله الرازي في كتابه الملقب «تأسيس التقديس»[٣] .

---

(١) الفتاوى الكبرى (٥/ ٢١).

(٢) نقض التأسيس ، مخطوط (٣/ ٤) .

(٣) المصدر السابق (٣/ ٤-٥).



الفصل الثالث

دراسة بعض مسائل الكتاب





الفصل الثالث

دراسة بعض مسائل الكتاب

لقد اشتمل الكتاب على مسائل عدة، خاصة فيما يتعلق ببعض المسائل التي وقع الخلاف فيها بين أهل السنة والأشاعرة، وذلك لأنهم المقصودون في هذه « الفتيا » ولهذا سأتناول في هذا الفصل دراسة أهم شبههم، مراعياً في هذا كله الإيجاز قدر الإمكان.

وأختتم هذا الفصل بإلقاء الضوء على مسألة « الجمع بين نصوص إثبات علو الله ونصوص المعية » والتي تعرض لها الشيخ في نهاية هذه الفتوى:

أ- علو الله على خلقه

١- تعريف العلو في اللغة:

مادة العين واللام، والحرف المعتل، ياءً كان، أو واواً، أو ألفاً تدل على السمو والارتفاع[1].

والعلو يطلق على عدة معان:

علو الذات، ومنه قول امرئ القيس:

مِكَـرٍّ مِفَـرٍّ مُقـبلٍ مُدْبـرٍ معـاً   كجُلمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ من عَلِ

ويقال: علا فلان الجبل: إذا رقيه.

ويطلق على: علو القهر، ويدل على العظمة والتجبر، ومنه قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ [القصص: ٨٣] تكبراً في الأرض.

ويطلق على: علو القدر.

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤/ ١١٢)

والعلو في العموم يطلق على الارتفاع، وهو ضد السفل[١].

٢- مذاهب الناس في العلو :

تحرير محل النزاع :

لا خلاف بين جميع الفرق في إثبات علو القدر وعلو القهر لله، وإنما النزاع في إثبات علو الذات[٢].

إذاً فالخلاف بين أهل السنة ومخالفيهم في وصفه تعالى «بعلو الذات» ، ولهذا افترقوا في هذا الجانب إلى طوائف وفرق، أهمها ومجملها أربعة أقوال :

القول الأول :

أن الله ليس فوق العالم، ولا فوق العرش، وليس هناك شيء فوق العالم أصلاً.

وهذا قول الجهمية، والمعتزلة، والفلاسفة النفاة، والقرامطة الباطنية، وهو مذهب طوائف من متأخري الأشاعرة.

بل إن أصحاب هذا القول قد ينفون عنه الوصفين المتقابلين جميعاً، فيقولون: ليس هو داخل العالم ولا خارجاً عنه، ولا حالاً فيه.

القول الثاني :

قول حلولية الجهمية، الذين يذهبون إلى أنه بذاته في كل مكان، كما يقول ذلك النجارية وغيرهم من الجهمية.

وذكر شيخ الإسلام أن المذهب الأول هو الغالب على نظارهم،

---

(١) لسان العرب (١٥/ ٨٣-٨٧)، المفردات للراغب ص ٣٤٥، تهذيب اللغة للأزهري (٣/ ١٨٣/ ١٨٧)، المعجم الوسيط ص ٦٢٥- بتصرف .

(٢) انظر : مختصر الصواعق (١/ ٢٧٥).

ومتكلميهم، وأهل البحث والقياس.

أما المذهب الثاني، فهو الغالب على عامتهم، وعبّادهم.

وأشار الشيخ أن منهم من يجمع القولين: ففي حال النظر والبحث يقول بسلب النقيضين، وفي حال التعبد والتأله يقول بأنه في كل مكان، ولا يخلو منه شيء.

القول الثالث:

قول من يقول: إن الله بذاته فوق العالم، وهو بذاته في كل مكان، وهذا مذهب طائفة من أهل الكلام والتصوف.

القول الرابع:

قول سلف الأمة، ومذهب أهل السنة والجماعة: أن الله فوق سماواته، مستو على عرشه، بائن من خلقه. كما دلَّ على ذلك الكتاب والسنة وإجماع الأمة، وأثبته العقل الصريح الموافق للنقل الصحيح؛ وكما فطر الله على ذلك خلقه، ومن إقرارهم به، وقصدهم إياه سبحانه في العلو[١].

٣- أدلة أهل السنة على ما ذهبوا إليه:

إثبات العلو لله ـ كما سبق ـ ثبت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، ودَلَّ عليه العقل الصريح، والفطر السليمة.

فقد تواترت أدلة الكتاب والسنة تواتراً لفظياً ومعنوياً على إثبات هذه الصفة لله، وبلغت ـ فيما ذكره شيخ الإسلام عن بعض أصحاب الشافعي ـ ألف دليل[٢].

---

(١) الفتاوى (٢/ ٢٩٧-٢٩٨) (٥/ ١٢٢-١٢٦، ٢٧٢، ٢٧٣)، ونقض التأسيس (٢/ ٥-٦) بتصرف، وانظر: التوحيد للماتريدي ص٦٧ وما بعدها.

(٢) انظر: الفتاوى (٥/ ١٢١)، الصواعق المرسلة (٤/ ١٢٧٩)

وقال ابن القيم : «ولو شئنا لأتينا على هذه المسألة بألف دليل..»[١] .

ولهذا يصعب حصرها وذكرها، وأشار شيخ الإسلام إلى جملة من ذلك في هذا الكتاب الذي بين أيدينا «الحموية » فلا حاجة لتكرارها هنا.

وقد قسم ابن القيم الأدلة النقلية الدالة على علو الله في عشرين نوعاً، ومنها التصريح بالاستواء، والفوقية بمن وبدونها، والعروج إليه، والصعود إليه، ورفع بعض المخلوقات إليه، والعلو المطلق، وتنزيل الكتاب منه، واختصاص بعض المخلوقات بأنها عنده، وأنه في السماء، ورفع الأيدي إليه، ونزوله كل ليلة إلى سماء الدنيا، والإشارة إليه حساً، ونحو ذلك[٢] .

لم يكتفِ أهل السنة بالأدلة النقلية على إثبات هذه الصفة فقط؛ بل قرروا ذلك بالبراهين العقلية، ودلالة الفطر السليمة :

أما دليل الفطرة :

فإن علو الله أمر مركوز في فطر بني آدم، لا يستطيع أحد أن ينفك عنه، وذلك أن الخلق جميعاً باختلاف طوائفهم وتعدد مذاهبهم ـ عدا من اجتالته الشياطين منهم ـ إذا نابهم شيء اتجهوا بقلوبهم وأيديهم إلى جهة العلو اضطراراً وليس اختياراً بحيث لا يستطيع أحد دفع ذلك.

يقول شيخ الإسلام في تقرير ذلك :

« ... وأن الخلق كلهم إذا حَزَبهم شدة أو حاجة في أمر ، وجهوا قلوبهم إلى الله يدعونه ويسألونه؛ وأن هذا أمر متفق عليه بين الأمم التي لم تغير فطرتها، لم يحصل بينهم بتواطؤ واتفاق، ولهذا يوجد هذا في فطرة الأعراب

(١) اجتماع الجيوش ص ٣٣١.

(٢) انظر : مختصر الصواعق (٢/ ٢٠٥ وما بعدها)، النونية مع شرحها لهراس (١/ ١٨٤ -٢٥١)، شرح الطحاوية (٢/ ٣٨٠-٣٨٦).

والعجائز والصبيان من المسلمين واليهود والنصارى والمشركين، ومن لم يقرأ كتاباً، ولم يتلق مثل هذا عن معلم ولا أستاذ..»[١].

وذكر ابن القيم الشيء الكثير من هذا الجنس في آخر كتابه «اجتماع الجيوش الإسلامية ..» وأشار إلى أن هذا مما فطر عليه الحيوان أيضاً، وضرب بعض الأمثلة لذلك[٢].

وكثيراً ما يذكر العلماء في هذا الموضوع قصة أبي المعالي الجويني مع أبي جعفر الهمذاني، ومجمل القصة: أن الهمذاني حضر مرة والأستاذ الجويني يذكر على المنبر « كان الله ولا عرش » ونفى الاستواء، فاعترضه أبو جعفر الهمذاني، وقال له : دعنا من هذا وأخبرنا عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا، ما قال عارف قط : « يا الله » إلا وجد من قلبه معنىً يطلب العلو، لا يلتفت يمنة ولا يسرة ، فكيف ندفع هذه الضرورة عن قلوبنا؟ .. فصرخ أبو المعالي ، ووضع يده على رأسه، وقال : « حيرني الهمذاني، حيرني الهمذاني » ونزل »[٣].

وقد علق شيخ الإسلام على هذه القصة فقال :

« فأخبر هذا الشيخ عن كل من عرف الله أنه يجد في قلبه حركة ضرورية إلى العلو إذا قال: يا الله ، وهذا يقتضي أنه في فطرتهم وخلقهم العلم بأن الله

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٦/ ١٢) وانظر : الفتاوى (٥/ ٢٥٩-٢٦٠).

(٢) انظر : اجتماع الجيوش ص ٣٢٨-٣٣١ .

(٣) انظر : الفتاوى (٣/ ٢٢٠) (٤/ ٤٤، ٦١)، الاستقامة ١/ ١٦٧)، نقض التأسيس (٢/ ٤٤٦)، السير (١٨/ ٤٧٤-٤٧٥) ، العلو للذهبي ص١٨٨، طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٢٦٢-٢٦٣) ، جلاء العينين ص ٣٥٧.
وأشار الألباني في « مختصر العلو » ص٢٧٧ أن سند هذه القصة مسلسل بالحفاظ .

فوق، وقصده والتوجه إليه إلى فوق » اهـ[١].

ومن طريف ما يُذكر هنا : ما جرى بين شيخ الإسلام وبين المشايخ النافين للعلو، يقول شيخ الإسلام مخبراً عن ذلك : « ولقد كان عندي من هؤلاء النافين لهذا ـ يعني صفة العلو ـ مَنْ هو من مشايخهم وهو يطلب مني حاجة، وأنا أخاطبه في هذا الباب كأني غير منكر له، وأخرت قضاء حاجته، حتى ضاق صدره، فرفع طرفه ورأسه إلى السماء، وقال : يا الله . فقلت : أنت محق ، لمن ترفع طرفك ورأسك؟! وهل فوق عندك أحد؟ فقال : أستغفر الله ، ورجع عن ذلك لما تبين له أن اعتقاده يخالف فطرته، ثم بينت له فساد هذا القول فتاب من ذلك، ورجع إلى قول المسلمين المستقر في فطرهم »اهـ[٢].

هذا مجمل الدليل الفطري الذي احتج به أهل السنة ضمن الأدلة الأخرى على علو الله على خلقه، في النقاط التالية :

الأولى : أن العبد الباقي على فطرته يجد في قلبه أمراً ضرورياً إذا دعا الله دعاء المضطر أنه يقصد بقلبه الله الذي هو عالٍ وهو وفوق.

الثانية : أنه يجد حركة عينيه ويديه بالإشارة فوق تتبع إشارة قلبه إلى فوق، وهو يجد ذلك ضرورة .

الثالثة : أن الأمم المختلفة متفقة على ذلك من غير مواطأة.

الرابعة : أنهم يقولون بألسنتهم : إنَّا نرفع أيدينا إلى الله، ويخبرون عن أنفسهم أنه يجدون في قلوبهم اضطراراً إلى قصد العلو[٣].

---

(١) نقض التأسيس (٢/ ٤٤٦).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٦/ ٣٤٣-٣٤٤)

(٣) نقض التأسيس (٢/ ٤٤٧)، انظر : التمهيد لابن عبد البر (٧/ ١٣٤)، الرد على الجهمية للدارمي ص٣٧.

وأما الدليل العقلي :

فإن صفة العلو ليست من الصفات الخبرية التي ثبتت بطريق الوحي فقط، بل قامت عليها الأدلة والبراهين العقلية إضافة إلى دلالة السمع[١].

ودلالة العقل عليها بما يأتي :

١- كان الله ولا شيء معه، ثم خلق الخلق، فلما خلقهم : فلا يخلو أن يكون خلقهم في نفسه ، أو خلقهم خارج نفسه.

والأول باطل قطعاً بالاتفاق ؛ لأن الله منزه عن النقائص، وأن يكون محلاً للقاذورات ـ تعالى الله عن ذلك ـ فلزم من ذلك أن يكون الله بائناً من خلقه وهم بائنون منه.

٢- ويقال : إما أن يكون مداخلاً للعالم، وإما مبايناً له ، وقد وجب أن يكون مبايناً له. فإذا لزمت المباينة، وجب أن يكون فوقه. يوضحه :

٣- أن جهة فوق هي أشرف الجهات، وهي صفة كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه فوجب اختصاصه بذلك، وهذا من لوازم ذاته، فلا يكون مع وجود غيره إلا عالياً عليه[٢] .

٤- وأيضاً فإنه يعلم ببداهة العقول امتناع وجود موجودين لا يكون أحدهما سارياً في الآخر ولا مبايناً له بالجهة[٣].

---

(١) انظر : درء تعارض العقل والنقل (٦/ ٢٠٨-٢٠٩) (٧/ ١٣١-١٣٢)، الفتاوى (١٦/ ٤٠٧) .

(٢) انظر : الرد على الجهمية للإمام أحمد ص ١٣٩، درء تعارض العقل والنقل (٦/ ١٤٣-١٤٦) (٧/ ٣-١٠)، الفتاوى (٥/ ١٥٢)، والنصيحة في صفات الرب لأبي محمد الجويني ص ٨-١٢، شرح الطحاوية (٣/ ٣٨٩-٣٩٠)، جلاء العينين ص ٣٣٧.

(٣) درء تعارض العقل والنقل (٦/ ١٢).

٤- مذهب جمهور الأشاعرة وأبرز شُبههم:

كما سبق فإن جمهور الأشاعرة ومتأخريهم ممن ينكر صفة العلو لله، ومتمسكون في ذلك ببعض الشبه حيث جعلوها قواطع عقلية، وبراهين يقينية عارضوا بها الأدلة السمعية.

ومن أهم هذه الشبه ما يلي :

أن إثبات العلو الذاتي لله يلزم أن يكون في حيز، ولو كان محايزاً للعالم لكان أكبر منه، أو أصغر أو مساوياً له، وهذا يوجب أن يكون له مقدار، وكل مُقدَّر فالعقل يفرض أصغر منه أو أكبر.

وقالوا أيضاً : إثبات العلو يلزم منه أن يكون الله في جهة، ولو كان في جهة لافتقر إلى محل، وللزم أن يكون المحل قديماً؛ لأنه تعالى قديم، أو يكون سبحانه حادثاً؛ لأن المحل حادث، وكلاهما ممتنع.

وقالوا : لو كان مختصاً بالجهة والحيز للزم أن يكون غير متناهٍ من جميع الجوانب، وهذا كله باطل.

وقالوا : لو كان متناهياً من جميع الجوانب، فحينئذ نفرض فوقه أحيازاً ، وجهات فارغة، فلا يكون فوق جميع الأشياء.

هذه من أهم الشبه التي تمسكوا بها وأبرزها ، ولهم في هذا شبه كثيرة لا حاجة لذكرها[١].

---

(١) انظر الشبهة التي أوردها في :الإرشاد للجويني ص ٣٩-٤٠ ، لمع الأدلة ص٨٠١ ، الشامل في أصول الدين ص٥١٠- ٥٢٤، الاقتصاد للغزالي ص ٤٤-٤٦ ، قواعد العقائد ص ١٦٢-١٦٤، الغنية في أصول الدين لأبي سعيد النيسابوري ص٧٤، المواقف للإيجي ٢٧١، أساس التقديس ص٥٦- ٧٦، الأربعين للرازي ١٠٦- ١١٣، معالم أصول الدين ص٤٢-٤٣، المسائل الخمسون في أصول الدين ص ٣٦-٤٠،=

وقد أجابوا عن الأدلة التي استدل بها أهل السنة بما يلي :

أما الأدلة النقلية:

فقد سلطوا عليها طاغوتهم الأكبر، وهو ما يسمى بـ (التأويل)، وهذا ليس بدعاً من أمرهم ، بل هو ديدنهم مع نصوص الشرع إذا عارضت شبههم، بحجة أنها معارضة للأدلة العقلية، وإذا تعارض العقل والنقل - بزعمهم - قدَّموا العقل.

يقول الرازي في معرض كلامه على ذلك : « فإن قال قائل : قوله تعالى : ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل : ٥٠]، وأيضاً: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه : ٥] يدل هذا على جهة الفوق .

فالجواب : أن الدلائل العقلية والنقلية إذا تعارضت، فلا يجوز أن يصدقا معاً..ثم ناقش تعارض العقل والنقل، ورجح أن الواجب تقديم الدليل العقلي، ثم قال : فلم يبق إلا القسم الرابع وهو تصديق الدلائل العقلية، والاعتقاد في الظواهر: بأن مراد الله تعالى من ظاهر الآيات ما يوافق الأدلة العقلية .. ثم ذكر مسلكين تجاه هذه النصوص :

الأول : أن مراد الله من هذه النصوص ليس إثبات الجهة والمراد على سبيل التفصيل غير معلوم.

والثاني : تأويل هذه النصوص على سبيل التفصيل، وذكر أن القول الأول هو قول أئمة السلف، والقول الثاني قول علمائهم في الأصول[1].

= محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين ص ١٥٧- ١٥٨، غاية المرام للآمدي ص ١٨٠-١٨١.

(١) المسائل الخمسون في أصول الدين للرازي ص ٤٩-٤٠، وانظر : الأربعين للمؤلف نفسه ص١١٥، محصل أفكار المتقدمين ص١٥٨، معالم أصول الدين ص٤٣، =

أما الأدلة العقلية فأجابوا عنها بما يلي :

فقول أهل السنة : « كل موجودين إما أن يكون أحدهم سارياً في الآخر أو مبايناً عنه.. إلخ أجابوا عن هذا : بأن العقل يقتضي انقسام الموجودات إلى ثلاثة أقسام : القسمين المذكورين، وقسم ثالث : وهو أن لا يكون سارياً فيه ولا مبايناً عنه بالحيز[1] .

وأجابوا عن كون أشرف الجهات هي جهة العلو :

أن العالم لما كان كرة، كان كل جهة يشار إليها فهي وإن كانت فوق بالنسبة للبعض، ولكنها تحت بالنسبة للباقين.

وقالوا أيضاً : إنه إما أن يقال : لا نهاية لامتداد ذات الله من جهة العلو، أو يكون لامتداد ذاته نهاية.

فإن كان الأول : لم يفرض في ذاته نقطة أخرى، فلا شيء يفرض فيه إلا وهو سفل لا علو مطلق.

وإن كان الثاني : افترض فوق طرفه العلوي خلاء، فكان ذلك الخلاء أعلى منه، ولم يكن علواً مطلقاً[2].

وأما الدليل الفطري فأجابوا عنه بما يلي:

قالوا : إن اتجاه القلوب والأيدي نحو العلو أثناء الدعاء؛ لأن السماء قبلة الدعاء، كما أن الكعبة قبلة الصلاة .

قالوا : وهو منقوض أيضاً بوضع الجبهة على الأرض حال السجود، مع

= المواقف للإيجي ص٢٧٢-٢٧٣.

(١) انظر : انظر أساس التقديس ص٧٦-٩٣، الأربعين للرازي ص١١٤، الشامل للجويني ص٥٢٤-٥٢٥، الاقتصاد للغزالي ص ٤٩-٥١.

(٢) الأربعين ص١١٤-١١٥.

أنه تعالى ليس في جهة الأرض.

وقد أجاب الغزالي والرازي إضافة إلى هذين الجوابين أجوبة أخرى لا حاجة لذكرها[١].

*** جواب الشبه التي أوردها الأشاعرة على نفي علو الله، والرد عليهم :**

أجاب أهل الحق على الشُّبَه التي تشبث بها نفاة العلو من الأشاعرة بأجوبة كثيرة أجمل شيئاً منها فيما يلي :

لفظ الجهة والحيز :

يقال لهم : إن لفظ الجهة والحيز الذي أوردتموه على أهل السنة وتمسكتم به من الألفاظ المجملة التي لم يرد بها دليل شرعي، لا من كتاب ولا من سنة، لا بنفي ولا إثبات، فإطلاق مثل هذه الألفاظ يحتمل حقاً وباطلاً ، فلا بد من معرفة معنى هذه الألفاظ، حتى يُعلم هل يجوز أن تطلق في حق الله أو لا؟ وهل يترتب على إطلاقها معانٍ فاسدة أو لا؟

فما معنى الحيز والجهة في اللغة ؟

يقال : انحاز القوم : إذا تركوا مركزهم، ومعركة قتالهم، ومالوا إلى موضع آخر، وتحوّز، وتحيَّز : إذا تنحى، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ ﴾ [الأنفال : ١٦].

ويطلق الحوز على الجمع، وضم الشيء، وكل من ضم شيئاً إلى نفسه من مال أو غير ذلك فقد حازه حوزاً[٢].

---

(١) انظر : أساس التقديس ص٦٥-٩٦، الأربعين للرازي ص١١٥ ، الاقتصاد للغزالي ص ٤٦-٤٩، قواعد العقائد للمؤلف نفسه ص١٦٥، لباب العقول ص١٧٩-١٨٠.

(٢) غريب الحديث لأبي عبيد (٣/ ١٠٧)، لسان العرب (٥/ ٣٤٠-٣٤١)، تاج العروس (١٥/ ١٢٠-١٢٩).

أما الحيز عند المتكلمين : فهو عبارة عن المكان أو تقدير المكان[١].

أو ما يحيط به غيره، فيسمى كل ما أحاط به غيره أنه متحيز.

وذكر شيخ الإسلام أن المتكلمين يريدون بالمتحيز ما هو أعم من هذا، والحيز عندهم أعم من المكان، فكل ما أشير إليه وامتاز منه شيء فهو متحيز عندهم[٢].

أما الجهة والوجهة فهي تطلق في اللغة : على الموضع الذي تتوجه إليه وتقصده[٣].

أما عند المتكلمين : فجهة كل شيء : ما له من الغاية المحدودة له[٤].

فمن نفى أن يكون الله في جهة أو متحيزاً، وأراد بذلك : أن الله ليس مبايناً للعالم، وليس فوقه، ولا يجوز الإشارة إليه حساً، فهذا باطل وغير صحيح.

وإن أراد بقوله « ليس متحيزاً ولا في جهة » : أن المخلوقات لا تحيط به ولا تحصره، فالمعنى حق، والتعبير بهذه الألفاظ بدعة : لعدم ورود النص بها، ولأنها توهم المعنى الأول.

وأيضاً من أثبت الحيز والجهة لله، فإن أراد الأول فهذا المعنى حق دون اللفظ.

وإن أراد المعنى الثاني : فهذا باطل لفظاً ومعنى[٥].

---

(١) المبين للآمدي ص ٩٦.

(٢) الفتاوى (١٧/ ٣٤٤-٣٤٥)- بتصرف.

(٣) لسان العرب (١٣/ ٥٥٦)

(٤) المبين للآمدي ص ٩٨.

(٥) وقد أطال شيخ الإسلام النَّفس في هذه المسألة بالبحث والمناقشة: انظر : نقض التأسيس (٢/ ٢٦٢-١١٤ وما بعدها ، ٢٠٢وما بعدها)، الفتاوى (١٧/ ٤٤٣ وما =

فإن قالوا : إثبات العلو على العرش مع نفي التحيز معلوم فساده بالضرورة.

أجيبوا : بأن إثبات موجود لا داخل العالم ولا خارجه أعظم فساداً، وأبعد عن المعقول من الأول ، فلو عرض على العقلاء القول بأن هناك موجوداً لا هو داخل العالم ولا خارجه، والقول بأن هناك موجوداً خارج العالم وليس بجسم ولا متحيز ـ على المعنى الذي يريد المتكلمون ـ كان هذا أقرب إلى المعقول من القول الأول[١] .

وأيضاً فإن القول بوجود موجود لا هو داخل العالم ولا خارجه، هذا تقدير ذهني ليس له وجود في الخارج، ولا يدل على إمكان وجوده في الخارج، لأن الذهن يفرض المستحيل، وقد يفرض أشياء كلية ليس لها حدود إلا في الذهن كما يفرض إنساناً مطلقاً[٢].

ويقال أيضاً : قولكم : « لا داخل العالم ولا خارجه » يتضمن أنه معدوم لا حقيقة له ولا وجود، وهذا مما أنكره أئمة السلف على الجهمية، وقالوا : إن هذا يفضي إلى القول بالعدم[٣].

أما قولهم : « لو كان في جهة لكان لهذا الحيز... إلخ » .

فالجواب عن هذا : أنه لا يُسلَّم أن كل ما يسمى حيزاً جهة فهو أمر وجودي، بل منها ما يكون وجودياً: وهي الأمكنة الوجودية مثل : داخل

= بعدها) (٥/ ٢٦٢-٢٦٦، ٢٧٧، ٢٩٨ وما بعدها) ، التسعينية لشيخ الإسلام (١/ ٧١/ ٧٨) – رسالة دكتوراه، تحقيق د. محمد العجلان.

(١) انظر : الفتاوى (٥/ ٢٨٥-٢٨٦).

(٢) انظر المصدر السابق (٥/ ٢٩٢ وما بعدها) ، درء تعارض العقل والنقل (٦/ ٢٨٣-٢٨٦)

(٣) انظر : نقض التأسيس (٢/ ١٠٣-١٠٤)

العالم، فالشمس، والقمر، والأفلاك والأرض... كل هذه الأشياء في أحياز وجودية. أما ما وراء العالم فهو ليس في حيز أو جهة وجودية[١].

أما قولهم : «لو كان في جهة لكان غير متناهٍ من جميع الجوانب ...إلخ».

أجاب شيخ الإسلام عن هذا الاعتراض بعدة وجوه، وذكر أن من ينازعهم في هذا يُحتَج عليهم بأن هذه الافتراضات والإلزامات التي ذكروها تصح لو فرض أن ما فوق العرش لا يكون إلا جسماً على المعنى الباطل الذي توهموه، أما إذا قيل إنه ليس بجسم على هذا المعنى. كان القول : بأنه يلزم أن يكون متناهياً ....، افتراضاً باطلاً، لأن هذه اللوازم إنما تلزم إذا كان الذي على العرش جسماً.

وقولهم : « إنه لو كان متناهياً من جميع الجوانب... لافترض فوقه أحيازاً.. إلخ» .

فيقال : هذا كله بناء على أن الأحياز والجهات لابد أن تكون أمراً وجودياً، وأنه يمكن أن تكون فوقه، والحيز لا يجب أن يكون أمراً وجودياً، وفي الحديث : « **وأنت الظاهر فليس فوقك شيء** »[٢] وهذا نص على أن الله ليس فوقه شيء، وكل موجود يسمى شيئاً؛ والعدم ليس بشيء[٣].

---

(١) نقض التأسيس (٢/ ١١٥) - بتصرف - ، وقد أبطل شيخ الإسلام هذه الشبهة من سبعة وثلاثين وجهاً، انظر : المصدر السابق (٢/ ١٠٦-١٥٣)، درء تعارض العقل والنقل (٦/ ٣١٩ وما بعدها).

(٢) الحديث رواه مسلم (٤/ ٢٠٨٤) رقم ٢٧١٣، كتاب الذكر والدعاء باب ما يقول عند النوم.

(٣) وقد أسهب شيخ الإسلام في الرد على شبهتهم هذه، وألزمهم بعدة إلزامات . انظر : نقض التأسيس (٢/ ١٥٣-١٩٩)، درء تعارض العقل والنقل (٦/ ٢٩٩-٣٠٩) (٧/ ١٠-١٤).

ومعظم الشبه التي يوردها هؤلاء مستقاة من فهمهم الخاطئ: أنه يلزم من إثبات العلو لله أن يكون متحيزاً أو في جهة، مع فهمهم المغلوط لمعنى التحيز والجهة، وسبقت الإشارة إلى هذا.

* الإجابة عن بعض الاعتراضات التي عارضوا بها أهل السنة:

اعتراضهم على الأدلة النقلية:

سبق الحديث على اعتراضهم على الأدلة النقلية الدالة على علو الله، وأنها - بزعمهم - مُعَارضة بالبراهين العقلية. والعقل عندهم مقدم على النقل.

وقد أجاب شيخ الإسلام عن هذا القانون الذي اتخذوه منهجاً لهم، وابتدعوه من عند أنفسهم، فشفى وكفى، وألَّف في نقضه سفراً كبيراً نادراً في فنه، وهو كتابه الموسوم بـ (درء تعارض العقل والنقل)، واختصره تلميذه الإمام ابن القيم في كتابه (الصواعق المرسلة) في نحو مائتين وإحدى وأربعين وجهاً[١].

فيقال: إذا تعارض دليلان سمعيان أو عقليان أو سمعي وعقلي، فإما أن يكونا قطعيين وإما أن يكونا ظنيين، وإما أن يكون أحدهما قطعياً والآخر ظنياً.

فأما القطعيان فلا يمكن تعارضهما في هذه الأقسام الثلاثة؛ لأن الدليل القطعي هو الذي يستلزم مدلوله قطعياً، فلو تعارضا لزم الجمع بين النقيضين، وهذا لا يشك فيه أحد من العقلاء.

وإذا كان أحدهما قطعياً والآخر ظنياً تعين تقديم القطعي سواء أكان عقلياً أم سمعياً.

---

(١) انظر: الصواعق المرسلة (٣/ ٧٩٦ إلى نهاية الجزء المطبوع ٤/ ١٥٧٥).

وإن كانا جميعاً ظنيين ... وجب تقديم الراجح منهما سمعياً كان أو عقلياً[١] .

ويمكن القول إجمالاً إنه لا يمكن أن يتعارض « صحيح المنقول مع صريح المعقول » فإن وجد تعارض فلعدم صحة النقل، أو لعدم صراحة العقل؛ وكثيراً ما يعارض هؤلاء نصوص الوحيين بشبه وخيالات ظنية يزعمون أنها قواطع عقلية، وبراهين يقينية.

يقول شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ : « ففي الجملة النصوص الثابتة في الكتاب والسنة لا يعارضها معقول بَيِّن قط، ولا يعارضها إلا ما فيه اشتباه واضطراب، وما عُلم أنه حق لا يعارضه ما فيه اضطراب واشتباه لم يُعلم أنه حق ، بل نقول قولاً عاماً كلياً إن النصوص الثابتة عن الرسول ﷺ لم يعارضها قط صريح معقول، فضلاً أن يكون مقدماً عليها، وإنما الذي يعارضها شبه وخيالات مبناه على معانٍ متشابهة وألفاظٍ مجملة ..»[٢] .

ويقول أيضاً : « وهؤلاء الذين تكلمنا على قانونهم، والذي قدموا فيه عقلياتهم على كلام الله ورسوله، عاداتهم يذكرون ذلك في مسائل العلو لله ونحوها، فإن النصوص التي جاءت في الكتاب والسنة بإثبات علو الله على خلقه كثيرة منتشرة، قد بهرتهم بكثرتها وقوتها، وليس معهم في ذلك لا آية من كتاب الله، ولا حديث عن رسول الله ﷺ ، ولا قول أحد من سلف الأمة .. ولهذا لم يكن معهم على نفي ذلك أصل يعتصمون به من جهة الرسول ﷺ ، وإنما يتمسكون بما يظنونه من العقليات، فيحتاجون إلى بيان تقديم ذلك على الأدلة الشرعية، وإذا كان كذلك فنحن نبين أن الأدلة

---

(١) الصواعق المرسلة (٣/ ٧٩٧).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (١/ ١٥٥ - ١٥٦).

العقلية موافقة للأدلة النقلية لا معارضة لها .. »[١].

وقال أيضاً في موضع آخر : « وحينئذ فلا يجوز أن يتعارض العقل الصريح والسمع الصحيح، وإنما يظن تعارضهما من غلط في مدلولهما أو مدلول أحدهما .. وإلا فالسمع الصحيح هو القول الصادق من المعصوم الذي لا يجوز أن يكون في خبره كذب لا عمداً ولا خطأ، والمعقول الصحيح هو ما كان ثابتاً أو منتفياً في نفس الأمر، ولا يجوز أن يخبر عنه الصادق بنقيض ذلك..»[٢] .

وقد أطال النَّفَس معهم شيخ الإسلام في هلهلة هذا القانون بالحجج النقلية والبراهين العقلية، وذكر اللوازم الفاسدة المترتبة عليه.

وأبطل قولهم بالخصوص في أن أدلة علو الله معارضة بالأدلة العقلية ، وذلك من عدة وجوه؛ منها :

* إن القول بأن الله فوق العالم معلوم بالاضطرار من الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، كالعلم بالأكل والشرب في الجنة، والعلم بإرسال الرسل وإنزال الكتب، والعلم بأن الله على كل شيء قدير، وبكل شيء عليم، والعلم بأنه خلق السماوات والأرض وما بينهما.

* ومنها أن نصوص العلو صريحة لا تحتمل التأويل، بل التأويلات المذكورة في ذلك من جنس تأويلات القرامطة الباطنية، وهي باطلة معلومة الفساد بالضرورة.

* ومنها عدم التسليم بأنه عارض ذلك دليل عقلي أصلاً، بل العقليات التي عارضتها هذه السمعيات أوهامٌ وخيالات[٣].

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٦/ ٥-٨).

(٢) المصدر السابق (٧/ ٣٩-٤٠).

(٣) المصدر السابق (٧/ ٢٦-٣٧) ، بتصرف.

وأما اعتراضهم على قول أهل السنة : « إن أشرف الجهات هي جهة العلو؛ لأن العالم كرة ...إلخ » فالجواب عنه بأن القائلين : «إن العالم كرة يرون أن المحيط هو الأعلى، وأن المركز الذي هو جوف الأرض هو الأسفل، وأن السماء عالية على الأرض من جميع الجهات، والأرض تحتها من جميع الجهات.

وأيضاً : فالجهات قسمان :

جهات ثابتة حقيقية لا تتبدل؛ وجهات نسبية تتبدل وتتحول.

فالحقيقية هي: جهة العلو والسفل، فالسماء أبداً في الجهة التي علوها ثابت لازم لا يتبدل؛ والأرض أبداً في الجهة السافلة التي سفولها ثابت لازم لا يتبدل.

وأما الإضافية : فهي بالنسبة إلى الحيوان : فما حاذى رأسه كان فوقه، وما حاذى رجليه كان تحته، وما حاذى جهته كان عن يمينه .. وهكذا فالإنسان تتبدل جهاته بتبدل حركاته، مع أن الجهات نفسها لم تختلف أصلاً.

وبهذا يُعلم أن الله سبحانه لا يكون في الحقيقة قط إلا عالياً ، ولا يلزم كون الخالق فوق السماوات أن يكون تحت شيء من المخلوقات[(١)].

وقد أبطل شيخ الإسلام هذا الاعتراض بوجوه عدة، وإلزامات كثيرة[(٢)].

وأما اعتراضهم على الدليل الفطري « بأن السماء قبلة الدعاء .. وأن هذا منقوض بوضع الجبهة في السجود على الأرض ... إلخ » فالجواب عن هذا من وجوه :

---

(١) نقض التأسيس (٢/ ٢١٦-٢١٩)، درء تعارض العقل والنقل (٦/ ٣٢٧-٣٢٩) - بتصرف.

(٢) انظر: نقض التأسيس (٢/ ٢١١-٢٣٠)، درء تعارض العقل والنقل (٦/ ٣٢٦-٣٤٠)، الفتاوى (٦/ ٥٤٥-٥٨٣)، الرسالة العرشية لشيخ الإسلام ص٢٣-٢٦.

* منها : إجماع المسلمين أن قبلة الدعاء هي قبلة الصلاة.

* ومنها : أن توجه الخلائق بقلوبهم وأيديهم وأبصارهم إلى السماء حال الدعاء أمر فطري ضروري لا يختص به أهل الملل والشرائع.

* ومنها : كون السماء قبلة الدعاء يفتقر إلى دليل شرعي، وليس هناك دليل لا من الكتاب ولا من السنة، ولم يؤثر عن سلف الأمة، بل ولم يؤثر عن المتقدمين من الأنبياء : أن السماء قبلة الدعاء.

* ومنها: أن القبلة تقبل النسخ، كما نسخت من بيت المقدس إلى المسجد الحرام، أما التوجه إلى السماء حال الدعاء، فهو أمر مركوز في الفطر، لا يتوجهون إلى غير جهة العلو، يفعله المسلم والكافر، العالم والجاهل.

* ومنها: أن القبلة ما يستقبله الإنسان بوجهه، فلو كانت السماء قبلة الدعاء لكان المشروع أن يوجه الداعي وجهه إليها.

* ومنها: أن القبلة لا يجد الناس في أنفسهم معنى يطلب تعيينها، ولا فرق بين قبلة وقبلة، بخلاف التوجه في الدعاء نحو السماء؛ فالناس يجدون في أنفسهم طلباً ضرورياً لما فوق.

إلى غير ذلك من الوجوه، وواحد منها كافٍ في إبطال هذه الدعوى[1].

وأما قولهم : « هذا منقوض بوضع الجبهة ... إلخ » .

فالإجابة عن هذا :

أن وضع الجبهة على الأرض تواضع وخضوع للمسجود له، ليس طلباً ولا قصداً لمن هو في السفل؛ فالداعي يجد في قلبه معنىً يطلب العلو، بخلاف الساجد فإنه لا يجد في قلبه معنى يطلب السفل، بل إنه حال سجوده يقصد

---

(١) نقض التأسيس (٢/ ٤٥٢-٤٦٣)- بتصرف.

في دعائه العلو .

وأيضاً فإن قصد القلوب للمدعو في العلو أمر فطري عقلي، اتفقت عليه الأمم، أما السجود فأمر شرعي يفعل طاعة للآمر[1] .

هـذا غـيض مـن فـيض، وقطـرة من بحر، وقليل من كثير مما قيل في هذه المسـألة – علـو الله عـلى خلقـه – التي وقع فيها خلاف كبير بين أهل السنة ومخالفـيهم، بل من المسائل المهمة التي زلّت فيها أقدام، وتهاوت فيها أعلام، ولم يسلم إلا من سلّمه الله .

ولـو اسـتطردت في ذكـر الأدلـة والـبراهين وأقوال الأئمة وعرض الشبه والإجابة عنها، لطال المقام ، واتسع المقال، ولعل المراد الإشارة والتنبيه، ومَنْ يـتحرَّ الخـيرَ يُعطَـه، ومَـنْ يَـتوقَّ الشـر يُوقَـه، وقـد أفـردها العلماء بالبحث والمناقشة، وصنفوا فيه استقلالاً[2] .

* * *

(١) درء تعارض العقل والنقل (٧/ ٢١-٣٥)- بتصرف.

(٢) ومن مظانِّ ذلك :

« نقض التأسيس » لشيخ الإسلام جزء من المجلد الأول، وغالب المجلد الثاني، وأيضاً « درء تعارض العقل والنقل » المجلد السادس، وجزء من السابع، و « الفتاوى » المجلد الخامس.

انظـر : العلـو للذهـبي، والعلـو لابـن قدامة، واجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم، ونحو ذلك.

ب- استواء الله على عرشه

من المسائل التي ناقشها المؤلف في صفحات هذا الكتاب « استواء على عرشه » وإن كانت هذه المسألة لها ارتباط وثيق بمسألة « العلو »، بل إن الاستواء دليل من أدلة علو الله على خلقه، وهناك تشابه بين المسألتين إلى حد كبير، ولكن خالفت مسألة العلو من ناحية الثبوت؛ فإن الاستواء من المسائل التي ثبتت من طريق السمع فقط[1]، وأيضاً فإن الاستواء من الصفات الفعلية بخلاف صفة العلو، ولهذا أُفردت عند العلماء بالبحث.

١- معنى الاستواء في لغة العرب.

أصل الاستواء في اللغة: هو الارتفاع والعلو على الشيء. ومنه قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ ﴾ [المؤمنون : ٢٨] ويقول الشاعر

فأوردتهم ماءً بفيفاء قفرة ... وقد حلق النجم اليماني فاستوى

وذكر ابن القيم أن الاستواء في لغة العرب نوعان : مطلق ومقيد :

فالمطلق: ما لم يوصل معناه بحرف؛ مثل : ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ [القصص : ١٤] وهذا معناه : كمل وتم.

وأما المقيد : فثلاثة أضرب :

أ- مقيد بـ « إلى » كقوله : ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة : ٢٩]، واستوى فلان إلى السطح، وإلى الغرفة؛ وهذا بمعنى : العلو والارتفاع بإجماع السلف.

ب- مقيد بـ «على» كقوله: ﴿لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ [الزخرف : ١٣]، وقوله: ﴿ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ﴾ [هود : ٤٤] وهذا معناه أيضاً : العلو والارتفاع والاعتدال بإجماع أهل اللغة.

---

(١) انظر : الفتاوى (٥/ ١٢٢، ١٥٢، ٥٢٣) .

ج- المقرون بواو التي بمعنى مع، التي تعدي الفعل إلى المفعول معه، نحو : استوى الماء والخشبة، بمعنى : ساواها[١].

هذه معاني الاستواء في لغة العرب التي نزل بها القرآن، وبها خوطبنا.

٢ـ مذاهب الناس في الاستواء:

وقع النزاع والخلاف في معنى الاستواء الوارد في نصوص الوحيين المضاف إلى الله، ويمكن إجمال ذلك في ثلاثة مذاهب، مثله مثل بقية الصفات:

الأول : مذهب المشبهة والمجسمة . وهؤلاء يصفون الله باستواء كاستواء المخلوق، ويزعمون أن العرش قد حواه، وأن الخالق قد ملأه، وأنه مُمَاسٌ له.

وإلى هذا القول ذهب هشام بن الحكم وبعض وأصحابه.

الثاني : مذهب المعطلة النفاة من الجهمية ومن حذا حذوهم، ويذهب هؤلاء إلى أنه ليس هناك استواء حقيقي أصلاً، ولا يُوصف الله بذلك، وينفون أن يكون الله في السماوات مستوياً على العرش.

الثالث : قول أهل السنة، وسلف هذه الأمة : أن الله مستوٍ على عرشه حقيقةً، استواءً يليق بجلاله وعظيم سلطانه، بائن من خلقه، لا يشبه استواء المخلوق على المخلوق، بل هو سبحانه مستغنٍ عن العرش وحَمَلته، وهو حامل لهما بقدرته وقوته.

يثبتون هذه الصفة له، على حدّ قول الإمام مالك : « الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة »اهـ[٢] .

---

(١) مختصر الصواعق (٢/ ١٢٦-١٢٧) بتصرف . وانظر : تاج العروس (١٠/ ١٨٨-١٨٩) ط. دار مكتبة الحياة، تهذيب اللغة للأزهري (١٣/ ١٢٤-١٢٥)، لسان العرب (١٤/ ٤١٤)، تفسير الطبري (١/ ١٩١-١٩٢)، تفسير القرطبي (١/ ٢٥٥)، التمهيد لابن عبدالبر (٧/ ١٣١-١٣٢)، الصواعق المرسلة (١/ ٢١٩٥-٢١٩٦)، الحجة في بيان المحجة (٢/ ٢٥٧-٢٥٨) .

(٢) انظر في مذاهب الناس في الاستواء : مقالات الإسلاميين ص ٢١٠-٢١٢ الفتاوى (٣٣/ ١٧٧-١٧٨).

هـذا مجمل مذاهـب الناس حيال هذه الصفة، وهناك أقوال تفصيلية في معنى الاستواء المنسوب إلى الله، ذكرها بعض العلماء، أشير إليها هنا إشارة مختصرة:

١- أن الله فعـل في العـرش فعـلاً سمـى نفسه بذلك مستوياً، وأن الاستواء صفة فعل.

٢- أن الاسـتواء بمعـنى العلـو بالعظمة والعزة، وأن صفاته أرفع من صفات العرش على جلالة قدره.

٣- أنَّ الاستواء بمعنى القهر، أي: قهر عرشه على عظمته.

٤- أنَّ الله مستوٍ على العرش، بمعنى: استقرار الكائن على الكائن.

٥- أنَّ العرش بمعنى الملك، وعلى هذا يكون المعنى: استوى على الملك.

٦- أنَّ اسـتوى بمعـنى: استوى عنده الخلائق القريب والبعيد، فصاروا عنده سواء.

٧- أن الاستواء بمعنى العلو بالغنى عن العرش.

٨- أن المراد بالاستواء: الانفراد بالتدبير، لا يشاركه في ذلك أحد.

٩- أن استوى بمعنى: استولى.

١٠- أن الكـلام تمَّ عند قوله: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ﴾، ثم ابتدأ جملة جديدة بقوله ﴿ٱسۡتَوَىٰ ۝ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ..﴾

١١- الوقـف على «على»، واستئناف الكلام من قوله: ﴿ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾، وتكون «على» هنا فعلاً وليست حرفاً، والعرش مرفوع على الابتداء.

١٢- أن الاستواء بمعنى: صعد.

١٣- أن الاستواء بمعنى: أقبل على خلق العرش وعمد إليه.

١٤- أن الاسـتواء بمعنى: قدر على العرش، وهذه صفة ذات وهي القدرة، بخلاف القهر فهو صفة فعل.

١٥- أن الاسـتواء بمعـنى: الاعـتـدال، أي: قـائم بـالعدل؛ نحـو: ﴿قَآئِمَۢا

بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾ [آل عمران : ١٨] فقيامه بالقسط والعدل هو الاستواء.

١٦- أن استوى بمعنى : تجلّى، ومعنى التجلي : رفع الحجاب عن العرش الذي كان محجوباً به.

١٧- أن الاستواء من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله.

١٨ - أن الله مستوٍ بذاته فوق عرشه، ومن غير تحديد ولا تمكين، ولا مماسَّة.

هذه أبرز الأقوال في معنى «الاستواء» الوارد في النصوص المنسوب إلى الله[١] .

وهذا ليس مجال مناقشتها والرد عليها، وإن كان فساد بعضها وضعفه ظاهراً لا يحتاج إلى كثير عناء.

٣- مذهب الأشاعرة في هذه الصفة :

ذهب جمهور الأشاعرة والمتأخرون منهم إلى نفي هذه الصفة، مشاركين بذلك نفاة الجهمية، واختلفوا في تأويلها على أقوال:

أ- ذهب بعضهم إلى أن معنى الاستواء هو الاستيلاء بالقهر والغلبة والقدرة.

وهذا قول أبي المعالي الجويني، وابن فورك، وأبي سعيد النيسابوري، وأبي حامد الغزالي وفخر الدين الرازي، والآمدي، وعبدالرحمن الإيجي، وذكر أن هذا قول الأكثر، وإلى هذا أشار البيهقي من أن هذا المذهب هو مذهب كثير من أصحابهم[٢] .

---

(١) انظر : الأسنى للقرطبي (٣/ ٤٢-٤٧) مخطوط مصورة من مكتبة عارف حكمت ٨٨ أدعية، الإتقان للسيوطي (٢/ ٨-٩)، الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ١٥٠-١٥٧)، فتح الباري (١٣/ ٤٠٥-٤٠٦)، أقاويل الثقات لمرعي بن يوسف ص ١٢٣-١٣٠.

(٢) انظر: الإرشاد للجويني ص ٤٠-٤١، لمع الأدلة للمؤلف نفسه ص١٠٨، مشكل الآثار لابن فورك ص١٤٦، الغنية لأبي سعيد النيسابوري ص٧٧-٧٨، الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ١٥٣)، قواعد العقائد للغزالي ص ١٦٥-١٦٧، الاقتصاد في الاعتقاد =

وقد وافقوا بهذا التأويل مذهب المعتزلة[١].

ب ـ وذهب البعض منهم إلى أن المراد بالاستواء : فِعلٌ فَعَلَه في العرش سماه استواءً، وذكر أصحاب أبي الحسن الأشعري أن هذا قول الأشعري نفسه.

وذهب هؤلاء إلى هذا القول بناءً على أصلهم « منع قيام الأفعال الاختيارية بالله سبحانه لئلا يكون محلاً للحوادث »[٢].

ج- وذهب عبد القاهر البغدادي إلى أن معنى العرش الوارد في النصوص : الملك، ويكون المعنى : أن الملك ما استوى لأحد غيره[٣].

د- وذهب بعضهم إلى أن آيات الاستواء من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله[٤].

هذا مجمل أقوال الأشاعرة في تأويل هذه الصفة، علماً بأن أشهر الأقوال عنهم في ذلك هو القول الأول ـ تأويل الاستواء بالاستعلاء والاستيلاء بالغلبة والقهر ـ فهذا قول جمهورهم.

= ص ٥٥-٥٦، أساس التقديس ص ١٩٨-١٩١، غاية المرام للآمدي ص ١٤١، المواقف للإيجي ص٢٩٧، لباب العقول للمكلاتي ص١٧٦.

(١) انظر : شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص٢٢٦، مقالات الإسلاميين ص١٥٧، ٢١١، أصول الدين للبغدادي ص١١٢.

(٢) انظر : أصول الدين للبغدادي ص ١١٣، الشامل للجويني ص ٥٥٥-٥٥٦، الإرشاد للمؤلف نفسه ص ٤١، الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ١٥٢)، الفتاوى (٥/ ٣٨٦، ٤٣٧) (١٢/ ٢٥٠-٢٥١) (٢١٦/ ٣٩٣-٣٩٤)، نقض التأسيس ص(١/ ٥٦٥) درء تعارض العقل والنقل (٦/ ٣٢١).

(٣) انظر : أصول الدين للبغدادي ص١١٣-١١٤، لباب العقول للمكلاتي ص١٧٧.

(٤) انظر : أصول الدين للبغدادي ص١١٢، الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ١٥٠)، دفع شبه التشبيه لابن الجوزي ص ٣٩، تفسير ابن الجوزي (٣/ ٢١٣).

٤ـ شبه الأشاعرة في هذا التأويل:

تمسك الأشاعرة ببعض الشبه في تأويلاتهم للاستواء؛ ومنها :

قالوا : يصح في اللغة أن يطلق الاستواء على الاستيلاء، ومنه قولهم : استوى فلان على المملكة، أي : استولى عليها ودانت له بالغلبة والقهر.

واستدلوا بقول الشاعر في بشر بن مروان:

قد استوى بشرٌ على العراق   من غير سيفٍ أو دمٍ مهراق

قالوا: وخُصَّ العرش، لأنه أعظم المخلوقات، فنبه على الأدنى بالأعلى، بمعنى : إذا قدر عليه وهو بهذه العظمة لزم من ذلك القدرة على من دونه من باب أولى، أو خص العرش بالذكر تشريفاً له وتعظيماً[(١)].

وزعموا أنه لا يجوز أن يكون معنى الاستواء : هو العلو والارتفاع ... على ما تقرر في مذهب السلف، لأن ذلك يلزم بعض المعاني الباطلة؛ نحو : كون الله في جهة، أو متحيزاً، أو مركباً مؤلفاً، وأعظم ما يتمسكون به في هذا المقام أن الاستواء مستلزم للتجسيم.

قالوا : فلو كان على العرش للزم أن يكون محمولاً بالملائكة الذين يحملون العرش، فيلزم منه احتياج الخالق إلى المخلوق.

وقالوا أيضاً : لو كان مستوياً على العرش، فإما أن يكون أكبر من العرش، أو أصغر أو مساوياً له[(٢)].

أما من فسر الاستواء : بأنه فعل فعله في العرش، فقد ذهب إلى أن الاستواء

(١) انظر : الشامل للجويني ص٥٥٣-٥٥٥، الإرشاد للمؤلف نفسه ص ٤٠-٤١، لمع الأدلة للجويني أيضاً ص ١٠٨، الغنية في أصول الدين ص ٧٧- ٧٨، الأسماء والصفات للبيهقي. (٢/ ١٥٣-١٥٤)، الاقتصاد في الاعتقاد ص٥٥-٥٦، التقديس للرازي ص١٩١- ١٩٣، غاية المرام للآمدي ص ١٤١-١٤٢، المواقف للإيجي ص٢٩٧.

(٢) انظر : الغنية في أصول الدين ص ٧٤، أساس التقديس ص ١٨٧-١٩١

ـ على المعنى الذي أراد أهـل السنة ـ يلزم منه حلول الحوادث بالله، ويتمسكون بهـذه الشـبهة في جميع الصـفات الـتي بهـذا المعـنى، نحـو : المجـيء والإتـيان، والنزول،.... إلخ[1].

وأمـا مـا ذهـب إليه البغدادي من تأويل العرش بـ «الملك» فقد زعم أن هذا هـو المعـروف عـند العـرب مـن إطلاق العرش على الملك، ومنه قول متمم بن نويرة في هذا المعنى :

عــروش تفــانوا بعــد عــزٍّ وأمــة   هَـوَوْا بعدمـا نـالوا السـلامة والبقا

وأراد بالعروش : ملوكاً انقرضوا.

وقال سعيد بن زائد الخزاعي في النعمان بن المنذر.

قــد نــال عرشــاً لم يــنله خــائل   جـــنٌّ ولا إنـــسٌ ولا ديَّـــار

وأراد بالعرش : الملك والسلطان[2].

٥ـ الإجابة عن هذه الشبه :

أمَّـا قولهـم : إن إثـبات الاسـتواء يلـزم منه أن يكون الله متحيزاً، ويكون في جهة.

فـيقال : لفـظ « التحـيز » و « الجهـة » مـن الألفـاظ المجملـة التي تحتمل حقاً وباطلاً، ولم يرد في نفيها ولا في إثباتها كتاب ولا سنة، وسبق الكلام عليها[3].

و أمـا قولهـم : إثبات الاستواء يلزم منه أن يكون الله جسماً، والجسم مؤلف ومركب من الأجزاء.

يقـال لهـم : هذه الكلمات أيضاً من الكلمات المحدثة المجملة، التي تحتمل حقاً وباطلاً، فلا بد من معرفة معنى « الجسم » كي يتسنى الإثبات أو النفي :

---

(١) انظر : لمع الأدلة للجويني ص٩٦.

(٢) أصول الدين للبغدادي ص ١١٣ - بتصرف .

(٣) انظر : الكلام على هذه المسألة في ص١٢٠.

فالجسم في اللغة : البدن والجسد[١].

وعند المتكلمين : عبارة عن المؤتلف من جوهرين فردين فصاعداً[٢].

أو: المركب من المادة والصورة[٣].

فإن أراد بالجسم هذه المعاني، فلا يسلم له أن الاستواء يلزم أن يكون الله جسماً بهذا. وإن أراد بالجسم: الموجود، القائم بنفسه الموصوف بالصفات، المباين لخلقه، المستوي على عرشه، العالي عليهم، الذي يمكن أن يشار إليه حساً...، وهذا هو المعنى الذي أراده أولئك .

قيل له: إطلاق لفظ الجسم على المتصف بهذه الصفات باطل لغةً وشرعاً.

فأهل اللغة لا يسمون المتصف بذلك جسماً، بل الجسم عندهم ـ كما سبق ـ هو البدن، فالروح والهواء ونحوها توصف ببعض الصفات، ومع ذلك لا يقال : إنها جسم، هذا من ناحية اللغة.

أما الشرع: فإطلاق أن الله جسم، أو ليس بجسم، لفظ مبتدع لم ينقل من كتاب ولا من سنة، بل ولا أثر عن أحد الأنبياء ولا الصحابة ولا التابعين ولا سلف الأمة عموماً.

فإن قال النافي للاستواء : أنا لا أعقل مستوياً على المعنى الذي تذهبون إليه إلا ما هو جسم.

قيل له : وأيضاً لا يعقل حياً عليماً سميعاً بصيراً إلا ما هو جسم، فهذا نظير هذا، فما يقال في أحدهما يلزم نظيره في الآخر.

فإن قال : هو حي عليم سميع .. وليس بجسم.

---

(١) انظر : القاموس المحيط (٤/ ٩١)، لسان العرب (١٢/ ٩٩)، المعجم الوسيط ص١٢٢.

(٢) المبين في شرح معاني ألفاظ الحكماء والمتكلمين للآمدي ص١١٠.

(٣) انظر: المعجم الفلسفي ص٦١، المواقف للإيجي ص١٨٣ وما بعدها، مقالات الإسلاميين ص ٣٠١-٣٠٦، الإرشاد للجويني ص ٤٢-٤٣.

قيل : وهو عالٍ على الخلق، مباين لهم، مستوٍ على العرش وليس بجسم؛ ولهذا اختلف الناس في هذا الباب إلى ما يلي :

فمنهم من يقول : هو فوق العرش وهو ليس بجسم.

ومنهم من يقول : هو فوق العرش وهو جسم.

ومنهم من يقول : هو فوق العرش، ولا أقول : هو جسم، ولا ليس بجسم.

ومنهم من يقول : هو فوق العرش، ويستفصل عن مسمى الجسم: فإن فسر بما يجب تنزيه الرب عنه نفاه، وبين أن علو الله على عرشه لا يستلزم ذلك، وإن فسر بما يتصف به الله لم ينف هذا المعنى بسبب هذا التفسير، وبين أن هذا خطأ في اللفظ والمعنى.

وفي الجملة، فالجسم لفظ مجمل مبهم، وإطلاقه على الله نفياً وإثباتاً بدعة، ولا ينفى عن الله ما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله بسبب تسمية هذه المعاني ـ الثابتة بالكتاب والسنة ـ بهذه الأسماء المحدثة التي تحتمل حقاً وباطلاً[1].

ومثل هذا تماماً قولهم : لو وصف بالاستواء للزم أن يكون مركباً.

فيقال : لفظ التركيب فيه إجمال واشتباه :

فإن كان المراد أنه كان متفرقاً فركبه غيره كما تركب الأشياء، فهذا باطل معلوم الفساد بالضرورة وإن كان المراد بالمركب أنه ذو أبعاض مختلفة كأعضاء الإنسان قابل للتفريق والانقسام، فهذا باطل أيضاً معلوم فساده بضرررة العقل.

أما تسمية من يوصف بهذا الصفات القائمة بنفسه، المباين لغيره، المشار إليه

---

(١) انظر : نقض التأسيس (١/ ٤٦-٤٧، ١٠٠، ١٠١، ٣٩٦، ٤٧٧، ٦٢٥-٦٢٦) (٤٩٢-٥٠٢)، منهاج السنة (٢/ ١٩٨ومابعدها)، التدمرية ـ محققة ـ ص ٥٣-٥٥، درء تعارض العقل والنقل (٦/ ١٣٠-١٣٢) (١٠/ ٣٠٧-٣١٨)، الفتاوى (٥/ ٢١٣-٢٢٥، ٢٩٥-٢٩٦، ٢٩٩، ٣٠٧، ٣٥١، ٣٥٥، ٤٣٦، ٤١٨)، (١٧/ ٣٤٢-٣٤٣).

حسّاً، الذي تميز منه شيء عن شيء، تسمية هذه المعاني تركيباً، فهذا اصطلاح اصطلح عليه أولئك ليس من لغة العرب في شيء، وعليه فكل ما في هذا الوجود مركب، فلا ينفى عن الله هذه المعاني بسبب إطلاق هذا الاسم المبتدع على تلك.

ويقال أيضاً ما قيل نقض شبهة « التجسيم » من أنه إذا كان إثبات علو الله على خلقه واستواؤه على عرشه ومباينته لخلقه يلزم منه التركيب، ، فكذلك إثبات العلم والحياة والسمع،.. يلزم منه التركيب أيضاً، فيجب إثبات الجميع أو نفي الجميع[1].

وأما شبهتهم من أنه لو كان مستوياً على العرش، لكان محتاجاً إليه محمولاً به، ويلزم من ذلك حاجة الخالق للمخلوق.

فالجواب عن هذا : يقال : هذا الكلام يكون صحيحاً لو أثبت لله استواءً مثل استواء المخلوق؛ أما أن يكون استواء الخالق لائقاً به غير مماثل لاستواء الخلق، فلا يرد علينا مثل هذه الإلزامات.

فكما أن لله سمعاً وبصراً وحياةً، وللمخلوق سمعاً وبصراً وحياةً، وسمع هذا غير سمع هذا، وبصر هذا غير بصر هذا، فكذا استواء الله غير استواء خلقه، فهذا له استواء يليق به، وذلك له استواء لائق به، فالله مستوٍ على عرشه حقيقة، ومع هذا فلا يفتقر إلى شيء من خلقه، ولا يحتاج إليهم، فهو الحامل للعرش وحملته بقوته وقدرته، فالسماء فوق الأرض وليست محتاجة إليها، وكذلك السحاب فوق الأرض، وهلم جرا، ولهذا قال الشاعر:

فأوردتهم ماء بفيفاء قفرة وقد حلق النجم اليماني فاستوى

فأطلق علو النجم على ما تحته استواء، والنجم غير محتاج إلى ما تحته.

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٨٠-٢٨١)، (٥/ ١٤٢-١٤٧)، الفتاوى (٥/ ٤٢٧-٤٢٨) (١٣/ ٣٠٣).

فإذا كان هذا جائزاً في حق المخلوق، فالخالق أولى بذلك .

وهـذه الشـبهة لم تحصـل لهـم إلا بسـبب الـتوهم الباطل المتبادر في أذهانهم، حيـث توهمـوا أن الله إذا وصف بالاستواء، كان استواؤه مثل استواء المخلوق، وهـذا الفهـم الخاطـئ هو الذي حملهم على تعطيل الرب من ذلك، فهم شبهوا أولاً ثم عطلوا، فوقعوا في التشبيه والتعطيل معاً.

قـال شـيخ الإسـلام : « ... فـيظن المتوهم أنـه إذا وصـف بالاسـتواء على العـرش كـان استواؤه كاستواء الإنسان على ظهر الفلك كقولـه : ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ۝ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ [الزخـرف: ١٢-١٣]، فيتخيل أنـه إذا كـان مسـتوياً عـلى العـرش كـان محتاجاً إليه كحاجة المستوي على الفلك والأنعـام، فلـو انخرقـت السـفينة لسـقط المستوي عليها... فقياس هذا أنه لو عدم العـرش لسـقط الـرب تـبارك وتعـالى ... وكـان هـذا الخطـأ من خطئه في مفهوم اسـتوائه عـلى العـرش، حيـث ظـن أنـه مـثل استواء الإنسان على ظهور الأنعام والفلك.

ولـيس في اللفـظ مـا يـدل على ذلك، لأنه أضاف الاستواء إلى نفسه الكريمة كمـا أضـاف إلـيها سـائر أفعالـه وصـفاته ... فـلم يذكـر اسـتواءً مطلقاً يصلح لـلمخلوق، ولا عاماً يتـناول المخلـوق، كما لم يذكر مثل ذلك في سائر صفاته، وإنما ذكر استواءً أضافه إلى نفسه الكريمة.

فلـو قُـدِّر عـلى وجـه الفرض الممتنع ـ أنه مثل خلقه ـ تعالى الله عن ذلك ـ لكـان اسـتواؤه مثل استواء خلقه، أما إذا كان هو ليس مماثلاً لخلقه؛ بل علم أنه الغـني عن الخلق، وأنه الخالق للعرش ولغيره، وأن كل ما سواه مفتقر إليه، وهو الغـني عـن كل ما سواه، وهو لم يذكر إلا استواءً يخصه .. فكيف يجوز أن يتوهم أنه إذا كان مستوياً على العرش، كان محتاجاً إليه ..»اهـ[1] .

---

(١) الـتدمرية- محققـة ص٨١، ٨٥، انظـر : نقـض التأسـيس (١/ ٥٦٢-٥٧٧) (٢/ ١٤٤)، الفتاوى (٥/ ١٩٩، ٢٠٨-٢٠٩).

وأما قولهم : إذا كان مستوياً على العرش، فلابد أن يكون أكبر من العرش أو أصغر منه، أو مساوياً له.

فالجواب عن هذا كما قيل في جواب الشُّبَه السابقة : أن هذا الافتراض والتقدير مبني على قولهم : « إن علو الله على عرشه واستواءه عليه مستلزم لكونه جسماً متحيزاً »؛ أما إذا كان فوق العرش ولم يكن جسماً متحيزاً، فلا يلزم شيء من هذه اللوازم الباطلة.

ويقال في هذا أيضاً كما قيل في جواب الشبهة السابقة : إن هذا إذا أثبتنا استواءً كاستواء المخلوق، أما إثبات استواء للخالق لائق به، فلا يلزم عليه شيء من هذه اللوازم[1].

٦ـ الجواب عن تأويلهم الاستواء بـ « الاستيلاء » :

سبق الكلام على أن جمهور الأشاعرة أوَّلوا الاستواء الوارد في النصوص بالاستيلاء، وقد رد عليهم الأئمة في ذلك بوجوه متعددة؛ من أهمها :

أولاً : أن اللغة لا تساعدهم على هذا التأويل، فالاستواء في اللسان العربي يراد به العلو والارتفاع، وسبق بيان ذلك، وهذا هو المأثور عن أئمة اللغة :

ذكر ابن عبد البر عن الخليل بن أحمد أنه قال : «أتيتُ أبا ربيعه الأعرابي ـ وكان من أعلم من رأيت ـ فإذا هو على سطح، فسلمنا فرد علينا السلام، وقال لنا : استووا فبقينا متحيرين، ولم ندر ما قال! قال : فقال لنا أعرابي إلى جنبه : إنه أمركم أن ترتفعوا. قال الخليل : وهو من قول الله عز وجل : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [فصلت: ١١] فصعدنا إليه .. » .

واستدل ابن عبد البر على أن الاستواء: هو الاستقرار في العلو بقول الشاعر :

فأوردتهم ماءً بفيفاء قفرة وقد حلق النجم اليماني فاستوى

---

(١) انظر: رد الدارمي على بشر المريسي ص٨٥-٨٦، نقض التأسيس (٢/ ١٥٦)، الفتاوى (٥/ ٢٨٥).

قال : هذا لا يجوز أن يتأول فيه أحد استولى؛ لأن النجم لا يستولي[١].

وروى اللالكائي عن أبي بكر بن النضر، قال : كان أبو عبد الله ابن الأعرابي جارنا، ... وذكر لنا أن ابن أبي دؤاد سأله : أتعرف العرب في اللغة استوى بمعنى استولى؟ فقال : لا أعرف.

وروى عن أبي العباس ثعلب، قال : «.. استوى على العرش : علا، ثم قال: هذا الذي يعرف من كلام العرب ». اهـ[٢].

وقال محمد بن النضر : سمعت ابن الأعرابي صاحب اللغة يقول : «أرادني ابن دؤاد أن أطلب له في بعض لغات العرب ومعانيها ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ استوى بمعنى : استولى، فقلت له : والله ما يكون هذا، ولا وجدته» اهـ[٣].

و قال الأخفش في قوله تعالى : ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ : « أي علا . يقال : استويت فوق الدابة، وعلى ظهر البيت أي : علوته»[٤].

وسئل الخليل : هل وجدت في اللغة استوى بمعنى استولى؟ فقال : هذا ما لا تعرفه العرب، ولا هو جائز في لغتها. اهـ[٥].

وقال ابن جرير الطبري : « والعجب ممن أنكر المعنى المفهوم من كلام العرب في تأويل ـ أي تفسير ـ قول الله : ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ الذي هو

---

(١) التمهيد لابن عبد البر (٧/ ١٣١-١٣٢)، وأثر الخليل رواه أيضاً الذهبي في «العلو» ص ١١٨.

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٢/ ٣٩٩-٤٠٠). وأثر ابن الأعرابي رواه أيضاً الخطيب البغدادي في « تاريخه» (٥/ ٢٨٣)، والذهبي في «العلو» ص١٣٣، وذكره ابن القيم في « اجتماع الجيوش الإسلامية» ص ٢٦٤-٢٦٥من رواية الدارقطني.

(٣) اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم ص ٢٦٥-٢٦٦، وفتح الباري (١٣/ ٤٠٦).

(٤) تهذيب اللغة للأزهري (١٣/ ١٢٥)، وذكره ابن القيم في « اجتماع الجيوش » ص٢٦٧.

(٥) الفتاوى (٥/ ١٤٦).

بمعنى: العلو والارتفاع.. » اهـ[١] .

وقال القرطبي : «الاستواء في اللغة : الارتفاع والعلو على الشيء ..»اهـ[٢] .

وذكر ابن القيم أن الاستواء المقيد بـ «على » معناه : العلو والارتفاع بإجماع أهل اللغة[٣].

فهؤلاء جمع من أئمة اللغة، وأهل اللسان، ممن كلامهم في هذا الباب حجة ومرجع، يذهبون إلى أن الاستواء هو العلو والارتفاع؛ وينكرون على من أوله بالاستيلاء.

وأما استدلالهم بقول الشاعر:

قد استوى بشرٌ على العراق   من غير سيفٍ أو دمٍ مهراق

فيُجاب عنه بما يلي :

أولاً : إنْ هذا البيت لم يثبت أنه شعر عربي، وقد أنكره غير واحد من أئمة اللغة، وذكروا أنه بيت مصنوع لا يعرف في لغة العرب؛ ولو احتج أحد بحديث رسول الله ﷺ للزمه إثبات صحته، فكيف ببيت من الشعر لا يعرف إسناده، ولا من قاله، وقد رُوي أنه محرف وأن لفظه هكذا:

بشرٌ قد استولى على العراق ..

ولو صح هذا البيت وصح أنه غير محرف لم يكن فيه حجة، لأن بشراً هذا كان أخاً لعبد الملك بن مروان، وكان أميراً على العراق، فاستوى على سريرها كعادة الملوك ونوابهم يجلسون على سرير الملك مستوين عليه، ولو كان المراد بالبيت الاستيلاء بالقهر والملك، لكان المستوي على العراق عبد الملك بن

---

(١) تفسير الطبري (١/ ١٩٢).

(٢) تفسير القرطبي (١/ ٢٥٥).

(٣) مختصر الصواعق (٢/ ١٢٦-١٢٧).

مروان؛ فإن بشراً كان نائباً له على العراق، ولا يقال لمن استولى على بلدة ولم يدخلها ولم يستقر فيها بأنه استوى عليها؛ فلا يقال : استوى أبو بكر على الشام، ولا استوى عمر على مصر والعراق[١].

ثانياً : إن تأويل الاستواء بالاستيلاء يقتضي المغالبة والمنازعة، روى اللالكائي عن أبي سليمان داود بن علي، قال : كنا عند ابن الأعرابي، فأتى رجل فقال له : ما معنى قول الله عز وجل : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ ؟ فقال : هو على عرشه كما أخبر عز وجل، فقال : يا أبا عبد الله، ليس هذا معناه، إنما معناه : استولى . فقال : اسكت، ما أنت وهذا، لا يقال استولى على الشيء إلا أن يكون له مضاد، فإذا غلب أحدهما قيل : استولى، أما سمعت قول النابغة :

ألا لمثلك أو من أنت سابقهُ   سبق الجواد إذا استولى على الأمد

فهذا من كبار أئمة أهل اللغة يذكر أن الاستيلاء لا يذكر إلا في مجال المغالبة والمنازعة، والله لا منازع له[٣].

ثالثاً : أنكر الأئمة قديماً وحديثاً هذا التأويل، وذكروا أن أول من قال به : الجهمية والمعتزلة؛ وقالوا : إذا كان معنى الاستواء هو الاستيلاء، فلا فرق بين

---

(١) الفتاوى (٥/ ١٤٦) (١٦/ ٣٩٦-٣٩٧، ٤٠٣-٤٠٤). مختصر الصواعق (٢/ ١٣٦-١٣٩) بتصرف .

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٢/ ٣٩٩)، وأخرجه أيضاً الخطيب البغدادي في «تاريخه » (٥/ ٢٨٣-٢٨٤)، والذهبي في « العلو » ص١٣٣، وذكره ابن قدامة في « العلو » ص ١٧٤، والبيهقي في « الأسماء والصفات » (٢/ ١٥٧) من رواية أبي الحسن الطبري وابن القيم في « اجتماع الجيوش الإسلامية » ص ٢٦٥من رواية ابن عرفة، وابن حجر في «الفتح» (١٣/ ٤٠٦) من رواية الهروي، وذكره ابن منظور في «لسان العرب» (١٤/ ٤١٤).

(٣) انظر: رد الدارمي على بشر المريسي ص ٨٤-٨٥، التمهيد لابن عبد البر (٧/ ١٣١)، الفتاوى (٥/ ١٤٦-١٤٧)، الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ١٥٣).

العرش وغيره من المخلوقات، وصح أن يقال: استوى على الأرض، واستوى على الجبال، واستوى على الشجر .. إلخ.

فإن قالوا : خُصَّ العرش؛ لأنه أعظم المخلوقات.

قيل : وهذا لا يمنع ذكر غيره، فالربوبية مثلاً لما كانت عامة للأشياء لم يكن إضافتها إلى العرش الذي هو أكبر المخلوقات، في قوله : ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [النمل: ٢٦] مانعاً من تعميم إضافتها إلى غير العرش كقوله : ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الزخرف : ٨٢] ، وقوله: ﴿ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الصافات : ١٢٦] وقوله : ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٢][١] ونحو ذلك.

وقد ردّ عليهم بهذا الوجه بعض أئمتهم الكبار، كأبي الحسن الأشعري، وعبد القاهر البغدادي، وأبي بكر بن فورك[٢].

رابعاً : أن العرش كان موجوداً قبل خلق السماوات والأرض، والاستواء بعد خلقهما؛ ولو كان الاستواء بمعنى الاستيلاء فهذا حاصل من قبل ومن بعد، وهل يمكن أن يكون العرش قد أتت عليه مدة وهو ليس بمستولٍ عليه[٣].

خامساً : هذا التأويل محدث مبتدع، لم يؤثر عن الرسول ﷺ ولا عن أحد من الصحابة، بل ولا عن أحد من سلف الأمة[٤].

سادساً : هذا اللفظ قد اطرد في القرآن والسنة بلفظ الاستواء دون الاستيلاء، ولو كان معناه: استولى، لكان استعماله في أكثر موارده كذلك، فإذا

---

(١) انظر : رد الدارمي على بشر المريسي ص٨٤، الفتاوى (٥/ ١٤٤-١٤٥) (١٦/ ٣٩٦)، مختصر الصواعق (٢/ ١٤٤) .

(٢) انظر : الإبانة للأشعري ص ٤٨-٤٩ ط : الجامعة، أصول الدين للبغدادي ص١١٢، الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ١٥٣).

(٣) انظر: الفتاوى(٥/ ١٤٥، ١٤٦، ٣١٤-٣١٥)، مختصر الصواعق(٢/ ١٢٩-١٣٠).

(٤) انظر : الفتاوى (٥/ ١٤٤)، مختصر الصواعق (٢/ ١٢٨).

جاء موضع أو موضعان بلفظ استوى حمل على معنى استولى، لأنه المألوف المعهود، فكيف وقد اطرد استعماله في جميع موارده على معنى واحد، مع أن السياق يأبى حمله على غيره[1].

هذه بعض الوجوه في الرد على من تأول الاستواء بالاستيلاء، وإن كان الواحد منها كافياً في إبطال هذا التأويل وإسقاطه.

وقد فنَّده شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم بوجوه متعددة، أوصلها ابن القيم إلى اثنين وأربعين وجهاً[2] .

أما ما ذهب إليه بعض الأشاعرة من أن الاستواء بالاستيلاء فعل فعله في العرش سماه استواءً، ومعناه عندهم : أن الله يحدث في العرش قرباً، فيصير مستوياً عليه من غير أن يقوم به نفسه فعل اختياري، وهذا القول ـ كما سبق ـ مبني على ما أسموه « منع حلول الحوادث بالله ».

والكلام على هذه المسألة ومناقشتها والرد عليها كبير جداً، ولو استطردنا في هذا لطال المقام واتسع المقال؛ وذلك أنهم بنوا على هذا الأصل نفي جميع الصفات المتعلقة بالمشيئة كالنزول، والاستواء، والمجيء، والإتيان ..إلخ.

ولهذا سأكتفي بالإشارة فقط؛ خاصة وأن هذا القول ـ تأويل الاستواء بأنه فعل ... ـ مذهبُ طائفة قليلة منهم.

فمن أعظم الشُّبَه التي تمسكوا بها في نفي الأفعال الاختيارية قولهم: « لو قامت به هذه الأفعال لم يخل منها ومن أضدادها، وما لم يخل من الحوادث فهو حادث؛ قالوا : وهذه الصفات إن كانت صفات نقص وجب تنزيه الرب عنها، وإن كانت صفات كمال، فقد كان فاقداً لها قبل حدوثها، وعدم الكمال نقص،

---

(١) مختصر الصواعق (٢/ ١٢٨-١٢٩) – بتصرف يسير.

(٢) انظر : الفتاوى (٥/ ١٤٤-١٤٩) (١٦/ ٣٩٥-٣٩٧)، مختصر الصواعق (٢/ ١٢٦-١٥٢).

والله منزه عن النقص[١].

والجواب عن هذا : يقال لهم : إن هذا لازمٌ لكم أيضاً في الصفات الفعلية، كالخلق، والرزق ...، ولهذا أورد عليهم الفلاسفة في مسألة «حدوث العالم» هذه الشبهة.

وقد أجابوا الفلاسفة عن صفات الأفعال أنها ليست كمالاً ولا نقصاً.

ونحن نعكس عليهم هذا، ويقال لهم : إنه لا فرق بين هذه وتلك.

وأيضاً مما يجابون به : أنه لو عُرض على العقل الصريح ذاتاً لا تتصف بهذه الصفات، وذاتاً موصوفة بهذه الصفات قادرة على الإتيان والمجيء والنزول والاستواء، لكانت هذه الذات أكمل من الأولى.

ويقال لهم أيضاً: إن وجود الشيء الواحد يكون وجوده تارة كمالاً وتارة نقصاً، فإنزال المطر يكون إنزاله تارة رحمة إذا احتاج إليه العباد، ويكون إمساكه رحمة تارة أخرى إذا كان نزوله ضرورياً لهم؛ فهذه الأفعال التي حدثت بعد أن لم تكن كالنزول والاستواء ... إلخ ليس عدم وجودها نقصاً ولا كمالاً؛ بل وجودها في الوقت التي اقتضت حكمته ومشيئته وجودها هو الكمال، وكذلك عدمها في الوقت التي اقتضت حكمته ومشيئته عدمها هو الكمال.

ويقال أيضاً : فكون هذا حادثاً يمتنع أن يكون قديماً، وعدم الممتنع ليس بنقص، بل النقص في عدم ما يمكن ويصلح وجوده.

إلى غير ذلك من الأجوبة[٢].

---

(١) انظر: الإرشاد للجويني ص٤٥، لمع الأدلة للمؤلف نفسه ص١٠٩، الغنية في أصول الدين ص٨٢، المواقف للإيجي ص٢٧٦-٢٧٧. وانظر : درء تعارض العقل والنقل (٢/ ١٥٦، ١٧٤،١٧٥،١٧٧)، الفتاوى (٦/ ١٠٥، ٢٣٨، ٢٤٠، ٢٨٠).

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٤/ ٣-١٣)، الفتاوى (٦/ ١٠٥-١٠٨،٢٤٠-٢٤٣).

وقد أطال شيخ الإسلام الكلام حول هذه المسألة في المجلد الثاني من «درء تعارض العقل والنقل» .

أمـا ما ذهب إليه البغدادي من تأويل العرش بالملك، ويكون المعنى على هذا استوى على الملك.

فهـذا منقوض بقول الله تعالى : ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [الحاقة : ١٧]، وقولـه: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧]، وقولـه: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ﴾ [غافـر: ٧]، وقولـه ﷺ : « **يُصعقون ـ أي الناس ـ يوم القيامة، فإذا أنا بموسى آخذٌ بقائمة من قوائم العرش**»[1] إلى غير ذلك.

ولا مزيد على هذه النصوص في إبطال هذا التأويل[2].

أما من زعم أن آيات الاستواء من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله.

فقـد ردَّ عليه شيخ الإسلام هذا القول، وأبطله في الرسالة التي بين أيدينا (الحموية) عندما قسم المخالفين لطريقة السلف تجاه النصوص ثلاثة أقسام: أهل التخييل وأهـل التأويل، وأهـل التجهيل، وهؤلاء هم المعنيون هنا، وقد أوفى الموضوع حقه بما لا مزيد عليه، فليراجع[3].

وبهذا يتبين بطلان ما ذهب إليه الأشاعرة من صفة الاستواء عقلاً ونقلاً.

أمـا أدلـة أهـل السنة على إثبات هذه الصفة، وأقوال الأئمة في هذا فالرسالة (الحموية) مليئة بذلك، فلا حاجة لتكرارها هنا.

وفي ختام هـذا المبحـث يحسـن ذكـر شـيء من كلام الشيخ محمد الأمين الشـنقيطي في كلامـه عـلى إثبات هذا الصفة والرد على أهل التأويل، ومن ذلـك قولـه : « اعـلموا أن هـذه الصـفة الـتي هـي صفة الاستواء صفة كمال وجـلال تُمُـدِّح بهـا رب السـماوات والأرض، والقرينة عـلى أنها صفة كمال

---

(١) رواه البخاري (١٣/ ٤٠٥) رقـم ٧٤٢٧، كتاب التوحيد، باب «وكان عرشه على الماء»، واللفظ له، ومسلم (٤/ ١٨٤٥) رقم ٢٣٧٤، كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى عليه السلام.

(٢) انظر : شرح الطحاوية (٢/ ٣٦٨).

(٣) انظر : ص٢٧٧.

وجلال : أن الله ما ذكرها في موضع من كتابه إلا مصحوبة بما يبهر العقول من صفات جلاله وكماله التي هي منها، وساق الأمثلة على ذلك، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِى الَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِۦٓ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤]، وقوله تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِى رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد: ٢]، وقوله تعالى : ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَىِّ الَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ وَكَفَى بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾﴾ [الفرقان: ٥٨-٥٩]، وساق جميع الآيات التي وردت في الاستواء.

ثم قال: وينبغي للمؤولين أن يتأملوا آية من سورة الفرقان، وهي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الآية : ٥٩]، ويتأملوا معها قوله تعالى في سورة فاطر: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [الآية: ١٤]، فإن قوله في الفرقان : ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ بعد قوله ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ﴾ يدل دلالة واضحة أن الله الذى وصف نفسه بالاستواء خبير بما يصف به نفسه، لا يخفى عليه الصفة اللائقة من غيرها، ويفهم منه أن الذي ينفي عنه صفة الاستواء ليس بخبير؛ نعم والله ليس بخبير». اهـ[1] .

* * *

(١) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص١٥، ٢٦.

ج- الصفات الخبرية

من المسائل التي ناقشها المؤلف في هذا الكتاب : « إثبات الصفات الخبرية لله على الإجمال » .

وقد تطرق إليها بشكل إجمالي، ولم يفصل القول في كل صفة على حدة. وفي هذا المبحث سألقي الضوء على هذه المسألة إجمالاً، وأثبت ذلك بالأدلة والقواعد العامة، مراعياً الإيجاز والاختصار قدر الإمكان.

١- المراد بالصفات الخبرية:

الصفات الخبرية: هي الصفات التي ثبتت من طريق الوحي في الكتاب والسنة فقط، وليس للعقل مجال في إثباتها، كاليدين، والقدمين، والوجه، ونحو ذلك.

وهي في مقابل ما يسمى بالصفات العقلية، الثابتة بالسمع والعقل معاً، كالعلم، والقدرة والإرادة ... إلخ[(١)].

٢- تقسيم الصفات عند أهل السنة وعند الأشاعرة:

بعد النظر في نصوص الكتاب والسنة وجُد أن الصفات الواردة فيها لا تخرج عن أحد هذين القسمين:

أ- الصفات الذاتية : وهي اللازمة لذات الله أزلاً وأبداً لا تنفك عنها بحال من الأحوال .

مثل : الحياة، القدرة العلم، العلو، الوجه، اليدين ... إلخ.

ب- الصفات الفعلية : وهي المتعلقة بالإرادة والمشيئة؛ مثل الخلق الرزق، المجيء، النزول، الاستواء ... إلخ .

---

(١) انظر : التدمرية- محققة- ص ١٤٩، نقض التأسيس (١/ ٧٦)، الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٠٤)، باعث النهضة الإسلامية ابن تيمية السلفي لهراس ص ١٣٥.

وكل من الصفات الذاتية والفعلية تنقسم من جهة ثبوتها إلى : خبرية، وعقلية.

فهناك **صفات ذاتية** ثبتت من طريق السمع فقط : نحو صفة الوجة، واليدين، والقدم ... وغير ذلك.

وهناك **صفات ذاتية** ثبتت من طريق السمع والعقل معاً ؛ نحو: العلم، والإرادة، والحياة، والعلو..

وهناك أيضاً **صفات فعلية** ثبتت من طريق السمع فقط، نحو الاستواء، المجيء، النزول ...

وهناك **صفات فعلية** ثبتت من طريق السمع والعقل معاً، نحو صفة الخلق، الرزق...

ويمكن أن يكون هناك قسم ثالث من أقسام الصفات، وهي : صفات ذاتية فعلية، مثل صفة الكلام[1].

وهناك تقسيم آخر من جهة الإثبات والنفي ذكره فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين وهو أن الصفات تنقسم قسمين : سلبية، وثبوتية.

فالثبوتية : ما أثبته الله لنفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ وجميعها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه .

والسلبية : ما نفاه الله سبحانه عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ ، وكلها صفات نقص في حقه ....[2] .

---

(١) انظر: الفتاوى ٢١٩/٠٦)، شرح الطحاوية (١/ ٩٦-٩٧)، التمهيد للباقلاني ص ٢٩٨-٢٩٩، الاعتقاد للبيهقي ص ٢١-٢٢، الأسماء والصفات للمؤلف نفسه (١/ ١٨٨-١٨٩)، الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٠٤)، شرح الفقه الأكبر لملا علي القاري ص٢٥-٣٦، تعليق عبدالله أبابطين على لوامع الأنوار (١/ ١١٢) شرح الواسطية لهراس ص١٠٥-١٠٦.

(٢) القواعد المثلى للشيخ محمد بن عثيمين ص ٢١-٢٣.

أمـا جمهـور الأشـاعرة، فـلهم تقسـيم آخـر للصـفات يختلف عن هذا؛ فهم يقسمونها أربعة أقسام :

١- **النفسـية** : وهـي كـل صفة دل بها الوصف على الذات دون معنى زائد عليه.

أو كل صفة لا يصح توهم انتفائها مع بقاء النفس مثل الوجود .

٢- **السـلبية** : وهـي ما كان مدلولها نفي ما لا يليق بالله تعالى؛ مثل : القدم، والبقاء.

٣- **المعاني** : وهي كل صفة دلّ الوصف بها على معنى زائد على الذات.

وهـي الصـفات السـبع : الحـياة، العـلم، القـدرة، الإرادة، السـمع، البصر، الكلام.

٤- **المعـنوية** : وهـي الأحـوال الثابـتة للذات ما دامت المعاني قائمة بالذت. وهذا عند من يثبت الأحوال[1].

ويذهب الفخر الرازي إلى تقسيم الصفات ثلاثة أقسام :

١- **ذاتية** : وهي الألقاب الدالة على الذات، كالوجود، والشيء والقديم.

٢- **معنوية** : وهي الألفاظ الدالة على معان قائمة بذات الله؛ كالعلم والحياة والقدرة .

٣- **الفعلـية** : والمـراد بها الألفاظ الدالة على صدور أثر من الآثار عن قدرة الله[2].

---

(١) الشـامل لـلجويني ص٣٠٨، الإرشـاد لـلمؤلف نفسـه ص١٦٤، المواقف للإيجي ص ٩٦، الحاشـية على المواقف (٨/ ١٠٤، ١٠٦، ١٠٩)، حاشية الدسوقي على أم البراهين ص٧٤، حاشـية الأمير على شرح الإمام عبد السلام على الجوهرة ص٧٣ وما بعدها، شرح جوهرة التوحيد ص ٥٤، ٧٩،-٨٠ منهج ودراسات للشنقيطي ص٥، ٨.

(٢) شرح أسماء الله الحسنى للرازي ص ٤٧.

٣- موقف السلف من تقسيم الصفات عقلية وخبرية:

لم يكن السلف يفرقون بين ما ثبت من الصفات بالعقل والسمع معاً وبين ما ثبت بالسمع فقط، وما كانوا يطلقون على هذه خبرية، وعلى تلك عقلية أو معنوية، ولم يقسموا الصفات إلى ذاتية وفعلية، بل كانوا يثبتون ما ثبت بالشرع في الكتاب والسنة، ويؤمنون بذلك بلا حرج ولا تحرج، مطمئنةٌ نفوسهم بها غاية الاطمئنان، وما نُفِي عن الله في الكتاب أو السنة نفوه، وما سكت الله ورسوله عنه أمسكوا عن الخوض فيه وسكتوا عنه.

لكن لما ظهرت بعض الفرق والطوائف وفرقت بين ما ثبت بالسمع وبين ما ثبت بالعقل؛ وبين الصفات اللازمة لذات الله، والصفات المتعلقة بالإرادة والمشيئة، وحملهم هذا التقسيم المبتدع على إثبات البعض، ونفي البعض الآخر، اقتضى ذلك من أهل السنة أن يقسموا هذا التقسيم - الذي كان المسلمون في الأصل في غنى عنه- للرد عليهم بنفس الأسلوب والطريقة التي استخدموها.

وفي الجملة، فهذه التقسيمات لا تعدو أن تكون صوريةً عند أهل الحق.

يقول المقريزي : « من أمعن النظر في دواوين الحديث النبوي ووقف على الآثار السلفية، علم أنه لم يرد قط من طريق صحيح ولا سقيم عن أحد من الصحابة – رضي الله عنهم على اختلاف طبقاتهم وكثرة عددهم – أنه سأل رسول الله عن معنى شيء مما وصف الرب سبحانه به نفسه... إلى أن قال : ... ولا فرّق أحدٌ منهم بين كونها صفة ذات، أو صفة فعل، وإنما أثبتوا له تعالى صفات أزلية من العلم والقدرة والحياة والإرادة والسمع والبصر والكلام والجلال والجود والعز والعظمة، وساقوا الكلام سوقاً واحداً، وهكذا أثبتوا - رضي الله عنهم - ما أطلقه الله سبحانه على نفسه الكريمة من الوجه واليد ونحو ذلك مع نفي مماثلة المخلوقين، فأثبتوا بلا تشبيه، ونزهوا من غير تعطيل، ولم يتعرض مع ذلك أحدهم إلى شيء من هذا، ورأوا بإجماعهم إجراء الصفات

كما وردت» اهـ.[١].

٤- موقف الأشاعرة من الصفات الخبرية:

ذهب المتقدمون منهم، وعلى رأسهم وفي مقدمتهم بعض الأئمة الذين ينتسب إليهم جمهور متأخري الأشاعرة كأبي الحسن الأشعري، وأبي بكر الباقلاني، وأبي بكر البيهقي: إلى إثبات الصفات الخبرية في الجملة، وخاصة ما ورد منها في القرآن نحو صفة العين، والوجه واليدين، وغير ذلك[٢].

قال أبو الحسن الأشعري: «باب الكلام في الوجه والعينين، والبصر واليدين. ثم ساق بعض الآيات في ذلك، ثم قال: فأخبر عن سمعه وبصره ورؤيته؛ ونفت الجهمية أن يكون لله وجه كما قال، وأبطلوا أن يكون له سمع وبصر وعين .. إلى أن قال: فمن سألنا، فقال: أتقولون إن لله سبحانه وجهاً؟ قيل له: نقول ذلك خلافاً لما قاله المبتدعون .. ثم قال: فإن سُئلنا: أتقولون: إن لله يدين؟ قيل: نقول ذلك.. ثم سَرَدَ الأدلة على ذلك، ثم قال: وليس يجوز في لسان العرب ولا في عادة أهل الخطاب أن يقول القائل: عملت كذا بيديّ، ويعني النعمة ....» اهـ[٣].

قال شيخ الإسلام في مَعرِض كلامه عن الأشاعرة:

« ... ولهم أيضاً اختلاف في الصفات السمعية القرآنية الخبرية كالوجه واليد، فأكثر متقدميهم، أو كلهم يثبتها، وكثير من متأخريهم لا يثبتها؛ وأما ما لا يرد إلا في الحديث فأكثرهم لا يثبتها..»[٤].

---

(١) الخطط والآثار للمقريزي (٢/ ٣٥٦)، وانظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٠٤).

(٢) انظر: الإبانة لأبي الحسن الأشعري ص ٥٣-٥٨، رسالة إلى أهل الثغر ص ٢٢٥، ٢٣٢، ٢٣٤، مقالات الإسلاميين ص ٢٩٠، ٢٩٧، التمهيد للباقلاني ص ٢٩٥، ٢٩٩، الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٢٥-٥٣)، الاعتقاد للمؤلف نفسه ص ٢٩-٣١.

(٣) الإبانة للأشعري ص٥٣-٥٨، ط: الجامعة.

(٤) الفتاوى (١٢/ ٣٢)

وقال في موضع آخر : «والأشعري وأئمة أصحابه، كأبي الحسن الطبري، وأبي عبد الله بن مجاهد الباهلي والقاضي أبي بكر متفقون على إثبات الصفات الخبرية التي ذكرت في القرآن؛ كالاستواء والوجه واليد، وإبطال تأويلها؛ ليس له في ذلك قولين أصلاً، ولكن لأتباعه في ذلك قولان... »[(١)] .

أما متأخرو الأشاعرة، بل جمهورهم، فقد ذهبوا إلى نفي هذا الصفات جملة، وسلّطوا التأويل على النصوص الواردة في ذلك، وذكر شيخ الإسلام أن أول من اشتهر عنه نفي هذا الصفات «أبو المعالي الجويني »[(٢)] .

وممن صرح بتأويلها من أئمتهم : البغدادي، وأبو حامد الغزالي، والفخر الرازي، والآمدي وغيرهم[(٣)] .

وزعم هؤلاء أن إثبات هذه الصفات يقتضي التشبيه والتمثيل، ويلزم منه التجسيم والتركيب[(٤)] .

وهم بذلك قد وافقوا المعتزلة في نفي هذه الصفات، وشاركوهم في تأويل النصوص الواردة فيها[(٥)] .

٥- مناقشتهم والرد عليهم:

لن أتطرق للرد عليهم تفصيلاً في كل صفة نفوها بمفردها، وإنما سأكتفي

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٢/ ١٧). وانظر: الفتاوى (٦/ ٥٢)، (١٢/ ٢٠٣-٢٠٤)، التسعينية للمؤلف نفسه (٣/ ٨٧٠-٨٧١). رسالة دكتوراه ـ تحقيق د. محمد العجلان.

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٢/ ١٨). وانظر: تأويل الجويني لهذه الصفات في كتابه: الإرشاد ص ١٥٥-١٦٤، الشامل ص٥٤٣-٥٧٠.

(٣) انظر: أصول الدين للبغدادي ص١٠٩-١١٢، الغنية في أصول الدين ص١١٣-١١٦، قواعد العقائد للغزالي ص١٦٧، إلجام العوام ص٧٥-٧٦، أساس التقديس للرازي ص٩٩ وما بعدها، غاية المرام للآمدي ص١٣٩-١٤٣.

(٤) انظر: أساس التقديس ص ١٨٢، غاية المرام ص ١٣٨.

(٥) انظر: شرح الأصول الخمسة ص ٢٢٦-٢٢٩.

بالرد عليهم إجمالاً :

فقولهم : « إن إثبات هذا الصفات يلزم منه التركيب والتجسيم ».

فهذه الشبهة سبق الرد عليها، والإجابة عنها في مسألة «العلو» و«الاستواء».

ومن أعظم ما يرد به على الأشاعرة في هذا بالقاعدة العامة:

« **القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر** » .

وذلك أن جمهور الأشاعرة يثبتون بعض الصفات وينفون بعضها.

وهـذه القـاعدة لا يُـرد بهـا عـلى الأشـاعرة وحدهـم فحسـب، بـل يمكـن استخدامها مـع جميع فرق المعطلة : فمَنْ أثبت الأسماء ونفى الصفات كالمعتزلة مـثلاً يُقـال لهـم : القـول في الصـفات كـالقول في الأسمـاء، ومثـلهم من ينفي الأسمـاء والصـفات معـاً كالجهمـية يقـال لهـم : القول في الأسماء والصفات كالقول في الذات، وهلم جرا.

والـذي يعنينا من هؤلاء من أثبت بعض الصفات ، وهي : ما يطلقون عليها اســم « الصـفات المعـنوية، أو العقلـية »، ونفـى بعضها ، وهي : ما ثبت بطريق الخبر فقط، وهؤلاء كما سلف هم جمهور الأشاعرة.

ويمكن الرد عليهم من خلال هذه القاعدة بالنقاط التالية :

أ ـ أنـا لا نسـلم أن العقـل لم يـدل إلا عـلى هـذه الصفات السبع فقط دون غيرهـا، بـل دلّ عـلى غيرهـا مما نفيتموه، فيمكن إثبات هذه الصفات بنظير ما أثبتم به تلك؛ فمثلاً دلالة الإنعام والإحسان إلى العباد وكشف الضر عنهم على الـرحمة كدلالـة التخصـيص عـلى الإرادة، وأيضـاً فإكـرام الطـائعين دال عـلى محبتهم، وعقاب الكافرين دال على بغضهم .. وهلم جرا .

إذاً فدلالة العقل ليست متوقفة على إثبات هذه الصفات السبع فقط[1].

---

(١) التدمرية ص ٣٤-٣٥، تحقيق د. محمد السعوي، الفتاوى (٦/ ٤٦)(١٣/ ٢٩٩) بتصرف وانظر: الصواعق المرسلة (١/ ٢٢٤).

ب ـ يُقال لهم : سلَّمنا جدلاً أن العقل لا يدل على سوى الصفات السبع، فإنه ـ والحالة هذه ـ لا ينفي الباقي، والسمع قد دل عليها، وهو دليل مستقل بنفسه؛ بل إن الطمأنينة إليه في هذه الأمور أعظم[١].

ج ـ فإن قالوا: بل العقل ينفي ذلك، لأنَّا لا نجد في الشاهد متصفاً بهذة الصفات إلا ما هو جسم، والعقل ينفي التجسيم.

قيل لهم: وهذا لازم لكم فيما أثبتموه، فإنه لا يوجد في الشاهد متصفاً بالسمع والبصر والكلام.. إلخ ما هو جسم، فإما أن تنفوا الجميع، أو تثبتوا الجميع، فنفي البعض وإثبات البعض هنا تفريق بين المتماثلات[٢].

د ـ فإن قالوا : الغضب غليان دم القلب لطلب الانتقام، والوجه هو ذو الأنف والشفتين واللسان والخد.

قيل لهم: والإرادة ميل النفس إلى جلب منفعة أو دفع مضرة.

فإن قالوا: هذه إرادة المخلوق.

قيل لهم : وهذا غضب المخلوق ووجهه.

ويقال لهم أيضاً : إن كنتم تريدون غضب المخلوق، ووجه العبد، فالبصر أيضاً لا يعقل إلا ما كان بشحمه، ولا يعقل سمعاً إلا ما كان بصماخ، ولا كلاماً إلا ما كان بشفتين ولسان، ولا إرادة إلا ما كان لاجتلاب منفعة أو استدفاع مضرة، وأنتم تثبتون للرب السمع والبصر والكلام والإرادة على خلاف صفات العبد، فإن كان ما تثبتونه مماثلاً لصفات العبد لزمكم التمثيل في الجميع، وإن كنتم تثبتونه على الوجه اللائق بجلال الله من غير مماثلة بصفات

---

(١) التدمرية ـ محققة ـ ص ٣٣-٣٤، الفتاوى (٦/ ٤٦)(١٣/ ٢٩٩-٣٠٠)- بتصرف.

(٢) انظر : النصيحة في صفات الرب لأحمد بن إبراهيم الواسطي ص ٢٢-٢٤، الفتاوى (٦/ ٤٥، ٤٦، ٤٧)، درء تعارض العقل والنقل (١/ ٩٩، ١٢٧-١٢٨)، الصواعق المرسلة (١/ ٢٢٤-٢٢٥).

المخلوقين فأثبتوا الجميعَ على هذه الوجهة المحدودة، ولا فرق بين صفة وصفة؛ فإن ما نفيتموه من الصفات يلزمكم فيه نظير ما أثبتموه، فإما أن تعطلوا الجميع ـ وهو ممتنع ـ وإما أن تمثلوه بالمخلوقات ـ وهو ممتنع ـ وإما أن تثبتوا الجميع على وجه يختص به لا يماثله فيه غيره. وحينئذ فلا فرق بين صفة وصفة[1].

هـ ـ ويقال لهم نظير ما يجيبون به خصومهم من الجهمية والمعتزلة. فقد قال لهم هؤلاء : لو قام به سبحانه صفة وجودية كالسمع والبصر والعلم والقدرة.. لكان محلاً للأعراض، ولزم التركيب والتجسيم، كما قلتم : لو كان وجه ويد وأصبع لزم التركيب والتجسيم، فجوابكم لهؤلاء ـ المعتزلة والجهمية ـ نعكسه عليكم ونجيبكم به.

فإن قالوا : نثبت هذه الصفات على وجه لا تكون أعراضاً ولا نسميها أعراضاً، فلا يستلزم التركيب والتجسيم.

قيل لهم : نحن نثبت هذه الصفات التي أثبتها الله لنفسه، والتي نفيتموها على وجه لا يستلزم الأبعاض والجوارح، ولا يُسمى المتصف بها مركباً ولا جسماً.

فإن قالوا : هذه لا يعقل منها إلا الأجزاء والأبعاض.

قيل لهم: وتلك لا يعقل منها إلا الأعراض.

فإن قالوا: إن كان الوجه عين اليد، وعين الأصبع، فهو محال، وإن كان غيره لزم التمييز ويلزم التركيب.

قيل لهم : وإن كان السمع هو عين البصر، وهما نفس العلم، وهي نفس الحياة .... فهو محال، وإن تميزت لزم التركيب.

---

(١) التدمرية ـ محققة ـ ص٣٢، الفتاوى (٦/ ٤٥-٤٦)- بتصرف يسير.

وانظر : تحريم النظر في كتب الكلام لابن قدامة ص٦٤، العلو للذهبي ص١٧٩.

فإن قالوا : لن نعقل صفات ليست أعراضاً تقوم بغير جسم، وإن لم يكن له نظير في الشاهد.

قيل لهم : فاعقلوا صفات ليست بأبعاض تقوم بغير جسم، وإن لم يكن له في الشاهد نظير(١) .

وبهذا يتضح قوة القاعدة، وأنها من أعظم ما يرد بها على هؤلاء وأقواها.

ومن خلالها أيضاً يتبيَّن مدى التناقض الذي وقعوا فيه، ولهذا استخدم بعض أئمتهم هذه القاعدة في الرد على من خالفهم، كما فعل الجويني في نفي الوجه واليدين عن الله، حيث قال : « ومن سلك من أصحابنا سبيل إثبات هذه الصفات بظواهر هذه الآيات، ألزمه سوق كلامه أن يجعل الاستواء والمجيء والنزول والجنب من الصفات تمسكاً بالظاهر..»(٢) .

وكما سبق، فهذه القاعدة يرد بها على جميع النفاة، فالمعطل يلزمه في كل ما نفاه نظير ما أثبته(٣) .

* * *

---

(١) الصواعق المرسلة (١/ ٢٢٦-٢٢٨)- بتصرف. وانظر : درء تعارض العقل والنقل (١/ ١٢٧-١٢٨) .

(٢) الإرشاد للجويني ص ١٥٧-١٥٨.

(٣) انظر في ذلك وكيف رد شيخ الإسلام بهذه القاعدة على جميع فرق المعطلة : التدمرية - محققة- ص٣١-٤٣.

د ـ الجمع بين نصوص إثبات علو الله ونصوص المعية

من المسائل التي ناقشها المؤلف وتعرَّض لها في هذا السِّفر مسألة « معية الله لخلقه » وعدم معارضتها ومناقضتها لنصوص الكتاب والسنة المثبتة لعلو الله على خلقه واستوائه على عرشه، ولهذا سأشير إليها هنا بشيء من الإيجاز.

١- النصوص المثبتة للمعية:

وردت نصوص كثيرة في إثبات معية الله لخلقه، منها:

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة:٧] .

وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد :٤] .

وقوله تعالى : ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:١٩٤] .

وقوله : ﴿ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة:١٥٣] .

وقوله: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة :٢٤٩].

وقوله: ﴿وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال:٦٦].

وقوله: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦] .

وقوله : ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: ١٢٣] .

وقوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل:١٢٨] .

وقوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت : ٦٩] .

وقوله : ﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى ﴾ [المائدة: ١٢].

وقوله : ﴿ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴾ [الشعراء:١٠] .

وقوله : ﴿ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ ﴾ [محمد: ٣٠] .

وقوله : ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه: ٤٦] .

وقولـه : ﴿ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ ﴾ [التوبة: ٤٠] .

وقولـه: ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ ﴾ [النساء: ١٠٨] .

وقوله : ﴿ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾ [الشعراء: ٦٢] .

أما من السنة فمن أصرح ما ورد في هذا : ما رواه البيهقي عن عبدالله بن معاوية الغاضري أن رسول الله ﷺ قال : **«ثلاثٌ من فعلهن فقد طَعِمَ طَعْمَ الإيمان...»** وذكر منها : **«وزكى عبد نفسه»** فقال رجل: ما تزكية المرء نفسه يا رسول الله؟ قال : **« يعلم أن الله معه حيث ما كان »**[1] .

(١) رواه البيهقي في « السنن الكبرى » (٤/ ٩٥-٩٦)، والطبراني في « المعجم الصغير» (١/ ٢٠١) وقال: لا يُروى هذا الحديث عن معاوية إلا بهذا الإسناد، تفرد به الزبيدي، ولا نعرف =

قال الحاكم : « قرأت بخط أبي عمرو المستملي : سئل محمد بن يحيى ـ يعني الذهلي ـ عن حديث عبد الله بن معاوية عن النبي ﷺ : « **ليعلم العبد أن الله معه حيث كان** » فقال : يريد أن الله علمه محيط بكل ما كان والله على العرش». اهـ [1].

وعن عبادة بن الصامت، قال : قال رسول الله ﷺ : «**إن أفضل إيمان المرء أن يعلم أن الله عز وجل معه حيث كان** »[2].

٢- شبهة نفاة العلو في استدلالهم بنصوص المعية :

تمسَّك نفاةُ العلو بهذه النصوص المثبتة لمعية الله لخلقه، وقالوا لأهل السنة: إن نصوصكم التي استدللتم بها على إثبات العلو منقوضة بهذه النصوص، وقالوا : فإن كان تأويل ما ورد في إثبات علو الله بعلو القدر والقهر والمكانة باطلاً، فتأويل معية الله لخلقه بمعية العلم والإحاطة والنصر والتأييد تأويل باطل أيضاً، والعكس بالعكس.

يقول الجويني في معرض كلامه عن ذلك: «فإن استدلوا ـ يعني أهل السنة ـ بظاهر قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥] فالوجه معارضتهم

= لعبد الله بن معاوية الغاضري حديثاً مسنداً غير هذا. اهـ.
ورواه البخاري في « التاريخ الكبير» (٥/ ٣١-٣٢)، وقال الحافظ ابن حجر في « التلخيص الحبير» (٢/ ١٦٣) عقب هذا الحديث: ورواه الطبري وجود إسناده، وسياقه أتم سنداً ومتناً» اهـ، وصحح الألباني إسناده، وقال : « رجاله ثقات رجال مسلم غير عبد الله بن سالم، وهو الزبيدي، وهو ثقة ». اهـ. السلسلة الصحيحة (٣/ ٣٨) رقم ١٠٤٦.

(١) العلو للذهبي ص١٣٦.

(٢) رواه البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ١٧٢)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ١٢٤)، وذكره الهيثمي في المجمع (١/ ٦٠) وقال : رواه الطبراني في الأوسط والكبير، وقال : تفرد به عثمان ابن كثير . قلت ـ يعني الهيثمي ـ : ولم أرَ من ذكره بثقة ولاجرح. اهـ.
وحسَّنه شيخ الإسلام، انظر: الفتاوى (٣/ ١٤٠).

بآي يساعدوننا على تأويلها؛ منها قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [الحديد: ٤].. فنسألهم عن معنى ذلك، فإن حملوه على كونه معنا بالإحاطة والعلم؛ لم يمتنع حمل الاستواء على القهر والغلبة.. »اهـ[١] .

وقال أبو سعيد النيسابوري (ت ٤٧٨هـ) في كتابة «الغنية في أصول الدين» : « ولكن الطريق في الجواب معهم ـ يعني أهل السنة أن نعارضهم بآيات تخالف ظواهرها ظواهر هذه الآيات المثبتة للعلو ـ ذلك مثل قوله تعالى : ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ إلى قوله : ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ [المجادلة: ٧] وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:٤] وموجب الآيتين حلوله في كل مكان ... إلى أن قال : فإن أعرضوا عن تأويل هذه الآيات مع الإيمان بظواهرها والاعتقاد بأنه لا يكون في كل مكان... أعرضنا نحن عن التأويل وصرنا إلى الإيمان بما ورد مع الاعتقاد بأن الحق منزه عن المكان، وإن صاروا إلى التأويل، وقالوا: المراد بقوله تعالى : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ بالعلم لا بالذات.... ضرباً إلى التأويل . وقلنا : المراد بقوله : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ بالقدرة...» اهـ[٢] .

٣- الرد على عليهم وإيضاح معنى المعية الواردة في النصوص:

لاشك أن معنى هذه المعية : إما معية نصر وتأييد، أو معية علم وإحاطة.

هذا هو ظاهر النص وحقيقته، وليس هناك تأويل وصرف للفظ عن ظاهره، ولا تناقض أيضاً بين هذه النصوص وبين أدلة العلو البتة.

---

(١) الإرشاد للجويني ص٤٠.

(٢) الغنية في أصول الدين ص٧٧. وانظر : لباب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الأصول للمكلاتي ص١٧٨-١٧٩، إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل لبدر الدين ابن جماعة ص١١٠-١١١.

وذلـك أن كـلمة « مـع » في اللغـة إذا أطلقت، فالمراد منها مطلق المصاحبة والمقارنـة، ولا يلـزم مـنها المخالطـة والمُماسَّـة والمحاذاة[1] فإذا قيدت بمعنى من المعاني دلّت على المصاحبة والمقارنة في هذا المعنى فقط.

وقد دلَّ على ذلك القرآن في مواضع كثيرة منها :

وقولـه تعالى : ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣] .

ولا يلزم من ذلك أن يكون مخالطاً مماساً للراكعين، بل قد يكون بينه وبينهم بـون شاسـع، ومـثله قولـــه تعـالى : ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [آل عمران:٤٣] .

وأيضـاً قوله تعالى : ﴿رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران:١٩٣].

وقولـــه: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النسـاء: ١٤٦] فهـو معهـم وإن كـان في أقصى المشرق وهم في أقصى المغرب.

وقولـــه : ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ ﴾ [الكهف : ٢٨]

وقولـه: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٧].

وقولـه : ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ﴾ [المدثر: ٤٥] .

وقولـه : ﴿ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ ﴾ [الأحزاب: ٥٠] .

---

(١) انظـر: معجـم مقاييس اللغـة لابـن فارس (٥/ ٢٧٤)، تاج العروس (٢٢/ ٢١٠-٢١١)، المفردات للأصبهاني ص٤٧٠.

ومعلوم أنهن هاجرن قبله وبعده بمدة.

وقولـــه : ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَٰهَدُوا مَعَكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنكُمْ﴾ [الأنفال: ٧٥] .

وقوله : ﴿فَتَرَبَّصُوٓا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ [التوبة: ٥٢] .

وقوله : ﴿فَٱنتَظِرُوٓا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾ [يونس : ٢٠] .

وقوله ﴿وَٱرْتَقِبُوٓا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ [هود: ٩٣].

وقوله: ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٤] .

وقوله: ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُۥ جَٰهَدُوا بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ [التوبة: ٨٨] .

وقوله : ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾ [ص:١٨].

وقوله : ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح : ٢٩].

وقوله : ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ [الممتحنة :٤].

وقوله: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُۥ﴾ [التحريم: ٨].

وقوله: ﴿هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي﴾ [الأنبياء: ٢٤] .

فالمعية هنا في جميع هذه الآيات دالة على مطلق المصاحبة، ولا يلزم منها المخالطة والمماسة بحال من الأحوال، وكثيراً ما يجري هذا في كلام الناس، فيقال : زوجة الرجل معه، وإن كان هو في مكان وهي في مكان بعيد عنه. ويقال أيضاً: الأمير مع جنده، وهو في المشرق وهم المغرب؛ ويقال أيضاً: مال الرجل معه، وداره معه، وضيعته معه، وهلم جراً، بل أوضح مثال على ذلك قولهم : ما زلنا نسير والقمر معنا، وفي كل هذه الأحوال لا يلزم من ذلك

المخالطة و المماسة.

فـإذا كـان هذا جائزاً في حق المخلوق، ففي حق الخالق من باب أولى، ولهذا كانـت معية الله لخلقه معية حقيقية لا تقتضي المخالطة والمماسة والمحاذاة، وقد دلّ على ذلك ظاهر الخطاب ومفهومه، وليس فيه صرف للفظ عن ظاهره[1] .

قال الإمام أبو عبد الله بن منده : «... فإن قيل : قد تأولتم قوله عز وجل : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ وحملتموه على العلم. قلنا : ما تأولنا ذلك، وإنما الآية دلّت على أن المراد بذلك العلم، لأنه قال في آخرها : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾. اهـ[2] .

٥- الكلام على آيتي « الحديد » و « المجادلة » وأقوال الأئمة في ذلك:

من أصرح الآيات التي وردت في إثبات معية الله لخلقه قوله تعالى في سورة « الحديد » : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الحديد: ٤]، وقوله تعالى في سورة « المجادلة » : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المجادلة:٧] .

ولهذا كثيراً ما يورد أهل البدع على أهل السنة هاتين الآيتين .

---

(١) انظر: الفتاوى (٣/ ١٤٢) (٥/ ٢٣١-٢٣٣) (٦/ ٢٢-٢٣) (١١/ ٢٤٩)، شرح حديث النزول ص ١٢٧-١٢٨، مختصر الصواعق (٢/ ٢٦٥-٢٦٦)، وانظر: ص٥٢١.

(٢) الحجة للأصبهاني (٢/ ٢٩١).

وقد حكى غير ما واحد من الأئمة الإجماع على أن المراد بالمعية هنا معية العلم.

قال أبو عمر الطلمنكي: « وأجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ ونحو ذلك من القرآن علمه وأن الله فوق السماوات بذاته مستوٍ على عرشه كيف شاء»اهـ[١].

وممن حكى الإجماع على ذلك أيضاً الإمام ابن عبدالبر، والإمام ابن كثير[٢].

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في قوله تعالى : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ قال : « عالم بكم أينما كنتم » اهـ[٣].

وأخرج عبد الله ابن الإمام أحمد عن مالك بن أنس أنه قال :« الله عز وجل في السماء وعلمه في كل مكان لا يخلو منه شيء. وتلا هذه الآية ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾...»[٤].

وعن معدان قال : سألت سفيان الثوري عن قوله عز وجل: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ قال : علمه. اهـ[٥].

وعن الضحاك قال : ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ

---

(١) العلو للذهبي ص ١٧٨، درء تعارض العقل والنقل(٦/ ٢٥٠-٢٥١) اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم ص١٤٢.

(٢) انظر: التمهيد لابن عبد البر (٧/ ١٣٨-١٣٩)، تفسير ابن كثير (٨/ ٦٧).

(٣) الدر المنثور للسيوطي (٨/ ٤٩).

(٤) السنة لعبد الله ابن الإمام أحمد (١/ ١٠٧).

(٥) رواه عبد الله ابن الإمام أحمد في السنة (١/ ٣٠٧)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ١٧٢)، واللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة (٢/ ٤٠١)، وابن عبد البر في التمهيد (٧/ ١٤٢)، والآجري في الشريعة ص٢٨٩.

﴿إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ قال: وهو عز وجل على العرش وعلمه معهم.اهـ[(١)].

وعن مقاتل بن حيان قال: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ يعني: قدرته وسلطانه وعلمه معكم أينما كنتم. اهـ[(٢)].

وعنه أيضاً في قوله: ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ يقول: علمه، وذلك قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فيعلم نجواهم ويسمع كلامهم، ثم ينبئهم يوم القيامة بكل شيء، هو فوق عرشه وعلمه معهم. اهـ[(٣)].

وقال الإمام أحمد في كتابه « الرد على الجهمية »: بيان ما تأولت الجهمية من قول الله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ قالوا: إن الله معنا وفينا.

فقلنا: الله جل ثناؤه يقول: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ثم قال: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ يعني الله بعلمه، ﴿وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ﴾ يعني الله بعلمه ﴿سَادِسُهُمْ﴾ ﴿وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ يعني بعلمه فيهم ﴿أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ يفتتح الخبر بعلمه ويختتم الخبر بعلمه...اهـ[(٤)].

وقال حنبل: قلت لأبي عبد الله: ما معنى قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ و﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ قال: علمه عالم الغيب والشهادة،

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٨/ ١٠)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ١٧٢)، وابن عبدالبر في التمهيد (٧/ ١٣٩)، والآجري في الشريعة ص٢٨٩.

(٢) رواه البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ١٧٣).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٢٨/ ١٢)، اللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة (٢/ ٤٠٠)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ١٧٤).

(٤) الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد ص١٣٨.

علمه محيط بكل شيء علام الغيوب، يعلم الغيب، ربنا على العرش بلا حد ولا صفة. اهـ[(١)].

وقال نعيم بن حماد في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ ﴾ معناه: لا يخفى عليه خافية بعلمه؛ ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ أراد أن لا تخفى عليه خافية. اهـ[(٢)].

وسئل علي بن المديني عن قوله: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ فقال : اقرأ ما قبله: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ ﴾. اهـ[(٣)].

وقال يحيى بن عمار السجزي : « هو بذاته على العرش، وعلمه محيط بكل شيء، وسمعه وبصره وقدرته مدركة لكل شيء، وهو معنى قوله تعالى : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾» اهـ[(٤)].

وقال ابن جرير الطبري : « وعنى بقوله : ﴿هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ بمعنى أنه مشاهدهم بعلمه وهو عرشه ». اهـ.

وقال أيضاً عند قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ : « وهو شاهد لكم أيها الناس أينما كنتم يعلمكم، ويعلم أعمالكم ومتقلبكم ومثواكم، وهو على عرشه فوق سماواته السبع..»اهـ[(٥)].

وعن أبي حنيفة أنه قال في قوله : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ قال :« هو كما تكتب

---

(١) أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٢/ ٤٠٢)، اجتماع الجيوش لابن القيم ص٢٠٠، إثبات صفة العلو لابن قدامة ص١٦٧.

(٢) اجتماع الجيوش لابن القيم ص ٢٢١، مختصر العلو للذهبي ص ١٨٤وصحح الألباني إسناده.

(٣) اجتماع الجيوش ص ٢٣٤، مختصر العلو ص ١٨٩.

(٤) اجتماع الجيوش ص ٢٧٩، مختصر العلو ص ٢٦٣.

(٥) تفسير ابن جرير (٢٧/ ٢١٦) (٢٨/ ١٢).

إلى الرجل أني معك وأنت غائب عنه »اهـ [١] .

وقال الإمام الدارمي في معرض كلامه عن آية ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ ...﴾ الآية قال: « هذه الآية لنا عليكم لا لكم، إنما يعني أنه حاضر كل نجوى مع كل أحد من فوق العرش بعلمه، لأن علمه بهم محيط وبصره فيهم نافذ، لا يحجبه شيء عن علمه وبصره، ولا يتوارون منه بشيء، وهو بكماله فوق العرش بائن من خلقه... إلى أن قال : ... غير أنكم جهلتم معناها، فضللتم عن سواء السبيل، وتعلقتم بوسط الآية وأغفلتم فاتحتها وخاتمتها، لأن الله عز وجل افتتح الآية بالعلم بهم وختمها به، فقال : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الآية، ففي هذا دليل على أنه أراد العلم بهم وبأعمالهم.. » اهـ [٢] .

وقال أبو بكر الآجري: «فإن قال قائل: فأيش معنى قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ ﴾ الآية التي بها يحتجون؟ قيل له : علمه عز وجل، والله على عرشه وعلمه محيط بهم وبكل شيء من خلقه، كذا فسَّره أهل العلم، والآية تدل أولها وآخرها على أنه العلم إلى أن قال : فعلمه عز وجل محيط بجميع خلقه. وهو على عرشه، وهذا قول المسلمين ». اهـ[٣] .

وسأل ابن شاهين الإمام الجنيد عن معنى : « مع »، فقال: « مع » على معنيين: مع الأنبياء بالنصرة والكلاءة، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ

(١) رواه البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ١٧٠).

(٢) الرد على الجهمية للدارمي ص٣٥-٣٦.

(٣) الشريعة للآجري ص٢٨٨.

وَأَرَىٰ﴾ [طه:٤٦]، ومع العامة بالعلم والإحاطة، قال الله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ ...». اهـ[1].

هذه أقوال جملة من أئمة السلف في هاتين الآيتين، ولم يُعرف عن أحد ممن يُعتدُّ بقوله أنه أنكر عليهم ذلك، أو قال: إن هذا صرف للفظ عن ظاهره، أو قال: إن لازم الآية وظاهرها يقتضي المخالطة والمماسة والمحاذاة.

٥- أقسام المعية:

لقد نظر العلماء في نصوص المعية وسبروها، فوجدوا أنها تنقسم قسمين لا تخرج عن أحدهما: **معية عامة، ومعية خاصة.**

أ- المعية العامة:

وهي الشاملة لجميع الخلق قاطبة، ولا يتخلف عنها أحد البتة، ومثالها نحو قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ﴾ [المجادلة:٧].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد:٤].

وقوله تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ﴾ [النساء:١٠٨].

ومقتضى هذه المعية: العلم والإحاطة والسمع والبصر ونفوذ القدرة، ونحو ذلك.

ب- المعية الخاصة:

وهذه المعية ليست شاملة لجميع الخلق، بل تخص نوعية منهم، ومثال ذلك نحو:

---

(١) الرسالة القشيرية ص٤٦.

قولــه تعــالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨].

وقولـه تعالى :﴿ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ [الشعراء:٦٢] .

وقولـه تعالى : ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩] .

وقولــه: ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة:٤٠] .

وهذا النوع كثير من القرآن، وسبق ذكر شيء من ذلك.

ومقتضى هذه المعية : النصر والتأييد والإعانة والتسديد والهداية والتوفيق، ونحو ذلك[1] .

* * *

---

(١) انظر : الفتاوى (١١/ ٢٤٩-٢٥٠)، مختصر الصواعق (٢/ ٢٦٦-٢٦٧)، تفسير ابن كثير (٤/ ٥٣٤)، أضواء البيان (٣/ ٣٨٩-٣٩٠)، معارج القبول (١/ ١٦٦).

الفصل الرابع

١ـ النسخ الخطية للكتاب
٢ـ طبعات الكتاب

الفصل الرابع

المبحث الأول: نسخ الكتاب الخطية

بعـد البحـث والتفتيش عثرت على عدة نسخ للكتاب، وقد حصلت عليها جميعاً ـ ولله الحمد والمنة ـ وهي كالتالي:

١- نسخة مصورة من المكتبة الظاهرية ورقمها ٣١، ٣٣/ ٢ عدد صفحاتها ١٩ لوحـة، في كـل صـفحة ٢٦-٢٩سـطراً في كل سطر ١٤كلمة تقريباً. ليس عليها تاريخ نسخ، ولا اسم الناسخ.

٢- نسـخة مصـورة مـن المكتـبة الظاهــرية أيضـاً، ورقمهــا ٣٠٢٨ عــدد صـفحاتها ٣٦ لوحـة، في كل صفحة ١٧ سطراً، في كل سطر ١٣ كلمة تقريباً. لـيس علـيها تـاريخ نسـخ، ولا اســم الناسـخ، يوجد بها سقط، كما أن عليها تعليقات كثيرة، وأكثرها غير واضح.

كتـب في نهايتها : « فرغ من تعليقها أفقر عباد الله إليه وأحوجهم إلى عفوه ومغفرته أحمد بن عثمان يوسف بن سالم بن محمد...» .

٣- نسخة مصورة من مكتبة برلين، ورقمها ١٩٩٦م.

عدد صفحاتها ٣٧ لوحة، في كل صفحة ٢٣سطراً، في كل سطر ١١ كلمة تقريباً.

النسخة ليس عليها عنوان، ولا تاريخ نسخ، ولا اسم الناسخ.

٤- نسخة مصورة من مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ورقمهـا ٢٠٣ف. عـدد صفحاتها ٤٣ لوحة، في كل صفحة ٢٠ سطراً، في كل سطر ١٤ كلمة تقريباً. تاريخها ١٢٨٣هـ، وليس عليها اسم الناسخ.

٥- نسـخة مصـورة مـن المكتبة المركزية بجامعة الملك سعود، ورقمها ٤١٢٢. عـدد صـفحاتها ١٦لوحـة، في كـل صـفحة ١٩سـطراً، في كل سطر ١١ كلمة

تقريباً. تاريخها ١٢٢٤هـ، وليس عليها اسم الناسخ.

٦- نسخة مصورة من المكتبة المركزية بجامعة الملك سعود ورقمها ٣٩٤٦، عدد صفحاتها ٤٨ لوحة، في كل صفحة ٢٦سطراً، في كل سطر ١٥ كلمة تقريباً. تاريخ نسخها في القرن الثالث عشر.

٧- نسخة مصورة من المكتبة السعودية بدار الإفتاء، ورقمها ٥٦٧/ ٨٦. عدد صفحاتها ٦٤ في كل صفحة ٢٣سطراً، في كل سطر ١٣كلمة تقريباً.

وهي ضمن مجموعة كتبت بخط واحد، وتاريخ إحدى نسخ المجموعة ١٢٢٧هـ، سقط من أول المخطوط عدة ورقات.

٨- نسخة مصورة أيضاً من المكتبة السعودية بدار الإفتاء، ورقمها ٥٩٣/ ٨٦.

عدد صفحاتها ٩٣ صفحة، في كل صفحة ٢١ سطراً، في كل سطر ١١ كلمة تقريباً. ليس عليها تاريخ نسخ ولا اسم الناسخ.

٩ – نسخة مصورة أيضاً من المكتبة السعودية بدار الإفتاء، ورقمها ٦٨٦/ ٨٦.

عدد صفحاتها ٢١ لوحة، في كل صفحة ٢٤ سطراً، في كل سطر ١٥ كلمة تقريباً. وهذه النسخة ضمن مجموع كبير يضم ١٦كتاباً.

في آخر صفحة كتب « بلغ قراءة على شيخنا عبد الرحمن.... أبقاه الله تعالى بمنّه... في شهر ... المبارك سنة ١٢٧٢هـ . قاله كاتبه بقلمه وقابله ... أحمد بن إبراهيم بن حمد بن محمد بن عيسى....» كما كتب في هامش الصفحة الأولى : « هذه النسخة مختصرة اختصاراً كلياً »

وبعد النظر والمقارنة بين هذه النسخ اتضح لي أنه يمكن تقسيمها ثلاثة أقسام، كل قسم من هذه الأقسام يوجد فيه تشابه بين نسخه إلى حد ما، مما

يجعل الاحتمال قائماً أن كل مجموعة من هذه الأقسام منقولة من أصل واحد، أو بعضها منقول من بعض، ولهذا اخترت من كل مجموعة نسخة واحدة.

وهذا المجموعات كما يلي :

القسم الأول :

أ- نسخة المكتبة الظاهـرية رقم ٣١/ ٣٣/ ٢.

ب- نسخة المكتبة الظاهرية رقم ٣٠٢٨.

ج- نسخة برلين رقم ١٩٩٦.

واخترت من هذه المجموعة « نسخة الظاهرية » رقم ٣١ ، ٣٣/ ٢ وكما أسلفت، فإن عدد صفحاتها ١٩ لوحة، في كل صفحة ٢٦-٢٩سطراً في كل سطر ١٤ كلمة تقريباً.

كتبت بخط نسخ متوسط، بعض حروفها معجم غير منقوط، وفي بعض الأسطر بياض يسير.

لا يوجد عليها تاريخ نسخها، ولا اسم الناسخ، ولكن كتب على الصفحة الأولى تمليك « ليوسف بن حسن بن عبد الهادي » وبعد مراجعة نماذج من خطه في كتاب « الأعلام » (٨/ ٢٢٥) وإحدى المخطوطات التي كتبها بيده، وهي : « مغني ذوي الأفهام عن الكتب الكثيرة في الأحكام » لابن عبد الهادي نفسه[1]، وأيضاً سؤال المختصين: تبين أن هذا التمليك كتبه بيده، وقد عاش في الفترة (٨٤٠- ٩٠٩هـ) فتكون هذه النسخة كتبت في زمنه أو قبل ذلك.

يوجد عليها بعض التعليقات والتصحيحات اليسيرة، كتب في أعلى الصفحة الأولى: « الفتيا المعروفة بالحموية، من كلام شيخ الإسلام أبي العباس

---

(١) وهذه النسخة محفوظة في قسم المخطوطات « بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية » رقم الحفظ ١٨٦٦ف.

أحمد بن تيمية » ثم أسفل من ذلك كتب : « ملك يوسف بن حسن بن عبد الهادي، وختم عليها بختم الظاهرية .

لم يذكر في بداية المخطوط تاريخ السؤال الموجه إلى شيخ الإسلام، وما سبَّبَه هذا الجواب من أمور ومحن، بل ابتدأ المخطوط بالسؤال مباشرة خلافاً لنسخ المجموعة الثانية والثالثة.

وقد جعلت هذه النسخة هي الأصل، وذلك لما يلي:

لأنها أقدم نسخة عثرت عليها، وليست بعيدة العهد عن زمن المؤلف، كما يوجد عليها بعض التصحيحات والتعليقات؛ مما يدل على أنها قرئت وقوبلت على نسخة أخرى، وأيضاً خلوها من الخروم والسقط . ورمزت لها بـ(الأصل).

القسم الثاني:

أ- نسخة مركز الملك فيصل رقم ٢٠٣ف .

ب - نسخة جامعة الملك سعود رقم ٣٩٤٦ .

ج- نسخة المكتبة السعودية رقم ٨٦/٥٦٧.

د- نسخة المكتبة السعودية رقم ٨٦/٥٩٣.

هـ- نسخة المكتبة السعودية رقم ٨٦/٦٨٦.

واخترت من هذه المجموعة « نسخة مركز الملك فيصل » رقم ٢٠٣ف، عدد صفحاتها كما سبق ٢٣ لوحة، في كل صفحة ٢٠سطراً، في سطر ١٤ كلمة تقريباً.

كتبت بخط نسخ لا بأس به، كثير من كلماتها مشكولة، تاريخ نسخها في رجب ١٢٨٣هـ، ليس عليها اسم الناسخ، النسخة مقروءة ومصححة وعليها بلاغات.

كتب على الصفحة الأولى : « جواب المسألة الحموية في العقيدة السلفية للشيخ الإمام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية أسكنه الله الغرف العالية، آمين إنه غفور رحيم آمين آمين ، يا رب العالمين » وبجانب هذا كتب « بسم الله الرحمن الرحيم، قد دخل في ملك الفقير إلى الله ـ وطمس الاسم وبعده ـ بنت عبد الله الراجحي، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم، سليمان الراجحي غفر الله له ولوالديه ولإخوانه المسلمين، البكيرية » .

وكتب في الصفحة الثانية : « لقد وقف هذا الكتاب الشريف من فضل ربه حمد الناصر بن مطلق الراجحي، ووالدته مزنة المحمد بن سليمان الراجحي وقفاً لله على طلبة العلم من الرواجح، فإن لم يكن فيهم قارئ، فعلى طلبة العلم من أهل البكيرية طلباً للثواب لا يباع ولا يوهب، فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم؛ والناظر عليه عقيل المحمد الراجحي، شهد به كاتبه عبد الله بن محمد الرشيمي ١٣٠٨هـ » وكتب تحته « هذا الكتاب عندي عارية لعلي بن منصور الراجحي جزاه الله خيراً، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم » .

وكتب في الصفحة الثالثة في الحاشية : « فيعلم من يرى هذا الكتاب بأنه وقف لوجه الله لا يباع ولا يوهب ولا يشترى وقفه من فضل ربه حمد الناصر الراجحي ووالدته مزنة المحمد السليمان على طلبه العلم من عياله، فإن لم يكن فيهم طالب علم فعلى طلبة العلم من الرواجح، فإن لم يكن فيهم طالب علم فعلى طلبة العلم من أهل البكيرية، فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم رجاء المثوبة، نسأل الله أن ينفع به إنه سميع عليم، وأن يغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين إنه غفور رحيم وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ١٣٠٨هـ ».

وهذه النسخة سَلِمت من الطمس والبياض سوى كلمات يسيرة جداً، كما أن بعض كلماتها موضحة بالخط الأسود العريض نحو : «قال» «وروى» «وذكر» وبعض الأعلام.

وقد رمزت لهذه النسخة بحرف (ج) .

القسم الثالث:

وهو نسخة جامعة الملك سعود رقم ٤١٢٢، عدد صفحاتها ٣٦ لوحة، في كل صفحة ١٩سطراً، في كل سطر ١١ كلمة تقريباً، كتبت بخط نسخ لا بأس به، غير أنه في بعض الأحيان تكون الحروف متداخلة كأن الرطوبة أثرت عليها، أكثر كلماتها وضع فوقها خطوط، كتب في آخرها: «كان الفراغ من رقمه ضحى يوم الاثنين ٢٢ شهر ربيع الثاني سنة ١٢٢٤هـ» .

النسخة عارية تماماً عن أي تصحيح أو تعليق.

وقد رمزت لها بحرف (ع) .

* * *

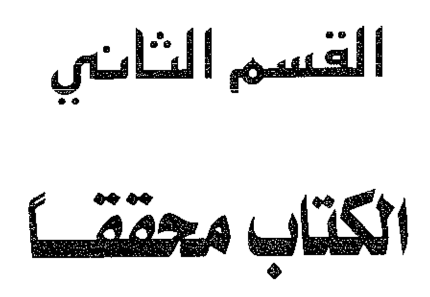
المبحث الثاني: طبعات الكتاب

هذا الكتاب ـ الحموية الكبرى ـ شأنه شأن كثير من كتب شيخ الإسلام، حيث طبع عدة طبعات مفردة وضمن مجاميع، وأقدم نسخة مطبوعة عثرت عليها:

« النسخة الهندية ـ طبعت ضمن مجموع ـ ١٣٢٢هـ في مطبعة القرآن والسنة ـ الهند، ونسخة أخرى طُبعت ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ط. الأولى ١٣٢٣هـ المطبعة العامرة الشرفية ـ مصر » .

وجميع الطبعات تفتقر إلى التحقيق العلمي، كما أنها لم تخدم الخدمة المطلوبة، جلها طبع متناً دون أي تعليق أو توثيق ، وبعد مقارنتي لهذه الطبعات تبين لي أن جميعها إما منقول عن أصل واحد، أو بعضها مصور من بعض.

* * *



القسم الثاني

الكتاب محققاً







بسم الله الرحمن الرحيم[١]

سُئل[٢] شيخُ الإسلام[٣]، أبو العباس[٤] أحمد بن تيمية[٥] [وذلك في سنة ثمان وتسعين وستمائة[٦]، وجرى بسبب هذا الجواب أمور ومحن[٧]، وهو جواب عظيم النفع جداً. فقال السائل:][٨].

ما قولكم[٩] في آيات الصفات كقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ

---

(١) في (ج) زيادة « وبه نستعين والحمد لله رب العالمين» ، وفي (ع) : « وبه نستعين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » .

(٢) السؤال ورد من حماة من بلاد الشام، ولذا سميت بالحموية. ومضى الكلام على ذلك في «تسمية الكتاب».

انظر العقود الدرية ص ٦٧، ١٩٨، البداية والنهاية (١٤/ ٤).

(٣) في (ع) زيادة «الرباني تقي الدين».

(٤) «أبو العباس» سقطت من (ع).

(٥) في (ج): سئل الشيخ الإمام العلامة الحبر الحافظ المجتهد، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام ابن تيمية رحمه الله.

(٦) انظر البداية والنهاية (١٤/ ٤)، العقود الدرية (ص٦٧).

(٧) أشار إلى شيء من ذلك الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية (١٤/ ٤)» وابن حجر في «الدرر الكامنة (١/ ١٥٥)»، والشوكاني في «البدر الطالع (١/ ٦٥)».

وانظر إلى تفصيل ذلك في العقود الدرية (ص١٩٥)، حيث قام بعض مبتدعة زمانه ضده، وتألبوا عليه، وسعوا به إلى الأمراء والقضاة بسبب هذا الجواب. وتقدمت الإشارة إلى شيء من ذلك.

(٨) ما بين المعكوفتين من (ج، ع).

(٩) في (ج، ع) (ما قول السادة الفقهاء أئمة الدين).

ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه :٥][١] ، وقوله تعالى : ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ﴾ [فصلت : ١١]، إلى غير ذلك من الآيات وأحاديث الصفات؛ كقوله ﷺ: **«إن قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن»**[٢] وقوله : **«يضع الجبار قدمه في النار»**[٣] إلى غير ذلك من الأحاديث[٤] [وما قالت العلماء، وابسُطوا القول في ذلك مأجورين إن شاء الله تعالى؟][٥] فأجاب :

---

(١) في (ج،ع) زيادة : ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الأعراف: ٥٤].

(٢) رواه مسلم (٤/ ٢٠٤٥) رقم ٢٦٥٤، كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء .

أما معنى الحديث فيجرى على ظاهره ، ولا يتأول، ولا يلزم من ذلك أن تكون القلوب مماسة ومتصلة بالأصابع، ولا أنها في جوفه، فقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [البقرة:١٦٤]، ﴿وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ﴾ [المائدة: ٤٦]، ﴿وَمِنَ ٱلۡجِنِّ مَن يَعۡمَلُ بَيۡنَ يَدَيۡهِ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦ﴾ [سبأ: ١٢]، وأمثال ذلك كثير، فهذا لا يلزم منه أن يكون السحاب مماساً للسماء والأرض، والتوراة مماسة ليديه ، وكذلك الجن .

انظر التدمرية ـ محققة ـ ص٧٣، لوامع الأنوار (١/ ٢٣٦ـ٢٣٨).

(٣) رواه البخاري بنحوه، الفتح (٨/ ٥٩٤) رقم ٤٨٤٨، ٤٨٤٩، ٤٨٥٠، كتاب التفسير، باب ﴿وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٖ﴾ .

ورواه مسلم (٤/ ٢١٨٦) رقم ٢٨٤٨، كتاب الجنه وصفة نعيمها وأهلها، باب: النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء، بلفظ : «لا تزال جنهم تقول هل من مزيد، حتى يضع فيها رب العزة تبارك وتعالى قدمه. فتقول: قط، قط، وعزتك، ويزوي بعضها إلى بعض».

(٤) «من الأحاديث» سقطت من (ع).

(٥) ما بين المعكوفتين من (ج،ع).

[الحمد لله رب العالمين][1] قولنا فيها[2] ما قاله الله ورسوله ﷺ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، وما قاله أئمة الهدى بعد هؤلاء الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم[3]، وهذا هو الواجب على جميع الخلق في هذا الباب[4] وغيره، فإن الله بعث محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد، وشهد له بأنه بعثه داعياً إليه بإذنه وسراجاً منيراً، وأمره أن يقول: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨].

فمن المحال في العقل والدين أن يكون السراج المنير[5] الذي أخرج [الله][6] به الناس من الظلمات إلى النور، وأنزل معه الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، وأمر الناس أن يردُّوا ما تنازعوا فيه من دينهم إلى ما بعث به من الكتاب والحكمة[7]، وهو يدعو إلى الله وإلى سبيله بإذنه على

إحكام الرسول ﷺ باب الإيمان بالله اعتقادا وقولا

---

(١) ما بين المعكوفتين من (ج، ع).

(٢) « فيها » سقطت من (ع).

(٣) كالأئمة الأربعة، والسفيانين، والزهري، وابن المبارك، وغيرهم كثير.

(٤) أي في باب ما يوصف الله به.

(٥) قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ۝﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦].

وهذه صفة من صفاته ﷺ التي جاءت في القرآن الكريم، وذلك أنه شبهه تعالى بالشمس؛ لأن الدنيا أضاءت به، وبشريعته؛ إذ كانت مظلمة بالكفر.

انظر: الشفا (١/ ٣١٩)، تفسير ابن كثير (٦/ ٤٣١)، عمدة الحفاظ (٢/ ٢١٤).

(٦) ما بين المعكوفتين من (ج).

(٧) هذه صفة أهل الإيمان بالرجوع عند التنازع إلى كتاب الله وما صح من سنة نبيه ﷺ =

بصيرة، وقد أخبر[١] أنه أكمل له ولأمته دينهم، وأتم عليهم نعمته ـ محال مع هذا وغيره ـ أن يكون قد ترك باب الإيمان بالله والعلم به ملتبساً مشتبهاً، فلم يميز [بين][٢] ما يجب لله من الأسماء الحسنى والصفات العليا[٣]، وما يجوز عليه[٤] وما يمتنع عليه[٥].

فإن معرفة هذا أصل الدين، وأساس الهداية، وأفضل[٦] ما اكتسبته القلوب، وحصلته النفوس، وأدركته العقول، فكيف يكون ذلك الكتاب، وذلك الرسول وأفضل خلق الله[٧] بعد النبيين لم يحكموا هذا الكتاب اعتقاداً وقولاً ؟!

ومن المحال أيضاً أن يكون النبي ﷺ قد علَّم أمَّته كل شيء حتى الخراءة[٨][٩]، وقال: «تركتكم على

= في الدقيق والجليل، وهذا من لوازم الإيمان وصحته. انظر لوامع الأنوار البهية (١/ ٦).

(١) في (ع) زيادة «الله».

(٢) ما بين المعكوفتين من (ع).

(٣) مثل صفات الكمال، كالحياة والعلم، والقدرة ...

(٤) مثل صفات الفعل كالمجيء ، والنزول والاستواء ..

(٥) مثل صفات النقص كالسِّنَة والنوم والأكل والشرب..

انظر أم البراهين لأبي عبدالله محمد بن يوسف الحسيني ص٣-٦ ضمن مجموع أمهات المتون، شرح أسماء الله الحسنى للرازي ص٥٠ .

(٦) في (ع) زيادة «وأوجب».

(٧) في (ج) «خلقه» بدل : خلق الله.

(٨) الخراءة ـ مكسورة الخاء ممدوة الألف ـ : الجلسة للتخلي والتنظف منه والأدب فيه. انظر: غريب الحديث للخطابي (٣/ ٢٢٠)، النهاية (٢/ ١٧) لسان العرب (١/ ٦٤).

(٩) أشار المؤلف بذلك إلى الحديث الذي رواه مسلم (٢١/ ٢٣٣) رقم ٢٦٢ كتاب الطهارة، باب الاستطابة، ونصه :

«عن سلمان ، يعني الفارسي رضي الله عنه قال: قيل له قد علمكم نبيكم ﷺ كل شيء =

البيضاء[١] ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي[٢] إلا هالك»[٣]، وقال فيما صح عنه أيضاً **«ما بعث الله من نبي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على**

= حتى الخراءة؟. فقال: أجل، لقد نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول، أو أن نستنجي باليمين، أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار، أو أن نستنجي برجيع أو بعظم.

(١) **البيضاء** : الحجة الواضحة التي لا تقبل الشبه أصلاً، مأخوذ من البياض وهو الوضوح. انظر تعليق عبدالباقي على سنن ابن ماجه (١/ ١٦)، لسان العرب (٧/ ١٢٢).

(٢) بعدي سقطت من (ج).

(٣) الحديث بهذا اللفظ رواه ابن ماجه (١/ ١٦) رقم ٤٣ المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، ونصه :

«عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب. فقلنا : يا رسول الله. إن هذه لموعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟ قال: **«قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك ...»** الحديث.

- رواه أحمد (٤/ ١٢٦).
- وابن أبي عاصم في كتاب السنة (١/ ٢٧) رقم ٤٨، ٤٩.
- والآجري في الشريعة ص٤٧.
- واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢/ ٧٤) ص٧٩.
- والحاكم (١/ ٩٦) وقال: «وقد تابع عبدالرحمن بن عمرو على روايته عن العرباض بن سارية ثلاثة من الثقات الأثبات من أئمة أهل الشام، منهم: حجر بن حجر الكلاعي» اهـ .
- والخطيب البغدادي في كتاب الفقيه والمتفقه (١/ ١٧٦).

وقد حكم الألباني على الحديث بالصحة، وقال: «وهذا إسناد صحيح، رجاله كلهم ثقات معروفون، غير عبدالرحمن بن عمرو هذا، وقد ذكره ابن حبان في الثقات، وقد روى عنه جماعة من الثقات، وصحح له الترمذي، وابن حبان والحاكم في التهذيب..» .

خير ما يعلمه لهم وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم»[١] [٢].

وقال أبو ذر رضي الله عنه: «لقد توفي رسول الله ﷺ وما من طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علماً»[٣].

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه «قام فينا رسول الله ﷺ [مقاماً][٤] فذكر[٥] بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم، حفظ

= انظر: تخريج أحاديث السنة لابن أبي عاصم (١/ ٢٧)، سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ٦٤٧) رقم ٩٣٧.

(١) في (ع) تكررت جملة «وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم» مرتين.

(٢) الحديث أخرجه مسلم (٣/ ١٤٧٢) رقم ١٨٤٤ كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء، الأول فالأول. في حديث طويل عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه بلفظ: **«إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم ...»** الحديث.

(٣) رواه الإمام أحمد (٥/ ١٥٣، ١٦٢) بلفظ «لقد تركنا محمد ﷺ وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علماً» وبلفظ آخر «لقد تركنا رسول الله ﷺ وما يتقلب في السماء طائر... » الحديث.

- رواه الطبراني في الكبير (٢/ ١٦٦) رقم ١٦٤٧ بنحو من ذلك.

- وذكره الهيثمي في المجمع (٨/ ٢٦٣) باب فيما أوتي من العلم ﷺ وقال: «رواه أحمد والطبراني ... ورجال الطبراني رجال الصحيح غير محمد بن عبدالله بن يزيد المقرئ وهو ثقة، وفي إسناد أحمد من لم يسم.» اهـ. وأورده بنحو من ذلك عن أبي الدرداء، وقال رواه: الطبراني، ورجاله رجال الصحيح. اهـ المجمع (٨/ ٢٦٤).

(٤) ما بين المعكوفتين من (ج، ع) وكذا صحيح البخاري.

(٥) في (ج) زيادة «فيه».

ذلك من حفظه ونسيه من نسيه» رواه البخاري[١] .

محال مع تعليمهم كل شيء لهم فيه منفعة في الدين – وإن دقت – أن يترك تعليمهم ما يقولونه بألسنتهم [ويعتقدونه][٢] بقلوبهم[٣] في ربهم ومعبودهم رب العالمين، الذي معرفته غاية المعارف، وعبادته أشرف المقاصد، والوصول إليه غاية المطالب، بل هذا خلاصة الدعوة النبوية وزبدة الرسالة الإلهية، فكيف يتوهم من في قلبه أدنى مُسكة[٤] من إيمان وحكمة، أن لا يكون [بيان][٥] هذا الباب قد وقع من الرسول ﷺ على غاية التمام، إذا كان قد وقع ذلك[٦] منه، فمن المحال أن [يكون][٧] خير أمته

منزلة العلم بالله تعالى

---

(١) الحديث بهذا اللفظ رواه البخاري (٦/ ٢٨٦) رقم ٣١٩٢، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧].

وأخرج البخاري نحواً من هذا الحديث عن حذيفة رضي الله عنه (١١/ ٤٩٤) رقم ٦٦٠٤، كتاب القدر، باب وكان أمر الله قدراً مقدوراً .

ورواه مسلم (٤/ ٢٢١٧)، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة .

(٢) ما بين العكوفتين من (ج)، وهو بياض في (الأصل) .

(٣) في (الأصل، ع) « وقلوبهم » وما أثبت من (ج).

(٤) **مُسكة**: المسكة هنا: البقية، يقال: فيه مسكة من خير، أي بقية من خير، وتطلق المسكة على الرأي والعقل الذي يرجع إليه، فلان لا مسكة له، أي : لا عقل له ولا رأي. انظر: لسان العرب (١٠/ ٤٨٨)، المعجم الوسيط ص ٨٦٩.

(٥) «بيان» غير موجودة في (الأصل) وما أثبت من (ج، ع).

(٦) في (ج) تقدمت «ذلك» بعد : كان.

(٧) ما بين العكوفتين من (ج).

وأفضل قرونها قصروا في هذا الباب[١]، زائدين فيه أو ناقصين عنه.

استحالة تقصير السلف في أصول الدين وفروعه

ثم من المحال أيضاً أن تكون القرون الفاضلة ـ القرن الذي بعث فيهم[٢] رسول الله ﷺ ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم[٣] ـ كانوا غير عالمين

---

(١) أي باب العقائد عموماً، والأسماء والصفات خصوصاً .

(٢) في (ج، ع) « فيه».

(٣) روى البخاري (٧/ ٣) رقم ٣٦٥٠، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ باب فضائل أصحاب النبي ﷺ ومن صحب النبي ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه .

ومسلم (٤/ ١٩٦٤) رقم ٢٥٣٥ كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»، قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثاً.. » الحديث. وهذا لفظ البخاري.

واختلف في القرن ما المراد منه، فقيل : عشرون سنة، وقيل: ثلاثون، وقيل: أربعون، وقيل: سبعون، وقيل: ثمانون، وقيل: مائة، وقيل: أهل كل زمان، وهو مقدار التوسط في أعمار أهل كل زمان، وذهب الأزهري إلى أن القرن أهل كل مدة كان فيها نبي أو كان فيها طبقة من أهل العلم، قلَّت السنون أو كثرت.

وقيل: قرنه أصحابه، والذين يلونهم أبناؤهم، والثالث أبناء أبنائهم.

وقيل: القرن كل طبقة مقترنين في وقت.

وقال الحربي: القرن كل أمة هلكت فلم يبقَ منها أحد .

وذهب النووي: أن المقصود بقرنه هم الصحابة، والثاني التابعون، والثالث تابعوهم.

وذهب أبو الطيب صاحب «عون المعبود» إلى أن المقصود بالقرن أهل كل زمان، وهو مقدار التوسط في أعمار كل زمان.

وقال السيوطي: والأصح أنه لا ينضبط بمدة.

ورجح الحافظ أن المراد بالقرن: أهل زمان واحد متقارب اشتركوا في أمر من الأمور المقصودة. =

و[1] [غير] [2] قائلين في هذا [3] الباب بالحق المبين، لأن ضد ذلك إما عدم[4] العلم والقول، وإما اعتقاد نقيض الحق وقول خلاف الصدق[5] . وكلاهما ممتنع.

أما الأول فلأن من في قلبه أدنى[6] حياة وطلب للعلم، أو نهمة[7] في

= وذهب شيخ الإسلام إلى أن الاعتبار في القرون الثلاثة بجمهور أهل القرن وهم وسطه، وجمهور الصحابة انقرضوا بانقراض الخلفاء الأربعة، وجمهور التابعين انقرضوا في أواخر عصر أصاغر الصحابة، وجمهور تابعي التابعين انقرضوا في أواخر الدولة الأموية، وأول الدولة العباسية. فكأن الشيخ يرى أن القرن الأول هم الصحابة، والثاني التابعون، والثالث تابعوهم.

ولعل الأرجح ـ والله أعلم ـ هو ما ذهب إليه النووي، وأبو الطيب، والحافظ، فالصحابة اشتركوا في رؤية النبي ﷺ والتابعون اشتركوا في معاصرة الصحابة ورؤيتهم.. وهكذا.

وهذا ما رجحه سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، وأن القرن الأول هم الصحابة، والثاني هم التابعون، والثالث تابعوهم.

انظر: المجموع المغيث (٢/ ٦٩٩)، النهاية في غريب الحديث (٤/ ٥١) لسان العرب (١٣/ ٣٣٣)، شرح مسلم للنووي (١٦/ ٨٥)، فتح الباري (٧/ ٥) عون المعبود (١٢/ ٤١٠)، الفتاري (١٠/ ٣٥٧).

(١) في (ع) «أو» بدل : الواو.

(٢) ما بين العكوفتين من (ج).

(٣) «هذا» سقطت من (ع).

(٤) في (ج) : «لعدم».

(٥) في (ع) « الضد » .

(٦) في الأصل «أدنى من في قلبه» ، وما أثبت من (ج ، ع) .

(٧) النهمة: الحاجة والرغبة في الشيء. =

العبادة يكون البحث عن هذا الباب والسؤال عنه ومعرفة الحق فيه أكبر مقاصده وأعظم مطالبه، أعني: بيان ما ينبغي اعتقاده، لا معرفة كيفية الرب وصفاته[١]. وليست النفوس الصحيحة إلى شيء أشوق منها إلى معرفة هذا الأمر.

وهذا أمر معلوم بالفطرة[٢] الوجدية، فكيف يتصور مع[٣] قيام هذا المقتضي ـ الذي هو من أقوى المقتضيات ـ أن يتخلف عنه مقتضاه في أولئك السادة في مجموع عصورهم. هذا لا يكاد يقع في[٤] أبلد الخلق، وأشدهم إعراضاً عن الله،[٥] وأعظمهم إكباباً على طلب[٦] الدنيا، والغفلة عن ذكر الله، فكيف يقع من[٧] أولئك؟! .

وأما كونهم[٨] كانوا[٩] معتقدين فيه غير الحق أو قائليه، فهذا لا يعتقده[١٠] مسلم ولا عاقل عرف حال القوم .

= انظر: لسان العرب (١٢/ ٥٩٣)، المعجم الوسيط ص ٩٥٩.

(١) السلف متفقون على أن الكيفية غير معلومة للخلق، وتواتر ذلك فيما نقل عنهم من أقوال، وسيأتي بعضها فيما بعد.

(٢) في (الأصل) « الفطرة »، وما أثبت من (ج، ع).

(٣) في (ج) زيادة « عدم » ولعل المعنى لا يستفاد بإثباتها.

(٤) في (ج، ع) « في » بدل : من

(٥) « عن الله » سقطت من (ع).

(٦) « طلب » سقطت من (ج).

(٧) في (ج، ع) « في » بدل : من

(٨) في (ع) « قولهم » بدل : كونهم

(٩) « كانوا » سقطت من (ع)

(١٠) في « يقوله » بدل : يعتقده .

ثم الكلام عنهم في هذا الباب[١] أكثر من أن يمكن سطره في هذه الفتوى أو أضعافها، يعرف ذلك من طلبه وتتبعه[٢].

ولا يجوز أيضاً[٣] أن يكون الخالفون أعلم من السالفين كما يقوله بعض الأغبياء ممن لم يقدر[٤] قدر السلف، بل ولا عرف الله ورسوله والمؤمنين به حقيقة المعرفة المأمور بها من أن «طريقة السلف أسلم وطريق الخلف[٥] أعلم

طريقة السلف أسلم وأعلم وأحكم

(١) في (ج، ع) : « ثم الكلام في هذا الباب عنهم ».

(٢) قد اعتنى بعض العلماء من المتقدمين والمتأخرين بجمع أقوالهم في هذا الباب، ومن هؤلاء ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ اللالكائي في كتابه «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة »، والآجري في كتابة «الشريعة» والإمام عبدالله ابن الإمام أحمد في كتابه «السنة»، وأبو عبدالله ابن بطة في كتابه «الإبانة» ... وغيرهم كثير.

(٣) « أيضاً » سقطت من (ع).

(٤) في (ج) « يعرف » بدل : يقدر.

(٥) مادة السين واللام والفاء تدل على تقدم وسبق، ومن ذلك السلف الذين مضوا. معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣/ ٩٥).

* **والسَّلف** تطلق في اللغة على تقدمك من آبائك وذوي قرابتك الذين هم فوقك في السن والفضل. لسان العرب (٩/ ١٥٩)، وانظر: النهاية في غريب الحديث (٢/ ٣٩٠)، المعجم الوسيط ص ٤٤٤.

* أما في الاصطلاح: فاختلفت عبارات العلماء في ذلك ، فمنهم من يعرِّف السلف بأنهم جيل معين في فترة زمنية محددة، ويذهب إلى أن المراد بالسلف جمهور أصحاب القرون المفضلة، الصحابة والتابعون وتابع التابعين.

ومنهم من يقصر مسمى السلف على جيل الصحابة فقط، ومن هؤلاء البغدادي والقلقشاني. أما الغزالي فيرى أن المراد بالسلف هم الصحابة، والتابعون.

ومن العلماء من يطلق مسمى السلف على منهج معين، فمن وافق هذا المنهج، فهو من السلف وإن كان من أصحاب القرون المتأخرة، ومن خالف هذا المنهج =

= فليس من السلف وإن عاش بين أظهر الصحابة.
انظر: الفَرْق بين الفِرَق ص٣٥٢، إلجام العوام للغزالي ص٥٣، لوامع الأنوار البهية (١/ ٢٠-٢١)، شرح جوهرة التوحيد ص٩١، المفسرون بين التأويل والإثبات (١/ ١٧-٢٠).
* الخَلَف: في اللغة يطلق على القرن يأتي بعد القرن، أو كل من يجيء بعد من مضى. لكن قد يطلق بإسكان اللام « خلف » على الشر، ومنه قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ وقوله: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ وقال لبيد:

ذهب الذين يُعاش في أكنافهم وبقيتُ في خَلَف كجلد الأجرب

أما بالتحريك « خلف » فيأتي في الخير، ومنه قولهم: أخلف فلان خلف صدق.
انظر: لسان العرب (٩/ ٨٤ – ٨٥)، النهاية في غريب الحديث (٢/ ٦٥-٦٦) المعجم الوسيط ص٢٥١، الفروق في اللغة للعسكري ص٣٠٨.
أما في الاصطلاح، فهذه لفظة محدثة ما كان السلف يستخدمونها ـ فيما أعلم ـ، ولم أجد من عرفها من العلماء المعتمدين، لكن شيخ الإسلام أشار إلى ذلك إشارة يمكن من خلالها أن يُستشف مقصوده من الخلف أنهم أهل الكتاب، يقول في ذلك: « ولا سيما والإشارة إلى ضرب من المتكلمين الذين كثر في باب الدين اضطرابهم، وغلظ عن معرفة الله حجابهم... »، وهذه العبارات سيوردها الشيخ في هذه الرسالة بعد أسطر.
أما البيجوري في « التحفة » فيحدد مفهوم الخلف: بأنهم من كانوا بعد الخمسمائة، أو بعد القرون الثلاثة. انظر شرح الجوهرة ص ٩١.
ومن خلال تعريفات العلماء لمذهب السلف يمكن أن نحدد المقصود من الخلف، فمن يطلق مسمى السلف على أصحاب القرون المفضلة، يكون المقصود بالخلف بناء على هذا هم من أتى بعد هذه القرون، وعلى ذلك لا يلزم من إطلاق هذا =

وأحكم»[(١)(٢)] .

= المسمى عليهم ـ الخلف ـ أنها صفة ذم . أما من يطلق مسمى السلف على منهج معين، فيمكن القول: إن من خالف هذا المنهج يعد من الخلف، وبناء على ذلك، فإطلاق هذه الصفة عليه يراد منها الذم، والله أعلم.

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز : إن السلف هم أهل القرون المفضلة، فمن اقتفى أثرهم وسار على منهجهم فهو «سلفي»، ومن خالفهم في ذلك فهو من «الخلف» .

(١) وجد خطأ في هذا الموضع اتفقت عليه جميع النسخ المطبوعة، فحسن التنبيه عليه، وذلك الخطأ هو إدخال جملة في صلب كلام شيخ الإسلام هنا ليست من كلامه، وهي قوله: «وإن كانت هذه العبارة إذا صدرت من بعض العلماء قد يعني بها معنى صحيحاً» اهـ .

والذي يترجح أن هذه العبارة ليست من كلام شيخ الإسلام، وإنما أقحمت فيه عمداً أو سهواً لعدة أمور منها :

أ- عدم وجود هذه الجملة في جميع النسخ الخطية، والتي يصل عددها إلى تسع نسخ عدا واحدة هي إحدى نسخ الظاهرية «رقم ٣٠٢٨» .

ب- هناك نسخ هندية حجرية طبعت قديماً قبل نحو من مائة سنة وضعت فيها هذه العبارة تعليقاً في الهامش ولم تدخل في صلب كلام الشيخ .

ج- أن تلميذ شيخ الإسلام «ابن عبدالهادي» والذي كانت وفاته قريباً من وفاة شيخه «عام ٧٤٤هـ» ساق جزءاً من الحموية في كتابه «العقود الدرية ص٦٧-٩٤» ولم يذكر هذه العبارة، وكذلك مرعي بن يوسف الحنبلي في كتابه «الكواكب الدرية ص١٠٢-١١٢»

د- أن هذه العبارة باطلة في معناها، وقد تكون مدخلاً لتسويغ مقولة باطلة.

(٢) اشتهرت هذه المقولة عن المتكلمين، وقد أكثر العلماء من أهل السنة قديماً وحديثاً في الرد عليها، وتجهيل من قال بها وتضليلهم، وقد أشار إليها الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١٣/ ٣٥٢)، والزبيدي في «إتحاف السادة المتقين»(٢/ ١١٢)، والبيجوري في «شرح جوهرة التوحيد» ص٩١.

منشأ الخطأ عند من فضل طريقة الخلف على طريقة السلف

فإن هؤلاء المبتدعة الذين يفضّلون طريقة الخلف على طريقة السلف إنما أتوا من حيث ظنوا أن طريقة السلف[1] هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث، من غير فقه لذلك، بمنزلة الأميين الذين قال فيهم: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ﴾[2] [البقرة :٧٨]، وأن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات[3] وغرائب اللغات.

---

(١) في (ج، ع) زيادة «إنما».

(٢) وهذا كذب وافتراء على سلف هذه الأمة، يقول ابن القيم: «فالصحابة أخذوا عن رسول ﷺ ألفاظ القرآن ومعانيه، بل كانت عنايتهم بأخذ المعاني أعظم من عنايتهم بالألفاظ يأخذون المعاني أولاً ثم يأخذون الألفاظ ...» . مختصر الصواعق (٢/ ٣٣٩).
وقد رد الشيخ على هذا الزعم الباطل من ستة أوجه، انظر مجموع الفتاوي (٥/ ١٥٦-١٦٣).

(٣) جمع مجاز، مأخوذ من الجواز الذي هو التعدي، كما يقال: جُزتُ هذا الموضع، أي : جاوزته وتعديته، والمراد بالمجاز عند المتكلمين ومن وافقهم من أهل اللغة هو: «اللفظ المستعمل في غير ما وضع له، لعلاقة مع قرينة».
إرشاد الفحول ص٢١، وانظر المحصول للرازي (١/ ق١/ ٣٩٦).
واصطلاح تقسيم الكلام إلى حقيقة ومجاز لم يحدث إلا بعد انقضاء القرون الثلاثة المفضلة، وكان منشأ ذلك من جهة المعتزلة والجهمية ومَنْ حذا حذوهم من المتكلمين.
فهل هناك مجاز في اللغة العربية؟ اختلف في ذلك، والصحيح أنه لا مجاز في لغة العرب، وعلى القول بوقوعه في اللغة العربية، فلا يجوز القول به في القرآن.
ويدل على ذلك إجماع القائلين بالمجاز، على أن كل مجاز يجوز نفيه، ويكون النافي صادقاً في نفس الأمر.
ولا شك أنه لا يجور نفي شيء من القرآن، ولهذا أصبح القول بالمجاز ووقوعه في =

جمع المتكلمين بين الجهل والكذب

فهذا الظن الفاسد أوجب تلك المقالة التي مضمونها نبذ الإسلام وراء الظهر، وقد كذبوا على طريقة السلف، وضلوا في تصويب طريق الخلف، فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف في الكذب عليهم، وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف.

وسبب ذلك اعتقادهم أنه ليس في نفس الأمر صفة دلت عليها هذه النصوص[١] للشبهات[٢] الفاسدة التي[٣] شاركوا فيها إخوانهم من الكافرين، فلما اعتقدوا انتفاء الصفات في نفس الأمر ـ وكان مع ذلك لا بد للنصوص من معنى[٤] ـ بقوا مترددين بين الإيمان باللفظ[٥] وتفويض المعنى ـ وهي التي يسمونها طريقة السلف ـ وبين صرف اللفظ إلى معان بنوع تكلف[٦] ـ وهي التي يسمونها طريقة الخلف ـ فصار هذا الباطل

= القرآن ذريعة توصل بها أهل التعطيل إلى القول بنفي كثير من صفات الله الثابتة له في كتابه العظيم. فقالوا: ليس لله يد، ولا قدم ولا استواء ولا وجه...إلخ.

وذكر شيخ الإسلام أن تقسيم الكلام حقيقةً ومجازاً إنما اشتهر في المائة الرابعة، وظهرت أوائله في المائة الثالثة، وذكر أنه لم يكن موجوداً في المائة الثانية، إلا أن يكون في أواخرها.

انظر الفتاوي (٧/ ٧٨ وما بعدها)، الرسالة المدنية في تحقيق المجاز والحقيقة في صفات الله تعالى لشيخ الإسلام، مختصر الصواعق (٢/ ٥-٧٦)، منع جواز المجاز للشنقيطي ـ ملحق بأضواء البيان ـ ج٩.

(١) أي نصوص الكتاب والسنة الدالة على أسماء الله وصفاته.

(٢) في (ج، ع) «بالشبهات».

(٣) في (ع) «الذي».

(٤) إذ النصوص العارية عن المعاني كلام لغو يُنزَّه عنه كلام الله ورسوله ﷺ.

(٥) في (الأصل) «اللفظ» وما أثبت من (ج، ع).

(٦) وهذا ما يسمى بالتأويل على اصطلاح المتكلمين.

مركباً من فساد العقل والكفر بالسمع، فإن النفي إنما اعتمدوا فيه على أمور عقلية ظنوها بينات وهي شبهات، والسمع حرفوا فيه الكلام[١] عن مواضعه.

فلما انبنى أمرهم على هاتين المقدمتين[٢] الكفريتين[٣] كانت النتيجة: استجهال السابقين الأولين، واستبلاههم[٤]، واعتقاد أنهم كانوا قوماً أميين، بمنزلة الصالحين من العامة، لم يتبحروا في حقائق العلم[٥] بالله، ولم يتفطنوا لدقائق[٦] العلم الإلهي، وأن الخلف[٧] الفضلاء حازوا قصب السبق[٨] في هذا كله[٩].

---

(١) في (ع) «الكلم» .

(٢) والمقدمتان هما :

- أن طريقة السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه لذلك بمنزلة الأميين.

- وأن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات.

(٣) في (ج، ع) زيادة «الكاذبتين»

(٤) استبلاههم : أي أنهم قوم بُلْهٌ، والأبله هو الذي لا عقل له.
انظر: لسان العرب (١٣/ ٤٧٧).

(٥) في (ع) «العمل».

(٦) في (ع) «دقيق».

(٧) في (الأصل) «السلف» وما أثبت من (ج، ع) ولا يستقيم المعنى إلا بهذا.

(٨) أي بلغوا الغاية في ذلك وسبقوا غيرهم، يقال للمراهن إذا سبق: أحرز قصبة السبق.
وأصل ذلك أنهم كانوا ينصبون في حلبة السباق قصبة، فمن سبق اقتلعها وأخذها ليعلم أنه السابق. انظر لسان العرب (١/ ٦٧٧)، المعجم الوسيط ص٧٣٧.

(٩) « كله » سقطت من (ع).

ثـم هـذا القـول إذا تدبـره الإنسـان وجـده في غايـة الجهالة، بل في غاية الضـلالة. كـيف يكـون هـؤلاء المتأخرون ـ لا سيما والإشارة بالخلف إلى ضـرب مـن المتكـلمين[١] ـ الذين كثر في باب الدين اضطرابهم، وغلظ عن معـرفة الله حجـابهم، وأخـبر الواقف على نهايات[٢] إقدامهم بما انتهى إليه من مرامهم[٣][٤] حيث يقول :

الحيرة والشك من صفات المتكلمين

لعمـري لقـد طفـتُ المعـاهدَ كلَّهـا وسَـيَّرتُ طَـرْفي بـين تلـك المعـالِمِ
فـلـم أرَ إلا واضـعـاً كـفَّ حائـرٍ عـلى ذَقَـنٍ أو قارعـاً سِـنَّ نـادمِ[٥]

---

(١) قوله «لا سيما والإشارة بالخلف إلى ضرب من المتكلمين» سقط من (ع).

(٢) في (ع) «نهاية».

(٣) في (ع) «أمرهم».

(٤) مرامهم : من الإرمام، وهو آخر ما يبقى من النبت، ومنه قولهم:

ترعى سميراً إلى إرمامها

والإرمـام مـأخوذ مـن الرمـيم، وهو الهشيم المتفتت من النبت، ويجوز أن يكون من الرَّمّ، وهو الثرى . لسان العرب (١٢/ ٢٥٤) . بتصرف.

ولعل معنى الكلام هنا: انتهى إلى غاية من عندهم.

(٥) هـذان البيـتان ذكـرا في أول كـتاب «نهايـة الإقدام» ص٣ للشهرستاني، ولم ينسبهما لأحـد، وقـد قـيل: إنهمـا لأبـي بكر محمد بن باجه ، ونسبهما ابن أبي العز الحنفي للشهرستاني نفسه.

وقـال طاش كبري زاده: «قلت: وجدت في بعض المجاميع أن البيتين اللذين ذكرهما الشهرسـتاني في «نهايـة الإقـدام» لأبـي علي بن سينا، والله أعلم » اهـ . مفتاح دار السـعادة لطـاش كـبري زاده (١/ ٢٩٩)، والـذي في « نهايـة الإقدام » : لقد طفت المعاهد كلها ... دون «لعمري».

وانظـر وفـيات الأعـيان (٤/ ٢٧٤)، درء تعارض العقل والنقل (١/ ١٥٩)، منهاج السنة (٥/ ٢٧١)، الفتاوي (٤/ ٧٣)، شرح الطحاوية (١/ ٢٤٤). =

اعتراف الرازي

وأقروا على نفوسهم[(١)] بما قالوه[(٢)] متمثلين به أو منشئين له فيما صنفوه من كتبهم؛ كقول بعض رؤسائهم[(٣)]:

نهاية إقدام العقول عقالُ ... وأكثر سعي العالمين ضلالُ
وأرواحنا في وحشة من جسومنا ... وغاية دنيانا أذى ووبالُ
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا[(٤)]

= يقول الشيخ تعليقاً على هذين البيتين: «فأخبر أنه لم يجد إلا حائراً شاكاً مرتاباً، أو من اعتقد ثم ندم لما تبين له خطؤه، فالأول في الجهل البسيط كظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها، وهذا داخل في الجهل المركب، ثم تبين له أنه جهل فندم، ولهذا تجده في المسائل يذكر أقوال الفرق وحججهم، ولا يكاد يرجح شيئاً للحيرة» اهـ. منهاج السنة (٥/ ٢٧٠).

(١) في (ج، ع) «أنفسهم».

(٢) في (ع) «قالوا».

(٣) هو فخر الدين الرازي.
انظر: وفيات الأعيان (٤/ ٢٥٠)، طبقات الشافعية الكبرى (٥/ ٤٠)، ورواها ابن الخطيب بإسناده في كتابه «الإحاطة في أخبار غرناطة» (٢/ ٢٢٢)، وانظر: درء تعارض العقل والنقل (١/ ١٦٠) منهاج السنة (٥/ ٢٧١)، والفتاوي (٤/ ٧٣)، اجتماع الجيوش الإسلامية ص٣٠٤، شرح الطحاوية (٢/ ٢٤٤)، مجموعة الرسائل الكبرى لشيخ الإسلام (١/ ٩٧، ١٨٥) وذكر الشيخ أن هذه الأبيات قالها الرازي في كتابه « أقسام اللذات » ويذكر الدكتور: محمد رشاد سالم في حاشيته على درء تعارض العقل والنقل (١/ ٦٠) أن هذا الكتاب «أقسام اللذات» مخطوط بالهند.

(٤) وتكملة الأبيات:

وكم قد رأينا من رجال ودولة ... فبادوا جميعاً مسرعين وزالوا
وكم من جبال قد علت شرفاتها ... رجال، فزالوا والجبال جبال

[لقد تأملت الطرق الكلامية(١)، والمناهج الفلسفية(٢)، فما رأيتها تشفي عليلاً، ولا تروي غليلاً(٣)، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن. أقرأ في الإثبات ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر:١]، وأقرأ في النفي ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴾ [طه: ١١٠]، ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي](٤)(٥).

= طبقات الشافعية للسبكي (٥/ ٤٠)، وفيات الأعيان (٤/ ٢٥٠) والإحاطة في أخبار غرناطة (٢/ ٢٢٢).

(١) نسبة إلى علم الكلام، والمقصود به البحث والجدل في أصول الدين بالعقل.
انظر: المواقف في علم الكلام ص٧، مقدمة ابن خلدون ص٤٢٣، الفتاوي (١١/ ٣٣٦)، مفتاح السعادة (٢/ ١٣٢)، الفرق الكلامية الإسلامية ص١١.

(٢) الفلسفة معناها: محبة الحكمة. وهي كلمة يونانية فـ(فيلا) بمعنى: محب، و«سوفيا» بمعنى الحكمة.
كان المراد بالفلسفة قديماً تفسير المعرفة عقلياً، وفي القرون الوسطى أصبح الغرض من الفلسفة الوقوف على حقائق الأشياء، نظرية كانت أو عملية، وأصبحت منذ القرن التاسع عشر تقتصر على المنطق والأخلاق وعلم الجمال وما بعد الطبيعة.
هذا حسب مفهوم الفلاسفة، ولكن في الحقيقة أصبح هذا الاسم يطلق على أتباع أرسطو الذين هذب ابن سينا طريقتهم وبسطها، وسيأتي الإشارة إلى مذهبهم وما يعتقدون. انظر: إغاثة اللهفان (٢/ ٢٥٦)-٢٦٨)، الفصل لأبي محمد ابن حزم (١/ ٩٤)، مقدمة ابن خلدون ص٥١٤، المعجم الفلسفي ص١٣٨-١٣٩.

(٣) العليل: هو المريض. والغليل: العطشان الذي اشتد عطشه.
انظر لسان العرب (١١/ ٤٦٨، ٤٩٩).

(٤) ما بين المعكوفتين من (ج) وكذا في «العقود الدرية».

(٥) هذا كله من كلام الرازي. =

اعتراف إمام الحرمين الجويني

ويقول الآخر [منهم](١)(٢): «لقد خضت البحر الخضم(٣)، وتركت أهل الإسلام وعلومهم، وخضت في الذي نهوني عنه، والآن إن لم يتداركني(٤) ربي برحمة [منه](٥) فالويل لفلان، وها أنا ذا أموت على عقيدة أمي».

= انظر: سير أعلام النبلاء (٢١/ ٥٠١)، الفتاوي (٤/ ٧٢) طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٢/ ٦٥-٦٦) وفيه زيادة : «ثم قال: وأقول من صميم القلب، من داخل الروح: إني مقر بأن كل ما هو الأكمل الأفضل الأعظم الأجل فهو لك، وكل ما هو عيب ونقص فأنت منزه عنه » اهـ.

يقول شيخ الإسلام تعليقاً على عبارته التي جاءت في النص: «وهو صادق فيما أخبر به أنه لم يستفد من بحوثه في الطرق الكلامية والفلسفة سوى أن جمع قيل وقالوا، وأنه لم يجد فيها ما يشفي عليلاً، ولا يروي غليلاً، فإن من تدبر كتبه كلها لم يجد فيها مسألة واحدة من مسائل أصول الدين موافقة للحق الذي يدل عليه المنقول والمعقول، بل يذكر في المسألة عدة أقوال، والقول الحق لا يعرفه فلا يذكره ...» . اهـ. منهاج السنة (٥/ ٢٧٢).

(١) ما بين المعكوفتين من (ج، ع).

(٢) هو إمام الحرمين، أبو المعالي الجويني.

ذكر ذلك السبكي في طبقات الشافعية (٣/ ٢٦٠) ، والذهبي في السير (١٨/ ٤٧١)، وابن العماد الحنبلي في الشذرات (٣/ ٣٦١).

وانظر منهاج السنة (٥/ ٢٦٩)، الفتاوي (٤/ ٧٣)، شرح الطحاوية (١/ ٢٤٥).

(٣) البحر الخضم: هو: البحر الواسع. يقول الشاعر:

روافده أكرم الرافدات   بخ لك بخ لبحر خضم

انظر: لسان العرب (١٢/ ١٨٣)، المعجم الوسيط ص٢٤٢.

(٤) في (الأصل) زيادة «الله».

(٥) ما بين المعكوفتين من (ج).

قول الغزالي

ويقول الآخر منهم[١]: «أكثر الناس شكاً عند الموت أصحاب الكلام»[٢].

---

(١) أشار شيخ الإسلام في موضع آخر إلى أن القائل هو أبو حامد الغزالي . انظر نقض المنطق ص٢٥.

(٢) وأيضاً مما أثر عن بعض المتكلمين:

ما ذكره الشيخ بقوله: «وقد بلغني بإسناد متصل عن بعض رؤوسهم ـ وهو الخونجي ـ صاحب «كشف الأسرار في المنطق»، وهو عند كثير منهم غاية في هذا الفن، أنه قال عند الموت: «أموت وما علمت شيئاً، إلا أن الممكن يفتقر إلى الواجب» ثم قال : «الافتقار وصف عدمي، أموت وما علمت شيئاً » . اهـ .

درء تعارض العقل والنقل (٣/ ٢٦٢)، الرد على المنطقيين ص١١٤.

ويقول الآمدي: «أمعنت النظر في الكلام، وما استفدت منه شيئاً إلا ما عليه العوام».

ويقول الجويني: «يا أصحابنا، لا تشتغلوا بالكلام، فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي ما بلغ ما اشتغلت به » اهـ.

وقال شمس الدين الخسرو شاهي ـ وكان من تلامذة الرازي ـ لبعض الفضلاء وقد دخل عليه يوماً، فقال: ما تعتقده؟ قال: ما يعتقده المسلمون، فقال : وأنت منشرح الصدر لذلك مستيقن به؟ فقال: نعم. فقال: أشكر الله على هذه النعمة، لكني والله ما أدري ما أعتقد، والله ما أدري ما أعتقد، والله ما أدري ما أعتقد، وبكى حتى أخضل لحيته. اهـ.

ويقول الآخر: أضطجع على فراشي، وأضع الملحفة على وجهي، وأقابل بين حجج هؤلاء وهؤلاء حتى يطلع الفجر، ولم يترجح عندي منها شيء . اهـ.

انظر: درء تعارض العقل والنقل (٢/ ٢٦٢)، السير (١٨/ ٤٧٤)، شرح الطحاوية (١/ ٢٤٥-٢٤٧) .

هكذا تكون نهايتهم– نسأل الله العافية والسلامة – ، يخرجون من هذا العلم كما دخلوا فيه أول ما دخلوا، هذا إذا سلموا من الضلال والإلحاد، وقد فنيت أعمارهم =

استحالة أن يكون الخلف أعلم من السلف

ثم [هؤلاء المتكلمون المخالفون للسلف][(١)] إذا حقق عليهم الأمر لم يوجد عندهم من حقيقة العلم بالله[(٢)] وخالص المعرفة به خبر، ولم يقفوا من ذلك على عين ولا أثر[(٣)]، كيف يكون هؤلاء المحجوبون المنقوصون المسبوقون[(٤)][(٥)] الحيارى[(٦)] المتهوكون[(٧)]: أعلم بالله وأسمائه وصفاته،

= وبليت أوقاتهم فيما لا فائدة فيه، وهؤلاء إذا ثبت أنهم رجعوا عن علومهم هذه، والتي خاضوا غمارها، وغرقوا في لجحها، فإنهم يموتون كما يموت أتباع العلماء من النساء والصبيان والأعراب، هذا إن سلموا من تبعات هذا العلم يوم القيامة، وشتَّان بين موت العلماء وموت العامة، يقول أبو الفتح الطبري الفقيه: «دخلت على أبي المعالي في مرضه فقال: اشهدوا عليَّ أني رجعت عن كل مقالة تخالف السنة، وأني أموت على ما يموت عليه عجائز نيسابور» . اهـ. السير (١٨/ ٤٧٤)، وانظر شرح الطحاوية (١/ ٢٤٨).

وقد أفرد في ذم هذا العلم وأهله مصنفات، من أوسعها وأحسنها كتاب «ذم الكلام» لأبي إسماعيل الهروي، وهو محقق في رسالة عملية في الجامعة الإسلامية.

وانظر ما رُوي عن الشافعي في ذم هذا العلم في كتاب «الإمام الشافعي وعلم الكلام» ص٢٨- ٤٢، وانظر أيضاً الصواعق المرسلة (٤/ ١٢٦٣-١٢٧٧)، وصون المنطق والكلام عن علم المنطق والكلام للسيوطي.

(١) ما بين المعكوفتين من (ج، ع).

(٢) «بالله» سقطت من (ع).

(٣) في المثل عند العرب: «لا تطلب أثراً بعد عين» يضرب لمن ترك شيئاً يراه ثم تبع أثره بعد فوته. العين عند العرب: حقيقة الشيء. انظر: مجمع الأمثال (١/ ١٢٧، رقم ٦٥٢)، لسان العرب (١٣/ ٣٠٥، ٣٠٦) المعجم الوسيط ص٦٤١.

(٤) في (ج) تقدمت «المسبوقون» على «المنقوصون».

(٥) في (ج) زيادة «المفضولون».

(٦) الحيارى: من التحير، وهو الوقوع في الحيرة، وهي: التردد والاضطراب وعدم الاهتداء. انظر: لسان العرب (٤/ ٢٢٢-٢٢٣)، المعجم الوسيط ص٢١١.

(٧) المتهوكون: من التهوك: وهو الذي يقع في كل أمر. لسان العرب (١٠/ ٥٠٨).

وأحكم في باب آياته وذاته[١] من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، من ورثة الأنبياء وخلفاء الرسل، وأعلام الهدى ومصابيح الدجى[٢]، الذين بهم قام الكتاب وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا، الذين وهبهم الله من العلم والحكمة ما برزوا به على سائر أتباع الأنبياء، [فضلاً عن سائر الأمم الذين لا كتاب لهم][٣]، وأحاطوا من حقائق المعارف، وبواطن الحقائق، بما لو جمعت حكمة غيرهم إليها لاستحيا من[٤] يطلب المقابلة.

ثم كيف يكون خير قرون الأمة، أنقص في العلم والحكمة ـ لا سيما العلم بالله وأحكام آياته وأسمائه[٥] ـ من هؤلاء الأصاغر بالنسبة إليهم؟ أم كيف يكون أفراخ المتفلسفة[٦]

---

(١) في (ج، ع) تقدمت «ذاته» على «آياته».

(٢) الدجى: شدة الظلام. ومنه قول الشاعر الهمداني:

إذا الليل أدجى واستقلت نجومه   وصاح من الأفراط هام حوائم

انظر لسان العرب (١٤/ ٢٤٩)، المعجم الوسيط ص٢٧١.

(٣) ما بين المعكوفتين من (ج).

(٤) في (ع) زيادة «يعلم» ولا يستقيم الكلام بها.

(٥) في (ج، ع): تقدمت « أسمائه على آياته».

(٦) سبق في ص١٩٣ أن معنى الفلسفة محبة الحكمة. وقد أصبح هذا الاسم (المتفلسفة) علم على أتباع أرسطو، وهو المسمى عندهم بالمعلم الأول، كما أن الفارابي هو المعلم الثاني، وابن سينا المعلم الثالث، وقد حكى أرباب المقالات أن أول من عرف عنه القول بقدم العالم أرسطو وذهب أبو علي ابن سينا: إلى أن الله هو الوجود المطلق، بشرط الإطلاق وليس له عندهم صفة ثبوتية تقوم به فهو لا يفعل شيئاً باختياره البتَّة، ولا يعلم شيئاً من الموجودات..إلخ. وأما الإيمان بالملائكة فالملائكة =

وأتـــــباع الهـــــنــد[١] والــــيــونـــان[٢]،

= ما يتصوره النبي ﷺ في نفسه من أشكال نورانية، وقد يذهب بعضهم إلى أنها القوى الخيّرة الفاضلة التي في العبد، والشياطين هي القوى الشريرة.

أما الإيمان بالكتب، فالكتب المنزلة عندهم هي فيض فاض من العقل الفعال على النفس الزكية، وليس وحياً من الله تكلم به أنزل إلى الأرض بواسطة المَلَك.

أما النبوة عندهم: فهي مكتسبة، ولها ثلاث خصائص، من استكملها، فهو نبي: قوة التخيل والتخييل، قوة الحدس، قوة التأثير.

أما الإيمان باليوم الآخر: فلا مبدأ عندهم ولا معاد، فلا يؤمنون بأن هذا العالم سيخرب وينتهي ويقوم الناس ليوم مشهود. هذا مجمل عقيدة هؤلاء في أصول الإيمان.

انظر الفِصَل لابن حزم (١/ ٩٤)، الملل للشهرستاني (٢/ ٣٦٩-٥٣٨) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص٩١، إغاثة اللهفان (٢/ ٢٥٦-٢٦٨) هداية الحيارى ص٩، درء تعارض العقل والنقل (١/ ١٢٢)، الفكر الفلسفي في الإسلام ص١١ وما بعدها.

(١) الهند: بلاد توجد في آسيا الجنوبية، تضم حالياً (باكستان، جمهورية الهند، بنجلاديش) تسمى قديماً «بهارات» ، يفصلها عن معظم أرجاء قارة آسيا جبال الهملايا الشاهقة، يحدها من الغرب خليج العرب، ومن الشرق خليج بنغال. ذات حضارة عريقة، سكانها من قبائل متعددة ويدينون بديانات شتى، ولا تزال كثرة المذاهب والديانات سمة غالبة عليها. أكثر من نشر فيها الإسلام السلطان محمود الغزنوي.

انظر: دائرة معارف القرن الرابع عشر (١٠/ ٥٤٠-٥٦٧)، محمد فريد وجدي، ط. الثانية ١٣٤٣هـ، الموسوعة العربية الميسرة (٢/ ١٩٠٣-١٩٠٤)، إشراف محمد شريف غربال، ط، ١٩٨٠م.

(٢) اليونان: اسمها القديم (هيلاس) أو (الآس)، وهي الآن مملكة أوربية واقعة في الجزء الجنوبي من شبة جزيرة البلقان، تحد من جهة الشمال ببلغاريا والصرب، وشرقاً بتركيا، وجنوباً بالبحر الأبيض المتوسط، وغرباً ببحر يونان.

حضارة هذه البلاد قديمة، وكانت ديانة أهلها تأليه قوى الطبيعة (البحر، الشمس، القمر، النور ..) وكانوا يبنون لها الهياكل. =

وورثـة المجـوس[١] والمشـركين، وضـلال الـيهود[٢] والنصـارى[٣]

= انظر: دائرة معارف القرن الرابع عشر (١٠/ ١٠٤٦-١٠٥٥)، الموسوعة العربية الميسرة (٢/ ١٩٩٥).

(١) المجوس: وهم الذين يقولون بإثبات أصلين: النور والظلمة، إلا أن قدماءهم لا يجوّزون أن يكونا – النور والظلمة – قديمين أزليين، بل النور أزلي، والظلمة محدثة، والنور لا يشركه شيء في الإحداث والقدم، لذا هم يعظمون النور ويعبدونه.
يقال: إن لهم شبهة كتاب، وهم فرق شتى، منها: الزرادشتية، والمزدكية، والخرمية، والمسخية، وغيرهم. انظر: التبصير في الدين ص٨٩، البرهان في عقائد أهل الأديان ص٩٠-٩١، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٨٦، الملل والنحل (١/ ٢٧٨ -٢٨١)، إغاثة اللهفان (٢/ ٢٤٧).

(٢) اليهود: هم أمة موسى ـ عليه السلام ـ يقرّون بنبوة موسى وهارون، وكتابهم التوراة.
وأصل تسميتهم بذلك اختلف فيه، والراجح ـ والله أعلم ـ أنه من «الهود» وهو الرجوع والتوبة، كما حكى الله عنهم ذلك بقوله: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٥٦] أي: رجعنا وتبنا، وقيل: بل نسبة إلى يهوذا بن يعقوب، وقيل: غير ذلك.
يزعم اليهود أن الشريعة لا تكون إلا واحدة، وأنه لا يجوز النسخ في الشرائع، لأن ذلك يلزم منه البداء على الله، لذا يقولون: إن الشريعة ختمت بموسى، فلا يجوز أن تكون بعده شريعة أخرى.
اشتهر في شريعتهم المحرفة أباطيل وخزعبلات، إذ وصفوا الله بصفات يتنزه عنها، وشبهوه بخلقه من التعب والإعياء، وأنه يصارع بعض الأنبياء، وأنه يمشي مع بني إسرائيل على وجه الأرض...إلخ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.
كما اشتهر عنهم إيذاء الأنبياء وقتلهم وإلصاق التهم بهم، وزعموا أن عزيراً ابن الله. وهم فرق شتى، منها: العنانية، والعيسوية، والسامرية..إلخ.
انظر: الملل والنحل (١/ ٢٥٠-٢٦٢) البرهان في عقائد أهل الأديان ص٨٨، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٨٢-٨٣، إغاثة اللهفان (٢/ ٢٩٨-٣٦٧).

(٣) النصارى: هم أمة المسيح عيسى بن مريم ـ عليهما السلام ـ بعث إليهم بعد =

والصابئين[١] وأشكالهم وأشباههم ؛ أعلم بالله من ورثة الأنبياء وأهل القرآن والإيمان؟![٢] .

= موسى، وقد غلوا في عيسى حتى زعموا أنه ثالث ثلاثة، وأنه ابن الله. واليهود والنصارى من كبار أمم أهل الكتاب.

واختلف في أصل تسميتهم بهذا الاسم (نصارى)، فقيل: نسبة إلى (الناصرة) بلد في فلسطين كان مبدأ خروجهم منها، وقيل: نسبة إلى الحواريين؛ حيث قالوا : نحن أنصار الله، وهم فرق شتى منها الملكانية، واليعقوبية، والفريسيون.

انظر الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٢٦٢-٢٧٢)، البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ص ٩١-٩٢، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص٨٤-٨٥، إغاثة اللهفان (٢/ ٢٧٠-٢٩٨) وانظر كتاب «محاضرات في النصرانية» لمحمد أبو زهرة.

(١) الصابئ، لغة هو: الخارج من دين إلى دين. لسان العرب (١/ ١٠٧).

وهم الذين بعث فيهم إبراهيم الخليل – عليه السلام – كانوا يسكنون «حران» وكانوا يعظمون الكواكب السبعة، ويقولون: إنها مدبرة هذا العالم.

وهم قسمان: مشركون، وهم عبدة الكواكب . وصابئة حنفاء .

وقد جاء ذكرهم في القرآن مع الأمم التي تنقسم كل أمة منهم إلى مؤمن وكافر ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:٦٢]، والحنفاء هم قوم إبراهيم، وهم أهل دعوته، وكانوا يسكنون «حران».

انظر: الملل (٢/ ٣٠٧ وما بعدها)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص٩٠ البرهان في معرفة عقائد أهل الإيمان ص ٩٢، إغاثة اللهفان (٢/ ٢٤٩-٢٥٥).

(٢) إلى هنا انتهى الشيخ من رده على المقولة الباطلة «طريقة السلف أسلم..» ولمزيد من الرد على هذه المقولة وتفنيدها انظر كلام الشيخ في : الفتاوى (٤/ ١٥٧ ومابعدها)، درء تعارض العقل والنقل (٥/ ٣٧٨ وما بعدها)، وهناك رسالة قيمة في هذا الموضوع لابن رجب الحنبلي باسم: «بيان فضل علم السلف على علم الخلف» وقد طبعت مفردة بتحقيق: محمد بن ناصر العجمي. الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ -١٩٨٣م. نشر: دار الأرقم، وعدد صفحات الكتاب ثلاث وستون صفحة.

سبب ضلال كثير من المتأخرين

وإنما قدمت هذه المقدمة[١] لأن من استقرت هذه المقدمة عنده علم طريق الهدى أين هو في هذا الباب وغيره.

وعلم أن الضلال والتهوّك[٢] إنما استولى على كثير من المتأخرين بنبذهم كتاب الله وراء ظهورهم، وإعراضهم عما بعث الله به محمداً ﷺ من البيّنات والهدى، وتركهم البحث عن طريق السابقين والتابعين والتماسهم علم معرفة الله ممن لم يعرف الله بإقراره على نفسه[٣]، ولشهادة[٤] الأمة على ذلك، وبدلالات كثيرة، وليس غرضي واحداً، وإنما أصف نوع هؤلاء، ونوع هؤلاء.

أدلة علو الله على خلقه

وإذا كان كذلك: فهذا كتاب الله من أوله إلى آخره، وسنة رسوله ﷺ من أولها إلى آخرها، ثم عامة كلام الصحابة والتابعين، ثم كلام سائر الأئمة مملوء بما هو إما نص وإما ظاهر في أن الله سبحانه[٥] فوق كل شيء، وعليٌّ[٦] على كل شيء، وأنه فوق العرش، وأنه فوق السماء، مثل قوله تعالى: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ [فاطر: ١٠]، ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۝١٦ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ﴾ [الملك: ١٥-١٦]، ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾[النساء: ١٥٨]، ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ﴾

دلالة القرآن على علو الله

---

(١) «المقدمة» سقطت من (ج).

(٢) التهوك: انظر ص(١٩٦).

(٣) سبق أن أورد الشيخ نماذج لهؤلاء انظر ص(١٩١-١٩٥).

(٤) في (ج) «شهادة»، وفي (ع) «بشهادة».

(٥) في (ج) زيادة «وهو العلي الأعلى».

(٦) في (ج) «وهو عال» بدل وعلي.

[المعارج:٤]، ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة : ٥] ، ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠] ، ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [يونس: ٣] ، في ستة مواضع[١]، ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ۝٣٦ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ [غافر: ٣٦-٣٧]، ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، ﴿مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ [الأنعام: ١١٤] . إلى أمثال ذلك مما لا يكاد يحصى إلا بكلفة[٢].

تواتر أدلة السنة على إثبات صفة العلو

وفي الأحاديث الصحاح[٣] والحسان[٤] ما لا يحصى[٥].

---

(١) وهي: الأعراف آية ٥٤، يونس آية ٣، الرعد آية ٢، الفرقان آية ٥٩، السجدة آية ٤، الحديد آيه٤.

(٢) قال بعض كبار أصحاب الشافعي: في القرآن ألف دليل أو أزيد تدل على أن الله عالٍ على خلقه، وأنه فوق عباده. اهـ.

وقال غيره: فيه ثلاثمائة دليل على ذلك. الفتاوي (٥/ ١٢١).

قال ابن القيم: إن الآيات والأخبار الدالة على علو الرب على خلقه واستوائه على عرشه تقارب الألوف، وقد أجمعت عليها الرسل من أولهم إلى آخرهم.. الصواعق (١/ ٣٦٨). وقال في نهاية كتابه «اجتماع الجيوش الإسلامية» ص٣٣١: «.. ولو شئنا لأتينا على هذه المسألة بألف دليل ..».

(٣) الصحيح كما يعرِّفه أهل المصطلح هو: ما اتصل سنده برواية العدل التام الضبط من أول السند إلى منتهاه، وسلم من الشذوذ والعلة القادحة. انظر تدريب الراوي (١/ ٦٣).

(٤) الحسن كما يعرفه بعض أهل المصطلح: هو: ما اتصل سنده برواية العدل الخفيف الضبط من أول سنده إلى منتهاه، وسلم من الشذوذ والعلة القادحة.

انظر: المصدر السابق (١/ ١٥٩).

(٥) في (ج) زيادة «إلا بكلفة».

مـثل قصة معراج رسول الله ﷺ إلى ربه[(١)]، ونزول الملائكة من عند الله وصـعودها إليه[(٢)] ، وقول الملائكة الذين يتعاقبون [فيكم][(٣)] بالليل والنهار، فيعرج الذين باتوا فيكم إلى ربهم فيسألهم وهو أعلم بهم[(٤)].

---

(١) جاءت قصة الإسراء في حديث طويل عن أبي ذر رضي الله عنه رواها البخاري ـ الفتح ـ (١/ ٤٥٨) رقم ٣٤٦، كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء؟ ، ومسلم (١/ ١٤٨) رقم ١٦٣، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات.

ومعنى العروج: الصعود من أسفل إلى أعلى.

انظر: لسان العرب (٢/ ٣٢١)، المعجم الوسيط ص٥٩١.

(٢) وقد ورد في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**إن لله ملائكة سيارة فضلاء يتبعون مجالس الذكر، فإذا وجدوا مجلساً فيه ذكر الله قعدوا معهم، وحف بعضهم بعضاً بأجنحتهم حتى يملأوا ما بينهم وما بين السماء الدنيا، فإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء، وقال: فيسألهم الله عزل وجل..** » الحديث .

رواه مسلم (٤/ ٢٠٧٠) رقم ٢٦٩٠، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل مجالس الذكر.

ورواه البخاري بنحوه (١١/ ٢٠٨) رقم ٦٤٠٨، كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله عز وجل.

(٣) ما بين المعكوفتين من (ج).

(٤) كما جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ : «**الملائكة يتعاقبون فيكم: ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاه العصر، ثم يعرج إليه الذين كانوا فيكم فيسألهم ـ وهو أعلم ـ كيف تركتم عبادي؟ فقالوا: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون**».

رواه البخاري (٦/ ٣٠٦) رقم ٣٢٢٣، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة. =

وفي الصحيح في حديث الخوارج[(١)]: «**ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحاً ومساءً**»[(٢)].

وفي حديث الرقية[(٣)] الذي رواه

= ومسلم (١/ ٤٣٩) رقم ٦٣٢، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما.

(١) الخوارج: هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بعد قصة التحكيم، وهم فرق شتى يجمعهم تكفير علي وعثمان والحكمين وأصحاب الجمل، وتكفير مرتكب الكبيرة، وأنه مخلد في النار، والخروج على الأئمة إذا جاروا وظلموا.

وقد عرفوا بعدة أسماء؛ منها: الخوارج، الحرورية، الشراة.

انظر: التبصير في الدين ص٢٦، التنبيه والرد ص٤٧، مقالات الإسلاميين ص٨٦، الفرق بين الفرق ص٥٤، الفرق وأصناف الكفرة ص١٠٣، البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ص١٧.

وانظر: كتاب «الخوارج عقيدة وفكراً وفلسفة» د. عامر النجار.

(٢) الحديث رواه البخاري (٨/ ٦٧) رقم ٤٣٥١، كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد إلى اليمن قبل حجة الوداع.

ومسلم (٢/ ٧٤٢) رقم ١٠٦٤، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفتهم، ونص الحديث: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه بعث علي بن أبي طالب إلى رسول الله ﷺ من اليمن بذهيبة في أديم مقروظ لم تحصل على ترابها، قال: فقسمها بين أربعة نفر.. فقال رجل من أصحابه: كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «**ألا تأمنوني وأنا أمين مَنْ في السماء، يأتيني خبر السماء صباحاً ومساء؟** ..» الحديث.

(٣) الرقيه: العوذة التي يرقى بها صاحب الآفة.

النهاية في غريب الحديث (٢/ ٢٥٤)، وانظر: لسان العرب (١٤/ ٣٣٢).

والرقية التي هي العزائم تنقسم ثلاثة أقسام:

قسم جائز: وهو ما كان بأدعية شرعية، أو بالقرآن الكريم، أو بأسماء الله وصفاته، والاستعاذة به وحده لا شريك له، فهذا جائز بل مستحب. =

أبـو داود[(١)(٢)] وغـيره : «ربنا الله الذي في السماء تقدس[(٣)] اسمك، أمرك في

= **القسم الثاني:** الحرم، وهي التي تحتوى على شرك من دعاء غير الله، والاستغاثة والاستعانة به.

القسم الثالث: الرقى بأسماء وأدعية مجهولة، غير مفهومة المعاني، فلا تجوز الرقيه بها سداً للذرائع، لأنه ربما احتوت على أدعية وأوراد شركية.

ويشترط في جواز الرقية ثلاثة شروط، وقد حكى الإمام ابن حجر والسيوطي الإجماع على ذلك، وهي:

أن تكون من الكتاب والسنة، ويدخل في ذلك أسماء الله وصفاته.

أن تكون باللغة العربية، مفهومة المعاني .

أن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها، بل هي سبب من الأسباب، والنافع الضار هو الله وحده.

والأدلة على جوازها كثير؛ منها: ما رواه البخاري (١٠/ ١٩٩) رقم (٥٧٣٨) ، كتاب الطب، باب رقية العين عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: «أمرني البني ﷺ ـ أو أمر ـ أن يسترقى من العين». والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

انظر: الفتاوي (١٩/ ٦١)، (١/ ٣٣٦)، فتح الباري (١٠/ ١٩٥-١٩٧)، تيسير العزيز الحميد ص١٦٢-١٦٥، فتح المجيد ص١٠٣، معارج القبول (١/ ٤٦٠-٤٦٩) حاشية ابن قاسم على كتاب التوحيد ص٨٦.

(١) في (ع) « في حديث الرقية إليه في حديث أبي داود.. » .

(٢) أبو داود : هو: سليمان بن الأشعث بن شداد بن عمرو بن عامر، الأزدي السجستاني، صاحب كتاب « السنن »، ولد سنة اثنتين ومائتين، وتوفي سنة خمس وسبعين ومائتين. قال عنه الذهبي: كان على مذهب السلف في اتباع السنة والتسليم لها، وترك الخوض في مضائق الكلام.اهـ.

وقال أبو حاتم: «أبو داود أحد أئمة الدنيا فقهاً وعلماً وحفظاً ونسكاً وورعاً وإتقاناً، جمع وصنف وذب عن السنن». اهـ. انظر: الجرح والتعديل (٤/ ١٠١)، تاريخ بغداد (٩/ ٥٥)، وفيات الأعيان (٢/ ٤٠٤)، تذكرة الحفاظ (٢/ ٥٩١)، السير (١٣/ ٢٠٣).

(٣) تقدَّس: أي تطهر، ومن أسمائه سبحانه «القدوس». =

السماء والأرض، كما رحمتك في السماء، اجعل رحمتك في الأرض، اغفر لنا حوبنا[١] وخطايانا، أنت رب الطيبين، أنزل رحمة من رحمتك، وشفاءً من شفائك على هذا الوجع ». قال ﷺ: «إذا اشتكى أحد منكم، أو اشتكى أخ له، فليقل : ربنا الله الذي في السماء ...» وذكره[٢].

= انظر : النهاية في غريب الحديث (٤/ ٢٣)، لسان العرب (٦/ ١٦٨).

(١) الحُوب : بفتح الحاء وضمها : الإثم، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النساء:٢].

انظر: النهاية في غريب الحديث (١/ ٤٥٥)، لسان العرب (١/ ٣٣٩)، المعجم الوسيط ص٢٠٤.

(٢) رواه أبو داود (٤/ ٢١٨) رقم ٣٨٩٢، كتاب الطب، باب كيف الرقى؟ عن أبي الدرداء :

- ورواه أحمد (٢/ ٢١) عن فضالة بن عبيد.
- والحاكم في المستدرك (١/ ٢٤٤) عن أبي الدرداء، وقال: «قد احتج الشيخان بجميع رواة هذا الحديث غير زياد بن محمد، وهو شيخ من أهل مصر قليل الحديث» . اهـ .
- وأخرجه عن فضالة (٤/ ٢١٨) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ». اهـ .
- وقال الذهبي في التلخيص (١/ ٢٤٤) «زياد مصري مقل، قلت ـ أي الذهبي ـ : قال البخاري وغيره : منكر الحديث. » اهـ.
- ورواه البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ١٦٤).
- واللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة (٣/ ٣٨٩) رقم ٦٤٨.
- وابن قدامة في العلو ص٧٤ رقم٤.
- والدارمي في الرد على الجهمية ص ٢٣.
- والنسائي في عمل اليوم والليلة ص٥٦٦ رقم ١٠٣٧.
- وابن عدي في الكامل (٣/ ١٠٥٤).

=

وقولــه في حديـث الأوعـال(١) : « **والعـرش فـوق ذلـك، والله فـوق عرشه، وهو يعلم ما أنتم عليه**». رواه أبو داود(٢)(٣) .

[وهـذا الحديـث مع أنه قد رواه أهل السنن(٤) كأبي داود، وابن ماجه(٥)،

= قلـت: ومـدار هذا الحديث على زياد أو زيادة بن محمد، قال عنه البخاري والنسائي وأبو حاتم: منكر الحديث.

وقـال ابـن عـدي: أظـنه مدنياً لا أعلم له إلا حديثين أو ثلاثة، ومقدار ما له لا يتابع عليه. اهـ.

وقال ابن حبان: منكر الحديث جداً، يروي المناكير عن المشاهير، فاستحق الترك.اهـ.

وقال الذهبي: وقد انفرد بحديث الرقية: «**ربنا الله الذي في السماء**» .

وقال الحافظ : منكر الحديث .

انظـر: التاريخ الكبير للبخاري (٣/ ٤٤٦)، الكامل في الضعفاء (٣/ ١٠٥٣) ، الميزان (٢/ ٩٨)، اللسان (٢/ ٤٩٦)، التهذيب (٣/ ٣٩٢)، التقريب ص٢٢١ رقم ٢١١٣.

وقد حسنه شيخ الإسلام، انظر «الفتاوي» (٣/ ١٣٩).

(١) الأوعـال: جمـع وَعْـل: وهـو تـيس الجـبل، وأراد بالأوعـال: الأشراف والرؤوس، شـبههم بهـا؛ لأنهـا تأوي إلى شعف الجبال، ومنه قول أبي هريرة : «لا تقوم الساعة حتى تعلـو الـتُّحوت وتهلـك الوعـول. قـيل : وما التحوت؟ قال: سفول الرجال وأهـل البـيوت الغامضـة، والوعول: أهل البيوت الصالحة» اهـ. رواه البخاري في «الكنى» ص٥٩. انظر: النهاية في غريب الحديث (٥/ ٢٠٧)، لسان العرب (١١/ ٧٣١).

(٢) في (ج) «رواه أحمد وأبوداود وغيرهما». وفي (ع) دون «رواه أبوداود».

(٣) أبو داود: سبقت ترجمته، انظر ص ٢٠٥.

(٤) إذا أطلـق أهـل السـنن، فالمقصـود بهـم: أهـل السـنن الأربعـة: أبـوداود والترمذي والنسائي وابن ماجه.

(٥) ابـن ماجه: هو محمد بن يزيد أبو عبدالله ابن ماجه القزويني، الإمام الحافظ، صاحب «السنن » ولد سنع تسع ومائتين، وتوفي في رمضان سنة ثلاث وسبعين ومائتين. =

والترمذي[١]، وغيرهم، فهو مروي من طريقين مشهورين، فالقدح في أحدهما لا يقدح في الآخر، وقد رواه إمام الأئمة ابن خزيمة[٢] في كتاب «التوحيد»[٣] الذي اشترط فيه أنه لا يحتج فيه إلا بما نقله العدل عن

= قال عنه الذهبي: كان ابن ماجه ناقداً، صادقاً، واسع العلم.
انظر: وفيات الأعيان (٤/ ٢٧٩)، العبر (٢/ ٥١)، السير (١٣/ ٢٧٧)، تهذيب التهذيب (٩/ ٥٣٠)، شذرات الذهب (٢/ ١٦٤).

(١) الترمذي: هو: محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، الإمام الحافظ صاحب «الجامع الصحيح» المسمى «سنن الترمذي». قال عنه الذهبي: «جامعه قاضٍ له بإمامته وحفظه وفقهه» اهـ.
قال عنه ابن حبان: «كان أبو عيسى ممن جمع، وصنف، وحفظ وذاكر» .اهـ.
انظر: تذكرة الحفاظ (٢/ ٦٣٣)، العبر (٢/ ٦٢)، السير (١٣/ ٢٧٠)، البداية والنهاية (١١/ ٦٦)، تهذيب التهذيب (٩/ ٣٨٧).

(٢) ابن خزيمة: هو: الإمام الحافظ الحجة محمد بن إسحاق أبو بكر السلمي النيسابوري الشافعي، كان من أئمة أهل السنة، وكتابه «التوحيد» شاهد على ذلك، قال عنه ابن سريج: كان يستخرج النكت من حديث رسول الله ﷺ بالمنقاش. اهـ.
ولد سنة ثلاث وعشرين ومائتين، وتوفي ثاني ذي القعدة سنة إحدى عشرة وثلاثمائة. وله تسع وثمانون سنة.
انظر: تذكرة الحفاظ (٢/ ٧٢٠)، العبر (٢/ ١٤٩)، السير (١٤/ ٣٦٥)، شذرات الذهب (٢/ ٢٦٢).

(٣) هذا الكتاب عظيم القدر، كبير الشأن، أثنى عليه الأئمة، واسمه الكامل: «كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل». يروي فيه المتون بإسناده على طريقة علماء السلف في ذلك، وقد طبع هذا الكتاب حديثاً بتحقيق الدكتور عبدالعزيز الشهوان في مجلدين ، وانظر النعت الكامل لهذا السفر في الدراسة التي قدمها المحقق بين يدي الكتاب.

موصولاً إلى النبي ﷺ[1][2][3].

---

(١) من قوله : «وهذا الحديث مع أنه قد رواه.. إلى قوله: إلى النبي ﷺ» سقط من (ع).

(٢) هذا هو حد الصحيح عند بعض العلماء. انظر تدريب الراوي (١/ ٦٤).
وهذا الشرط ذكره ابن خزيمة في أول كتابه «التوحيد» (١/ ١١).

(٣) هذا الحديث المعروف بحديث «الأوعال» قد كثر الكلام حوله، وأخرجة الأئمة في دواوينهم، ونصه: عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه قال: كنت في البطحاء في عصابة فيهم رسول الله ﷺ، فمرت سحابة، فنظر إليها، فقال: **«ما تسمون هذه؟»** قالوا: السحاب. قال: **«والمزن؟»** قالوا: والمزن. قال: **«والعنان؟»** قالوا: والعنان . قال: **«هل تدرون ما بُعد ما بين السماء والأرض؟»** قالوا: لا ندري: قال: **«إن بعد ما بينهما إما واحدة أو اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة، ثم السماء فوقها كذلك »** حتى عَدَّ سبع سماوات: **«ثم فوق السابعة بحر بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال، بين أظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم على ظهورهم العرش، بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم الله تبارك وتعالى فوق ذلك»** .

- الحديث رواه أبو داود (٥/ ٩٣) رقم ٤٧٢٣، كتاب السنة باب في الجهمية. وهذا لفظه.
- والترمذي (٥/ ٤٢٤) رقم ٣٣٢ كتاب التفسير، باب تفسير سورة الحاقة وقال : هذا حديث حسن غريب.
- وابن ماجه (١/ ٦٩) رقم ١٩٣، المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية.
- وأحمد (١/ ٢٠٦-٢٠٧).
- وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٢٥٤) رقم ٥٧٨.
- وابن أبي شيبة في كتاب «العرش» ص ٥٥.
- ورواه ابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٢٣٤).
- والدارمي في «الرد على الجهمية» ص ٢٤.
- والآجري في «الشريعة» ص٢٩٢.

=

....

= - واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٣/ ٣٩٠) رقم ٦٥١.

- والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٢٨٧، ٥٠٠) وقال: هذا حديث على شرط مسلم ولم يخرجاه، وقد أسند هذا الحديث إلى رسول الله ﷺ شعيب بن خالد الرازي، والوليد بن أبي ثور، وعمرو بن ثابت بن أبي المقدم عن سماك بن حرب، ولم يحتج الشيخان بواحد منهم، وقد ذكرت حديث شعيب بن خالد؛ إذ هو أقربهم إلى الاحتجاج به . اهـ.

- والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ١٤٢).

- والعقيلي في «الضعفاء» (٢/ ٢٨٤).

- وابن عبدالبر في «التمهيد» (٧/ ١٤٠).

- والحافظ أبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢/ ٢).

- والمزي في «تهذيب الكمال» (٢/ ٧١٩).

- وأبو العلاء الهمذاني في «ذكر الاعتقاد وذم الاختلاف» ص٦٧-٦٨ رقم١٩.

- وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١/ ٨) وقد رواه من طريقين، وقال: هذا حديث لا يصح. اهـ.

وقال الحافظ المنذري بعد أن ذكر الحديث: وفي إسناده الوليد بن أبي ثور ولا يحتج بحديثه. اهـ. مختصر سنن أبي داود (٧/ ٩٣).

ورد شيخ الإسلام على من طعن في هذا الحديث. حيث أورد عليه ذلك، فقيل: إن البخاري في تاريخه قال: «عبدالله بن عميرة لا يعرف له سماع من الأحنف» فرد شيخ الإسلام أن هذا الحديث رواه ابن خزيمة في كتاب التوحيد، وقد اشترط أن لا يحتج فيه إلا بالصحيح، والإثبات مقدم على النفي، والبخاري إنما نفى معرفة سماعه من الأحنف، ولم ينف معرفة الناس بهذا السماع، فإذا عرفه غيره كابن خزيمة، كانت معرفته وإثباته مقدماً على نفي غيره وعدم معرفته، وقد حكم عليه بالحسن. انظر الفتاوي (٣/ ١٣٩، ١٩٢). =

وقولــه في الحديــث الصــحيح للجارية : «**أين الله؟**» قالت : في السماء. قال: «**من أنا؟**» قالت: رسول الله . قال: «**أعتقها، فإنها مؤمنة**»[(١)].

= وذكـر الشيخ شمس الدين ابن القيم رحمه الله: حديث العباس الذي فيه ذكر بعد ما بين سماء وسماء، ثم قال : قد رُدَّ هذا الحديث بشيئين:

أحدهما: أن فيه الوليد بن أبي ثور، ولا يحتج به.

الـثاني: بمـا رواه الترمذي من حديث قتادة عن الحسن عن أبي هريرة، قال: «بينما نـبي الله ﷺ جـالس في أصـحابه» وذكـر الحديـث، إلى أن قال: «**هل تدرون ما فوق ذلـك؟**» قـالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**فإن فوق ذلك سماءين ما بينهما خمسمائة سـنة، حـتى عـد سـبع سمـاوات..**» إلى أن قـال: «**والذي نفس محمد بيده، لو أنكم دليتم بحبل إلى الأرض السفلى لهبط على الله ..** » الحديث.

قـال: هذا خلاف حديث العباس في موضعين: في ذكر بعد المسافة بين السماوات، وفي نفي اختصاص الرب بالفوقية .

قـال المثبـتون: أما رد الحديث الأول بالوليد بن أبي ثور، ففاسد؛ فإن الوليد لم ينفرد بـه، بل تابعه عليه إبراهيم بن طهمان، وكلاهما عن سماك... ورواه أيضاً عمرو بن قيس عن سماك.

وأمـا معارضـته لحديـث الحسـن عـن أبي هريرة ففاسد أيضاً ، فإن الترمذي ضعف حديث الحسن هذا . اهـ. انظر : مختصر سنن أبي داود مع معالم السنن (٧/ ٩١).

هـذا مجمـل مـا ذكره العلماء عن هذا الحديث، وعلى كل حال، فعلى فرض ضعف إسـناد هـذا الحديـث، فـلا يطعن ذلك في مدلوله من إثبات صفة العلو لله، فهذا قد ثبت بنصوص أخرى لا مطعن فيها بوجه، والله أعلم.

(١) رواه مسـلم (١/ ٣٨١) رقـم ٥٣٧، كـتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة، ونسخ ما كان من إباحة، في حديث طويل عن معاوية بن الحكم السلمي.

فهـذا الحديـث لا شـك في صـحته ولا ريـب، ولهذا أصبح غصة في حلوق المبتدعة ودحروا به، لكن كعادتهم في مواجهة مثل هذه النصوص التي تبطل وتبدد ما ذهبوا إلـيه مـن أباطـيل، فذهب جماعة منهم إلى الطعن في صحته، ولكن أنى لهم ذلك، =

وقوله في الحديث الصحيح: **«إن الله لما خلق الخلق كتب في كتاب موضوع عنده فوق العرش، إن رحمتي سبقت غضبي»**(١)(٢).

= وليس هذا ببدع عندهم، فقد طعنوا في أحاديث ونصوص تلقتها الأمة بالقبول.
وسلط جماعة منهم طاغوت التأويل على هذا النص، وأولوه تأويلات باطلة، وهذا ديدنهم مع نصوص الوحيين التي لا توافق ما ذهبوا إليه.
وذهب آخرون إلى القول بالتفويض بالمعنى الفاسد لدى المبتدعة، وهو أن يقف مع النص أصم أبكم، وكأنه كلام أعجمي لا يُفقه منه شيءٌ
وأوّله بعضهم بأنه قوله: **«أين الله»** بمعنى من ربك؟ ومن تعبد؟
ومنهم من قال: يؤمن به من غير خوض في معناه.
ومنهم من أوّله بأن المراد: امتحان الجارية هل هي مقرة بأن الله هو الخالق المدبر، وهو الذي إذا دعاه الداعي استقبل السماء كما تستقبل الكعبة في الصلاة.
وقيل: استعلام لمنزلته وقدره عندها وفي قلبها، فأشارت إلى السماء تنبيهاً على محله في قلبها ومعرفتها به ، فإن الشخص إذا أراد أن يخبر عن رفعة رجل آخر ومكانته قال : فلان في السماء، أي رفيع الشأن.
انظر: مشكل الحديث لابن فورك ص ٥٩-٦١، إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل لابن جماعة ص ١٧٠-١٧٢، دفع شبه التشبيه لابن الجوزي ص٦٣، الصواعق المرسلة (١/ ٣١٢)، شرح مسلم للنووي (٥/ ٢٤-٢٥).
ويؤخذ من الحديث ما يلي:
- أن الإقرار والاعتراف أن الله في السماء من علامات الإيمان.
- جواز السؤال عن الله بـ «أين» خلافاً لما يراه بعض المبتدعة من أنه لا يجوز ولا يصح أن يسأل عن الله بذلك .
- اعتقاد أن الله في السماء وأنه في العلو أمر فطري مركوز في النفوس.
انظر: الرد على الجهمية للدارمي ص٣٩، مختصر العلو ص٨١.

(١) ما بين المعكوفتين من (ج، ع).

(٢) رواه مسلم (٤/ ٢١٠٧) رقم ٢٧٥١، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى، =

وقوله في حديث قبض الروح: «**حتى يعرج**[1] **بها**[2] **إلى السماء التي فيها الله**»[3]

= وأنها سبقت غضبه، عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «**لما خلق الله الخلق، كتب في كتابه، فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي تغلب غضبي**».

ورواه البخاري (١٣/ ٤٠٤) رقم ٧٤٢٢، كتاب التوحيد، باب «وكان عرشه على الماء..». نحواً من هذا.

ويؤخذ من الحديث ـ إضافة إلى إثبات صفة العلو لله ـ، إثبات صفتي الرحمة والغضب له سبحانه.

(١) العروج سبق تعريفه، انظر صفحة ٢٠٣.

(٢) في (الأصل) «به» وما أثبت من (ج، ع).

(٣) الحديث رواه ابن ماجه (٢/ ١٤٢٤) رقم ٤٢٦٣، كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له. عن أبي هريرة.

- وأحمد (٢/ ٣٦٤).
- وابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٢٧٧) بطرق متعددة.

رواه هؤلاء بلفظ «**ثم يعرج بها إلى السماء فيفتح لها.. حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله عز وجل**.. الحديث».

- ولـه شاهد عن البراء بن عازب في حديثه الطويل في خروج الروح، رواه أبو داود (٥/ ١٤٤) رقم ٤٧٥٣، كتاب السنة، باب المسألة في القبر، وعذاب القبر.
- وأحمد (٤/ ٢٨٧).
- وابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ٣٨٠-٣٨٣).
- والطيالسي في «مسنده» ص١٠٢، رقم ٧٥٣.
- وابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٢٧٣).
- والحاكم في «المستدرك» (١/ ٣٧-٤٠) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين. إلى أن قال: وفي هذا الحديث فوائد كثيرة لأهل السنة وقمع للمبتدعة، ولم يخرجاه بطوله. اهـ.
- والبيهقي في «إثبات عذاب القبر» ص٥٠-٥٢ رقم ٤٤، وفي «الاعتقاد» ص١١٠.

إسناده على شرط الصحيحين[١][٢].

وقول عبدالله بن رواحة رضي الله عنه الذي أنشده النبيَّ ﷺ[٣] وأقره عليه:

شهدتُ بأن وعدَ الله حق ... وأنَّ النار مثوى الكافرينا

وأن العرش فوق الماء طافٍ[٤] ... وفوق العرش رب العالمينا[٥]

---

(١) قوله : «إسناده على شرط الصحيحين» سقط من (ج، ع).

(٢) ومعنى قولهم: إسناده على شرط الصحيحين، أي على شرط البخاري ومسلم، وشرطهما كما ذكره الحافظ المقدسي: «أن يخرجا الحديث المتفق على ثقة نَقَلَتِه إلى الصحابي المشهور من غير اختلاف بين الثقات الأثبات، ويكون إسناده متصلاً غير مقطوع» . اهـ.

وقولهم: على شرط الصحيحين هي المرتبة الرابعة من مراتب الصحيح.

انظر: شروط الأئمة الستة للحافظ المقدسي ص١٧-١٨، مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث ص١٤، الحطة في ذكر الصحاح الستة لأبي الطيب القنوجي ص١٦٨.

(٣) في (ح، ع) «للنبي».

(٤) طفا الشيء فوق الماء طفواً، وطُفُوّاً : علا ولم يرسب.

لسان العرب (١٥/ ١٠)، المعجم الوسيط ص٥٦٠.

(٥) أورد هذه الأبيات ابن عبدالبر في الاستيعاب (٢/ ٢٩٦)، وقال: «وقصته مع زوجته في حين وقع على أَمَتِه مشهورة، رويناها من وجوه صحاح» . اهـ .

- ورواه الدارمي في الرد على الجهمية ص٢٧.
- وابن عساكر في تاريخ دمشق في ترجمة عبدالله بن رواحة (تراجم العين، ص٣٤٠-٣٤٢) من عدة طرق، وانظر: تهذيب تاريخ دمشق (٧/ ٣٩٥).
- والذهبي في السير (١/ ٢٣٨)، وفي العلو ص٤٢ وقال: «روي من وجوه مرسلة منها: يحيى بن أيوب المصري، حدثنا عمارة بن غزية، عن قدامة بن محمد بن إبراهيم الخطابي فذكره، فهو منقطع» . اهـ.
- وذكرها ابن قدامة في العلو ص ١٤٥-١٥٠.

=

وقول أمية بن أبي الصلت الثقفي[١] الذي أنشد للنبي[٢] ﷺ هو وغيره من شعره فاستحسنه[٣]،

= وانظر: «اجتماع الجيوش الإسلامية» ص١٢١-١٢٢. «شرح العقيدة الطحاوية» (٢/ ٣٦٧-٣٦٨).

- وروى القصة الدارقطني في «سننه» (١/ ١٢١) مع اختلاف الأبيات.

وبجمل قصته مع زوجته أنه كان لعبدالله رضي الله عنه جارية، فأبصرته يوماً زوجته وقد خلا بها، فقالت: لقد اخترت أمتك على حرتك؟ فأنكر ذلك. قالت: إن كنت صادقاً، فاقرأ آية من القرآن ـ وكانت تعلم أن الجنب لا يقرأ القرآن على هذه الحالة ـ قال: فأسمعها البيت الأول من الأبيات الواردة في النص، قالت: فزدني آية، فقال:

وأن العرش فوق الماء طافٍ ... وفوق العرش رب العالمينا

وتحمله ملائكة كرام ... ملائكة الإله مقربينا

فقالت: آمنتُ بالله، وكذّبت بصري، فأخبر الرسول ﷺ بذلك فضحك من صنيعه.

انظر تهذيب تاريخ دمشق (٧/ ٣٩٥)، السير (١/ ٢٣٨).

(١) أمية بن أبي الصلت: هو أمية بن أبي الصلت عبدالله بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي، من شعراء الجاهلية، أدرك زمن النبي ﷺ ولم يسلم. قيل: إنه أراد أن يسلم فلما علم بقتلى بدر، ومنهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة، وهما ابنا خال أمية، كان هذا سبباً في عدم إسلامه، هلك على الشرك سنة تسع من الهجرة. وكان شعره يحتوي على الحكمة، ويذكر فيه خلق السماوات والأرض والملائكة والعرش، وقد قال عنه النبي ﷺ عندما سمع شعره: «آمن شعره وكفر قلبه». (يأتي تخريج الحديث بعد أسطر).

انظر: المعارف لابن قتيبة ص٣٦، الشعر والشعراء (١/ ٤٥٩)، تهذيب تاريخ دمشق (٣/ ١١٨-١٣١)، الإصابة (١/ ١٢٩-١٣٠) البداية والنهاية (٢/ ٢٢٠-٢٢٩).

(٢) في (الأصل) «أنشده النبي» وما أثبت من (ج، ع).

(٣) عن عمرو بن الشريد عن أبيه، قال: ردفت رسول الله ﷺ يوماً فقال: **«هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيئاً؟»** قلت: نعم. قال: **«هيه»** فأنشدته بيتاً. فقال **«هيه»** ثم أنشدته بيتاً. فقال: «هيه» حتى أنشدته مائة بيت. =

وقال : «آمن شعره وكفر قلبه»[(١)] :

مجدوا الله فهو للمجد أهل ربنا في السماء أمسى كبيرا

بالبنا الأعلى الذي سبق الناس وسوى فوق السماء سريرا

شرجعاً[(٢)] ما يناله بصر العين يرى دونه الملائكة صورا[(٣)(٤)] *

= رواه مسلم (٤/ ١٧٦٧) رقم ٢٢٥٥ كتاب الشعر.

(١) الحديث بهذا اللفظ رواه ابن عبدالبر في التمهيد (٤/ ٧).

- والحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق، تهذيب تاريخ دمشق (٣/ ١٢٤).
- وذكره القرطبي في التفسير (١٥/ ٦٣).
- والحافظ في الفتح (٧/ ١٥٣-١٥٤) وسكت عنه.
- وابن كثير في التفسير (٦/ ٥٧٨)، وفي البداية والنهاية (٢/ ٢٢٨) وقال عقبه: لا أعرفه، والله أعلم.
- وذكره العجلوني في كشف الخفاء (١/ ١٩) وقال: قال المناوي: وسند الحديث ضعيف. اهـ.

والحديث له شاهد في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ : **«أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد : ألا كل شيء ما خلا الله باطل. وكاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم»** .

- رواه البخاري (٧/ ١٤٩) رقم ٣٨٤١ كتاب مناقب الأنصار، باب أيام الجاهلية.
- ومسلم (٤/ ١٧٦٨) رقم ٢٢٥٥، كتاب الشعر.

(٢) قال في حاشية (الأصل): «الشرجع: الشيء الطويل» .

(٣) علق عليه في حاشية (الأصل) «جمع أصور، وهو: المائل العنق».

(٤) السرير : هو : العرش. شرجعاً: الشرجع هو: العالي.صوراً: الصور: جمع أصور، وهو المائل العنق.

انظر لسان العرب (٤/ ٤٧٤-٤٧٥) (٨/ ١٧٩-١٨٠)، المعجم الوسيط ص٤٧٧، اجتماع الجيوش الإسلامية ص٣١٠، شرح الطحاوية (٢/ ٣٦٧). =

[وقولـه في الحديـث الـذي في السـنن: **«إن الله حـيي كريم؛ يستحيي من عـبده إذا رفع إليه يديه[1] أن يردهم صفراً»[2]**، وقوله: **«يمد يديه إلى السماء: يا**

= وهذه الأبيات لأمية بن أبي الصلت كما نسبها المؤلف.

انظر ديوانه ص٣٣-٣٤، البداية والنهاية (١/ ١٢)(٢/ ٢٢٩)، تهذيب تاريخ دمشق (٣/ ١٢٦).

(١) في (ع) تقدمت «يديه» على «إليه».

(٢) الحديث: رواه أبو داود (٢/ ١٦٥) رقم ١٤٨٨، كتاب الصلاة، باب الدعاء، عن سلمان الفارسي رضي الله عنه .

- ورواه الترمذي (٥/ ٥٥٦-٥٥٧) رقم ٣٥٥٦، كتاب الدعوات، باب ١٠٥ وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. اهـ.

- وابن ماجه (٢/ ١٢٧١) رقم ٣٨٦٥ كتاب الدعاء باب رفع اليدين في الدعاء.

- وابن أبي شيبة في مصنفه (١٠/ ٣٤٠) بلفظ **«يبسط إليه عبده يديه»**.

- وابن حبان في صحيحه «موارد الظمآن» ص٥٩٦ رقم ٢٣٩٦، كتاب الأدعية باب ما جاء في فضل الدعاء.

- والحاكم في المستدرك (١/ ٤٩٧) كتاب الدعاء، بلفظ **«أن يبسط إليه يديه»**، وقال: هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين، ووافقة الذهبي.

- والبغوي في شرح السنة (٥/ ١٨٥) رقم ١٣٨٥.

- وابن عدي في الكامل (٢/ ٥٩٥) بنحو من هذا اللفظ عن ابن عمر.

- والخطيب في تاريخ بغداد (٣/ ٢٣٥-٢٣٦).

- وقال عنه الحافظ في الفتح (١١/ ١٤٣) : سنده جيد.

- وصححه الألباني، مختصر العلو ص٩٧٠.

ومعنى **«صفراً»** أي : خالياً، يقال: بيت صفر عن المتاع، أي خال.

شرح السنة (٥/ ١٨٦)، وانظر: غريب الحديث للخطابي (١/ ١٢٧)، النهاية في غريب الحديث (٣/ ٣٦).

رب يا رب ..»[١][٢] إلى أمثال ذلك مما لا يحصيه إلا الله، مما هو أبلغ المتواترات اللفظية والمعنوية[٣]، التي تورث علماً يقينياً من أبلغ العلوم

---

(١) ما بين المعكوفتين من (ج، ع).

(٢) هذا جزء من حديث طويل، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: **«أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً... إلى أن قال: « ثم ذكر الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يارب يارب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام ...»** الحديث.

- رواه مسلم (٢/ ٧٠٣) رقم ١٠١٥، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها.

وقد أوّل المبتدعة هذا الحديث وأمثاله بأن رفع اليدين إلى السماء ليس المراد منه الله في العلو، بل لأن السماء قبلة الدعاء، أجيبوا عن ذلك بعدة أجوبة؛ منها:

* أن هذا القول قول مبتدع، ما أنزل الله به من سلطان، ولم يقل به أحد من سلف الأمة.
* أن قبله الدعاء وقبلة الصلاة واحدة، وهي استقبال القبلة.
* القبلة هو ما يستقبله العابد بوجهه لا بيديه، فلو كانت السماء قبلة الدعاء لشرع للداعي أن يستقبل السماء بوجهه أثناء الدعاء..

إلى غير ذلك من أوجه فساد هذه الشبهة ، انظر شرح الطحاوية (٢/ ٣٩٢-٣٩٣).

(٣) التواتر: في اللغة: مجيء الواحد إثر الواحد بفترة بينهما، ومنه قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ﴾ [المؤمنون:٤٤].

انظر: لسان العرب (٥/ ٢٧٥).

واصطلاحاً: من نقله من يحصل العلم بصدقهم ضرورة عن مثلهم من أوله إلى آخره.

وينقسم قسمين :

لفظي: وهو ما تواتر لفظه ومعناه؛ مثل حديث **«من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»** . =

الضـرورية[١] : أن الرسـول ﷺ المبلِّغ عـن الله ألقـى إلى أمته المدعوين أن الله سـبحانه[٢] فـوق العـرش، وأنـه فـوق السماء، كما فطر الله على ذلك جميع الأمـم عـربهم وعجمهـم، في الجاهلـية الإسـلام، إلا مـن اجتالته[٣] الشياطين عن فطرته[٤].

ثم عن السلف في ذلك من الأقوال ما لو جمع لبلغ مئات، أو ألوفاً[٥].

= ومعنوي: وهو أن ينقل من يحصل العلم بصدقهم وقائع مختلفة تشترك في أمر يتواتر ذلك القدر المشترك؛ مثل: رفع اليدين أثناء الدعاء، وأحاديث الشفاعة.
انظـر: الخلاصة في أصول الحديث ص٣٤-٣٦، نزهة النظر شرح نخبة الفكر ص٢٠ -٢١، تدريـب الـراوي (٢/ ١٧٦-١٧٧، ١٨٠)، نظم المتناثر من الحديث المتواتر ص ٥ -٨، ١٢-١٣، قواعد التحديث ص١٤٦، تيسير مصطلح الحديث ص ١٨-٢٠.

(١) العلم الضروري: هو الذي يضطر إليه الإنسان، ولا يمكن دفعه.
أو بعبارة أخرى : ما لا يحتاج إلى تأمل ونظر، نحو الواحد نصف الاثنين.
انظر: التمهيد للباقلاني ص٢٦، قواعد التحديث ص١٤٦، نزهة النظر ص٢١ .

(٢) في (ج، ع) «على».

(٣) اجتالتهم الشياطين : أي استخفتهم، فجالوا معهم في الضلال.
النهاية في غريب الحديث (١/ ٣١٧).

(٤) وقـد فصـل ذلـك شمـس الديـن ابـن قـيم الجوزيـة في كـتابة «اجـتماع الجـيوش الإسلامية»، بل ذكر أن هذا مما فطر عليه جميع الخلق من جن وحيوان إضافة إلى بني آدم، من أن الله في العلو . فليراجع.

(٥) وممـن عُـني بجمـع أقوالهـم في هـذا شـيخ الإسـلام في الكـتاب الذي بين أيدينا، كما سيتبين ذلك في الصحفات القادمة.
وكذلـك الإمـام ابـن القـيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية»، واللالكائي في «شرح أصـول اعـتقاد أهـل السـنة والجماعـة»، والذهـبي في «العلـو»، وابن قدامة في كتابه «إثبات صفة العلو» وغير هؤلاء كثير.

قول نفاة العلو ليس له مستند من الكاتب والسنة ولا عند أحد من سلف الأمة

ثم ليس في كتاب الله، ولا في[١] سنة رسول ﷺ، ولا عن أحد من سلف الأمة لا[٢] من الصحابة[٣] والتابعين[٤]، ولا عن أئمة[٥] الدين[٦] — الذين أدركوا زمن الأهواء والاختلاف — حرف واحد يخالف ذلك، لا نصاً ولا ظاهراً[٧][٨].

ولم يقل أحد منهم قط : إن الله ليس في السماء، ولا أنه ليس على العرش، ولا أنه [بذاته] [٩] في كل مكان [١٠]، ولا أن جميع الأمكنة

---

(١) «في» سقطت من (ج).

(٢) في (ج) بدون « لا » .

(٣) في (ج) زيادة «ولا من»، وفي (ع) زيادة «ولا» فقط.

(٤) في (ج) زيادة « لهم بإحسان».

(٥) في (ج، ع) « الأئمة».

(٦) « الدين » ليست موجودة في (ج، ع).

(٧) بل أول من عرف عنه ذلك: الجعد بن درهم، في أوائل المائة الثانية كما سيأتي.
انظر الفتاوى (١٢/ ١١٩، ٣٥٠-٣٥١)، (١٠/ ٦٦)، (١٣/ ١٨٢-١٨٣)، منهاج السنة (٢/ ١٩٢)، نقض التأسيس (١/ ٤٤٨)، الرد على الجهمية للدارمي ص١٧.

(٨) النص: ما كانت دلالته قطعية لا تحتمل النقيض؛ كقوله: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ أو هو الذي لا يحتمل التأويل.
الفتاوي (١٩/ ٢٨٨)، المستصفى (١/ ١٥٠)، روضة الناظر (٢/ ٢٧).
والظاهر: هو ما يسبق إلى الفهم منه عند الإطلاق معنى مع تجويز غيره.
أو: ما احتمل معنيين هو في أحدهما أظهر.
روضة الناظر (٢/ ٢٩-٣٠)، إرشاد الفحول ص١٧٥-١٧٦.

(٩) زيادة من (ج) وكذا في العقود الدرية.

(١٠) كما يقوله الحلولية.

بالنسبة إليه سواء، ولا أنه لا داخل العالم ولا خارجه، ولا متصل ولا منفصل[١]، ولا أنه لا تجوز الإشارة الحسية إليه بالأصبع، ونحوها ؛ بل قد ثبت في الصحيح عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه أن النبي ﷺ لما خطب خطبته العظيمة يوم عرفات، في أعظم[٢] مجمع حضره رسول الله ﷺ جعل يقول: **«ألا هل بلغت؟»** . فيقولون: نعم . فيرفع أصبعه إلى السماء وينكبها[٣] [إليهم][٤] ويقول: **«اللهم اشهد»** غير مرة[٥]، وأمثال ذلك كثير[٦].

فإن كان الحق فيما[٧] يقوله هؤلاء السالبون النافون للصفات الثابتة في كتاب الله وسنة رسوله[٨] من هذه العبارات ونحوها دون ما يفهم من الكتاب والسنة إما نصاً وإما ظاهراً، فكيف يجوز على الله، ثم على رسوله ﷺ ثم على خير الأمة أنهم يتكلمون دائماً بما هو نص أو ظاهر في خلاف

---

(١) كما يقوله غلاة المعطلة.

(٢) في (ع) «أعلى».

(٣) ينكبها: من النكب، وهو الميل في الشيء، ومنه قول الشاعر (عن الحق أنكب) أي : مائل عنه، ويقال: نكبت الإناء نكباً ونكبته تنكيباً: إذا أماله وكبه.
لسان العرب (١/ ٧٧٠).
ومعنى «ينكبها إليهم» هنا: أي يميلها إليهم؛ يريد بذلك أن يشهد الله عليهم.
النهاية في غريب الحديث (٥/ ١١٢).

(٤) زيادة من (ج،ع).

(٥) هذا جزء من حديث جابر الطويل في صفة حجة النبي ﷺ.
رواه مسلم بطوله (٣/ ٨٨٦-٨٩٢) رقم ١٢١٨، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ.

(٦) في الأصل كثيرة، وما أثبت من (ج،ع) .

(٧) في (ع) «ما» بدل فيما.

(٨) في (ج،ع) «في الكتاب والسنة» .

الحق[١] الذي يجب اعتقاده ولا يبوحون[٢] به قط، ولا يدلون عليه لا نصاً ولا ظاهراً، حتى يجيء أنباط[٣] الفرس[٤] والروم[٥]

---

(١) في (ع) زيادة «ثم الحق».

(٢) البوح: ظهور الشيء، وباح الشيء: ظهر وباح بسره: أظهره.
لسان العرب (٢/ ٤١٦).
والمعنى هنا: لا يظهرونه ولا يجاهرون به.

(٣) أنباط: جمع نبط، وهم قوم من العجم يسكنون سواد العراق، والنسبة إليه نبطي، واستعمل أخيراً في أخلاط الناس من غير العرب.
وأصل الكلمة: الاستنباط، وهو: الاستخراج، سموا بذلك لأنهم يستخرجون ينابيع الأرض، وقد تميزوا بذلك عن غيرهم.
انظر: تهذيب الأسماء واللغات (٣/ ١٥٨)، الأنساب للسمعاني (٥/ ٤٥٤)، لسان العرب (٧/ ٤١١-٤١٢)، المعجم الوسيط (٨٩٧، ٨٩٨) .

(٤) الفرس: جمع فارس، والنسبة إليه فارسي، وهي بلاد واسعة لعدة مدن، ومكانها الآن بلاد العراق وإيران، وجزء من خراسان، وجزء من الجمهوريات الإسلامية، كانت متاخمة لبلاد الروم في الشام، وعاصمتها المدائن، وديانة أهلها المجوسية «عبادة النار» وكان بداية سقوط هذه المملكة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وآخر ملوكهم يزدجرد بن شهريار بن كسرى، الذي قتل في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه ولم تقم لهم بعد ذلك قائمة، وفي الحديث **«إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده»** رواه البخاري، الفتح (٦/ ٦٢٥) رقم ٣٦١٨.
انظر: مراصد الاطلاع (٣/ ١٠١٢)، الأنساب للسمعاني (٤/ ٣٣٢)، لسان العرب (٦/ ١٦٢-١٦٣)، والبداية والنهاية (٧/ ١٢٦ و١٥٨)، وفتح الباري (٦/ ٦٢٥) .

(٥) الروم: جيل من الناس، نسبة إلى روم بن عيصوم بن إسحق، وهو جمع رومي، وكانت مملكتهم تضم الشام وتركيا، وجزءاً من بلاد الاتحاد السوفياتي، وكانت أنطاكية دار ملكهم، فتحها المسلمون في عهد الراشدين، يغلب على ديانتهم النصرانية. =

وفروخ[١] اليهود[٢] والفلاسفة[٣]، يبينون للأمة العقيدة الصحيحة التي يجب على كل مكلف، أو كل فاضل أن يعتقدها.

لئن كان ما يقوله هؤلاء المتكلمون المتكلفون[٤] هو الاعتقاد الواجب، وهم مع ذلك أحيلوا في معرفته على مجرد عقولهم، وأن يدفعوا بمقتضى قياس[٥] عقولهم ما دل عليه الكتاب والسنة نصاً أو ظاهراً، لقد كان ترك الناس بلا كتاب ولا سنة أهدى لهم وأنفع على هذا التقدير[٦]، بل كان وجود الكتاب والسنة ضرراً محضاً في أصل الدين[٧].

= انظر: مراصد الاطلاع (٢/ ٦٤٢)، تهذيب الأسماء واللغات (٣/ ١٣٠)، الأنساب للسمعاني (٣/ ١٠٤)، لسان العرب (١٢/ ١٥٨).

(١) فروخ: جمع فرخ، والفرخ: ولد الطائر، وأطلق على كل صغير من الحيوان والنبات والشجر وغيرها. انظر لسان العرب (٣/ ٤٢، ٤٣).
ولعل المراد هنا: أهل الكلام من المسلمين ممن تأثروا في علومهم باليهود والفلاسفة، فأصبحوا كالأفراخ لهم.

(٢) اليهود: سبق التعريف بهم: انظر: ص١٩٩.

(٣) الفلاسفة: سبق التعريف بهم: انظر: ص١٩٣ .

(٤) «المتكلفون» سقطت من (ع).

(٥) في (ع) «القياس».

(٦) وذلك لأنهم عندما حكّموا عقولهم في قضايا العقيدة، وجعلوا العقل هو الفيصل في هذا، وعرضوا نصوص الوحيين عليه، كثر اضطرابهم، وجعلوا العباد في حيرة وشك من دينهم، وقرروا الباطل المحض، وتعاموا عن الحق والهدى ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج :٤٦] .

(٧) حيث إن أهل الجاهلية في الجملة أفضل منهم اعتقاداً في أسماء الله وصفاته. ولم يكن ثمَّ كتاب ولا سنة.

فإن حقيقة الأمر على ما يقوله هؤلاء أنكم يا معشر العباد لا تطلبوا معرفة الله عز وجل وما يستحقه من الصفات نفياً وإثباتاً، لا من الكتاب ولا من السنة، ولا من طريق سلف الأمة.

ولكن انظروا أنتم، فما وجدتموه مستحقاً له من الأسماء[(١)] والصفات فصفوه به ، سواءً كان موجوداً في الكتاب والسنة أو لم يكن، وما لم تجدوه مستحقاً له في عقولكم فلا تصفوه به[(٢)] !.

منهج النفاة في نفي الصفات

ثم هم ههنا فريقان، أكثرهم يقولون: ما لم تثبته عقولكم فانفوه.

ومنهم من يقول: بل توقفوا فيه، وما نفاه قياس عقولكم ـ الذي أنتم فيه مختلفون[(٣)] مضطربون اختلافاً أكثر من جميع اختلاف على وجه الأرض[(٤)] ـ فانفوه، وإليه عند التنازع فارجعوا، فإنه الحق الذي تعبدتكم به، وما كان مذكوراً في الكتاب والسنة مما يخالف قياسكم هذا، أو يثبت ما لم تدركه عقولكم ـ على طريقة أكثرهم ـ فاعلموا أني أمتحنكم بتنزيله، لا لتأخذوا الهدى منه، لكن لتجتهدوا في تخريجه على شواذ[(٥)]

---

(١) «الأسماء» ليست موجودة في (ج،ع).

(٢) «به» ليست موجودة في (ج).

(٣) في (ع) زيادة «واو».

(٤) العقول لا تكاد تنضبط في أمور صغيرة ويسيرة، بل الآراء فيها تتباين، والاختلاف في أصلها يكثر، وتتعدد وجهات النظر حولها، هذا على سهولتها، فكيف والحالة هذه تحكم في قضايا كلية وأمور اعتقادية، لذا لما عول أهل الكلام على عقولهم وتحاكموا إليها، كثر اضطرابهم، وتباينت آراؤهم، بل ووجد التضاد في أقوالهم في المسألة الواحدة، ولدى الطائفة الواحدة.

وقد أوضح الشيخ ذلك في كتابه «درء تعارض العقل والنقل» فشفى وكفى.

(٥) الشاذ: هو: النادر. انظر: لسان العرب (٣/ ٤٩٤).

اللغة[١]، ووحشي الألفاظ وغرائب الكلام، و[٢] أن تسكتوا عنه مفوضين علمه إلى الله[٣] مع نفي دلالته على شيء من الصفات، هذا حقيقة الأمر على رأي هؤلاء المتكلمين.

وهذا الكلام قد رأيته صرَّح بمعناه طائفة منهم[٤]، وهو لازم لجماعتهم لزوماً لا محيد عنه، ومضمونه أن كتاب الله لا يُهتدى به في معرفة الله، وأن الرسول ﷺ معزول عن التعليم والإخبار بصفات[٥] من أرسله، وأن الناس عند التنازع لا يردُّون ما تنازعوا فيه إلى الله والرسول، بل إلى مثل ما

---

(١) في (ج) «اللغات».

(٢) في (ع) «أو» بدل: الواو.

(٣) هؤلاء هم المسمون بأهل التفويض، وسيأتي التعريف بهم.

(٤) وهو قول أكثر المتكلمين النفاة من الجهمية والمعتزلة، وممن صرح بذلك: ابن عقيل، وأبو حامد ـ في أول عمره ـ وابن رشد الحفيد.

يقول الشيخ: «الجهمية النفاة يقولون : فائدة إنزال هذه النصوص المثبته للصفات وأمثالها من الأمور الخبرية التي يسمونها هم: المشكل والمتشابه، فائدتها عندهم: اجتهاد أهل العلم في صرفها عن مقتضاها بالأدلة المعارضة لها، حتى تنال النفوس كدّ الاجتهاد، وحتى تنهض إلى التفكر والاستدلال بالأدلة العقلية المعارضة لها، الموصله إلى الحق، فحقيقة الأمر عندهم أن الرسل خاطبوا الخلق بما لا يبين الحق، ولا يدل على العلم، ولا يفهم منه الهدى، بل يدل على الباطل، ويفهم منه الضلال، ليكون انتفاع الخلق بخطاب الرسل اجتهادهم في رد ما أظهرته الرسل، وأفهمته الخلق ...». درء تعارض العقل والنقل (٥/ ٣٦٥).

وانظر المصدر السابق (٥/ ٣٦٦، وما بعدها) (١/ ١٢-١٣ ، ٢٠٢-٢٠٨)، الفتاوي (١٧/ ٣٥٧).

(٥) في (الأصل) زيادة «الله » ولعلها زائدة.

كانوا عليه في الجاهلية، وإلى مثل ما يتحاكم إليه من لا يؤمن بالأنبياء كالبراهمة[١] والفلاسفة[٢] ـ وهم المشركون ـ والمجوس،[٣] وبعض الصابئين[٤][٥].

وإن كان هذا الرد لا يزيد الأمر إلا شدة، ولا يرتفع الخلاف به، إذ لكل فريق طواغيت[٦] يريدون أن يتحاكموا إليهم، وقد أمروا أن يكفروا

---

(١) البراهمة: قبيلة من قبائل الهند، نسبة إلى «براهما» أحد ملوكهم، ثم أصبح هذا الاسم علماً على ديانة ومذهب له صفاته وخصائصه، ولهم علامات يتميزون بها عن غيرهم، ينكرون النبوات، مع إقرارهم بوجود الصانع وحدوث العالم، لا يشربون الخمر ولا الأنبذة.
انظر: الفصل (١/ ١٣٧)، الفرق وأصناف الكفرة ص٣٦٦، البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ص٨٧، التبصير في الدين ص٨٩، موسوعة الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة ص٥٨.

(٢) الفلاسفة : انظر: ص١٩٣.

(٣) المجوس: انظر: ص١٩٩ .

(٤) الصابئون: انظر: ص٢٠٠.

(٥) يقول الشيخ في معرض رده على ذلك: «ومعلومٌ أن هذا قَدْحٌ في القرآن والأنبياء، إذا كان الله أنزل القرآن، وأخبر أنه جعله هدى وبياناً للناس، وأمر الرسول أن يبلغ البلاغ المبين، وأن يبين للناس ما نزل إليهم، وأمر بتدبير القرآن وعقله، ومع هذا فأشرف ما فيه ـ وهو ما أخبر به الرب عن صفاته أو عن كونه خالقاً لكل شيء...ـ لا يعلم أحد معناه، فلا يعقل ولا يتدبر ولا يكون الرسول بَيَّن للناس ما نزل إليهم، ولا بلّغ البلاغ المبين».اهـ.
درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٠٤). وانظر: قاعدة في المعجزات والكرامات ضمن مجموعة الرسائل والمسائل (ص١٨-١٩).

(٦) الطواغيت: جمع طاغوت: والطغيان: مجاوزة الحد، ومنه قوله وتعالى: ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴾ [الحاقة:١١]. لسان العرب (١٥/ ٧-٩). =

مشابهة النفاة للمنافقين

بهم[١]، وما أشبه هؤلاء المتكلفين بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾﴾ [النساء: ٦٠-٦٢].

فإن هؤلاء إذا دعوا إلى ما أنزل الله من الكتاب وإلى الرسول ـ والدعاء إليه بعد وفاته هو[٢] الدعاء إلى سنته[٣] ـ أعرضوا عن ذلك وهم

= قال ابن القيم: «الطاغوت: كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع، فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله...، إلى أن قال: فهذه طواغيت العالم...».
أعلام الموقعين (١/ ٥٠)، وانظر: النهاية في غريب الحديث (٣/ ١٢٨)، تيسير العزيز الحميد ص٥٥٥-٥٥٦.

(١) إذ لو تخلّوا عن الهوى، وتجردوا للحق لما حصل لهم هذا اللبس، ولذا من طلب الحق منهم بتجرد ونية حسنة، وفقه الله للمذهب الحق، وهداه للطريق المستقيم، فأبو الحسن الأشعري كاد أن يغرق في بحر الاعتزال لولا أن الله أنقذه منه، وكذا والد الجويني، وغيرهم كثير.

(٢) « هو » سقطت من (ع).

(٣) أخرج ابن بطة في الإبانة (١/ ٢١٧) عن ميمون بن مهران من طريقين في قوله تعالى: ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾. قال: الرد إلى الله إلى كتابه، والرد إلى الرسول ﷺ ـ إن قبض ـ إلى سنته.
وحكم عليه ـ رضا نعسان ـ بالصحة بعد أن درس إسناده، وانظر أعلام الموقعين (١/ ٤٩-٥٠).

يقولون: إنا قصدنا الإحسان علماً وعملاً بهذه الطريق[1] التي سلكناها، والتوفيق بين الدلائل العقلية والنقلية.

مصادر شبهاتهم

ثم عامة هذه الشبهات التي يسمونها دلائل إنما تقلدوا أكثرها عن طواغيت من طواغيت المشركين أو الصابئين، أو بعض ورثتهم الذين أمروا أن يكفروا بهم، مثل فلان وفلان، أو عن من قال كقولهم لتشابه قلوبهم ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥]، ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ۚ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ..﴾ [البقرة :٢١٣] .

ولازم هذه المقالة : أن لا يكون الكتاب هدىً للناس، ولا بياناً ولا شفاء [لما في الصدور][2] ولا نوراً، ولا مرداً عند التنازع، لأنا نعلم بالاضطرار [أن ما يقوله هؤلاء][3] المتكلفون أن الحق الذي يجب اعتقاده لم يدل عليه [الكتاب والسنة][4] لا نصاً ولا ظاهراً، وإنما غاية المتحذلق[5] أن يستنتج هذا من قوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:٤]،

---

(١) في (ج) « الطريقة ».

(٢) بياض في (الأصل)، ما أثبت من (ج، ع).

(٣) بياض في (الأصل)، ما أثبت من (ج، ع).

(٤) بياض في (الأصل)، وما أثبت من (ج، ع).

(٥) المتحَذلِق: هو المتكيس الذي يريد أن يزداد على قدره ويدعي أكثر مما عنده . لسان العرب (١٠/ ٤١).

﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [مريم:٦٥][١] .

وبالاضطرار يعلم كل عاقل أن من دل الخلق على أن الله ليس على العرش، ولا فوق السماوات،[٢] ونحو ذلك بقوله: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ لقد أبعد النجعة[٣] وهو إما مُلْغِز،[٤] أو مُدَلس[٥]، لم يخاطبهم بلسان عربي مبين.

عود على اللوازم الباطلة المترتبة على قول النفاة

ولازم هذه المقالة أن يكون ترك الناس بلا رسالة خيراً لهم في أصل دينهم؛ لأن مَرَدَّهم قبل الرسالة وبعدها واحد، وإنما الرسالة زادتهم عمى وضلالاً .

يا سبحان الله! كيف لم يقل الرسول ﷺ يوماً من الدهر، ولا أحد من سلف الأمة هذه الآيات والأحاديث لا تعتقدوا ما دلت عليه، لكن اعتقدوا الذي تقتضيه مقاييسكم، أو اعتقدوا كذا وكذا؛ فإنه الحق، وما

---

(١) وهاتان الآيتان استدل بهما النفاة على النفي.
انظر: الفتاوي (٦/ ٢٨٩).

(٢) في (ع) « السماء ».

(٣) النجعة: من الانتجاع، وهو: طلب الكلأ ومساقط الغيث، ومنه قول ابن أحمر:

كانت مناجعها الدهنا وجانبها ... والقف مما تراه فرقة دررا

وفي المثل: من أجدب انتجع.
وأبعد النجعة. مثل يراد به من ابتعد عن الصواب وجانب الحق.
انظر : لسان العرب (٨/ ٣٤٧) .

(٤) الإلغاز: تعمية المراد وإضماره على خلاف الظاهر.
انظر : المعجم الوسيط ص٨٣٠.

(٥) التدليس: المخادعة . انظر: لسان العرب (٦/ ٨٦).

خالف ظاهره[(١)] فلا تعتقدوا ظاهره، وانظروا فيها فما وافق قياس عقولكم فاعتقدوه، وما لا فتوقفوا فيه أو انفوه[(٢)].

افتراق الامة وبيان الفرقة الناجية

ثم الرسول ﷺ قد أخبر بأن أمته ستفترق[(٣)] ثلاثاً وسبعين فرقة[(٤)]،

---

(١) في (ج) «ظاهر».

(٢) في (ج) «وأنفوه».

(٣) في (ج) زيادة (على).

(٤) هذا حديث الافتراق المشهور، وقد جاء من طرق متعددة، وعن عدة من الصحابة بألفاظ متقاربة، فقد روي عن أبي هريرة، وعوف بن مالك، وأنس، ومعاوية، وابن عمر، وجابر، وأبي أمامة، وابن مسعود، وسعد بن أبي وقاص، ونصه:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة»**.

- رواه أبو داود (٥/ ٤) رقم ٤٥٩٦، كتاب السنة، باب شرح السنة وهذا لفظه.
- والترمذي (٥/ ٢٥) رقم ٢٦٤٠، كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة.
وقال الترمذي: حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح. اهـ.
- وابن ماجه (٢/ ١٣٢١) رقم ٣٩٩١، كتاب الفتن، باب افتراق الأمم.
- وأحمد (٢/ ٣٣٢).
- وأبو يعلى في مسنده (١٠/ ٣١٧) رقم ٥٩١٠، (١٧٣).
- وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٣٣) رقم ٦٦.
- وابن نصر في السنة (ص٢٣) رقم ٥٨.
- وابن بطة في الإبانة (ق١/ ٣٧٥) رقم ٢٧٣.
- وابن حبان ص٤٥٤، الموارد رقم ١٨٣٤.
- والآجري في الشريعة ص١٥.
- والحاكم في المستدرك (١/ ١٢٨)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، اهـ. ووافقه الذهبي. =

فقد علم ما سيكون[1] ، ثم قال: **«إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا، كتاب الله»**[2] .

ورُوي عنه ﷺ أنه قال في صفة الفرقة الناجية[3]: **« هو من كان على[4] مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي»**[5].

= والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٠٨) كتاب الشهادات، باب ما ترد به شهادة أهل الأهواء.

- والمروزي في « السنة » ص٢٣ رقم ٥٨.

وقال شيخ الإسلام: « الحديث صحيح مشهور في السنن والمسانيد» اهـ الفتاوي (٣/ ٣٤٥)، وكذا صححه الشاطبي، انظر: الاعتصام (٢/ ١٨٩-١٩٠)، وحكم الألباني عليه بالصحة، ورد على من يطعن فيه.

انظر: السلسلة الصحيحة رقم ٢٠٣، وتخريج أحاديث كتاب السنة (١/ ٣٣) رقم ٦٦ وقد ساق ابن أبي عاصم في كتاب «السنة» طرق الحديث ورواياته، انظر: السنة لابن أبي عاصم (١/ ٣٢-٣٦).

(١) علم ما سيكون من افتراق أمته، لا مطلق العلم، فهذا من خصائص الربوبية.

(٢) هذا طرف من حديث جابر الطويل في حجة النبي ﷺ وقد سبق تخريجه ص٢٢١ .

(٣) الفرقة الناجية: سميت بذلك؛ لأن النبي ﷺ وصفها بالنجاة من النار من بين الثلاث والسبعين فرقة.

(٤) «على» سقطت من (ع).

(٥) هذا جزء من حديث الافتراق، في وصف الفرقة الناجية. وجاءت هذه الزيادة من طريق ابن عمر، ورواها:

- الترمذي (٥/ ٢٦) رقم ٢٦٤١، كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، وقال الترمذي : هذا حديث مفسر غريب لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه. اهـ.

- والحاكم في المستدرك (١/ ١٢٨). =

فهلا قال من تمسك[1] بظاهر القرآن في باب الاعتقاد فهو ضال؟ وإنما الهدى رجوعكم إلى مقاييس عقولكم، وما يحدثه المتكلمون منكم بعد القرون الثلاثة[2]، وإن كان قد نبغ أصلها[3] في أواخر عصر التابعين.

أصل مقالة التعطيل

ثم أصل هذه المقالة ـ مقالة التعطيل للصفات[4] ـ إنما هو مأخوذ عن تلامذة اليهود والمشركين، وضُلاّل الصابئين، فإن أول من حُفظ عنه أنه قال هذه المقالة في الإسلام هو الجعد بن درهم[5]،

= واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ١٠٠).
- والآجري في الشريعة ص ١٥-١٦ من طريقين.
- والمروزي في السنة ص٢٣.
- وابن بطة في الإبانة (١/ ٣٦٨-٣٧٠) رقم ٢٦٤، ٢٦٥.
- والعقيلي في الضعفاء (٢/ ٢٦٢).
- ومحمد بن وضاح في كتاب «البدع والنهي عنها» ص٨٤.

كل هؤلاء رووه بلفظ « **ما أنا عليه وأصحابي** » .
وصححه البغوي في « شرح السنة » (١/ ٢١٣).
ومدار الحديث بهذه الزيادة على «عبدالرحمن بن زياد بن أنعم الأفريقي » وهو ضعيف.
انظر: ميزان الاعتدال (٢/ ٥٦١)، الكاشف (٢/ ١٦٤)، التقريب ص٣٤٠، الكامل في الضعفاء (٤/ ١٥٩٠)، الضعفاء الكبير (٢/ ٣٣٢).

(١) في (ج) زيادة «بالقرآن، أو بدلالة القرآن، أو بمفهوم القرآن، أو بظاهر..».
(٢) في (ج، ع) زيادة «وهذه المقالة».
(٣) أي أصل مقالة الرجوع إلي مقاييس العقول وترك التمسك بظاهر القرآن.
(٤) « للصفات » سقطت من (ع).
(٥) الجعد بن درهم: من الموالي، أصله من خراسان، مؤدب مروان الحمار، مبتدع ضال، أول من قال: إن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى، وإن ذلك لا يجوز عليه. =

وأخذها عنه الجهم بن صفوان[(١)] وأظهرها، فنُسبت

= قتل سنة أربع وعشرين ومائة، قتله خالد القسري في الكوفة يوم عيد الأضحى، عندما خطب الناس، ثم قال: أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم، فإني مضح بالجعد بن درهم، إنه يزعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً، تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيراً، ثم نزل فذبحه.

روى ذلك البخاري في «خلق أفعال العباد» ص٢٩-٣٠، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٢٠٥-٢٠٦)، والآجري في « الشريعة» ص٩٧، ٣٢٨، والدارمي في «الرد على الجهمية» ص١٧، ٨٢، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (١/ ٣١٩)، والنجاد في «الرد على من يقول القرآن مخلوق » ص٥٤، رقم ٧٢، وابن بطة في «الإبانة» ـ مخطوط ـ لوحة ١٤٦أ، والخلاَّل في «السنة» ـ مخطوط ـ لوحة ١٤٨أ، والذهبي في «العلو» ص١٠٠.

وذكر ابن كثير أن هذا مروي عن غير واحد من الحفاظ، منهم: البخاري، وابن أبي حاتم، والبيهقي، وعبدالله بن أحمد، وابن عساكر.

يقول ابن القيم في هذه المناسبة:

من أجل ذا ضحَّى بجعدٍ	خالدٌ القسري يوم ذبائح القربان
إذ قال إبراهيم ليس خليله	أيضاً ولا موسى الكليم الدان

وقد تتلمذ عليه الجهم بن صفوان، وأخذ عنه هذا المذهب.

انظر: ميزان الاعتدال (١/ ١٨٥)، لسان الميزان (٢/ ١٠٥)، السير (٥/ ٤٣٣)، البداية والنهاية (٩/ ٣٥٠) (١٠/ ١٩). اللباب (١/ ٢٨٣)، الفتاوي (١٢/ ٣٥٠-٣٥١)، (١٠/ ٦٦)، الرد على الجهمية للدارمي ص١٧.

(١) الجهم بن صفوان: أبو محرز الراسبي، مولاهم السمرقندي، رأس الجهمية، وإليه تنسب هذه الفرقة، ضال مبتدع، وقد زرع شراً عظيماً، رأس في التعطيل، يقول بنفي الأسماء والصفات، ويزعم أن القرآن مخلوق، وهو جبري في الأفعال، ويذهب إلى القول بفناء الجنة والنار، فضرب في كل بدعة بسهم.

قُتل سنة ثمان وعشرين ومائة على يد سلم بن أحوز، نائب مرو. =

مقالة الجهمية[1] إليه، وقد قيل: إن الجعد أخذ مقالته عن أبان بن سمعان[2]، وأخذها أبان عن طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم[3].

انظر: ميزان الاعتدال (٢/ ١٩٧)، السير (٦/ ٢٦-٢٧)، لسان الميزان (٢/ ١٤٢)، البداية والنهاية (٩/ ٣٥٠)، الأعلام (٢/ ١٤١).

(١) الجهمية: فرقة ضالة، وهم أتباع الجهم بن صفوان، وسبق في ترجمته أنه يقول: إن الإنسان مجبور، وأنه لا اختيار لشيء من الحيوانات فيما يجري عليهم، وكان يقول: إن النار والجنة تفنيان، وزعم أن الإيمان بالله هو المعرفة به فقط، ونفى عن الله جميع الأسماء والصفات.

واسم الجهمية عموماً أخذ طابع التعطيل، فكل من عطل ولو يسيراً قيل فيه: تجهَّم.

انظر: الفرق بين الفرق ص١٩٩-٢٠٠، مقالات الإسلاميين ص٢٧٩-٢٨٠، التبصير في الدين ص٦٣-٦٤، البرهان في معرفة عقائد أهل الإديان ص٣٤-٣٥.

(٢) أبان بن سمعان: لم أجد فيما وقفت عليه من كتب التراجم أحداً بهذا الاسم، وإنما الموجود ذكره ابن كثير في البداية والنهاية (٩/ ٣٥٠) باسم (بيان بن سمعان التميمي) وأنه هو الذي أخذ الجعد بدعته عنه. ولعله المراد هنا، والله أعلم.

بيان بن سمعان النهدي التميمي، ظهر في العراق بعد المائة، وقال بإلاهية علي بن أبي طالب، وأن فيه جزءاً إلهياً متحداً بناسوته، ثم من بعده في ابنه محمد بن الحنفية، وقد قتله خالد القسري ١١٩هـ، وإليه تنسب فرقة البيانية، وهي من الفرق الغالية، بل عدَّها البغدادي من الفرق الخارجة عن فرق الإسلام، ومن عقائدهم الباطلة قولهم: إن الله عز وجل على صورة إنسان، وأنه يهلك كله إلا وجهه، وأن بيان بن سمعان نبي، بل وزعم بعضهم أنه كان إلهاً، وأنه المذكور في قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٨]، فقالوا: إنه هو البيان المذكور، والهدى والموعظة.

انظر: لسان الميزان (٢/ ٦٩)، مقالات الإسلاميين ص٥، الفرق بين الفرق ص٢٢٧، منهاج السنة (٢/ ٥٠٢-٥٠٣).

(٣) لم أقف على ترجمة طالوت هذا حسب ما أمكنني من بحث.

وأخذها طالوت من[1] لبيد بن الأعصم[2] [اليهودي][3] الساحر[4] الذي سحر النبي ﷺ[5][6].

تأثر الجعد بالبيئة التي نشأ فيها

وكان الجعد[7] هذا ـ فيما قيل ـ من أهل حرَّان[8] وكان فيهم خلق كثير

(١) في (ج) « عن »، بدلاً: من

(٢) في (غ) «أعصم» بدل: الأعصم.

(٣) زيادة من (ج، ع).

(٤) لبيد بن الأعصم، من بني زريق، قيل : كان منافقاً حليفاً لليهود، وقيل : بل أصله يهودي، وكان ساحراً حاذقاً، لذا قال له اليهود: أنت أسحر منا وقد سحرنا محمداً، فسحره منا الرجال والنساء فلم نصنع شيئاً.

وقد سحر النبي ﷺ كما سيأتي، وذلك سنة سبع، وعفا عنه النبي ﷺ.

انظر: الطبقات الكبرى (٢/ ١٩٦-١٩٩)، فتح الباري (١٠/ ٢٢٦) الوفا بأحوال المصطفى (٢/ ٣٤١-٣٤٢).

(٥) وهذا ثابت في الصحيحين عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: سحر رسولَ الله ﷺ رجلٌ من بني زريق يقال له لبيد بن الأعصم، حتى كان رسول الله ﷺ يخيل إليه أنه كان يفعل الشيء وما فعله... الحديث.

- رواه البخاري – الفتح – (١٠/ ٢٢١-٢٢٢) رقم ٥٧٦٣، كتاب الطب، باب السحر.

- ومسلم (٤/ ١٧١٩) رقم ٢١٨٩، كتاب السلام، باب السحر.

(٦) وهذه السلسلة ـ سلسلة التعطيل ـ الجعد عن أبان عن طالوت ... ذكرها أيضاً ابن كثير في البداية والنهاية (٩/ ٣٥٠)، (١٠/ ١٩).

(٧) في (ج، ع) زيادة « ابن درهم ».

(٨) حرَّان ـ بتشديد الراء ـ : بلدة في الجزيرة من ديار مضر، وهي منازل الصابئة الحرانيين الذين يذكرهم مصنفو الملل والنحل، وهي مهاجر الخليل عليه السلام، وهي الآن تابعة للعراق. =

من الصابئة[١] والفلاسفة[٢][٣] بقايا أهل دين النمرود[٤] والكنعانيين[٥] الذين صنف بعض المتأخرين في سحرهم[٦]، والنمرود هو: ملك الصابئة

= انظر: معجم البلدان (٢/ ٢٣٥-٢٢٣٦)، مراصد الاطلاع (١/ ٣٨٩)، الأنساب للسمعاني (٢/ ١٩٥)، اللباب (١/ ٣٥٣)، الرد على المنطقيين ص٢٨٧.

(١) الصابئة: سبق التعريف بهم، انظر: ص٢٠٠.

(٢) الفلاسفة: سبق التعريف بهم، انظر: ص١٩٣ .

(٣) في (ع) زيادة « من ».

(٤) النمرود: هو النمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح، ملك بابل، وهو من الذين ملكوا الدنيا، وقيل: إنه استمر في ملكه أربع مائة سنة، وكان طاغية جباراً، وهو الذي ناظر إبراهيم وحاجه في ربه، وقد ذكر الله هذه المناظرة في كتابه في سورة البقرة آيه: ٢٥٨.

وكان هلاكه ـ كما ذكره بعض المفسرين ـ بسبب بعوض سلطه الله عليه دخل في منخره فمكث مدة عذبه الله به، كان يضرب رأسه بالمرازب خلال هذه المدة حتى هلك.

انظر: تاريخ الأمم والملوك (١/ ٢٧٨-٢٩٢)، البداية والنهاية (١/ ١٤٨-١٤٩)، تفسير ابن كثير (١/ ٤٦٢-٤٦٣).

(٥) الكنعانيون: نسبة إلى كنعان بن سام بن نوح، وقد سكنوا في سواحل الشام وبلاد بيت المقدس، ورحل إليها إبراهيم عليه السلام في أول حياته مع زوجته سارة، وكان الكنعانيون يعبدون الكواكب السبعة، وأطلق اليونانيون على هذه الأمة اسم (الفينيقيين) والنسبة إلى كنعان: كنعاني.

انظر: البداية والنهاية (١/ ١٤٠)، لسان العرب (٨/ ٣١٦)، معجم البلدان (٤/ ٤٨٣-٤٨٤)، دائرة معارف القرن الرابع عشر (٨/ ٢١٣) م محمد فريد وجدي، ط الثانية ١٣٤٣هـ.

(٦) لعله فخر الدين الرازي، والكتاب الذي صنفه في ذلك: «السر المكتوم في السحر ومخاطبة النجوم». =

الكنعانيين[١] المشركين[٢]، كما أن كسرى[٣] ملك الفرس والمجوس،

= قال شيخ الاسلام: «والكتاب الذي صنفه بعض الناس، وسماه «السر المكتوم في مخاطبة النجوم»، فإن هذا كان شرك الكلدانيين والكشدانيين والكنعانيين، وهم الذين بعث إليهم الخليل، وهذا أعظم أنواع السحر...».

وقال في موضع آخر: «... بل قوم إبراهيم ﷺ كانوا يتخذونها ـ أي الكواكب والشمس والقمر ـ أرباباً يدعونها ويتقربون إليها بالبناء عليها والدعوة لها والسجود والقرابين وغير ذلك، وهو دين المشركين الذين صنف الرازي كتابه على طريقتهم، وسماه «السر المكتوم، في دعوة الكواكب والنجوم والسحر والطلاسم والعزائم». وهذا دين المشركين من الصابئين كالكشدانيين والكنعانيين واليونانيين... اهـ.

وقال أيضاً في موضع آخر: «... ولا كان المشركون قوم إبراهيم يعتقدون ذلك، بل كانوا مشركين بالله ويعبدون الكواكب، ويدعونها ويبنون لها الهياكل، ويعبدون فيها أصنامهم، وهو دين الكلدانيين والكشدانيين والصابئين والمشركين، لا الصابئين الحنفاء، وهم الذين صنف صاحب «السر المكتوم في السحر ومخاطبة النجوم» كتابه على دينهم. اهـ.

انظر: مجموع الفتاوي (٤/ ٥٥)، (١٨/ ٥٥)، نقض التأسيس (١/ ٤٧٧-٤٨٨)، بغية المرتاد ص٣٧٠، درء تعارض العقل والنقل (١/ ٣١١)، الرد على المنطقيين ص٢٨٦، شرح حديث النزول ص١٦٦، ميزان الاعتدال (٣/ ٣٤٠).

(١) في (ج) «الكلدانيين»، وفي (ع) «الكذابين».

(٢) «المشركين» سقطت من (ج).

(٣) كسرى ـ بفتح الكاف وكسرها ـ هو: لقب لكل من ولي مملكة الفرس، وهو معرب، وأصلها بالفارسية، خسرو، أي واسع الملك، فعربته العرب، فقالت: كسرى، والجمع: أكاسرة.

انظر: لسان العرب (٥/ ١٤٢)، تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٦٥-٦٦)، فتح الباري (٦/ ٦٢٥).

وفرعون[١] ملك القبط[٢] الكفار، والنجاشي[٣] ملك الحبشة[٤] النصارى، فهم اسم جنس لا اسم علم[٥].

---

(١) فرعون: مأخوذ من الفرعنة، وهي: التجبر والكبر، وهو لقب ملك مصر، وأصله بالمصرية (برعو) بغير نون، لقب كل عات.
انظر: لسان العرب (١٣/ ٣٢٣)، المعجم الوسيط ص٦٨٤، تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٦٥)، الموسوعة العربية الميسرة (٢/ ١٢٩٠).

(٢) القبط: جمع قبطي، وهم: جيل بمصر، نسبة إلى القبط بن حام بن نوح، لسان العرب (٧/ ٣٧٣)، تاج العروس (٢٠/ ٥).

(٣) النجاشي: معناه بالنبطية: أصحمة، أي عطية، وهي كلمة للحبش تسمى بها ملوكها. لسان العرب (٦/ ٣٥١-٣٥٢) المعجم الوسيط ص٩٠٣، تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٦٥)، النهاية في غريب الحديث (٥/ ٢٢).

(٤) الحبشة: بفتح الحاء والباء والشين، وهي بلاد معروفة في أفريقيه الشرقية، وهي المسماة حالياً بـ(أثيوبيا).
وملكها النجاشي، وهو الذي هاجر أصحاب النبي ﷺ إليه في صدر الإسلام حين اشتد بهم الأذى من قريش.
سميت بذلك بسبب اسوداد أرضها لغزارة ما فيها من النبات. يقال: روضة حبشية أي: قريبة السواد، لغزارة ما فيها من النبات.
انظر: الأنساب للسمعاني (٢/ ١٦٧)، لسان العرب (٦/ ٢٧٨-٢٧٩)، المعجم الوسيط ص١٥٢.

(٥) اسم الجنس عند النحاة: هو: ما تناول الجنس كله غير مختص بواحد بعينه، للدلالة على واحد غير عين.
أو: هو: ما يقابل العلم، وهو ما دل على معنى كلي.
كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي (١/ ٧١٦-٧١٨)، الشامل ـ معجم في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها ـ ص٤١٠.

=

كانت الصابئة إلا قليلاً منهم إذ ذاك[١] على الشرك وعلماؤهم الفلاسفة، وإن كان الصابئ قد لا يكون مشركاً، بل مؤمناً بالله واليوم الآخر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [البقرة:٦٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّـٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [المائدة:٦٩].

لكن كثيراً منهم، أو أكثرهم كانوا كفاراً أو مشركين، كما أن كثيراً من اليهود والنصارى بدلوا وحرفوا وصاروا كفاراً أو مشركين[٢]، فأولئك الصابئون ـ الذين كانوا إذ ذاك ـ كانوا كفاراً مشركين[٣] وكانوا يعبدون الكواكب ويبنون لها الهياكل[٤].

مذهب النفاة من الصابئين في صفات الله

ومذهب النفاة من هؤلاء في الرب: أنه ليس له إلا[٥] صفات

= واسم العلم: هو: الذي يعين مسماه تعيناً مطلقاً.

أو: ما دل على مسماه دون واسطة.

أوضح المسالك (١/ ١٢٢)، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ص١٤١.

(١) في (ج) تقديم وتأخير «إذ ذاك إلا قليلاً منهم».

(٢) « كما أن كثيراً من اليهود والنصارى بدلوا وحرفوا وصاروا كفاراً أو مشركين »، هذا السطر سقط من (ع).

(٣) « مشركين » سقطت من (ج).

(٤) الهياكل : جمع: هيكل، وهو: البيت الضخم المزخرف من الداخل، يخصص لعبادة الآلهة. المعجم الوسيط ص٩٩٠.

(٥) « إلا » سقطت من (ع).

سلبية[١] أو إضافية[٢] أو مركبة منها[٣]، وهم الذين بعث إبراهيم الخليل إليهم، فيكون الجعد[٤] أخذها عن الصابئة الفلاسفة.

وكذلك أبو نصر الفارابي[٥] دخل حرّان، وأخذ عن فلاسفة الصابئين

---

(١) السلبية، من سلب الشي سلباً، السلب: هو النفي بإدخال أداة السلب. مثال ذلك: ما يذهب إليه النفاة في صفات الرب، كقولهم ليس بسميع، ولا بصير، ولا مستو على العرش، ولا يغضب، ولا ينزل... إلخ.
أو: إدخال أحد أدوات النفي (ليس، لا، ما، ...) على القول بحيث تجعل معناه دالاً على السلب (النفي).
انظر: التدمرية – محققة – ص١٢-١٦، وانظر: الرد على الجهمية للإمام أحمد ص١٠٥، المعجم الوسيط ص٤٤٠، المعجم الفلسفي ...(١/ ٦٦) م.د. جميل صليبا، ط ١٩٧٨م، دار الكتاب اللبناني.

(٢) الإضافة عبارة عن ماهيتين تعقل كل واحدة لا يتم إلا مع تعقل الأخرى. كالأبوة والنبوة ونحو ذلك. أو: ما يعقل ماهيته بالقياس إلى الغير.
كقولهم: رحيم ويرحم، والرحمة لا تقوم به، بل هي مخلوقة وهي نعمته، سميع ويسمع، والسمع لا يقوم به ... وهكذا.
أو: جمع تصورين في فعل ذهني واحد.
ومن خواص الإضافة أنه إذا عرف أحد المضافين عرف الآخر أيضاً كذلك.
انظر: المبين في شرح معاني ألفاظ الحكماء والتكلمين ص١١٢، الفتاوي (٧/ ١٤٨-١٥٠)، (١١/ ١٤٦-١٥١)، (٣/ ٨)، المواقف في علم الكلام ص١٧٩، ١٨٠، المعجم الفلسفي ص١٥، مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي (١/ ١٠١-١٠٣) م.د. جميل صليبا.

(٣) انظر: الرسالة المدنية لشيخ الإسلام ـ تحقيق الوليد بن عبدالرحمن الفريان ـ ص٣٧.

(٤) في (ع) زيادة « قد ».

(٥) أبو نصر الفارابي، هو: محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ التركي، أبو نصر الفارابي، الفيلسوف المنطقي، قال عنه الذهبي: «له تصانيف مشهورة من ابتغى منها =

تمام فلسفته، وأخذها الجهم[١] أيضاً ـ فيما ذكره الإمام أحمد وغيره[٢] ـ لما ناظر السمنية[٣] بعض فلاسفة الهند، وهم الذين يجحدون من العلوم ما سوى الحسيات .

فهذه أسانيد جهم ترجع إلى اليهود والصابئين والمشركين، والفلاسفة الضالين؛ إما من الصابئين وإما من المشركين.

ثم لَمَّا عُرّبت الكتب الرومية[٤] في حدود المائة الثانية[٥] زاد البلاء مع ما

= الهدى ضل وحار، منها تخرج ابن سينا، نسأل الله التوفيق». اهـ.

يسمى المعلم الثاني، كما أن أرسطو هو المعلم الأول، ولد حوالي سنة ٢٥٧هـ، وتوفي سنة ٣٣٩هـ. له عدة تصانيف، منها: رسالة في أغراض ما بعد الطبيعة، رسالة في إثبات المفارقات، كتاب تحصيل السعادة، إلى غير ذلك، واشتهر أنه صاحب الفلسفة التلفيقية، حيث حاول الجمع بين رأيي أفلاطون، وأرسطو.

انظر: وفيات الأعيان (٥/ ١٥٣-١٥٧)، العبر (٢/ ٢٥١)، السير (١٥/ ٤١٦-٤١٨)، شذرات الذهب (٢/ ٣٥٠-٣٥٤)، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام ص٣٦٤.

(١) الجهم. هم الجهم بن صفوان: انظر: ص٢٣٣.

(٢) انظر ذلك مفصلاً في كتاب «الرد على الجهمية والزنادقة» للإمام أحمد، ص١٠٢-١٠٤. وانظر: الفتاوي (٤/ ٢١٧-٢١٩).

(٣) السمنية: هم طائفة في الهند، تقول بتناسخ الأرواح وقدم العالم، وينفون النظر والاستدلال، وزعموا أنه لا معلوم إلا من جهة الحواس الخمس ، كما ذكر الشيخ.

والسمنية: نسبة إلى « سومنات » بلدة بالهند.

التبصير في الدين ص٨٩، الفرق بين الفرق ص٢٥٣، المغني في ضبط أسماء الرجال ص١٣٩، المعجم الوسيط ص٤٥٢، لسان العرب (١٣/ ٢٢٠).

(٤) في (ج، ع) زيادة «واليونانية».

(٥) في زمن المأمون، فهو أول من سعى ترجمة هذه الكتب وجلبها لبلاد المسلمين. =

ألقى الشيطان في قلوب الضلال ابتداء، من جنس ما ألقاه في قلوب[1] أشباههم.

ذم الأئمة لبشر المريسي وأتباعه

ولما كان في حدود المائة الثانية انتشرت هذه المقالة التي كان السلف يسمونها مقالة الجهمية[2] بسبب بشر بن غياث المريسي[3] وطبقته،

= قال الصلاح الصفدي: «حدثني من أثق به أن شيخ الإسلام ابن تيميه ـ روَّح الله روحه ـ كان يقول: ما أظن أن الله يغفل عن المأمون، ولا بد أن يقابله على ما اعتمده من هذه الأمة من إدخال هذه العلوم الفلسفية بين أهلها. اهـ.

لوامع الأنوار (١/ ٩).

(١) «قلوب» سقطت من (ع).

(٢) الجهمية: سبق التعريف بهم، ص٢٣٤.

(٣) بشر المريسي، هو: بشر بن غياث بن أبي كريمة العدوي مولاهم البغدادي المريسي، أبو عبدالرحمن، المتكلم المبتدع .

قال عنه الذهبي: «نظر في الكلام فغلب عليه، وانسلخ من الورع والتقوى، وجرد القول بخلق القرآن ودعا إليه حتى كان عين الجهمية في عصره وعالمهم فمقته أهل العلم، وكفره عدة، ولم يدرك جهم بن صفوان، بل تلقف مقالته من أتباعه» اهـ .

وسماه الذهبي: بشر الشر، له عدة كتب منها: كتاب الإرجاء، والرد على الخوارج، والاستطاعة.

هلك سنة ثماني عشرة ومائتين، وقد بلغ من العمر قريباً من ثمانين سنة.

وقد رد عليه الإمام الدارمي في كتابة الموسوم بـ «رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد» فشفى وكفى، وسيأتي وصف هذا الكتاب وثناء العلماء عليه.

انظر: الفرق بين الفرق ص١٩٢، تاريخ بغداد (٧/ ٥٦-٦٧)، العبر (١/ ٣٧٣) والسير (١٠/ ١٩٩-٢٠٢)، مقدمة كتاب رد الدارمي على بشر المريسي، تحقيق محمد حامد الفقي، تاريخ التراث العربي (٤/ ٦٥).

وكـــلام الأئمـــة مثل: مالـــك، وسفيـــان بـن عييـــنة[١]، وابـن المـبـــارك[٢]، وأبـــي يوسف[٣]، والشـافعي، وأحمـد وإسـحاق[٤]،

---

(١) سفيان بن عيينة: هو: سفيان بن عيينه بن أبي عمران، ميمون، مولى محمد بن مزاحم، أبو محمد الهلالي، الإمام الحافظ، طلب العلم صغيراً، كان صاحب سنة واتباع. ولد بالكوفة سنة سبع ومائة، وتوفي سنة ثمان وتسعين ومائة، وله إحدى وتسعون سنة.
انظر: الطبقات الكبرى (٥/ ٤٩٧)، حلية الأولياء (٧/ ٢٧٠)، السير (٨/ ٤٠٠)، تذكرة الحفاظ (١/ ٢٦٢).

(٢) ابن المبارك: هو: عبدالله بن المبارك بن واضح، أبو عبدالرحمن الحنظلي، مولاهم، التركي، الإمام الحافظ. جمع بين العلم والجهاد والتجارة، كان ينفق بسخاء، له تصانيف كثيرة ، وقد أكثر الترحال في طلب العلم والجهاد.
ولد سنة ١١٨هـ، وتوفي ١٨١هـ، ويقال : إن الرشيد لما بلغه موت عبدالله بن المبارك قال: مات سيد العلماء.. من مؤلفاته: الزهد، والجهاد .
انظر: حلية الأولياء (٨/ ١٦٢)، وفيات الأعيان (٣/ ٣٢) ، والسير (٨/ ٣٣٦)، شذرات الذهب (١/ ٢٩٥).

(٣) أبو يوسف: هو: يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الكوفي، أبويوسف صاحب أبي حنيفة، رئيس القضاة، وهو أول من دعي بذلك، كان جواداً سخياً، روي عنه أنه قال عند وفاته: كل ما أفتيت به فقد رجعت عنه إلا ما وافق الكتاب والسنة. اهـ.
وهو أول من نشر علم أبي حنيفة، وكان الرشيد يبالغ في إجلاله.
من مصنفاته: أدب القاضي على مذهب أبي حنيفة، أمالي الإمام. توفي سنة ١٨٢هـ.
انظر : وفيات الأعيان (٦/ ٣٧٨)، تذكرة الحفاظ (١/ ٢٩٢)، السير (٨/ ٤٧٠)، الجواهر المضيّة (٣/ ٦١١)، شذرات الذهب (١/ ٢٩٨)، كشف الظنون (١/ ٤٦، ١٦٤).

(٤) إسحاق: هو: الإمام إسحاق بن إبراهيم بن مخلد المروزي المعروف بابن راهويه.
وراهويه هو لقب أبيه، ولقب بذلك؛ لأنه ولد في طريق مكة، والطريق بالفارسية (راه) و (ويه) معناه وجد، فكأنه وجد بالطريق. =

والفضيل بن عياض(١)، وبشر الحافي(٢) وغيرهم، في هؤلاء(٣) كثير في ذمهم وتضليلهم.

= كان أحد الأئمة الحفاظ، جمع بين الحديث والفقه والورع، قال الإمام أحمد عنه: «إسحاق عندنا إمام من أئمة المسلمين، وما عبر الجسر أفقه من إسحاق » اهـ.
وعنه أيضاً: «لا أعرف لإسحاق في الدنيا نظيراً» اهـ .
كان صاحب سنة واتباع، ولد سنة إحدى وستين ومائة، وتوفي سنة ثمان وثلاثين ومائتين.
انظر: تاريخ بغداد (٦/ ٣٤٥)، السير (١١/ ٣٥٨)، وفيات الأعيان (١/ ١٩٩)، شذرات الذهب (٢/ ٨٩).

(١) الفضيل بن عياض. هو: الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر، أبو علي، الإمام الزاهد، المجاور ببيت الله الحرام، كان أول حياته شاطراً يقطع الطريق، ثم كتب الله له الاستقامة والهداية، إليه المنتهى في الزهد، وقصته مع الخليفة هارون الرشيد مشهورة ، توفي بمكة سند ١٧٨هـ.
انظر: حلية الأولياء (٨/ ٨٤)، صفة الصفوة (٢/ ١٣٤)، وفيات الأعيان (٤/ ٤٧)، السير (٨/ ٣٧٢).

(٢) بشر الحافي: هو بشر بن الحارث بن عبدالرحمن بن عطاء، أبو نصر المروزي، المشهور بالحافي، الإمام المحدث الزاهد، فاق أهل عصره في الورع والزهد، كان في أول عمره يطلب العلم ويمشي حافياً، فاشتهر بذلك.
أكثر العلماء من الثناء عليه، وكان زهده معتدلاً، سلم من خرافات الصوفية وأباطيلهم. قيل للإمام أحمد: مات بشر: قال: «مات والله وما له نظير إلا عامر بن عبد قيس... » اهـ. ولد سنة ١٥٢هـ وتوفي سنه ٢٢٧هـ.
انظر: الطبقات الكبرى (٧/ ٣٤٢)، حلية الأولياء (٨/ ٣٣٦)، السير (١٠/ ٤٦٩)، شذرات الذهب (٦٠٢).

(٣) في (ع) «في ذم أهل الكلام» بدل: في هؤلاء.

وهـذه الـتأويلات الموجـــودة الـيوم بأيدي الناس مثل أكثر التأويلات الـتي ذكـرها أبـو بكـر بـن فـــورك[١] في كتاب «التأويــلات»[٢] وذكرها أبوعــبــدالله محمــد بــن عمــر الــرازي[٣] في كــتابه الــذي سمـــاه

(١) أبـو بكـر بن فورك، هو: محمد بن الحسن بن فورك، أبو بكر الأنصاري، الأصبهاني، أشـعري متكلم، درس مذهب الأشعري على أبي الحسن الباهلي تلميذ أبي الحسن الأشعري، كان شديد الرد على الكرامية.

يُـروى أنـه كـان يعـتقد أن رسـالة نبيـنا ﷺ انقطعـت بموتـه، ولـذا قـتله محمود بن سبكتكين بالسم سنة ٤٠٦هـ.

لـه مصـنفات كـثيرة ، ذكـر بعض من ترجم له أنها تصل إلى مائة مصنف، أشار إلى شـيء مـنها بروكلمان وسزكين، ومنها: مشكل الحديث وبيانه، الحدود في الأصول، أسماء الرجال، تفسير القرآن ...

انظـر: تبيين كـذب المفـتري ص٢٣٢، وفـيات الأعـيان (٤/ ٧٢)، العبر (١/ ٩٥)، السـير (١٧/ ٢١٤)، تـاريخ الأدب العربي (٣/ ٢١٧-٢١٩)، تاريخ التراث العربي ٤/ ٥١-٥٤).

(٢) كتاب التأويلات:

هـذا الكـتاب له عدة أسماء، أشار إلى ذلك سزكين في تاريخ التراث (٤/ ٢٥-٥٣) وذكر أنها تصل إلى أربعة عشر اسماً .

وقـد طـبع باسـم «مشـكل الحديث وبيانه» ط ١٤٠٠هـ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان. ويقع في إحدى وسبعين ومائتي ورقة.

وهـو في كـتابه هـذا يـورد الأحاديـث الصـحيحة والضـعيفة والموضـوعه، ثـم يروم تأويلها على منهج الأشاعرة في الجملة.

(٣) الـرازي، هـو: محمـد بـن عمـر بن الحسن بن علي، أبوعبدالله، المشهور بفخر الدين الرازي.

درس الفلسـفة والفقـه وعـلم الكـلام، كـان كـثير الترحال، له مناظرات عديدة مع المعتزلة والكرامية وغيرهم، كما كان ذا صلة قوية مع الملوك والأمراء. =

«تأسيس التقديس»(١) ويوجد كثير منها في كلام خلق غير هؤلاء مثل:

= نعته الذهبي بقوله : «العلامة الكبير ذو الفنون... كبير الأذكياء والحكماء المصنفين..» اهـ .

وقال عنه: « وقد بدت منه في تواليفه بلايا وعظائم، وسحر وانحرافات عن السنة، والله يعفو عنه، فإنه توفي على طريقة حميدة، والله يتولى السرائر » اهـ.

أما مذهبه فهو شافعي الفروع، أشعري الأصول، وقيل: إنه رجع إلى مذهب السلف آخر حياته، فالله أعلم.

ولد سنة أربع وأربعين وخمسمائة، وتوفي سنة ست وستمائة.

له مصنفات عديدة في فنون متنوعة، منها:

التفسير الكبير، الأربعين في أصول الدين، عصمة الأنبياء، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، وله من المصنفات نحو مائتي مصنف.

انظر: وفيات الأعيان (٤/ ٢٤٨)، السير (٢١/ ٥٠٠)، البداية والنهاية (١٣/ ٥٥)، ميزان الاعتدال.

(١) كتاب «تأسيس التقديس» أو «أساس التقديس».

هذا الكتاب سبق وأن طبع مع كتاب «الدرة الفاخرة في تحقيق مذهب الصوفية والمتكلمين» لعبدالرحمن الجامي. طبع في مطبعة كردستان العلمية بمصر سند ١٣٢٨هـ.

وقد ألفه الرازي للسلطان أبي بكر بن أيوب، وأشار إلى ذلك في أول الكتاب ص٣-٤ حيث قال: «.. فأردت أن أتحفه بتحفة سنية وهدية مرضية، فأتحفته بهذا الكتاب ...».

وقسمه أربعة أقسام، تحت كل قسم عدة فصول:

القسم الأول: في الدلائل على أنه تعالى منزه عن الجسمية.

القسم الثاني: في تأويل المتشابهات من الأخبار والآيات.

القسم الثالث: في تقرير مذهب السلف.

القسم الرابع: في تفاريع مذهب السلف.

وقد رد عليه شيخ الإسلام في كتابة الكبير «نقض التأسيس» طبع منه جزء =

أبي علي الجبّائي[١]، وعبدالجبار بن أحمد الهمذاني[٢]، وأبي الحسين البصري[٣]،

= يسير بعناية الشيخ عبدالرحمن بن قاسم.
وقد حقق كاملاً في قسم العقيدة بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في عدة رسائل علمية.

(١) أبو علي الجبائي. هو: محمد بن عبدالوهاب بن سلام البصري، أبو علي الجبائي، أحد أئمة المعتزلة، إمام في الكلام، وقد أخذ هذا العلم عن أبي يوسف يعقوب بن عبدالله البصري رئيس المعتزلة بالبصرة في عصرة، وعنه أخذ أبو الحسن الأشعري علم الكلام، ومناظرته معه مشهورة في الإخوة الثلاثة.
توفي سنة ثلاث وثلاثمائة، عاش ثمانية وستين سنة، له عدة مصنفات؛ منها: الأصول والتفسير الكبير، الأسماء والصفات ..
انظر: وفيات الأعيان (٤/ ٢٦٧)، السير (١٤/ ١٨٣)، البداية والنهاية (١١/ ١٢٥) وشذرات الذهب (٢/ ٢٤١).

(٢) عبدالجبار الهمذاني. هو:عبدالجبار بن أحمد بن خليل أبو الحسن الهمذاني، المشهور بالقاضي عبدالجبار، من أئمة المعتزلة، شافعي في الفروع، ولي القضاء بالري، توفي سنة خمس عشرة وأربع ومائة.
له تصنيفات كثيرة؛ منها: دلائل النبوة، طبقات المعتزلة، شرح الأصول الخمسة.
انظر: تاريخ بغداد (١١/ ١١٣)، الميزان (٣/ ١١)، لسان الميزان (٣/ ٣٦٨)، السير (١٧/ ١٤٤)، شذرات الذهب (٣/ ٢٠٢).

(٣) أبو الحسين البصري. هو: محمد بن علي بن الطيب، البصري، أبو الحسين.
قال عنه ابن كثير: «شيخ المعتزلة والمنتصر لهم، والحامي عن ذممهم بالتصانيف الكثيرة» اهـ .
كان فصيحاً بليغاً، أحد أئمة علم الكلام. توفي ببغداد سنة ست وثلاثين وأربعمائة.
له مصنفات عديدة؛ منها : المعتمد في أصول الفقه، تصفح الأدلة، غرر الأدلة.
انظر: تاريخ بغداد (٣/ ١٠٠)، وفيات الأعيان (٤/ ٢٧١)، السير (١٧/ ٥٨٧)، البداية والنهاية (١٢/ ٥٣).

وأبي الوفاء بن عقيل[١]، وأبي حامد الغزالي[٢] وغيرهم، هي بعينها

---

(١) أبو الوفاء بن عقيل. هو: علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي، أبو الوفاء الحنبلي المتكلم، أخذ علم الكلام عن أبي علي بن الوليد، وأبي القاسم بن التبان، ولذا مال إلى بعض كلام المعتزلة، وعنده تأويل لبعض الصفات.
قال عنه شيخ الإسلام: «وكان الأشعري أقرب إلى مذهب أحمد وأهل السنة من كثير من المتأخرين المنتسبين إلى أحمد، الذين مالوا إلى بعض كلام المعتزلة كابن عقيل...».
وكان ذكياً إماماً مبرزاً في كثير من العلوم، مكباً على التأليف والتصنيف.
ولد سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة، وتوفي سنة ثلاث عشرة وخمسمائة.
له كتاب « الفنون » أزيد من أربعمائة مجلد. وقد طبع منه جزءان، تحقيق جورج المقدسي، دار المشرق، بيروت ـ لبنان.
انظر: السير (١٩/ ٤٤٣)، البداية والنهاية (١٢/ ١٨٤)، شذرات الذهب (٤/ ٣٥)، درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٦٠)، (١/ ٢٧٠)، (٧/ ٢٦٣).

(٢) أبو حامد الغزالي. هو: محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي الغزالي أبو حامد، الفقيه تتلمذ على يد أبي المعالي الجويني بنيسابور - رئيس المدرسة النظامية -، وبعد وفاة الجويني رحل إلى بغداد ودرس فيها الفقه والأصول وعلم الكلام، ثم توجه إلى بيت المقدس، وعاش عزلة تقرب من عشر سنين، وفي نهاية عمره عاد إلى بلده طوس، وبنى بجوار بيته مدرسة، وأكب على التدريس بها حتى توفي سنة ٥٠٥هـ، وقد كثر الكلام حول أبي حامد بين مادح وذام له، وصفه الذهبي بأنه: « الشيخ الإمام، البحر، حجة الإسلام، أعجوبة الزمان...».
وقال عنه أبوبكر بن العربي: «شيخنا أبو حامد بلع الفلاسفة، وأراد أن يتقيأهم فما استطاع » . اهـ.
وقال القاضي عياض: «والشيخ أبو حامد ذو الأنباء الشنيعة، والتصانيف العظيمة، غلا على طريق التصوف، وتجرد لنصر مذهبهم، وصار داعية في ذلك، وألف فيه تواليفه المشهورة، أخذ عليه فيها مواضع، وساءت به ظنون أمة، والله أعلم بسره، =

التأويلات[١] التي ذكرها[٢] بشر المريسي التي ذكرها في كتابه[٣]، وإن كان قد يوجد في كلام بعض هؤلاء رد التأويل[٤]

= ونُفذ أمر السلطان عندنا بالمغرب وفتوى الفقهاء بإحراقها والبعد عنها، فامتثل ذلك». اهـ.

وقال الذهبي: «قد ألف الرجل ـ يعني أبا حامد ـ في ذم الفلاسفة كتاب «التهافت» وكشف عوارهم، ووافقهم في مواضع ظناً منه أن ذلك حق، أو موافق للملة، ولم يكن له علم بالآثار ولا خبرة بالسنن النبوية القاضية على العقل، وحبب إليه إدمان النظر في كتاب «رسائل إخوان الصفا»، وهو داء عضال، وجرب مرد، وسم قتَّال، ولولا أن أبا حامد من كبار الأذكياء، وخيار المخلصين لتلف...» اهـ.

والإمام الغزالي يعد من أئمة الأشاعرة ومن كبارهم.

وقد أشار شيخ الإسلام أن أبا حامد استقر أمره على التلقي من طريقة أهل الحديث، بعد أن أيس من نيل مطلوبه من طريقة المتكلمين والمتفلسفة والمتصوفة أيضاً.

من مؤلفاته «إحياء علوم الدين»، «تهافت الفلاسفة»، «إلجام العوام عن علم الكلام» وغير ذلك. انظر: تبيين كذب المفتري ص٢٩١، درء تعارض العقل والنقل (٦/ ٢١٠). الرد على المنطقيين ص١٩٨، وفيات الأعيان (١٤/ ٢١٦)، السير (١٩/ ٣٢٢) وانظر: كتاب «أبو حامد الغزالي والتصوف» لعبد الرحمن دمشقية.

(١) في (ج) «تأويلات».

(٢) «التي ذكرها» سقطت من (ج).

(٣) لعله كتاب «التوحيد» أو كتاب « كفر المشبهة»، وهذان الكتابان من تأليفه، ذكرهما الذهبي. انظر: السير (١٠/ ٢٠١).

(٤) التأويل: له ثلاثة معان:

الأول: صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به، كتأويل أهل البدع نصوص العلو، وصرفها عن معنى علو الذات إلى علو القهر والقدر ... فقط.

وهذا هو الذي يقصده من تكلم في تأويل نصوص الصفات وترك تأويلها من =

وإبطاله أيضاً[1] ولهم كلام حسن في أشياء. فإنما بيَّنت أن عين تأويلاتهم هي عين تأويلات المريسي، ويدل على ذلك كتاب الرد الذي صنفه عثمان بن سعيد الدارمي[2] أحد الأئمة المشاهير

الثناء على كتاب الدارمي

= المتأخرين، وهو الذي يعنيه المصنف هنا.

الثاني: التأويل بمعنى التفسير، كما يقول ابن جرير وغيره من المفسرين: «واختلف علماء التأويل» أي علماء التفسير، وقوله: «القول في تأويل قول الله تعالى... إلخ».

الثالث : هو الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، فتأويل الخبر هو عين المخبر عنه، كقول يوسف ـ عليه السلام ـ بعد أن سجد له أخوته: ﴿هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ﴾ [يوسف:١٠٠].

انظر: التدمرية ص٩١-٩٣، الإكليل لشيخ الإسلام ـ ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ـ (٢/ ١٧-٢١). شرح الطحاوية (١/ ٢٥٢-٢٥٦)، وسيأتي كلام الشيخ على ذلك.

(١) «أيضاً» سقطت من (ع).

(٢) عثمان بن سعيد الدارمي. هو: عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدارمي السجستاني، أبو سعيد، الإمام العلامة. كان قذىً في عيون المبتدعة، حسن المناظرة، حاضر الحجة، أكثر الترحال في طلب الحديث، وصنف «المسند». توفي سنة ثمانين ومائتين. له رد على المريسي والجهمية، وهو الذي يشير إليه الشيخ، وقد طبع الكتاب عدة طبعات بتحقيقات عدة باسم «رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد»، وقد أثنى عليه العلماء ثناءً عاطراً، يقول ابن القيم في وصف هذا الكتاب: «وكتاباه ـ يعني « النقض على المريسي» و«الرد على الجهمية» من أجلِّ الكتب المصنفة في السنة وأنفعها، وينبغي لكل طالب سنة مراده الوقوف على ما كان عليه الصحابة والتابعون والأئمة أن يقرأ كتابيه، وكان شيخ الإسلام ابن تيمية يوصي بهذين الكتابين أشد الوصية ويعظمهما جداً، وفيهما من تقرير التوحيد والأسماء والصفات بالعقل والنقل ما ليس في غيرهما» اهـ . اجتماع الجيوش الإسلامية ص٢٣١.

=

في زمان[١] البخاري، صنف كتاباً سماه: «رد عثمان بن سعيد[٢] على الكاذب العنيد فيما افترى على الله في[٣] التوحيد»[٤] حكى فيه من التأويلات بأعيانها عن بشر المريسي بكلام يقتضي أن المريسي أقعد[٥] بها، وأعلم بالمنقول والمعقول من هؤلاء المتأخرين الذين اتصلت إليهم من جهته[٦]، ثم رد عثمان بن سعيد بكلام إذا طالعه العاقل الذكي[٧]: علم حقيقة ما كان عليه السلف، وتبين له ظهور الحجة لطريقهم، وضعف حجة من خالفهم.

إجماع الأئمة على ذم المريسية

ثم إذا رأى الأئمة ـ أئمة الهدى ـ قد أجمعوا على ذم المريسية[٨]

= وقد حقق الكتاب في رسالة علمية في قسم العقيدة بكلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

انظر: تذكرة الحفاظ (٢/ ٦٢١)، السير (١٣/ ٣١٩)، شذرات الذهب (٢/ ١٧٦).

(١) في (ج) «زمن».

(٢) في (ج) زيادة «الدارمي».

(٣) في (ع) «من» بدل: «في».

(٤) انظر: التعليق السابق.

(٥) أَقْعَدُ: من القُعْدُد، وهو القرب إلى الميت، بحيث يكون أقرب القرابة إلى الميت، يقال: فلان أقعد من فلان. أي أقرب منه إلى جده الأكبر. لسان العرب (٣/ ٣٦٢) بتصرف. والمراد هنا: أن المريسي أقرب للمنقول والمعقول من هؤلاء المتأخرين.

(٦) في (ج، ع) زيادة «وجهة غيره».

(٧) المتجرد للحق، السالم من الهوى والتعصب.

(٨) المريسية، هم: أتباع بشر بن غياث المريسي، من أهل الأنبار، يقولون: إن الإيمان هو التصديق بالقلب واللسان جميعاً، وكان بشر يقول بخلق القرآن كما سبق في ترجمته، ومذهبه في الصفات مذهب جهم، ويزعم أن الله لم يخلق أفعال العباد. =

وأكثرهم كفّروهم أو ضللوهم[١]، وعلم أن هذا القول الساري في هؤلاء المتأخرين هو مذهب المريسية، تبَيَّن[٢] الهدى لمن يريد الله هدايته، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

والفتوى[٣] لا تحتمل البسط في هذا الباب، وإنما نشير إشارة إلى مبادئ الأمور، والعاقل يسير[٤] فينظر.

بعض الكتب التي عنيت بنقل منهب السلف

وكلام السلف في هذا الباب موجود في كتب كثيرة لا يمكن أن نذكر هنا[٥] إلا قليلاً منه، مثل: كتاب «السنن» للالكائي[٦]، «والإبانة»

= انظر: مقالات الإسلاميين ص١٤٠-١٤١، الفرق بين الفرق ص١٩٢-١٩٣، البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ص٣٦، الفرق وأصناف الكفرة ص٣١٤.

(١) انظر في ذلك: السنة لعبدالله ابن الإمام أحمد (١/ ١٠٢ وما بعدها)، خلق أفعال العباد للبخاري ص ٢٩-٤٤، الرد على الجهمية للدارمي ص١٧١-١٨٦، رد الدارمي على بشر المريسي ص١٤٣ وما بعدها، العقيدة السلفية في كلام رب البرية ص٣٠٣-٣٢١.

(٢) في (ج) زيادة «له».

(٣) أي الفتوى الحموية التي بين أيدينا.

(٤) في (ع) «يشير».

(٥) في (ج، ع) «يذكر ههنا».

(٦) اللالكائي، هو: هبة الله بن الحسن بن منصور الرازي الطبري اللالكائي، أبوالقاسم، كان شافعي المذهب، ومن أشهر شيوخه الإسفراييني، إمام مذهب الشافعي في عصره، ومن أبرز تلامذته الخطيب البغدادي.

توفي سنة ٤١٨هـ، له مؤلفات عدة ؛ منها: أسماء رجال الصحيحين، كرامات أولياء الله، شرح كتاب عمر بن الخطاب إلى نصارى الشام.

انظر: تاريخ بغداد (١٤/ ٨٠)، تذكرة الحفاظ (٣/ ١٠٨٣)، السير (١٧/ ٤١٩)، البداية والنهاية (١٢/ ٢٤)، مقدمة كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة. =

لابن بطة[1]، و«السنة» لأبي ذر الهروي[2]، و«الأصول» لأبي عمر

= أما كتابه «السنة» الذي ذكره الشيخ فقد طبع باسم «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم» بتحقيق د. أحمد سعد حمدان في أربعة مجلدات وعدد صفحاته إحدى وثمانون وخمسمائة وألف. ط الأولى ١٤٠٩هـ دار طيبة للنشر والتوزيع ـ الرياض.

ذكر فيه مؤلفه مسائل العقيدة وفق منهج أهل السنة والجماعة على طريقة أهل الحديث برواية هذه المسائل بالإسناد، وأوضح فيه منهجه في أول الكتاب (١/ ٢٧-٢٨).

(١) ابن بطة. هو: الإمام أبو عبدالله عبيدالله بن محمد بن محمد بن بطة، أكثر الترحال في طلب العلم، وكان يؤثر العزلة، ذو عبادة وزهد، حنبلي في الفروع.

قال عنه ابن الجوزي: «كان له الحظ الوافر من العلم والعبادة» اهـ.

ولد سنة ٣٠٤ وتوفي سنة ٣٧٨هـ، وله مصنفات عدة منها : رسالة في إبطال الحيل، الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة. واشتهر هذا الكتاب باسم «الإبانة الصغرى».

انظر: تاريخ بغداد (١٠/ ٣٧١)، ذيل طبقات الحنابلة (٤/ ١٥٤)، شذرات الذهب (٣/ ١٢٢)، مقدمة كتاب الإبانة بتحقيق رضا نعسان.

أما كتابه «الإبانة» الذي ذكره الشيخ، فقد طبع جزء منه باسم «الإبانة عن شريعة الفرق الناجية ومجانبة الفرق المذمومة» بتحقيق رضا نعسان وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، وسيخرج أيضاً ـ بإذن الله ـ جزءان بتحقيقي.

وأشار المؤلف إلى أن سبب تأليفه للكتاب تفرق الأمة وانتشار البدع، انظر: المصدر السابق (١/ ١٦٣-١٦٥، ١٨٩).

وقد سلك في عرضه مسائل العقيدة طريق أهل الحديث برواية هذه المسائل بالإسناد، وكثيراً ما يعلق عليها بنفسه.

(٢) أبو ذر الهروي. هو: أبو ذر عبدالله بن أحمد بن محمد الأنصاري الهروي، المالكي في الفروع، الأشعري في الأصول، أخذ علم الكلام عن القاضي أبي بكر بن الطيب، كان على قدر كبير من الزهد والورع والسخاء . قال عنه الذهبي: «هو الذي كان =

الطلمنكي[١] وكلام أبي عمر بن عبدالبر[٢]، والأسماء والصفات

= ببغداد يناظر السنة وطريقة الحديث بالجدل والبرهان، وبالحضرة رؤوس المعتزلة والرافضة والقدرية... » . اهـ .

وهو أحد رواة الصحيح. ولد سنة ٣٥٥هـ وتوفي بمكة سنة ٤٣٥هـ.

له مصنفات؛ منها: «كتاب السنة» وهو الذي ذكره الشيخ: ولعله لم يزل مفقوداً.

انظر: تاريخ بغداد (١١/ ١٤١)، تذكرة الحفاظ (٣/ ١١٠٣)، السير (١٧/ ٥٥٤) شذرات الذهب (٣/ ٢٥٤)، تاريخ التراث (١/ ٤٧٩).

(١) أبو عمر الطلمنكي. هو: أبو عمر، أحمد بن محمد بن عبدالله المعافري، الأندلسي الطلمنكي، نسبة إلى مدينة «طلمنك»، من أئمة المالكية، كان إماماً متقناً، استفادت الأندلس من علمه كثيراً، قال عنه ابن بشكوال: «كان سيفاً مجرداً على أهل الأهواء والبدع، قامعاً لهم، غيوراً على الشريعة، شديداً في ذات الله..» . اهـ .

توفي سنة تسع وعشرين وأربعمائة، عاش قريباً من تسعين سنة.

ومن مصنفاته: كتاب «الأصول» الذي أشار إليه الشيخ، أو باسم «الوصول إلى معرفة الأصول»، أشار إلى ذلك الشيخ في الدرء (٦/ ٢٥٠)، وابن القيم في الصواعق (٤/ ١٢٨٤)، والذهبي في العلو ص١٧٨، وذكر أنه في مجلدين.

وانظر: الترجمة في العبر (٣/ ١٦٨)، السير (١٧/ ٥٦٦)، الوافي بالوفيات (٨/ ٣٢)، شذرات الذهب (٣/ ٢٤٣).

(٢) أبو عمر بن عبدالبر. هو: الإمام أبو عمر، يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر النمري الأندلسي، القرطبي المالكي، حافظ المغرب، كان إماماً عالماً صاحب سنة واتباع . قال عنه الذهبي: «كان في أصول الديانة على مذهب السلف، لم يدخل في علم الكلام..» اهـ .

عاش ابن عبدالبر في الأندلس إلى أن توفي سنة ثلاث وستين وأربعمائة، وله خمس وتسعون سنة.

وقد خلف تراثاً ضخماً ينبئ عن سعة علمه وقوة حفظه، ومن ذلك: التمهيد، الاستذكار، الاستيعاب، جامع بيان العلم وفضله ... =

للبيهقي[١]، وقبل ذلك «السنة» للطبراني[٢][٣]، ولأبي الشيخ الأصبهاني[٤]،

= انظر: وفيات الأعيان (٧/ ٦٦)، العبر (٣/ ٢٥٥)، السير (١٨/ ١٥٣)، البداية والنهاية (١٢/ ١٠٤)، مقدمة كتاب التمهيد.

(١) البيهقي. هو: الحافظ أبو بكر، أحمد بن الحسين بن علي الفقيه، الشافعي ، من كبار أصحاب الحاكم، وبيهق: قرى مجتمعة بنواحي نيسابور.
ولد سنة ٣٨٤هـ، وتوفي سنة ٤٥٨هـ.
صنف مصنفات جمة؛ منها : «كتاب الأسماء والصفات» الذي ذكره الشيخ، وقد طبع في مجلدين بتحقيق عماد الدين أحمد حيدر، ويأتي الكلام على هذا الكتاب، وله أيضاً: السنن الكبرى، والصغرى، وشعب الإيمان.
انظر: وفيات الأعيان (١/ ٧٥)، تذكرة الحفاظ (٢/ ١١٣٢)، السير (١٨/ ١٦٣)، شذرات الذهب (٣/ ٣٠٤).

(٢) في (ع) «الطبري».

(٣) الطبراني: هو: الإمام أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني نسبة إلى «طبرية» رحل ثلاثاً وثلاثين سنة في طلب الحديث، لقي الكثير ، وروى عنه الكثير، قال عنه الذهبي: «الإمام الحافظ، الثقة ، الرحال، الجوال، محدث الإسلام، عالم المعمرين..» . اهـ .
ولد سنة ستين ومائتين، وتوفي سنة ستين وثلاثمائة، وله مصنفات كثيرة أشهرها: المعاجم الثلاثه : الكبير، والأوسط، والصغير، وله كتاب السنة، وهو الذي أشار إليه الشيخ . وذكره ابن حجر بسنده في كتابه «تجريد أسانيد الكتب المشهورة» ـ مخطوط ـ لوحة١٧.
انظر: وفيات الأعيان (٢/ ٤٠٧)، تذكرة الحفاظ (٣/ ٩١٢)، السير (١٦/ ١١٩)، لسان الميزان (٣/ ٧٣). تهذيب تاريخ دمشق (٦/ ٢٤٢)، الرسالة المستطرفة ص٣٨.

(٤) أبو الشيخ الأصبهاني. هو: أبو محمد، عبدالله بن محمد بن جعفر، الأصبهاني، صاحب سنة واتباع، وقد رحل إلى بلاد عدة لسماع الحديث، وبرع في علم التفسير.
قال عنه الذهبي: «كان أبو الشيخ من العلماء العاملين، صاحب سنة واتباع..» .اهـ.
ولد سنة أربع وسبعين ومائتين، وتوفي سنة تسع وستين وثلاثمائة. =

[ولأبي عبدالله بن منده[١]، ولأبي أحمد العسَّال الأصبهاني[٢][٣]][٤]،

= من مؤلفاته: كتاب السنة : وهو الذي أشار إليه الشيخ، وكتاب العظمة والسنن.
انظر: تذكرة الحفاظ (٣/ ٩٤٥)، السير (١٦/ ٢٧٦)، شذرات الذهب (٣/ ٦٩) مقدمة محقق كتاب العظمة، الرسالة المستطرفة ص٣٨.

(١) أبو عبدالله بن منده. هو: الإمام أبو عبدالله، محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده، العبدي الأصبهاني، الحافظ المحدث، رحالة زمانه.
قال عنه الذهبي: «ولم أعلم أحداً كان أوسع رحلة منه، ولا أكثر حديثاً منه، مع الحفظ والثقة، فبلغنا أن عدة شيوخه ألف وسبعمائة شيخ» . اهـ.
وقد دامت رحلته بضعاً وثلاثين سنة، سخرها في طلب العلم ورواية الحديث. ولد سنة ٣١٠هـ. وتوفي سنة ٣٩٥هـ .
ومن مؤلفاته:
كتاب الإيمان، والتوحيد، والصفات، والرد على الجهمية، وكتاب السنة، الذي أشار إليه الشيخ.
انظر: تذكرة الحفاظ (٣/ ١٠٣١)، ميزان الاعتدال (٣/ ٤٧٩)، السير (١٧/ ٢٨)، لسان الميزان (٥/ ٧٠)، الرسالة المستطرفة ص٣٨.

(٢) في (ع) «الأصبهانين».

(٣) أبو أحمد العسال الأصبهاني. هو: أبو أحمد محمد بن أحمد الأصبهاني، القاضي، المعروف بالعسال.
أحد أئمة الحديث، حافظ متقن، قال عنه ابن منده: «طفت الدنيا مرتين، فما رأيت مثل العسال » اهـ . توفي سنة ٣٤٩هـ .
له مصنفات عدة ؛ منها: كتاب السنة، الذي أشار إليه الشيخ. وتفسير القرآن، والتاريخ، والرؤية، والعظمة.
انظر: تاريخ بغداد (١/ ٢٧٠)، العبر (٢/ ٢٨٢)، السير (١٦/ ٦)، شذرات الذهب (٢/ ٣٨٠).

(٤) ما بين المعكوفتين من (ج،ع).

وقبل ذلك «السنة» للخلال[١]، و«التوحيد» لابن خزيمة[٢]، وكلام أبي العباس بن سريج[٣][٤]، و«الرد على الجهمية»[٥] لجماعة[٦][٧]، وقبل ذلك

---

(١) الخلال: هو: الإمام أبوبكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال شيخ الحنابلة وعالمهم. والخلال: نسبة إلى بيع الخل، أخذ الفقه عن كثير من أصحاب أحمد، وتتلمذ على يد أبي بكر المروذي، رحل وسافر إلى كثير من البلاد من أجل جمع مسائل الإمام أحمد. قال عنه ابن ناصرالدين : هو رحال واسع العلم شديد الاعتناء بالآثار. ولد سنة أربع وثلاثين ومائتين، وتوفي سنة إحدى عشرة وثلاثمائة وله سبع وسبعون سنة.

له عدة كتب ؛ منها: الجامع لعلوم أحمد، والعلل، والطبقات.

انظر: طبقات الحنابلة (٢/ ١٢)، تاريخ بغداد (٥/ ١١٢)، تذكرة الحفاظ (٣/ ٧٨٥)، السير (١٤/ ٢٩٧)، أما كتابه « السنة » الذي ذكره الشيخ، فقد طبع جزء منه بتحقيق د. عطية الزهراني ، في مجلد واحد ، وعدد صفحاته ثمان وستمائة. ط الأولى ١٤١٠هـ دار الراية للنشر والتوزيع – الرياض. يذكر فيه المسائل مسندة على طريقة أهل الحديث، وقد اعتنى في كتابه هذا بذكر أقوال الإمام أحمد، يرويها عنه بالإسناد.

(٢) ابن خزيمة: سبق التعريف به ، وبكتابه التوحيد ص٢٠٨.

(٣) في (ع) «شريح».

(٤) أبو العباس بن سريج. هو: أبو العباس أحمد بن عمر بن سريج البغدادي الشافعي، قام بنصرة مذهب الشافعي، ورد على المخالفين. توفي سنة ست وثلاثمائة.

انظر: تاريخ بغداد (٤/ ٢٧٨)، وفيات الاعيان (١/ ٦٦)، السير (١٤/ ٢٠١)، شذرات الذهب (٢/ ٢٤٧).

(٥) الجهمية: سبق التعريف بهم ص٢٣٤.

(٦) في (ج، ع) زيادة «مثل البخاري، وشيخه عبدالله بن محمد الجعفي».

(٧) ومن ذلك: الرد على الجهمية للإمام أحمد، والرد على الجهمية لابن أبي حاتم، والرد على الجهمية للبخاري، والرد على الجهمية لابن منده، والرد على الجهمية للدارمي، والرد على الجهمية لابن قتيبة، وغيرهم.

«السنة» لعبدالله بن أحمد[١]، و«السنة» لأبي بكر بن الأثرم[٢]، و«السنة» لحنبل[٣]

---

(١) عبدالله بن أحمد. هو: أبو عبدالرحمن، عبدالله ابن الإمام أحمد بن حنبل. نشأ في بيت والده الإمام أحمد وتربى على يديه، وسمع منه كل حديثه، ولذا صار من أكثر الناس رواية عن أبيه.

وقال عنه الخطيب البغدادي: «كان ثقة ثبتاً فهماً» اهـ.

ولد سنة ثلاث عشرة ومائتين، وتوفي سنة تسعين ومائتين.

من مصنفاته: مسائل الإمام أحمد برواية عبدالله، العلل، فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنه.

انظر: تاريخ بغداد (٩/ ٣٧٥)، طبقات الحنابلة (١/ ١٨٠)و العبر (٢/ ٨٦)، الرسالة المستطرفة ص٣٧.

أما كتابه «السنة» الذي ذكره الشيخ، فقد طبع في جزئين بتحقيق د. محمد بن سعيد القحطاني، ويقع في ثمان وأربعين وستمائة صفحة، ط الأولى ١٤٠٦هـ دار ابن القيم.

ويُعد هذا الكتاب من مصادر العقيدة السلفية، شأنه شأن «أصول اعتقاد أهل سنة» للالكائي، و «الإبانة» لابن بطة، التي تروي مسائل العقيدة بالإسناد، كما تميز كتاب السنة لعبدالله ابن الإمام أحمد بالتوسع في موضوع الرد على الجهمية.

(٢) أبو بكر الأثرم. هو: أحمد بن محمد بن هانىء، الأثرم الطائي، تلميذ الإمام أحمد، وأحد رواة المذهب الحنبلي. توفي سنة ثلاث وسبعين ومائتين.

له كتاب السنن، ومصنف في علل الحديث، وكتاب السنة، وهو الذي أشار إليه الشيخ.

انظر: طبقات الحنابلة (١/ ٦٦)، السير (١٢/ ١٦٢)، شذرات الذهب (٢/ ١٤١)، الرسالة المستطرفة ص٣٧.

(٣) حنبل. هو: أبو علي حنبل بن إسحاق بن حنبل الشيباني، ابن عم الإمام أحمد، وتلميذه، سمع المسند من الإمام أحمد كاملاً، وله مسائل كثيرة عنه.

توفي سنة ثلاث وسبعين ومائتين. =

وللمروذي[١]، ولأبي داود السجستاني[٢]، ولابن أبي شيبة[٣]،

= له مصنفات؛ منها: الفتن، المحنة، والتاريخ، وكتاب السنة الذي ذكره الشيخ.
انظر: تاريخ بغداد (٨/ ٢٨٦)، السير (١٣/ ٥١)، طبقات الحنابلة (١/ ١٤٣)، شذرات الذهب (٢/ ١٦٣)، الرسالة المستطرفة ص٣٧.

(١) المروذي. هو: أبو بكر أحمد بن محمد بن الحجاج المروذي، صاحب الإمام أحمد، وحدث عنه، وروي عنه مسائل كثيرة.
والمروذي نسبه إلى مرو الروذ.
قال عنه الذهبي: «كان إماماً في السنة، شديد الاتباع، له جلالة عجيبة في بغداد» اهـ.
توفي سنة خمس وسبعين ومائتين.
انظر: طبقات الحنابلة (١/ ٦٥)، تذكرة الحفاظ (٢/ ٦٣١)، السير (١٣/ ١٧٣)، الوافي بالوفيات (٧/ ٣٩٣).

(٢) أبو داود السجستاني. هو: سليمان بن الأشعث بن شداد، أبو داود السجستاني، الإمام المحدث، صاحب كتاب «السنن» ، تقدمت ترجمته.
أما كتابه «السنة» الذي أشار إليه الشيخ؛ فمن ترجم لأبي داود لم يذكر في مصنفاته هذا الكتاب، ولعل المراد بذلك هو «كتاب السنة» الذي ضمنه آخر كتابه السنن، وقد اشتمل هذا الكتاب على جل مسائل العقيدة، انظر: ج٥ من السنن، من أول الكتاب إلى ص١٢٩.

(٣) ابن أبي شيبة. هو: أبو بكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة، العبسي، مولاهم ، الكوفي، صاحب «المصنف» من الأئمة الكبار، وهو من أقران أحمد.
وقد نعته الذهبي بأنه: الإمام العلم، سيد الحفاظ، وصاحب الكتب الكبار.اهـ.
وله من الكتب الكبار سوى المصنف: المسند، والتفسير.
توفي سنة خمس وثلاثين ومائتين.
انظر: الجرح والتعديل (٥/ ١٦٠)، تذكرة الحفاظ (٢/ ٤٣٢)، السير (١١/ ١٢٢)، شذرات الذهب (٢/ ٨٥).

و«السنة» لأبي بكر بن أبي عاصم[١]، وكتاب «الرد على الجهمية» لعبدالله ابن محمد الجعفي[٢] شيخ البخاري[٣]، وكتاب «خلق أفعال العباد»[٤]

---

(١) ابن أبي عاصم. هو: أبو بكر، أحمد بن عمرو بن أبي عاصم، الشيباني البصري، كان إماماً فقيهاً ورعاً صالحاً، تولى القضاء بأصبهان ثلاث عشرة سنة.
قال عنه أبو الشيخ: «كان من الصيانة والعفة بمحل عجيب». اهـ.
من مصنفاته: المسند الكبير، الآحاد والمثاني، المختصر في المسند...
ولد سنة ست ومائتين، وتوفي سنة سبع وثمانين ومائتين.
انظر الوافي بالوفيات (٧/ ٢٦٩)، السير (١٣/ ٤٣٠)، شذرات الذهب (٢/ ١٩٥)، الرسالة المستطرفة ص٣٨.
أما كتابه «السنة» الذي ذكره الشيخ، فقد طبع بتحقيق علامة الشام محمد ناصر الدين الألباني في جزأين وعدد صفحاته ثمان وأربعين وستمائة ط، الأولى ١٤٠٠هـ المكتب الإسلامي بيروت. والمؤلف في كتابه يورد مسائل العقيدة على طريقة المحدّثين؛ حيث يذكر الباب ثم يسوق النصوص تحته بإسناده.

(٢) عبدالله بن محمد الجعفي، أبو جعفر، مولاهم البخاري، شيخ الإمام البخاري، كان صاحب سنة، رحل في الآفاق لجمع الحديث. قال عنه الحاكم: «هو إمام الحديث في عصره بما وراء النهر بلا مدافعة، وهو أستاذ البخاري». اهـ.
توفي سنة تسعة وعشرين ومائتين.
ولم أقف على من ذكر كتابه هذا «الرد على الجهمية» فيمن ترجم له. وقد أشار إليه الشيخ أيضاً في الفتاوي الكبرى» (٥/ ١٥).
انظر: الجرح والتعديل (٥/ ١٦٢)، السير (١٠/ ٦٥٨)، تهذيب التهذيب (٦/ ٩).

(٣) قوله: وكتاب «الرد على الجهمية» لعبدالله بن محمد الجعفي شيخ البخاري. سقط من (ج، ع).

(٤) وقد طبع هذا الكتاب عدة طبعات. منها ما طبع بتحقيق د. عبدالرحمن عميرة، وقد طبع أول طبعة بهذا التحقيق عام ١٣٩٨هـ، وطبع بتحقيق محمد بسيوني، ط مكتبة التراث.

لأبي عبدالله البخاري[١]، وكتاب «الرد على الجهمية »[٢] لعثمان[٣] بن سعيد الدارمي[٤][٥] ، وكلام[٦] عبدالعزيز المكي[٧] صاحب «الحيدة» في الرد على الجهمية[٨]،

---

(١) لأبي عبدالله سقطت من (ج، ع).

(٢) طبع هذا الكتاب عدة طبعات تصل إلى خمس طبعات تقريباً، الأولى منها طبعت سنة ١٩٦٠م بعناية المستشرق جوستافتستام. وتقدم الكلام عنه قريباً.

(٣) في (الأصل) «أحمد» وهو خطأ، وما أثبت من (ج، ع).

(٤) عثمان بن سعيد الدارمي: سبقت ترجمته.

(٥) في (ج، ع) زيادة «وغيرهم».

(٦) في (ج، ع) زيادة «أبي العباس».

(٧) عبدالعزيز المكي. هو: عبدالعزيز بن يحيى بن عبدالعزيز الكناني المكي الشافعي، قليل الحديث، كان يلقب بالغول لدمامة خلقته، جرت بينه وبين بشر المريسي مناظرات في القول بخلق القرآن.

توفي سنة أربعين ومائتين.

انظر: تاريخ بغداد (١٠/ ٤٤٩)، ميزان الاعتدال (٢/ ٦٣٩)، طبقات الشافعية (١/ ٢٦٥)، تهذيب التهذيب (٦/ ٣٦٣)، الأعلام (٤/ ٢٩).

(٨) هذا الكتاب طبع عدة طبعات، نسخه الخطية كثير جداً أشار إليها سزكين (تاريخ التراث ٤/ ٦٦).

أما نسبة الكتاب إلى المؤلف ـ عبدالعزيز المكي ـ فليس موضع اتفاق، فالذهبي يشكك في نسبة الكتاب إليه، ويقول: «لم يصح إسناد « الحيدة » إليه، فكأنه وضع عليه. والله أعلم» اهـ .

ويوافقه على ذلك السبكي.

بينما نجد الخطيب البغدادي، وكذا ابن حجر نسبا الكتاب إليه وجزما بذلك، وأيضاً ابن العماد الحنبلي. =

وكلام نعيم[1] بن حماد الخزاعي[2][3].

وكلام الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه[4] [ويحيى بن يحيى النيسابوري[5] وأمثالهم، وقبل هؤلاء

= كما أن الإمام ابن بطة ساق المناظرة بإسناده في كتابه الإبانة - الرد على الجهمية (٢/ ٢٢٥-٢٤٨).

وقد نقل الشيخ من هذا الكتاب كثيراً، ونسبه إلى مؤلفه (انظر: درء تعارض العقل والنقل ج٢، ص٢٤٥-٢٩٤، ج٦ ص١١٥).

وقد رد (جميل صليبا) في تحقيقه للحيدة على من شك في نسبتها إلى المؤلف وانتصر لذلك.

وانظر: ميزان الاعتدال (٢/ ٦٣٩)، طبقات الشافعية (١/ ٢٦٦)، تاريخ بغداد (١٠/ ٤٤٩)، تهذيب التهذيب (٦/ ٣٦٤)، شذرات الذهب (٢/ ٩٥).

(١) في (الأصل) «معمر» وهو خطأ، وما أثبت من (ج، ع).

(٢) نعيم بن حماد الخزاعي. هو: نعيم بن حماد بن معاوية، أبو عبدالله الخزاعي المروزي، ينسب إليه أنه قال: «أنا كنت جهمياً، فلذلك عرفت كلامهم فلما طلبت الحديث، عرفت أن أمرهم يرجع إلى التعطيل» اهـ.

وقد نعته الإمام أحمد بأنه كان شديداً على الجهمية، وهو ممن امتُحن في القول بخلق القرآن، وقد توفي مسجوناً سنة تسع وعشرين ومائتين. وقد أوصى أن يدفن في قيوده، وقال: إني مخاصم.

انظر: الطبقات الكبرى (٧/ ٥١٩)، تاريخ بغداد (١٣/ ٣٠٦)، تذكرة الحفاظ (٢/ ٤١٨)، السير (١٠/ ٥٩٥)، تهذيب التهذيب (١٠/ ٤٥٨).

(٣) في (ج، ع) زيادة «وكلام غيرهم».

(٤) إسحاق بن راهويه: تقدمت ترجمته ص٢٤٣.

(٥) يحيى بن يحيى النيسابوري، أبو زكريا التميمي، كان حافظاً مجوداً، يثني عليه الإمام أحمد كثيراً، وكان يستعظم كلام الجهمية وحتى حكاية كلامهم إنكاراً لذلك. =

عبدالله بن المبارك[١] وأمثاله][٢] وأشياء كثيرة.

وعندنا من الدلائل السمعية[٣] والعقلية ما لا يتسع هذا الموضع لذكره، وأنا أعلم أن المتكلمين[٤] لهم شبهات موجودة، لكن[٥] لا يمكن ذكرها في الفتوى، فمن نظر فيها وأراد إبانة ما ذكروه من الشبه فإنه يسير[٦].

وإذا[٧] كان أصل هذه المقالة ـ مقالة التعطيل[٨]

= قال عنه الإمام أحمد: «ما رأى الناس مثله» اهـ.
ولد سنة اثنتين وأربعين ومائة، وتوفي سنة ست وعشرين ومائتين.
انظر: الجرح والتعديل (٩/ ١٩٧)، تذكرة الحفاظ (٢/ ٤١٥)، السير (١٠/ ٥١٢)، شذرات الذهب (٢/ ٥٩).

(١) عبدالله بن المبارك: تقدمت ترجمته ص٢٤٣.

(٢) ما بين المعكوفتين من (ج، ع).

(٣) الدلائل السمعية: ما كانت عن طريق السمع، وهي الوحي.

(٤) في (ج، ع) زيادة « النفاة ».

(٥) في (ج) « ولكن ».

(٦) والشيخ هنا أوضح أن كون هذا الكتاب جواباً لمستفتٍ فلا يحتمل البسط وعرض الشبه والمناقشة. وقد بسط ذلك في مواضع؛ منها على سبيل المثال في كتابه (نقض التأسيس) و (درء تعارض العقل والنقل).

(٧) في (ج، ع) « فإذا ».

(٨) التعطيل: أصله في اللغة : الخلو من الشيء، يقال: عطلت المرأة : إذا لم يكن عليها حُلي، وقوس عطل: لا وتر عليها، ورجل عطل: لا سلاح عليه.
انظر: لسان العرب (١١/ ٤٥٣-٤٥٤).
وأصبح هذا الاسم علماً على الجهمية ومن حذا حذوهم في تعطيل الرب عن أسمائه الحسنى وصفاته العلى . يقول ابن القيم: «أصل الشرك وقاعدته التي يرجع إليها: هو: التعطيل، وهو ثلاثة أقسام:
تعطيل المصنوع عن صانعه وخالقه .
أو تعطيل الصانع سبحانه عن كماله المقدس بتعطيل أسمائه وصفاته وأفعاله.

والتأويل(١) ـ مأخوذاً عن تلامذة المشركين، والصابئين، واليهود، فكيف تطيب نفس مؤمن، بل نفس(٢) عاقل أن يأخذ سبل هؤلاء المغضوب عليهم و(٣) الضالين، ويدع سبيل الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين(٤).

* * *

وتعطيل معاملته عما يجب على العبد من حقيقة التوحيد». اهـ. الجواب الكافي ص٩٠.

ويذكر الشيخ أن السلف كانوا يسمون نفاة الصفاة « معطلة » لأن حقيقة قولهم تعطيل ذات الله، وهم قد لا يعلمون أن قولهم مستلزم للتعطيل.

انظر: الفتاوى (٥/ ٣٢٩).

(١) التأويل: تقدم الكلام عن معناه.

(٢) «بل نفس» سقطت من (ع).

(٣) في (ع) «أو» بدل: الواو.

(٤) وهؤلاء هم الذين أمر الله باتباعهم ولزوم طريقهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام:٩٠].

فصل

مجمل منهب أهل الحق في صفات الله تعالى

ثـم القـول الشـامل في جمـيع هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسـه، أو بمـا[١] وصـفه بـه رسـول الله ﷺ وبمـا وصـفه[٢] به السابقون الأولون لا يتجاوز القرآن والحديث .

قـال الإمام أحمد[٣] رَحِمَهُ اللَّهُ : «لا يُوصف الله[٤] إلا بما وصف به نفسه، أو بما [٥] وصفه به رسوله ﷺ لا يتجاوز القرآن والحديث»[٦].

ومذهـب السـلف أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل[٧]، ومن غير تكييف ولا تمثيل[٨]

---

(١) «بما» سقطت من (ج،ع).

(٢) في (ع) «وصفوه».

(٣) ذكره ابن قدامة بمعناه، انظر: لمعة الاعتقاد ص٩، وانظر: تحريم النظر في كتب الكلام لابن قدامة نفسه ص٣٨-٣٩.

(٤) لفظة «الله» سقطت من (ع).

(٥) «بما» سقطت من (ج،ع).

(٦) وذلـك لأن العقـائد توقيفـية، يـدور المسـلم مـع الـنص فـيها، ولا مجـال للعقـل أو الاجتهاد.

(٧) التحريف في اللغة: التغيير. لسان العرب (٩/ ٤٣).
والمقصـود بـه هـنا: تغـيير ألفـاظ ومعاني أسماء الله وصفاته، مثل: تحريف «استوى» اسـتولى، وهـذا في اللفـظ، وأيضـاً كنصـبهم لفـظ الجلالة في قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾. والتعطيل: تقدم الكلام عنه.

(٨) التكيـيف : حكايـة كيفـية الصـفة، كقـول القـائل: كيفيه يد الله أو نزوله إلى السماء الدنيا كذا وكذا، فتح رب البرية ص١٠ .
والتمثيل: المثل: التسوية بين الشيئين. انظر: لسان العرب (١١/ ٦١٠).
والمراد بها هنا : التسوية بين صفات الخالق والمخلوق.

ونعلم أن ما وصف الله به من ذلك حق ليس فيه لغز ولا أحاجي[١] ، بل معناه يُعرف من حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامه ، [لا سيما إذا كان المتكلم أعلم الخلق بما يقول، وأفصح الخلق في بيان العلم، وأنصح الخلق في البيان والتعريف والدلالة والإرشاد][٢].

وهو سبحانه مع ذلك ليس كمثله شيء لا في نفسه المقدسة المذكورة بأسمائه وصفاته، ولا في أفعاله، فكما يتيقن أن الله سبحانه له ذات حقيقة، وله أفعال حقيقية، فكذلك له صفات حقيقية، وهو ليس كمثله شيء لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، وكل[٣] ما أوجب نقصاً أو حدوثاً فإن الله منزه عنه حقيقة، فإنه سبحانه مستحقّ للكمال الذي لا غاية فوقه، ويمتنع عليه الحدوث[٤] لامتناع العدم عليه، واستلزام الحدوث، سابقه العدم، ولافتقار المحدَث إلى مُحدِث، ولوجوب وجوده بنفسه سبحانه وتعالى[٥] .

---

(١) اللغز : تعمية المراد وإضماره على خلاف ظاهره، وألغز في كلامه: إذا ورَّى فيه، وعرَّض ليخفى. والأحاجي: مخالفة المعنى للفظ.
انظر لسان العرب: (٥/ ٤٠٥-٤٠٦)، (١٤/ ١٦٥).

(٢) ما بين المعكوفتين من (ج، ع).

(٣) في (ع) «وكلما».

(٤) الحادث : يطلق على ما لوجوده علَّة. ويطلق ما لوجوده أول، وهو مسبوق بالعدم. المبين في شرح معاني ألفاظ الحكماء والمتكلمين ص١١٩ . وانظر: المعجم الفلسفي ص٧٠. والله منزه عن هذين المعنيين.

(٥) واجب الوجود: هو الغني عما سواه، القديم الأزلي، الذي لا يجوز عليه الحدوث ولا العدم . انظر: التدمرية ص١٦-١٧، كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي (٢/ ١٣٣١-١٣٣٤).

منهب السلف وسط بين التمثيل والتعطيل

ومذهب السلف بين التعطيل وبين التمثيل، فلا يمثلون صفات الله بصفات خلقه، كما[1] لا يمثلون ذاته بذات[2] خلقه، ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ فيعطلون أسماءه الحسنى وصفاته العلى، ويحرّفون الكلم عن مواضعه، ويلحدون في أسماء الله[3] وآياته[4].

بيان أن التعطيل تمثيل والتمثيل تعطيل

وكل واحد من فريقَي التعطيل والتمثيل فهو جامعٌ بين التعطيل والتمثيل.

أما المعطلون؛ فإنهم لم يفهموا من أسماء الله وصفاته إلا ما هو اللائق بالمخلوق، ثم شرعوا في نفي تلك المفهومات، فقد جمعوا بين التمثيل والتعطيل[5]، مثلوا أولاً، وعطلوا آخراً، وهذا[6] تشبيه وتمثيل منهم للمفهوم من أسمائه وصفاته بالمفهوم من أسماء خلقه وصفاتهم، وتعطيل لما يستحقه هو سبحانه من الأسماء والصفات اللائقة بالله[7]

---

(١) في (ع) «ولا».

(٢) في (ج) «بذوات».

(٣) لفظة «الله» سقط من (ج).

(٤) أصل الإلحاد: الميل والجور والانحراف. ولذا سمي اللحد لحداً لأنه مائل عن وسط القبر إلى جهة القبلة. انظر: لسان العرب (٣/ ٣٨٩).
والمعنى هنا: العدول بأسماء الله وآياته عما هي عليه، والتكذيب بها. يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف:١٨٠]. انظر: تفسير الطبري (٩/ ١٣٣-١٣٤)، تفسير ابن كثير (٣/ ٥١٧).

(٥) في (ج) «التعطيل والتمثيل».

(٦) في (ع) «فهذا».

(٧) في (ج) «به» بدل: بالله.

سبحانه وتعالى(١).

فإنه إذا قال القائل: لو كان الله فوق العرش للزم إما أن يكون أكبر من العرش، أو أصغر أو مساوياً، وكل ذلك محال(٢)، ونحو ذلك من الكلام.

فإنه لم يفهم من كون الله على العرش إلا(٣) ما يثبت لأي جسم كان على أي جسم كان(٤)، وهذا اللازم(٥) تابع لهذا المفهوم. [أما](٦) استواء يليق بجلال الله ويختص به، فلا يلزمه شيء من اللوازم الباطلة التي يجب نفيها(٧).

وصار هذا مثل قول الممثل: إذا كان للعالم صانع، فإما أن يكون جوهراً(٨)،

---

(١) انظر الفتاوي (٥/ ٢٠٩).

(٢) وهذه الشبه يوردها الأشاعرة في نفي علو الله على خلقه واستوائه على عرشه.
انظر: الغنية في أصول الدين للنيسابوي ص٧٤، قواعد العقائد للغزالي ص١٦٨، وانظر قسم الدراسة ص١٣١.

(٣) «إلا» سقطت من (ع).

(٤) «على أي جسم كان» سقطت من (ج).

(٥) في (ج، ع) زيادة «بعينه».

(٦) طمس في (الأصل) وما أثبت من (ج)، وفي (ع) «وأما».

(٧) في (ج، ع) زيادة «كما يلزم سائر الأجسام».

(٨) الجوهر: عبارة عن المتحيز، وهو ينقسم إلى بسيط ويعبر عنه بالجوهر الفرد، وهو عبارة عن جوهر لا يقبل التجزي، لا بالفعل ولا بالقوة.
وإلى مركب: وهو الجسم: وهو المؤتلف من جوهرين فردين فصاعداً.
المبين في شرح معاني ألفاظ الحكماء والمتكلمين ص١٠٩-١١٠.
وانظر: المعجم الفلسفي ص٦٤.
=

أو عرضاً[١]، وكلاهما محال: إذ لا يعقل موجود إلا هذان، أو[٢] قوله: إذا كان مستوياً على العرش، فهو مماثل لاستواء الإنسان على السرير أو الفلك[٣]، إذ لا يُعلم الاستواء إلا هكذا[٤]، فإن كلاهما مَثَّل وكلاهما عَطَّل حقيقة ما وصف الله به نفسه، وامتاز

= والجوهر يطلق في لغة العرب على حقيقة الشيء وذاته، ويطلق على كل حجر يستخرج منه شيء ينتفع به. لسان العرب (٤/ ١٥٢)، المعجم الوسيط ص١٤٩ .

(١) العَرَض: جمعها: أعراض، وهي التي لا يصح بقاؤها، وتقوم بغيرها وتعرض في الجواهر والأجسام، وتبطل في ثاني حال وجودها.

يقول أهل اللغة: عرض بفلان عارض من حمى، أو جنون، إذا لم يدم به ذلك، ومنه أيضاً إخبار الله عن الكفار في اعتقادهم فيما أظلهم من عذاب أنه «عارض» لما اعتقدوا أنه لا دوام له : ﴿هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ [الأحقاف:٢٤] . التمهيد للباقلاني ص٣٨ ـ بتصرف ـ ، وانظر: المعجم الفلسفي ص١١٨ .

وهل يطلق على صفات الله أعراضاً؟ أجاب عن ذلك الشيخ بالتفصيل، وذكر أن ذلك مما ابتدعه أهل الكلام، ولا يجاب عن ذلك بالنفي أو بالإثبات.

انظر: الفتاوى (٦/ ٩٠-٩١، ١٠٣-١٠٤).

وقال الحافظ قوام السنة أبو القاسم الأصبهاني: «أنكر السلف الكلام في الجواهر والأعراض، وقالوا: لم يكن على عهد الصحابه والتابعين ـ رضي الله عن الصحابة ورحم التابعين ـ ولا يخلو أن يكونوا سكتوا عن ذلك وهم عالمون به، فيسعنا السكوت كما سكتوا عنه، أو يكونوا سكتوا عنه وهم غير عالمين به، فيسعنا أن لا نعلم ما لم يعلموه ...»اهـ . الحجة في بيان المحجة للأصبهاني (١/ ٩٩-١٠٠) .

(٢) في (ج، ع) «واو» بدل: أو.

(٣) الفلك: بضم الفاء: السفينة. قال تعالى : ﴿وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ [البقرة:١٦٤]. انظر: لسان العرب (١٠/ ٤٧٩)، المعجم الوسيط ص٧٠١.

(٤) فالممثل جمع بين التعطيل والتمثيل : حيث مثل الخالق بالخلق، وعطل عنه حقيقة الصفة اللائقة به المستحق لها.

[الأول][١] بتعطيل كل مسمى للاستوء الحقيقي، وامتاز الثاني[٢] بإثبات استواء هو من خصائص المخلوقين.

إثبات العلو والاستواء لله تعالى

والقول الفاصل : هو ما عليه الأمة الوسط[٣]، من[٤] أنَّ الله مستوٍ على عرشه استواءً يليق بجلاله ويختص به، فكما أنه موصوف بأنه بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وأنه سميع[٥] بصير ونحو ذلك، ولا يجوز أن يثبت للعلم والقدرة خصائص الأعراض التي كعلم[٦] المخلوقين وقدرتهم، فكذلك هو سبحانه فوق العرش ولا يثبت لفوقيته خصائص فوقية المخلوق على المخلوق[٧] وملزوماتها[٨] .

واعلم أن[٩] ليس في العقل الصريح[١٠] ولا في النقل الصحيح ما

---

(١) طمس في (الأصل) ما أثبت من (ع)، والقصود بالأول أي المعطل.

(٢) أي الممثل.

(٣) انظر إيضاح وسطية أهل الحق بين فرق الأمة في رسالة شيخ الإسلام المسماة «العقيدة الواسطية».

(٤) «من» سقطت من (ع).

(٥) وهذه الصفات ـ العلم، والقدرة، والسمع، والبصر إضافة إلى الحياة والإرادة والكلام النفسي ـ أقرّ بها الأشاعرة وأثبتوها زعماً منهم أن العقل أثبتها دون باقي الصفات.

(٦) في (ع) «يعلم».

(٧) « على المخلوق» سقطع من (ع).

(٨) إ ذ هو عين التشبيه والتمثيل. والله منزه عن ذلك.

(٩) في (ج، ع) «أنه».

(١٠) العقل الصريح هو: الذي صفا وخلص مما يشوبه من الآراء والأهواء الفاسدة.

موافقة منهب السلف للعقل والنقل

يوجب مخالفة الطريقة السلفية [أصلاً][١] لكن هذا الموضع لا يتسع للجواب عن الشبهات الواردة على الحق، فمن كان في قلبه شبهة وأحب[٢] حلَّها فذلك سهل يسير .

اضطراب أهل التأويل

ثم المخالفون للكتاب والسنة وسلف الأمة ـ من المتأولين لهذا الباب ـ في أمر مريج[٣] ، فإن من ينكر الرؤية[٤]، يزعم أن العقل يحيلها، وأنه مضطر فيها إلى التأويل، ومن يحيل أن لله علماً وقدرة، وأن يكون كلامه غير مخلوق ونحو ذلك[٥] يقول : إن العقل أحال ذلك، فاضطر إلى التأويل، بل من ينكر حقيقة حشر الأجساد، والأكل والشرب الحقيقي في الجنة[٦] يزعم أن العقل أحال ذلك، وأنه مضطر إلى التأويل، ومن زعم أن الله ليس فوق العرش[٧] يزعم أن العقل أحال ذلك، وأنه مضطر إلى التأويل[٨].

---

(١) ما بين المعكوفتين من (ج، ع).

(٢) في (ع) «واجب».

(٣) الأمر المريج هو: الملتبس المختلط، ومنه قول تعالى : ﴿ فَهُمْ فِيٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴾ [ق:٥]، إي مختلف وملتبس عليهم. لسان العرب (٢/ ٣٦٥).

والمراد هنا: أن الأمر ملتبس عليهم ومختلط، فليس عندهم قاعدة يتفقون عليها ولا أصل ينطلقون منه.

(٤) كالمعتزلة والجهمية، ومن تبعهم من الخوارج والرافضة.

(٥) كما يزعم المعتزلة والجهمية .

(٦) وهذا قول الفلاسفة، ومن تبعهم من غلاة الباطنية.

(٧) كما يزعم الجهمية، والمعتزلة والأشاعرة، ومن تبعهم من فرق المبتدعة.

(٨) قوله : «ومن زعم أن الله ليس فوق العرش: يزعم أن العقل أحال ذلك وأنه مضطر إلى التأويل» سقط من (ع).

الدليل على فساد منهج أهل التأويل

ويكفيك دليلاً على فساد قول هؤلاء أن ليس لواحد منهم قاعدة مستمرة فيما يحيله العقل، بل منهم من يزعم أن العقل جوّز أو أوجب ما يدّعي الآخر أن العقل أحاله[١].

فيا ليت[٢] شعري بأي عقل يُوزن الكتاب والسنة، فرضي الله عن الإمام[٣] مالك بن أنس حيث قال: «أوَكلما جاءنا رجل أجدل[٤] من رجل تركنا ما جاء به جبريل إلى محمد ﷺ لجدل هؤلاء ؟ »[٥].

الرد على أهل التأويل

وكل من هؤلاء مخصوم بما خصم به الآخر، وهو من وجوه :

أحدها : بيان أن العقل لا يحيل ذلك.

الثاني[٦] : أن النصوص الواردة لا تحتمل التأويل.

الثالث[٧] : أن عامة هذه الأمور قد علم أن الرسول ﷺ جاء بها بالاضطرار، كما علم[٨] أنه جاء بالصلوات الخمس، وصوم شهر

---

(١) والواجب والجائز نقيض المستحيل.

(٢) في (الأصل) «يا ليت» وما أثبت من (ج، ع).

(٣) هكذا في (ج، ع)، وفي (الأصل) تأخرت « الامام » بعد « ابن أنس ».

(٤) أجدل: أي كثير الجدل، وهي شدة الخصومة.

انظر: النهاية في غريب الحديث (١/ ٢٤٨)، لسان العرب (١١/ ١٠٥).

(٥) روى ذلك عن الإمام مالك: أبو نعيم في الحلية (٦/ ٣٢٤)، والذهبي في السير (٨/ ٨٨)، واللالكائي شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٤٤)، وأورده الذهبي في العلو ص١٠٣. وقال الألباني : سنده صحيح «مختصر العلو» ص١٤٠ وذكره السيوطي في مفتاح الجنة ص٨٢.

(٦) في (ج، ع) «والثاني».

(٧) في (ج، ع) «والثالث».

(٨) «علم» سقطت من (ج)، وفي (ع) « ثم » بدل: كما علم.

رمضان، فالتأويل الذي يحيلها عن هذا بمنزلة تأويلات القرامطة[1] والباطنية[2] في الحج والصوم

---

(١) القرامطة: نسبة إلى حمدان قرمط، زعيم هذه الفرقة، وقد خرجوا على المسلمين سنة ٢٨١هـ في خلافة المعتضد، وحكموا البحرين، وعاثوا في الأرض فساداً، وقطعوا الطريق على الحجاج، وسرقوا ونهبوا وأسالوا الدماء، واستحلوا البيت الحرام، واقتلعوا الحجر الأسود من البيت وذهبوا به إلى البحرين (والبحرين تطلق قديماً على بلاد الأحساء وما جاورها).

وهذه الفرقة إحدى الفرق الباطنية التي جحدت الشرائع، واستباحت المحارم. وأنكرت الأمور المعلومة من الدين بالضرورة، وتأولوا أحكام الشريعة تأويلات لا يقرها دين، ولا يقبلها عقل.

انظر: الفَرْق بين الفِرق ص٢٢٦، التبصير في الدين ص٨٣، التنبيه والرد ص٢٠-٢١، البرهان في عقائد أهل الأديان ص٨٠-٨١، اعتقاد فرق المسلمين والمشركين ص٧٩، رسالة في القرامطة لابن الجوزي، معجم البلدان(١/ ٣٤٦).

(٢) الباطنية : سُموا بذلك؛ لأنهم ادَّعوا أن لنصوص الشريعة ظاهراً وباطناً، وزعموا أن العامة هم المرادون بظواهر النصوص. أما من ارتقى إلى علم الباطن، فقد انحطت عنه التكاليف، وأطلقوا عليها : الأغلال، وقالوا: هم المرادون من قوله : ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ [الأعراف:١٥٧]. ، وغرضهم من ذلك إبطال الشرائع، ونفي أن يكون هناك جزاء وجنة ونار، بل إنكار الخالق بالكلية.

وقد ذكر شيخ الإسلام في « نقض التأسيس » (١/ ٢٥٩-٢٦٠) أن اسم الباطنية في كلام الناس يقال على صنفين :

أحدهما : من يقول للكتاب والسنة باطن يخالف ظاهرها، فهؤلاء هم المشهورون عند الناس باسم الباطنية.

وأشار إلى أن هؤلاء قسمان: **قسمٌ** يرون في الأعمال الظاهرة نحو : الصلاة والصيام والحج...إلخ ، ويرون أن الخطاب المبين لوجوب هذه الواجبات وتحريم المحرمات =

والصلاة [١][٢] وسائر ما جاءت به النبوات .

الرابع[٣] : أن يبين[٤] أن العقل الصريح[٥] يوافق ما جاءت به النصوص، وإن كان في النصوص من التفصيل ما يعجز العقل عن درك

= ليس هو على ظاهره المعروف عند الجمهور، ثم قال: «وهؤلاء زنادقة منافقون باتفاق سلف أئمة الإسلام، ولا يخفى نفاقهم على من له بالإسلام أدنى معرفة...» وذكر أن من هؤلاء زنادقة الصوفية من الاتحادية الحلولية. وهذا القسم الذي ذكره الشيخ هم المعنيون هنا.

أما **القسم الثاني** : فهو فهم الذين يقولون بالباطن المخالف للظاهر في العلميات، وأما العمليات، فيقرونها على ظاهرها. وذكر أن هذا قول عقلاء الفلاسفة المتسبين للإسلام.

وذكر العلماء أنهم أشر الطوائف على المسلمين، بل هم شر من الدجال، وأول من دعا إلى هذا المذهب: عبدالله بن ميمون القداح مولى جعفر الصادق زمن المأمون.

انظر: التبصير في الدين ص٨٣، رسالة في القرامطة لابن الجوزي ص٣٦، وانظر أيضاً: رسائل إخوان الصفا ص١٣٨-١٤٤، الفتوحات المكية لابن عربي (٤/ ٢٦٣-٢٦٦، ٢٧١-٢٧٥).

(١) في (ج) زيادة «وسائر العبادات».

(٢) وقد تأول أولئك الحج، فقالوا: الحج: إفراد وقران، والإفراد عندهم: الرجل الذي لا يظهر أمر الأساس، والأساس عندهم علي بن أبي طالب، والقران هو الداعي إلى مذهبهم، والدخول في طاعة الأئمة منهم.

أما الصوم عندهم فهو الإمساك عن كشف ما اعتقدوه .

والصلاة: ولاية الأولياء الذي يجب على الخلق طاعتهم.

البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ص٨٣.

هذه تأويلات بعضهم لهذه العبادات، وعند آخرين لها تأويلات غير ما ذكر.

(٣) في (ج، ع) «والرابع».

(٤) «يبين» سقطت من (ج).

(٥) في (ج) «الصحيح».

تفصيله، وإنما عقله[١] مجملاً[٢] إلى غير ذلك من الوجوه، على أن الأساطين من هؤلاء والفحول معترفون بأن[٣] العقل لا سبيل له إلى اليقين في عامة المطالب الإلهية.

وإذا كان[٤] هكذا[٥]، فالواجب تلقي علم ذلك من النبوات على ما هو عليه.

الرسول ﷺ أعلم الأمة وأنصحهم لهم

ومن المعلوم للمؤمنين أن الله بعث محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً، وأنه بيّن للناس ما أخبرهم[٦] به من أمور الإيمان بالله واليوم الآخر.

والإيمان بالله واليوم الآخر[٧] يتضمن الإيمان بالمبدأ والمعاد، وهو الإيمان بالخلق والبعث كما جمع بينهما في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٨]، وقال تعالى: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [لقمان:٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ [الروم:٢٧].

وقد بيّن الله تعالى على لسان رسوله ﷺ من أمر الإيمان بالله واليوم

---

(١) في (ج، ع) «يعلمه».

(٢) كما هو الحال في اليوم الآخر، فإن العقل يمكن أن يثبته أجمالاً، لكن تفاصيل ما يجري في هذا اليوم لا يمكن إدراكه إلا من طريق الوحي.

(٣) في (ع) «أن».

(٤) في (ج) زيادة «هذا».

(٥) في (ع) «هذا كذلك» بدل: هكذا.

(٦) في (ج، ع) زيادة «الله».

(٧) «والإيمان بالله واليوم الآخر» تكررت في (ع) مرتين.

الآخر ما هدى الله به عباده، وكشف به مراده .

ومعلومٌ للمؤمنين أن رسول الله ﷺ أعلم بذلك من غيره[١]، وأنصح للأمة من غيره[٢]، وأفصح من غيره عبارة وبياناً، بل هو أعلم الخلق بذلك، وأنصح الخلق للأمة، وأفصحهم[٣]، وقد اجتمع في حقه ﷺ كمال العلم والقدرة والإرادة[٤].

ومعلومٌ أن المتكلم [والفاعل][٥] إذا كمل علمه وقدرته وإرادته : كمل كلامه وفعله، وإنما يدخل النقص إما من نقص علمه، وإما من عجزه عن بيان علمه، وإما لعدم إرادته البيان.

والرسول ﷺ هو الغاية في[٦] كمال العلم، والغاية في كمال إرادة[٧] البلاغ المبين ، والغاية في القدرة[٨] على البلاغ المبين، ومع وجود القدرة التامة، والإرادة الجازمة : يجب وجود المراد، فعلم قطعاً أن ما بينه من أمر الإيمان بالله[٩] واليوم الآخر حصل به مراده من

---

(١) في (ج، ع) «أعلم من غيره بذلك».

(٢) في (ج) «وأنصح من غيره لأمته»، وفي (ع) «وأنصح من غيره للأمة».

(٣) في (ع) «وأوضحهم».

(٤) روى البخاري في صحيحه (١٠/ ٥١٣) رقم ٦١٠١، عن عائشة – رضي الله عنها – قالت : فذكرت الحديث ، وفيه أن النبي ﷺ قال: **«فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية»** .

(٥) ما بين المعكوفتين من (ج، ع).

(٦) «في» سقطت من (ع).

(٧) في (ع) «إرادته».

(٨) في (ج، ع) «قدرته».

(٩) «بالله» سقطت من (ع).

البيان، وما أراده من البيان هو[١] مطابق لعلمه، وعلمه بذلك[٢] هو[٣] أكمل العلوم، فكل من ظن أن غير الرسول ﷺ أعلم بهذه منه، أو[٤] أكمل بياناً منه، أو[٥] أحرص على هدي الخلق منه، فهو من الملحدين لا من المؤمنين، والصحابة والتابعون [لهم بإحسان][٦] ومن سلك سبيل[٧] السلف[٨] هم في هذا الباب على [سبيل][٩] الاستقامة.

الطوائف المنحرفة عن طريقة السلف

وأما المنحرفون عن طريقهم[١٠] فهم[١١] ثلاث طوائف : أهل التخييل، وأهل التأويل، وأهل التجهيل.

الطائفة الأولى، أهل التخييل

فأهل[١٢] التخييل : هم المتفلسفة ومن سلك سبيلهم من متكلم ومتصوف[١٣].

---

(١) في (ج، ع) «فهو».
(٢) في (ع) «كذلك».
(٣) «هو» سقطت من (ج، ع).
(٤) في (ج) «واو» بدل: أو.
(٥) في (ج) «واو» بدل: أو.
(٦) ما بين المعكوفتين من (ج، ع).
(٧) في (ج، ع) «سبيلهم».
(٨) «السلف» سقطت من (ج، ع).
(٩) ما بين المعكوفتين من (ج، ع).
(١٠) في (ج) « طريقتهم».
(١١) في «فهو».
(١٢) في (ج) «فأما» بدل: فأهل.
(١٣) في (ج، ع) زيادة «ومتفقه».

فإنهم يقولون : إن ما[١] ذكره الرسول ﷺ من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر[٢] إنما هو تخييل للحقائق لينتفع به الجمهور، لا أنه[٣] بَيَّنَ به الحق، ولا هدى به الخلق، ولا أوضح[٤][٥] الحقائق[٦].

ثم هم على قسمين:

منهم من يقول : إن الرسول ﷺ لم يعلم الحقائق على ما هي عليه.

ويقولون : إن من[٧] الفلاسفة الإلهية من علمها، وكذلك من[٨] الأشخاص الذين يسمونهم أولياء من علمها، ويزعمون أن[٩] من الفلاسفة أو[١٠] الأولياء من هو أعلم بالله واليوم الآخر من المرسلين، وهذه مقالة غلاة الملحدين من الفلاسفة والباطنية : باطنية الشيعة[١١]،

---

(١) في (ع) «إنما».

(٢) «الآخر» سقطت من (ع).

(٣) «أنه» سقطت من (ج، ع).

(٤) في (ج، ع) «وضح».

(٥) في (ج، ع) زيادة «به».

(٦) وقد عرف ابن القيم هذا الضرب بقوله:
«هم الذين اعتقدوا أن الرسل لم تفصح للخلق بالحقائق، إذ ليس في قواهم إدراكها، وإنما خيلت لهم، وأبرزت المعقول في صورة المحسوس». اهـ. الصواعق المرسلة (٢/ ٤١٨-٤١٩).

(٧) في (ع) «في» بدل: من

(٨) في (ج، ع) «في».

(٩) في (ع) «أنه».

(١٠) في (ج، ع) «واو» بدل: أو.

(١١) ومنهم القرامطة ويعدون من غلاة الشيعة، يزعمون أن للنصوص ظاهراً وباطناً، وهذا الباطن لا يعلمه إلا خاصة أئمتهم، وذكر الشهرستاني أن لهم ألقاباً كثيرة سوى هذه فهم يسمون: الباطنية، والقرامطة، والمزدكية، وذكر أن قدماءهم خلطوا كلامهم =

وباطنية الصوفية[١].

ومن منهم من يقول: بل الرسول عَلِمَها لكن لم يُبيِّنها، وإنما تكلم بما يناقضها، وأراد من الخلق فَهْمَ ما يناقضها، لأن مصلحة الخلق في هذه الاعتقادات التي لا تطابق الحق.

ويقول هؤلاء: يجب على الرسول أن يدعو الناس إلى اعتقاد التجسيم مع أنه باطل، وإلى اعتقاد معاد الأبدان مع أنه باطل، ويخبرهم بأن أهل الجنة يأكلون ويشربون، مع أن[٢] ذلك باطل[٣]؛ لأنه لا يمكن دعوة الخلق إلا بهذه الطريق التي تتضمن الكذب لمصلحة العباد. فهذا قول هؤلاء في نصوص الإيمان بالله واليوم الآخر.

وأما الأعمال: فمنهم من يقرها، ومنهم من يجريها[٤] هذا المجرى،

= ببعض كلام الفلاسفة. انظر: الملل والنحل (١/ ٢٢٨)، الفرق بين الفرق ص٢٧٠ نقض التأسيس (١/ ٢٥٩-٢٦٠).

(١) الصوفية: نسبة إلى لبس الصوف ـ على القول الصحيح ـ عُرفوا بادئ الأمر بالعبادة والزهد، ولم يكن هذا الاسم معروفاً في القرون الثلاثة الأول، وانتهى المطاف ببعض فرقهم إلى الغلو والتطرف، حتى خرجوا عن دائرة الإسلام والقول بمذهب الباطنية: إن لكل ظاهرٍ باطناً، ولكل تنزيل تأويلاً. من أقطاب غلاتهم: ابن عربي، والحلاج، وابن سبعين، وغيرهم.

انظر: الفتاوي (١١/ ٥- وما بعدها)، كتاب مصرع التصوف للبقاعي، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص٧٢-٧٤، نقض التأسيس (٢/ ٣٦٠).

(٢) «أن» سقطت من (ع)

(٣) في (ج، ع) زيادة «قالوا».

(٤) في (ج) زيادة «على».

ويقول: إنما يؤمر بها[١] بعض الناس دون بعض، ويؤمر بها العامة دون الخاصة، وهذه طريقة الباطنية الملاحدة و[٢] الإسماعيلية[٣] ونحوهم[٤].

الطائفة الثانية، أهل التأويل

وأما أهل التأويل[٥]: فيقولون: إن النصوص الواردة في الصفات لم يقصد بها الرسول ﷺ أن يعتقد الناس الباطل، ولكن قصد بها معاني

---

(١) «بها» سقطت من (ع).

(٢) سقطت «الواو» من (ج، ع).

(٣) الإسماعيلية: إحدى فرق الشيعة الباطنية، تنسب إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر، وزعموا أن «السر المكتوم» آل إليه، وزعموا أن الظاهر من نصوص الوحي قشور، والتأويل هو اللب، ولا يصل إلى اللب إلا الخواص دون العوام، وأمرهم ينتهي إلى تعطيل الشريعة وسقوط التكاليف. لهم كتب منها: كتاب الافتخار، وكتاب الجفر، وكتاب تأويل الشريعة، وكتاب السر... إلى غير ذلك.
ومن تأويلاتهم الباطلة قولهم: البعث: هو الانتباه من نومة الغفلة، واليقظة من رقة الجهالة. والميزان: هو: ميزان الحكمة... إلخ.
انظر: البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ص٨٣-٨٥، كتاب ذكر مذاهب الفرق الثنتين وسبعين ص١٣٠-١٣١، الملل والنحل (١/ ٢٢٦)، التبصير في الدين ص٨٣-٨٤، الفتاوى (٤/ ١٦٢-١٦٣)، وانظر: الرد على الرافضة للمقدسي ص١٤١، بيان مذهب الباطنية وبطلانه للديلمي ص٢٣.

(٤) وذكر الشيخ من هؤلاء: أصحاب رسائل (إخوان الصفا)، والفارابي وابن سينا، والسهروردي المقتول، وابن رشد الحفيد، وابن عربي، وابن سبعين، وابن الطفيل صاحب رسالة (حي بن يقظان)، وغيرهم من ملاحدة الصوفية والفلاسفة والباطنية.
انظر: الفتاوي (٤/ ١٦٠)، (١٦/ ٤٤٠)، (١٧/ ٣٥٧-٣٥٨)، درء تعارض العقل والنقل (١/ ٨-٩)، وانظر الصواعق المرسلة (٢/ ٤١٨-٤٢٢).

(٥) التأويل: سبق التعريف به ص٢٤٩.

ولم يبين[١] لهم تلك المعاني[٢] ، ولا دَلَّهم عليها، ولكن أراد أن ينظروا فيعرفوا الحق بعقولهم[٣]، ثم يجتهدوا في صرف تلك النصوص عن مدلولها، ومقصوده امتحانهم وتكليفهم إتعاب أذهانهم وعقولهم في أن يصرفوا كلامه عن مدلوله ومقتضاه، ويعرفوا الحق من غير جهته ، وهذا قول المتكلمة، والمعتزلة[٤] ومن دخل معهم في شيء

(١) في (ع) «يبينها».

(٢) «لهم تلك المعاني» سقطت من (ع).

(٣) في (ع) «بقلوبهم».

(٤) المعتزلة: هي إحدى الفرق التي خالفت أهل السنة والجماعة، ورأس هذه الفرقة وأول من تكلم بأصولهم: واصل بن عطاء.

وسبب تسميتهم بذلك: أن واصل بن عطاء كان تلميذاً للحسن البصري، وخالف الحسن في حكم مرتكب الكبيرة، وقال : إنه في منزلة بين المنزلتين ، واعتزل حلقة الحسن، فأُطلق عليه وعلى جماعته معتزلة.

وقيل: سموا بذلك؛ لاعتزالهم أقوال المسلمين ومفارقة ما يعتقدون . وقيل غير ذلك.

والمعتزلة فرق شتى يجمعهم: القول بنفي الصفات، والقول بخلق القرآن، وأن العبد يخلق فعل نفسه.

ولهم أصول خمسة جعلوها بمنزلة أركان الإيمان عند أهل السنة، وهي: التوحيد، والعدل، والمنزلة بين المنزلتين، والوعد والوعيد، والأمر بالمعرف والنهي عن المنكر.

وستروا تحت هذه الأصول معاني باطلة، فقد ستروا تحت مسمى التوحيد: نفي الصفات، ويريدون بالعدل: القول بنفي القدر. أما المنزلة بين المنزلتين فأرادوا بذلك أن مرتكب الكبيرة في منزلة بين الإيمان والكفر، فقد خرج من الإيمان ولم يدخل في الكفر، أما الوعد والوعيد، فقد قصدوا به أن مرتكب الكبيرة إذا مات ولم يتب، فهو خالد مخلد في النار، لأن الله يجب أن ينفذ وعده ووعيده، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ستروا تحته وجوب الخروج على الأئمة إذا جاروا وظلموا، ووجوب دعوة =

من ذلك[(١)].

هذه الفتوى رد على أهل التأويل

والذين قصدنا الرد عليهم في هذه الفتيا[(٢)] هم هؤلاء[(٣)]، إذ كان نفور الناس عن الأوَّلين[(٤)] مشهوراً، بخلاف هؤلاء، فإنهم تظاهروا بنصر السنة في مواضع كثيرة وهم في الحقيقة لا للإسلام نصروا، ولا للفلاسفة كسروا[(٥)]، ولكن[(٦)] أولئك الفلاسفة[(٧)] ألزموهم في نصوص المعاد نظير ما ادعوه في نصوص الصفات، فقالوا لهم: نحن نعلم

= الناس إلى ما ذهبوا إليه بالقوة.

انظر: الملل والنحل (١/ ٥٦)، الفرق بين الفرق ص٩٣، التبصير في الدين ص٣٧، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص٣٨، البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ص ٤٩، التنبيه والرد ص٣٥، وانظر كتاب «شرح الأصول الخمسة» للقاضي عبدالجبار.

(١) وممن دخل معهم في ذلك أهل الكلام: الكلابية، والسالمية، والكرامية، والشيعة، ومتأخرو الأشاعرة.

انظر: درء تعارض العقل والنقل (١/ ١٣).

(٢) في (ع) العبارة هكذا «قصدنا الرد في الفتيا عليهم».

(٣) أي : أصحاب القسم الثاني «أهل التأويل».

(٤) أصحاب القسم الأول «أهل التخييل».

(٥) انظر كلام الشيخ في إيضاح أن المتكلمين لم يستطيعوا نصر الإسلام ولا كسر مزاعم الفلاسفة، وقد فتحوا باباً لأعداء الإسلام، حتى قال الفلاسفة بقدم العالم وإنكار الرسالة، ودخل معهم في ذلك ملاحدة الباطنية ونحوهم.

انظر كلامه ذلك في: الفتاوي (٥/ ٥٤٤-٥٤٧، ٥٥١، ٥٥٢)، نقض التأسيس (١/ ٢٢٣)، درء تعارض العقل والنقل (١/ ٣٧٢-٣٧٤).

(٦) في (ع) لكن يبدو الواو.

(٧) في (ج، ع) «الملاحدة».

بالاضطرار[١] أن الرسل[٢] جاءت[٣] بمعاد الأبدان، وقد علمنا[٤] الشُّبَه المانعة منه.

وأهل السنة يقولون لهؤلاء: ونحن نعلم بالاضطرار أن الرسل جاءت بإثبات الصفات، ونصوص[٥] الصفات في الكتب الإلهية أكثر وأعظم من نصوص المعاد.

ويقولون لهم: معلوم أن مشركي العرب وغيرهم كانوا ينكرون المعاد، وقد أنكروه على الرسول وناظروه عليه، بخلاف الصفات، فإنه لم ينكر شيئاً منها أحد من العرب[٦].

فعلم أن إقرار العقول بالصفات أعظم من إقرارها بالمعاد، وأن إنكار المعاد أعظم من إنكار الصفات، وكيف[٧] يجوز مع هذا أن يكون ما أخبر به من الصفات ليس كما أخبر به، وما أخبر به من المعاد هو على ما أخبر به.

وأيضاً: فقد عُلم أنه ﷺ قد ذمَّ أهل الكتاب على ما حرَّفوه وبدَّلوه[٨]،

---

(١) العلم الاضطراري: سبق تعريفه.

(٢) في (ج، ع) «الرسول» وما أثبت لعله الصحيح يدل عليه ما بعده.

(٣) في (ج، ع) «جاء».

(٤) في (ع) زيادة «فساد».

(٥) في (ع) زيادة «من».

(٦) في (ج) «فإنه لم تكن العرب تنكرها»، وفي (ع) «فإنه لم يكن العرب ينكرها».

(٧) في (ج، ع) «فكيف».

(٨) روى البخاري (٥/ ٢٩١) رقم ٢٦٨٥ عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: «كيف تسألون أهل الكتاب، وكتابكم الذي أنزل على نبيه ﷺ أحدث الأخبار بالله=

ومعلوم أن التوراة مملوءة من ذكر الصفات، فلو كان هذا مما حرف وبدل(١) لكان إنكار ذلك عليهم أولى، فكيف وكانوا إذا ذكروا بين يديه الصفات يضحك(٢) تعجباً منهم(٣) وتصديقاً؟(٤)(٥)، ولم يَعِبْهُم قط بما تعيب النفاةُ لأهل الإثبات، مثل(٦): لفظ التجسيم والتشبيه ونحو ذلك، بل عابهم بقولهم: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة:٦٤]، وقولهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ

= تقرؤونه لم يشب؟ وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا ما كتب الله، وغيروا بأيديهم الكتاب ..».

وقال سبحانه: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾ [المائدة :١٣].

وقال سبحانه : ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف:١٦٢] .

(١) في (ج)، «بدل وحرف»، وفي (ع) «مما بدل حرفه».

(٢) في (ج،ع) «ضحك».

(٣) «منهم» سقطت من (ج،ع).

(٤) في (ج،ع) زيادة «لهم».

(٥) عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن يهودياً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد، إن الله يمسك السماوات على إصبع، والأرض على إصبع، والجبال على إصبع، والشجر على إصبع، والخلائق على إصبع، ثم يقول: أنا الملك. فضحك رسول ﷺ حتى بدت نواجذه، ثم قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾.

- ورواه البخاري (١٣/ ٣٠٩٣) رقم ٧٤١٤، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى : ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾. وهذا لفظه.

- ومسلم (٤/ ٢١٤٧) رقم ٢٧٨٦، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم.

(٦) في (ج،ع) «على» بدل: مثل.

﴿وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران:١٨١] ، وقولهم[١] : استراح لما خلق السماوات والأرض، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾[٢] [ق: ٣٨]، والتوراة مملوءة من الصفات المطابقة للصفات المذكورة في القرآن والحديث، وليس فيها تصريح بالمعاد كما في القرآن. فإذا جاز أن نتأول[٣] الصفات التي اتفق عليها الكتابان، فتأويل المعاد الذي انفرد به أحدهما[٤] أولى[٥]، والثاني[٦] مما يعلم بالاضطرار من دين الرسول ﷺ أنه باطل[٧] فالأول أولى بالبطلان[٨][٩].

الطائفة الثالثة، أهل التجهيل

وأما **الصنف الثالث : وهم أهل التجهيل**: فهم كثير من المنتسبين إلى السنة وأتباع السلف. يقولون : إن الرسول ﷺ لم يكن[١٠] يعرف معاني ما أنزل الله عليه من آيات الصفات، ولا جبريل يعرف معاني [تلك][١١] الآيات، ولا السابقون الأولون عرفوا ذلك.

---

(١) في (ج، ع) زيادة «أنه».

(٢) لغوب: أي: إعياء ونصب وتعب.
تفسير ابن كثير (٧/ ٢٨٦).

(٣) في (ع) « تناول» ولعله خلاف الصواب.

(٤) وهو القرآن.

(٥) في (ع) زيادة «بالبطلان».

(٦) وهو تأويل المعاد.

(٧) هكذا في (ج)، وفي (الأصل) «مما يعلم بالاضطرار أنه باطل من دين الرسول..».

(٨) قوله «والثاني... إلى قوله: أولى بالبطلان» سقطت من (ع).

(٩) وهو تأويل الصفات.

(١٠) « يكن» سقطت من (ج، ع).

(١١) ما بين المعكوفتين من (ج، ع).

وكذلك قولهم في أحاديث الصفات: أن معناها لا يعلمه إلا الله، مع أن الرسول تكلم بهذا ابتداءً، فعلى قولهم تكلم بكلام[١] لا يعرف معناه[٢].

وهؤلاء يظنون أنهم اتبعوا قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٧]، فإنه[٣] وقف كثير من السلف على قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وهو وقف صحيح[٤] [لكن][٥] لم يفرقوا[٦] بين معنى الكلام وتفسيره، وبين التأويل الذي انفرد الله تعالى بعمله، وظنوا أن التأويل [المذكور][٧] في كلام الله هو التأويل المذكور في كلام المتأخرين،

---

(١) في (ع) زيادة «العرب».

(٢) وقد عرف ابن القيم هذا الصنف بقوله: «أصحاب التجهيل: الذين قالوا: نصوص الصفات ألفاظ لا تعقل معانيها، ولا ندري ما أراد الله ورسوله منها، ولكن نقرؤها ألفاظاً لا معاني لها، ونعلم أن لها تأويلاً لا يعلمه إلا الله... فلو ورد علينا منها ما ورد لم نعتقد فيها تمثيلاً ولا تشبيهاً، ولم نعرف معناه وننكر على من تأوله ونكل علمه إلى الله..». اهـ . الصواعق المرسلة (٢/ ٤٢٢).

(٣) في الأصل (فإن)، وما أثبت من (ج،ع)، ولعل العبارة لا يستقيم معناها إلا بهذا.

(٤) وممن وقف على ذلك: ابن عمر، وابن عباس في رواية، وعائشة، وعروة بن الزبير، وعمر بن عبدالعزيز، وأبو الشعثاء، وأبو نهيك، وإليه ذهب الكسائي، والفراء، والأخفش، وأبوعبيد، وأبوحاتم، والأصمعي، وثعلب. واختاره ابن جرير، وابن قدامة، والبغوي، وعبدالقاهر البغدادي، ورجحه الشوكاني والشنقيطي. انظر: تفسير الطبري (٣/ ١٨٢-١٨٣)، تفسير ابن كثير (٢/ ٧-٩)، فتح القدير (١/ ٣١٥).

(٥) ما بين المعكوفتين من (ج، ع) .

(٦) في (الأصل) «ثم فرقوا»، وما أثبت من (ج، ع)، ولعل المعنى لا يستقيم إلا بهذا.

(٧) ما بين المعكوفتين من (ج، ع).

وغلطوا في ذلك.

معاني التأويل

فإن[١] التأويل يراد به ثلاث معان :

التأويل في اصطلاح المتأخرين

فالتأويل [٢] في اصطلاح كثير من المتأخرين هو: صرف اللفظ عن الاحتمال[٣] الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن بذلك[٤].

فلا يكون معنى اللفظ الموافق لدلالة ظاهره تأويلاً على اصطلاح هؤلاء، وظنوا أن مراد الله بلفظ التأويل ذلك، وأن للنصوص تأويلاً مخالف[٥] لمدلولها لا يعلمه إلا الله، أو يعلمه المتأولون.

ثم كثير من هؤلاء يقولون : تجرى على ظاهرها، فظاهرها مراد. مع قولهم: إن لها تأويلاً بهذا المعنى لا يعلمه إلا الله، وهذا تناقض وقع فيه كثير من هؤلاء[٦] المتسبين إلى السنة من أصحاب الأئمة الأربعة وغيرهم[٧].

التأويل في اصطلاح جمهور المفسرين

والمعنى الثاني : [أن][٨] التأويل هو[٩] تفسير الكلام، سواء وافق

---

(١) في (ع) زيادة «لفظ».

(٢) في (الأصل) «والتأويل»، وما أثبت من (ج، ع).

(٣) في (ع) «احتمال».

(٤) «لدليل يقترن بذلك» على رأيهم وما ذهبوا إليه، والواقع أنه صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح بغير دليل يوجب ذلك.

(٥) في (ج، ع) «يخالف».

(٦) «هؤلاء» سقطت من (ج).

(٧) ظاهر النصوص مراد أو غير مراد؟ ناقش ذلك الشيخ في القاعدة الثالثة في «التدمرية»، وأوضح أن لفظ الظاهر فيه إجمال واشتراك. انظر التدمرية ص٤٧.

(٨) ما بين المعكوفتين من (ج، ع).

(٩) في (الأصل) «وهو».

ظاهره أو لم يوافقه[١]، وهذا هو التأويل في اصطلاح جمهور المفسرين وغيرهم[٢]، وهذا[٣] التأويل[٤] يعلمه الراسخون في العلم[٥][٦]، وهو موافق لوقف من وقف من السلف على قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾ كما نقل ذلك عن ابن عباس، ومجاهد[٧]، ومحمد بن جعفر بن الزبير[٨]، ومحمد بن إسحاق[٩]،

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٣/ ١٨٤).

(٢) «وهذا التأويل في اصطلاح جمهور المفسرين وغيرهم» سقطت من (ج، ع).

(٣) في (ج، ع) زيادة «هو معنى».

(٤) في (ج) زيادة «الذي».

(٥) «في العلم» سقطت من (ع).

(٦) الراسخ في العلم: المتمكن فيه تمكناً لا تعرض معه شبهة.
انظر: لسان العرب (٣/ ١٨)، المعجم الوسيط ص٣٤٣، تفسير الطبري (٣/ ١٨٤).

(٧) هو: مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكي، مولى السائب بن أبي السائب، المخزومي.
شيخ القرَّاء والمفسرين، من كبار تلامذة ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وعنه أخذ القرآن والتفسير، روي عنه أنه قال: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة .اهـ. وروي عنه أيضاً أنه قال: عرضت القرآن ثلاث عرضات على ابن عباس، أقفه عند كل آية أسأله: فيم نزلت وكيف كانت. اهـ. توفي سنة ثلاث ومائة، وقيل: أربع ومائة، وقد بلغ من العمر ثلاثاً وثمانين سنة. انظر: الطبقات الكبرى (٥/ ٤٦٦)، تذكرة الحفاظ (١/ ٨٦)، السير (٤/ ٤٤٩)، تهذيب التهذيب (١٠/ ٤٢).

(٨) محمد بن جعفر بن الزبير بن العوام الأسدي المدني، من فقهاء المدينة وقرائهم، قال عنه ابن سعد: «كان عالماً وله أحاديث». ووثقه الدارقطني. مات سنة بضع عشرة ومائة. انظر: تهذيب التهذيب (٩/ ٩٣)، الطبقات الكبرى – القسم المتمم لتابعي أهل المدينة – ص١١٢.

(٩) محمد بن إسحاق بن يسار، الحافظ رواية الأخبار، صاحب السيرة. من سكان المدينة، ومن حفظة الحديث، جده يسار من سبي عين التمر. =

وابن قتيبة[١] وغيرهم[٢] .

= توفي سنة خمسين ومائة، وقيل: إحدى وخمسين، وقيل: اثنتين وخمسين.
وقد امتدحه الشافعي، فقال: «من أراد أن يتبحر في المغازي، فهو عيال على محمد بن إسحاق» . اهـ.
وقال الذهبي: « قد كان في المغازي علامة » . اهـ.
وقد كثر الكلام حوله في مسألة الرواية في الحديث، فوثقه جماعة من العلماء، وجرحه آخرون. قال الإمام الذهبي: «وقد أمسك عن الاحتجاج بروايات ابن اسحاق غير واحد من العلماء لأشياء، منها: تشيعه، ونُسب إلى القدر، ويدلس في حديثه، فأما الصدق فليس بمدفوع عنه» . اهـ.
وقال الحافظ ابن حجر: «صدوق يدلس، ورمي بالتشيع والقدر». اهـ.
انظر: تاريخ بغداد (١/ ٢١٤)، تذكرة الحفاظ (١/ ١٧٢)، السير (٧/ ٣٣)، تهذيب التهذيب (٩/ ٣٨)، تقريب التهذيب ص٤٦٧، ميزان الاعتدال (٣/ ٤٦٨).

(١) ابن قتيبة: هو: أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة، الدينوري، صاحب التصانيف والفنون، اشتهر في علم العربية والأخبار.
من مصنفاته: غريب القرآن، القراءات، إعراب القرآن، عيون الأخبار، مشكل القرآن، مات فجأة سنة ست وسبعين ومائتين. قال عنه الخطيب البغدادي: كان ثقة ديناً فاضلاً. اهـ. انظر: تاريخ بغداد (١٠/ ١٧٠)، ميزان الاعتدال (٢/ ٥٠٣)، السير (١٣/ ٢٩٦)، وفيات الأعيان (٣/ ٤٢).

(٢) وممن ذهب إلى ذلك: أبونجيح، والربيع، والقاسم بن محمد، والضحاك، واختاره أبوجعفر النحاس، وأبو سليمان الدمشقي، وأبو الحسن الأشعري، والنووي، وابن الحاجب، والخطيب البغدادي.
انظر تفسير الطبري (٣/ ١٨٣)، تفسير ابن كثير (٢/ ٧-٨)، الدر المنثور (٢/ ١٥١- ١٥٢)، إعراب القرآن (١/ ٣٥٦)، معاني القرآن (١/ ٣٤٣)، تأويل مشكل القرآن ص٧٢، أحكام القرآن (٢/ ٢٨٣)، الفقيه والمتفقه (١/ ٦٣)، شرح مسلم للنووي (١٦/ ٢١٨)، الإتقان (٢/ ٤)، أصول الدين ص٢٢٣.

وكلا القولين حق باعتبار، كما[١] قد[٢] بسطناه في مواضع أُخَر[٣]، ولهذا نقل عن ابن عباس هذا وهذا وكلاهما حق[٤].

التأويل الوارد في القرآن والسنة

والمعنى الثالث : أن التأويل: هو الحقيقة التي يؤول الكلام إليها، وإن وافقت ظاهره، فتأويل ما أخبر به في الجنة من الأكل والشرب واللباس والنكاح وقيام الساعة وغير ذلك، هو الحقائق الموجودة أنفسها، لا ما يتصور من معانيها في الأذهان، ويعبر عنه باللسان، وهذا هو التأويل في لغة[٥] القرآن كما قال تعالى عن يوسف عليه السلام أنه قال: ﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا﴾ [يوسف:١٠٠]. وقال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف:٥٣] ، وقال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء : ٥٩] .

وهذا التأويل هو الذي[٦] لا يعلمه إلا الله.

---

(١) في (ع) «ما» بدل: كما.

(٢) في (ع) «قدمناه و...»

(٣) انظر: الفتاوي (١٣/ ٢٧٥، ٢٨٤-٢٨٥)، (٥/ ٢٣٤، ٣٤٧-٣٤٩)(١٦/ ٤٠٧-٤٢٢)، مجموعة الرسائل الكبرى (٢/ ١٧-٢١)، التدمرية ص٩٠-٩٦.

(٤) أي: الوقف على لفظ الجلالة ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ والوقف على ﴿فِى ٱلْعِلْمِ﴾. انظر تفسير الطبري (٣/ ١٨٢-١٨٣).

(٥) في (ع) زيادة «واو» ولا معنى لها.

(٦) «الذي» سقطت من (ع).

تأويل الصفات

فتأويل[١] الصفات هو الحقيقة التي انفرد الله بعلمها، وهو الكيف المجهول الذي قال فيه السلف كمالك وغيره: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول»[٢]، فالاستواء معلوم يعلم معناه وتفسيره[٣] ويترجم بلغة أخرى[٤]، وأما كيفية ذلك الاستواء، فهو التأويل الذي لا يعلمه[٥][٦] إلا الله تعالى.

وقد رُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما ما ذكره عبدالرزاق[٧] وغيره في تفسيرهم[٨] عنه أنه قال: «تفسير القرآن على أربعة أوجه: تفسير تعرفه

---

(١) في (الأصل، ع) «وتأويل» وما أثبت من (ج).

(٢) يأتي تخريج هذا الأثر، انظر ص٣٠٤، ٣٠٥.

(٣) في (ج، ع) «ويفسر».

(٤) في (ج) زيادة «وهو من التأويل الذي يعلمه الراسخون في العلم» وفي (ع) «وهذا من التأويل الذي يعلمه الراسخون في العلم».

(٥) في (ج) «يعلم».

(٦) في (ج) «زيادة تأويله».

(٧) عبدالرزاق: هو: عبدالرزاق بن همام بن نافع، الحميري الصنعاني، عالم اليمن، الإمام الحافظ، محدث زمانه. رحل في طلب العلم، وروى عنه الأئمة الكبار: سفيان ابن عيينة، وأحمد، ويحيى بن معين، وغيرهم، ولد سنة ست وعشرين ومائة، وتوفي سنة إحدى عشرة ومائتين. من مؤلفاته الكبار: المصنف، والتفسير.
وقال عنه إبراهيم بن عباد الدبري: «كان عبدالرزاق يحفظ نحواً من سبعة عشر ألف حديث.»اهـ. انظر: الطبقات الكبرى (٥/٥٤٨)، وفيات الأعيان (٣/٢١٦)، السير (٩/٥٦٣)، تهذيب التهذيب (٦/٣١٠).

(٨) تفسير عبدالرزاق: طبع قسم من هذا الكتاب في أربعة أجزاء باسم «تفسير القرآن» للإمام عبدالرزاق بن همام الصنعاني. بتحقيق د. مصطفى مسلم. ط: الأولى ١٤١٠ هـ، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض.

العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله عز وجل من[(١)] ادعى علمه فهو كاذب»[(٢)].

وهذا كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة:١٧]، وقال النبي ﷺ: **«يقول الله: أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عين رأتْ، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»**[(٣)].

وكذلك علم[(٤)] الساعة ونحو ذلك، فهذا من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله، وإن كنا نفهم معاني ما خوطبنا به، ونفهم من الكلام ما قصد إفهامنا إياه، كما قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد:٢٤]، وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ﴾ [المؤمنون:٦٨]، فأمر بتدبر

---

(١) في (ج) «فمن».

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١/ ٣٤) ولم يذكر قوله: «من ادعى علمه فهو كاذب» ورواه مرفوعاً إلى النبي ﷺ في آخره «ومن ادعى علمه سوى الله فهو كاذب» وقال ابن جرير: وفي إسناده نظر. اهـ. يعني الأثر المرفوع.
وذكره ابن كثير في تفسيره (١/ ١٨)، (٢/ ٧) وقال: ويروى هذا القول عن عائشة وعروة وأبي الشعثاء، وأبي نهيك وغيرهم. اهـ.
وانظر: الدر المنثور للسيوطي (٢/ ١٥١-١٥٢). ولم أعثر عليه في المطبوع من تفسير عبدالرزاق.

(٣) رواه البخاري من حديث أبي هريرة (٨/ ٥١٥) رقم ٤٧٧٦، كتاب التفسير، باب ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾.
- ومسلم (٤/ ٢١٧٤) رقم ٢٨٢٤، كتاب الجنة، وصفة نعيمها وأهلها.

(٤) في (ع) زيادة «وقت».

القرآن كله لا بتدبر بعضه[١].

وقال أبوعبدالرحمن السلمي[٢] : «حدثنا الذين كانوا يُقرؤوننا القرآن عثمان بن عفان، وعبدالله بن مسعود، وغيرهما : أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم[٣] يتجاوزوها حتى يتعلموا[٤] ما فيها[٥] من العلم والعمل. قالوا : فتعلمنا[٦] القرآن والعلم والعمل جميعاً»[٧].

---

(١) ونصوص الصفات تدخل ضمن ذلك.

(٢) أبو عبدالرحمن السلمي. هو: عبدالله بن حبيب بن ربيعه الكوفي، الإمام، مقرئ الكوفه، مولده في حياة النبي ﷺ. قرأ القرآن وجوّده وعرضه على عثمان، وعلي، وابن مسعود. وأخذ عنه القرآن : عاصم بن أبي النجود. وقد مكث يُقرئ الناس ويُعلّمهم القرآن أربعين سنة. وقال أبو عون الثقفي: كنت أقرأ على أبي عبدالرحمن، وكان الحسن بن علي ـ رضي الله عنهما ـ يقرأ عليه . اهـ.

قيل : إنه توفي سنة أربع وسبعين، وقيل: ثلاث وسبعين. انظر: الطبقات الكبرى (٦/ ١٧٢)، تذكرة الحفاظ (١/ ٥٥)، السير (٤/ ٢٦٧)، تهذيب التهذيب (٥/ ١٨٣).

(٣) في (ج، ع) «لا».

(٤) في (ع) «يتعلمها».

(٥) في (ع) «وما فيها».

(٦) في (ع) «فيعملنا».

(٧) رواه الإمام أحمد (٥/ ٤١٠) عن محمد بن فضيل عن عطاء عن أبي عبدالرحمن. وأخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٣٥، ٣٦)، والحاكم في «مستدركه» (١/ ٥٥٧)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. اهـ ووافقه الذهبي وابن سعد في الطبقات (٦/ ١٧٢) ومحمد بن وضاح في كتابه «البدع والنهي عنها» ص٨٦. وأخرج البيهقي في سننه (٣/ ١١٩-١٢٠) نحواً من هذا عن ابن مسعود. وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٦٥)، وقال : رواه أحمد، وفيه عطاء بن السائب، اختلط في آخر عمره. اهـ.

وقال مجاهد[(١)] : «عرضتُ المصحف على ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ من[(٢)] فاتحته[(٣)] إلى[(٤)] خاتمته، أقف عند كل آية أسأله عنها»[(٥)].

وقال الشعبي[(٦)] : «ما ابتدع أحدٌ بدعة[(٧)] إلا وفي كتاب الله

---

(١) مجاهد: سبقت ترجمته، انظر ص٢٨٨ .

(٢) «من» سقطت من (ع) .

(٣) في (ج) زيادة «الكتاب».

(٤) «إلى» سقطت من (ع).

(٥) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٢٧٩-٢٨٠).والذهبي في السير (٤/ ٤٥٦-٤٥٧). وأورده ابن كثير في تفسيره (١/ ١٥)، وعزا روايته لابن إسحاق.

(٦) الشعبي. هو: عامر بن شراحيل، أبو عمرو الهمداني ثم الشعبي. علامة زمانه، روى عن عدة من كبراء الصحابة، وقد ولد في إمرة أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه وكان يُستفتى وأصحاب رسول الله ﷺ متوافرون، وهو ممن خرج مع القراء على الحجاج مع ابن الأشعث.

توفي سنة أربع ومائة، وقد بلغ ثنتين وثمانين سنة.

وقد قال عنه مكحول: «ما رأيت أحداً أعلم من الشعبي».

وقال ابن عيينة : «علماء الناس ثلاثة: ابن عباس في زمانه، والشعبي في زمانه، والثوري في زمانه » اهـ. انظر: الحلية (٤/ ٣١٠)، وفيات الأعيان (٣/ ١٢)، تذكرة الحفاظ (١/ ٧٤)، السير (٤/ ٢٩٤)، شذرات الذهب (١/ ١٢٦)، تهذيب تاريخ دمشق (٧/ ١٤١).

(٧) البدعة في اللغة : يقال: بدع الشيء، أي أنشأه وبدأه لأول مرة، ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ أي: ما كنت أول من أرسل.

انظر: لسان العرب (٨/ ٦-٨). وفي الاصطلاح: على القول الراجح: أنه ما خالف السنة، وهو ما لم يشرعه الله ورسوله.

انظر: الفتاوى (٤/ ١٠٧-١٠٨)، الاعتصام (١/ ٣٧)، فتح الباري (١٣/ ١٥٣).

بيانها»[١].

وقال مسروق[٢]: «ما قال أصحابُ محمد ﷺ عن شيء إلا وعِلْمُه في القرآن، ولكن عِلْمُنا قَصُرَ عنه»[٣].

وهذا بابٌ واسعٌ قد بُسط في موضعه.

والمقصود هنا[٤] التنبيه على [أصول][٥] المقالات الفاسدة التي أوجبت الضلال في باب العلم والإيمان بما جاء به الرسول ﷺ، وأن من جعل الرسول غير عالم بمعاني القرآن الذي أنزل إليه، ولا جبريل جعله غير عالم[٦] بالسمعيات،

---

(١) أثر الشعبي: ما ابتدع أحد بدعة إلا وفي كتاب الله بيانها. ذكره ابن القيم في «الصواعق المرسلة» (٣/ ٩٢٥).

(٢) مسروق: هو: مسروق بن الأجدع، أبو عائشة الوادعي، الهمداني. يقال: إنه سُرق وهو صغير ثم وُجد، فسمي مسروقاً. إمام قدوة من كبار التابعين، روى عنه كثير من الصحابة، بل إنه من المخضرمين الذين أسلموا في حياة النبي ﷺ. يُروى عنه أنه قال: «ما آسى على شيء إلا السجود لله تعالى». توفي سنة ثلاث وستين. قال عنه يحيى بن معين: «مسروق ثقة لا يسأل عن مثله». اهـ. انظر: الطبقات الكبرى (٦/ ٧٦)، تاريخ بغداد (١٣/ ٢٣٢)، تذكرة الحفاظ (١/ ٤٦)، السير (٤/ ٦٣).

(٣) هذا الأثر رواه الخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (١/ ٥٦-٥٧).

وقال شيخ الإسلام في غير هذا الموضع عقبه وعقب أثر الشعبي: «وأمثال ذلك من الآثار الكثيرة المذكورة بالأسانيد الثابته» اهـ. انظر: درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٠٨)، (٥/ ٥٧).

(٤) «هنا» سقطت من (ع).

(٥) ما بين المعكوفتين من (ج، ع).

(٦) قوله «بمعاني القرآن الذي أنزل إليه، ولا جبريل جعله غير عالم» سقط من (ج، ع).

لم[١] يجعل القرآن هدى ولا بياناً للناس.

اللوازم الفاسدة المترتبة على مذهب أهل التجهيل

ثم هؤلاء ينكرون العقليات في هذا الباب بالكلية، فلا يجعلون عند الرسول ﷺ وأمته في باب معرفة الله عز وجل لا علوماً عقلية ولا سمعية، وهم[٢] قد شاركوا [في هذا][٣] الملاحدة من وجوه متعددة، وهم مخطؤون فيما نسبوه إلى الرسول ﷺ وإلى السلف من الجهل، كما أخطأ في ذلك أهل التحريف والتأويلات الفاسدة، وسائر أصناف[٤] الملاحدة.

أقوال الأئمة في صفات الله تعالى

ونحن نذكر من ألفاظ السلف بأعيانها، وألفاظ[٥] من نقل مذهبهم[٦] بحسب ما يحتمله هذا الموضع ما يعلم به مذهبهم.

قول الأوزاعي

وروى أبو بكر البيهقي[٧] في «الأسماء والصفات» بإسناد صحيح عن الأوزاعي[٨] قال: «كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله تعالى

---

(١) في (الأصل، ج، ع) «ولم» ولعل معنى الكلام لا يستقيم بإثبات الواو.
(٢) «هم» سقطت من (ع).
(٣) ما بين المعكوفتين من (ج، ع).
(٤) «أصناف» سقطت من (ج، ع).
(٥) في (الأصل) «وأعيان»، وما أثبت من (ج، ع).
(٦) في (ع) «عنهم» بدل: مذهبهم.
(٧) أبو بكر البيهقي: تقدمت ترجمته ص٢٥٥.
(٨) الأوزاعي: هو: عبدالرحمن بن عمرو بن يحمد أبو عمرو الأوزاعي الإمام الكبير. ولد في حياة الصحابة سنة ثمان وثمانين. أريد على القضاء مرات فامتنع، وهو أول من دون العلم بالشام، كان كثير الحديث والعلم والفقه، بل كان حجة زمانه، وكان ممن نسبت إليه بعض المذاهب الفقهية التي اندثرت.
قال الإمام مالك: «الأوزاعي إمام يقتدى به». اهـ. مواقفه مع الأمراء مشهورة، كان لا يخشى في الله لومة لائم. توفي سنة سبع وخمسين ومائة. =

ذكره فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته»[١].

فقد حكى الأوزاعي - وهو أحد الأئمة الأربعة في عصر تابعي التابعين، الذين هم مالك إمام أهل الحجاز[٢]، والأوزاعي إمام

= انظر: الطبقات الكبرى (٧/ ٤٨٨)، حلية الأولياء (٦/ ١٣٥)، وفيات الأعيان (٣/ ١٢٧)، السير (٧/ ١٠٧)، شذرات الذهب (١/ ٢٤١).

(١) رواه البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ١٥٠). والذهبي في السير (٧/ ١٢٠-١٢١)، وذكره الذهبي في «العلو» ص١٠٢ من رواية الحاكم.

وانظر المختصر ص١٣٧-١٣٨، ورواه في «تذكرة الحفاظ» (١/ ١٨١-١٨٢) وحكم عليه بالصحة، وذكره في كتابه «الأربعين» ص٨١.

وصححه شيخ الإسلام أيضاً كما في النص.

وانظر: درء تعارض العقل والنقل (٦/ ٢٦٢)، وكذا ابن القيم في اجتماع الجيوش ص٣١. وذكره الحافظ في الفتح (١٣/ ٤٠٦) وجود إسناده.

(٢) الحجاز: جبل ممتد حال بين تهامة ونجد، فكأنه منع كلاً منهما أن يختلط بالآخر، فهو حاجز بينهما. وجزيرة العرب تنقسم خمسة أقسام: تهامة ، والحجاز، ونجد، والعروض، واليمن. وبلاد الحجاز: الجبل نفسه وسراته، وما احتجز به في شرقيه من الجبال وانحاز إلى ناحية فيد والجبلين إلى المدينة . كل هذا يسمى حجازاً.

وأكثر شعراء العرب من ذكر الحجاز ؛ ومن ذلك قول بعضهم:

سرى البرق من أرض الحجاز فشاقني ... وكل حجازي له البرق شائق

وقال آخر:

أحِنُّ إلى الحجاز وساكنيه ... حنين الإلف فارقه القرين

وأبكي حين ترقد كل عين ... بكاءً بين زفرته أنين

معجم البلدان (٢/ ٢١٨-٢١٩)، مراصد الاطلاع (١/ ٣٨٠-٣٨١)- بتصرف.

أهل الشام(١)، والليث(٢) إمام أهل مصر(٣)، والثوري(٤) إمام

---

(١) الشام: وفي لغة: الشأم بالهمز، يقال: إنها سميت بذلك نسبة إلى سام بن نوح؛ لأنه أول من نزلها، فجعلت السين شيناً، وحدودها قديماً من الفرات إلى العريش المتاخم للديار المصرية، ومن جبلي طيّئ إلى بحر الروم، وتمثل الآن سوريا وفلسطين والأردن ولبنان وجزءاً من تركيا وجزءاً من العراق وجزءاً من مصر وجزءاً من شمال الجزيرة العربية، كان أغلب أهلها قبل الفتح الإسلامي يدينون بالنصرانية.
انظر: صورة الأرض لابن حوقل ص١٥٣، معجم البلدان (٣/ ٣١١-٣١٥)، مراصد الاطلاع (٢/ ٧٧٥-٧٧٦).

(٢) الليث: هو: الليث بن سعد بن عبدالرحمن، أبو الحارث الفهمي الإمام، عالم الديار المصرية وفقيهها ومحدثها، وقد طلبه المنصور ليكون نائبه على إقليم مصر، فاستعفى من ذلك، كان سخياً جواداً، مضرب المثل في ذلك.
ورُوي عن الإمام أحمد أنه قال: «ليس في المصريين أصح حديثاً من الليث بن سعد..». توفي سنة خمس وسبعين ومائة. انظر: تاريخ بغداد (١٣/ ٣)، صفة الصفوة (٤/ ٢٨١)، تذكرة الحفاظ (١/ ٢٢٤)، السير (٨/ ١٢٢)، تهذيب التهذيب (٨/ ٤٥٩).

(٣) مصر: سميت بذلك نسبة إلى مصر بن مصرايم بن حام بن نوح، فهو ـ فيما قيل ـ أول من أحدثها، كان فتحها في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه على يد عمرو بن العاص رضي الله عنه ورد اسمها صريحاً في القرآن في عدة مواضع، ومصر قديماً هي مصر الآن تقريباً، يفصلها عن جزيرة العرب البحر الأحمر، ويحدها من الشمال البحر الأبيض المتوسط، المسمى قديماً بحر الروم، يقسمها نهر النيل قسمين شرقياً وغربياً.
أما ديانة أهلها، فكانوا قديماً عبدة للأصنام إلى أن ظهر دين النصرانية بمصر، فتنصروا وبقوا على ذلك إلى أن فتحها المسلمون، فأسلم البعض وبقي جزء يسير على دين النصرانية. انظر: صورة الأرض ص١٢٦، معجم البلدان (٥/ ١٣٧-١٤٣)، مراصد الاطلاع (٣/ ١٢٧٧-١٢٧٩).

(٤) الثوري. هو: سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبدالله الكوفي. إمام أهل الدنيا في زمانه، جمع بين العلم والزهد والعمل، طلب العلم في الصبا، يقال: إن عدد شيوخه ست مائة شيخ، وبلغ عدد الذين رووا عنه قريب الألف. =

أهـل العـراق[١] ـ حكى شهرة القول في زمن[٢] التابعين بالإيمان بأن الله فوق العرش، وبصفاته السمعية[٣][٤].

قول مكحول والأزهري

وروى أبـو بكـر الخـلال في «كـتاب السـنة»[٥] عـن الأوزاعـي قـال: «سُـئل مكحـول[٦]

= أثـنى عليه الأئمـة الكـبار ثناءً عاطراً؛ أمثال: الإمام أحمد، وابن المبارك وشعبة، ويحيى بن معين، ويحيى القطان، وابن مهدي، حتى أطلقوا عليه: أمير المؤمنين في الحديث.

من مؤلفاته: كتاب الجامع. ولد سنة سبع وتسعين، وتوفي سنة إحدى وستين ومائة.

انظـر: الطـبقات الكـبرى (٦/ ٣٧١)، حلـية الأولـياء (٦/ ٣٥٦)، تاريخ بغداد (٩/ ١٥١)، وفيات الأعيان (٢/ ٣٦٨)، السير (٧/ ٢٢٩)، تهذيب التهذيب (٤/ ١١١).

(١) العراق: مما قيل في سبب تسميتها: لأن أرضها مستوية خالية من جبال عاليه، وأودية منخفضة، والعراق في كلامهم: الاستواء.

كانـت تابعـة لمملكة فارس، وغالب ديانة أهلها المجوسية حتى فتحها المسلمون، وكان بدايـة الفـتح الإسـلامي في عهـد الصـديق رضي الله عنه انتقلت الخلافة الإسلامية إليها من الشـام مع بداية العصر العباسي. انظر: صورة الأرض ص٢٠٨، معجم البلدان (٤/ ٩٣-٩٤)، مراصد الاطلاع (٢/ ٩٢٦-٩٢٧).

(٢) في (ع) «زمان».

(٣) قولـه في ص٣٠١ «وإنمـا قال الأوزاعي ... إلى قولـه: كان خلاف ذلك» في الأصل تقدم هنا بعد قوله «وبصفاته السمعية» خلافاً لبقية النسخ.

(٤) في قولـه: كـنا والـتابعون مـتوافرون نقـول...إلخ. والمـراد بالصفات السمعية: هي الصفات التي ثبتت عن طريق السمع فقط كالاستواء، والنزول.

(٥) أبو بكر الخلال: سبقت ترجمته ص٢٥٧.

(٦) مكحـول: هـو أبـو عـبدالله، مكحول الأزدي البصري. روى عن ابن عمر، وأنس، كـان مـن فصـحاء أهـل البصرة. قال سعيد بن عبدالعزيز: «لم يكن عندنا أحد أحسن سمتاً في العبادة من مكحول، وربيعة بن يزيد.» . اهـ. =

والزهري[١] عن تفسير الأحاديث، فقالا : أمِرُّوهَا كما جاءت»[٢].

قول الإمام مالك وسفيان الثوري والأوزاعي والليث بن سعد

ورُوي أيضاً عن الوليد بن مسلم[٣] قال : «سألتُ مالكَ بن أنس وسفيان الثوري، والليث بن سعد، والأوزاعي عن الأخبار التي جاءت في الصفات؟ فقالوا: أمِرُّوها كما جاءت. وفي رواية: فقالوا: أمرَّها كما جاءت بلا كيف»[٤].

= كان من طبقة الزهري. انظر: التاريخ الكبير للبخاري (٨/ ٢٢)، الجرح والتعديل (٨/ ٤٠٧)، السير (٥/ ١٦٠)، تهذيب التهذيب (١٠/ ٢٩٣).

(١) الزهري: هو: محمد بن مسلم بن عبيدالله بن شهاب، أبو بكر القرشي، الزهري المدني، عاصر كبار الصحابة، وروى عن بعضهم، وهو أحد الفقهاء السبعة. يروي قريباً من ألفي حديث . قال عنه شيخ الإسلام: «حفظ الزهري الإسلام نحواً من سبعين سنة » .اهـ. توفي سنة أربع وعشرين ومائة، وقد ولد سنة خمسين .
انظر: حلية الأولياء (٣/ ٣٦٠)، تذكرة الحفاظ (١/ ١٠٨)، السير (٥/ ٣٢٦)، تهذيب التهذيب (٩/ ٤٤٥)، شذرات الذهب (١/ ١٦٢).

(٢) أخرج هذا الأثر أبو بكر البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ١٩٨). وانظر: السير (٥/ ١٦٢، ٣٣٧، ٣٤٦)، والعلو للذهبي ص١٠٢، ومختصره ص١٣٨.

(٣) الوليد بن مسلم، عالم أهل الشام، أبو العباس الدمشقي . ارتحل، وصنف التصانيف، قال عنه الإمام أحمد: ما رأيت في الشاميين أحداً أعقل من الوليد بن مسلم. رمي بالتدليس، ولكن وثقه العلماء فيما صرح فيه بالتحديث، وقد أخرج له البخاري ومسلم انتقاءً . توفي سنة خمس وتسعين ومائة. انظر: الطبقات الكبرى (٧/ ٤٧٠)، العبر (١/ ٣١٩)، السير (٩/ ٢١١)، تهذيب التهذيب (١١/ ١٥١).

(٤) رواه الخلال في «السنة» ص١٥٩، وابن منده في التوحيد (٣/ ١١٥) رقم٥٢٠ (٣/ ٣٠٧) رقم ٨٩٥. والصابوني في «عقيدة السلف» ص٥٦. والدارقطني في «الصفات» ص٧٥، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣/ ٥٢٧) رقم (٩٣). والآجري في «الشريعة» ص٣١٥، وابن بطة في الإبانة (ق٢٠٠أ). والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ١٩٨)، وفي الاعتقاد ص٥٧. وابن عبدالبر في «التمهيد» (٧/ ١٥٨)، وفي =

فقولهم ـ رضي الله عنهم ـ : «أَمِرُّوها كما جاءت» ردٌّ على المعطلة، وقولهم: «بلا كيف» رد على الممثلة. والزهري ومكحول هما أعلم التابعين [في زمانهم][١]، والأربعة الباقون[٢] هم[٣] أئمة الدنيا في عصر تابعي التابعين.

وإنما قال الأوزاعي هذا بعد ظهور أمر جهم[٤] المنكر لكون الله فوق عرشه[٥]، والنافي لصفاته، ليعرف الناس أن مذهب السلف كان خلاف ذلك[٦].

ومن طبقتهم حماد بن زيد[٧]، [وحماد بن

= الاعتقاد (ص٥٧). وابن عبدالبر في «التمهيد» (٧/ ١٥٨)، وفي الانتقاء ص٣٦، وابن قدامة في ذم التأويل (ص٢٠). والذهبي في «العلو» ص١٠٥، وذكره في الأربعين (ص٨٢) وصححه. وذكره الأصبهاني في الحجة (١/ ٤٣٨)، وأبو يعلى في إبطال التأويلات (١/ ٤٧). وقال الألباني في «مختصر العلو» ص١٤٢: «إسناده صحيح، رجاله كلهم ثقات» اهـ.

(١) بياض في (الأصل)، وما أثبت من (ج،ع).

(٢) مالك بن أنس، وسفيان الثوري، والليث بن سعد، والأوزاعي.

(٣) « هم » سقطت من (ع).

(٤) جهم: هو: الجهم بن صفوان، سبق التعريف به، انظر: ص٢٣٣.

(٥) في (ع) «العرش».

(٦) ما بين النجمتين تقدمت في الأصل ص٢٩٩ .

(٧) حماد بن زيد: هو: حماد بن زيد بن درهم، أبو إسماعيل الأزدي، أحد الأئمة في زمانه، من أقران الإمام مالك. قال عبدالرحمن بن مهدي: «أئمة الناس في زمانهم أربعة: وعد منهم: حماد بن زيد. قال: لم أر أحداً أعلم بالسنة، ولا بالحديث الذي يدخل في السنة من حماد بن زيد.» اهـ. وقال الذهبي : « لا أعلم بين العلماء نزاعاً في أن حماد بن زيد من أئمة السلف...» اهـ. ولد سنة ثمان وتسعين، وتوفي سنه تسع وسبعين ومائة. انظر: حلية الأولياء (٦/ ٢٥٧)، تذكرة الحفاظ (١/ ٢٢٨)، السير (٧/ ٤٥٦)، البداية والنهاية (١٠/ ١٧٤)، شذرات الذهب (١/ ٢٩٢).

سلمة[١] وأمثالهما][٢].

روى أبو القاسم الأزجي[٣] بإسناده[٤] عن مطرف بن عبدالله[٥] قال: سمعت مالك بن أنس [إذا ذكر عنده][٦] من يدفع أحاديث الصفات يقول: قال عمر بن عبدالعزيز : «سن رسول الله ﷺ وولاة

---

(١) حماد بن سلمة : هو: حماد بن سلمة بن دينار، أبو سلمة البصري. الإمام الثبت، من أقران حماد بن زيد. قال عنه الذهبي: «كان بحراً من بحور العلم... وكان رأساً في السنة». اهـ. كان ممن عمر وقته بالعبادة والذكر، حتى قال عبدالرحمن بن مهدي: «لو قيل لحماد بن سلمة : إنك تموت غداً ما قدر أن يزيد في العمل شيئاً» اهـ. توفي سنة سبع وستين ومائة.
انظر: الطبقات الكبرى (٧/ ٢٨٢)، ميزان الاعتدال (١/ ٥٩٠)، السير (٧/ ٤٤٤)، تهذيب التهذيب (٣/ ١١).

(٢) بياض في (الأصل)، وما أثبت من (ج، ع).

(٣) أبو القاسم الأزجي: هو: عبدالعزيز بن علي بن أحمد، البغدادي الأزجي، والأزجي: بفتح الألف والزاي، نسبة إلى باب الأزج، وهي محلة كبيرة ببغداد.
كان صاحب حديث وسنة، ذكر الذهبي أن له مصنفاً في الصفات. توفي سنة أربع وأربعين وأربع مائة، وقد ولد سنة ست وخمسين وثلاثمائة. قال عنه الخطيب البغدادي: «كتبنا عنه، وكان صدوقاً كثير الكتاب».اهـ. انظر: تاريخ بغداد (١٠/ ٤٦٨)، الأنساب (١/ ١٩٧)، السير (١٨/ ١٨)، شذرات الذهب (٣/ ٢٧١).

(٤) في (ع) «بإسناد».

(٥) مطرف بن عبدالله: هو: مطرف بن عبدالله بن يسار اليساري، أبو مصعب. كان من أصحاب الإمام مالك، وأمه أخت الإمام مالك. ولد سنة سبع وثلاثين ومائة، وتوفي سنة عشرين ومائتين.انظر: الطبقات الكبرى (٥/ ٤٣٨)، الكامل لابن عدي (٦/ ٢٣٧٤)، تهذيب التهذيب (١٠/ ١٧٥-١٧٦).

(٦) بياض في (الأصل)، وما أثبت من (ج، ع).

الأمر بعده[1] سنناً، الأخذ بها تصديق لكتاب الله، واستكمال لطاعة الله، وقوة على دين الله، ليس لأحد من خلق الله تغييرها ولا النظر في شيء خالفها، من اهتدى بها فهو مهتدٍ، ومن استنصر بها فهو منصور، ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين، ولاّه الله ما تولّى وأصلاه جهنم وساءت مصيراً»[2] .

وروى الخلال بإسناد كلهم أئمة [ثقات][3] عن سفيان بن

---

(١) ولاة الأمر بعده: هم الخلفاء الراشدون الأربعة، وتقدم حديث العرباض بن سارية ص١٢٥ وفيه: فقال: «**وعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ..**» الحديث. انظر: الاعتصام للشاطبي (١/ ٨٧-٨٨).

(٢) روى هذا الأثر الآجري في «الشريعة » ص٤٨، ٣٠٧. وابن بطة في الإبانة (١/ ٣٥٢-٣٥٣)، من طريقين. واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١/ ٩٤). والخطيب البغدادي في كتاب « الفقيه والمتفقه » (١/ ١٧٣). وأبو يعلى في «إبطال التأويلات » (١/ ٥٢). وأبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٣٢٤). ورواه الخلال في «السنة» - مخطوط - لوحة ١٢٦أ عن الإمام مالك. وكذا الذهبي في « السير » (٨/ ٨٨). وعزاه السيوطي في « الدر المنثور » (٢/ ٦٨٦) إلى ابن أبي حاتم . وذكره القاضي عياض في ترتيب المدارك (١/ ١٧٢).

وقد ذكر الشاطبي أن هذا الأثر عن عمر بن عبدالعزيز يجمع أصولاً حسنة من السنة؛ وذكر منها: قطع مادة الابتداع جملة، والمدح لمتبع السنة، والذم لمن خالفها، ومنها: ما سنه ولاة الأمر من بعد النبي ﷺ فهو سنة لا بدعة فيه البتة، وإن لم يعلم فيه نص من كتاب وسنة على الخصوص، وأن المحدثات خلاف ذلك ليست منها في شيء، لأنهم - رضي الله عنهم - فيما سنوه إما متبعون لسنة نبيهم عليه السلام نفسها، وإما متبعون لما فهموا من سنته ﷺ في الجمله والتفصيل على وجه لا يخفى على غيرهم مثله. اهـ. الاعتصام (١/ ٨٧-٨٨) - بتصرف.

(٣) ما بين المعكوفتين من (ج).

عيينة[(١)] قال: «سُئل ربيعة بن أبي عبدالرحمن[(٢)] عن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه :٥] كيف استوى؟[(٣)] قال: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، ومن الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ المبين، وعلينا التصديق»[(٤)(٥)].

وهذا الكلام[(٦)] مروي[(٧)] عن مالك بن أنس تلميذ ربيعة[(٨)] من

---

(١) سفيان بن عيينه: سبق التعريف به ص٢٤٣.

(٢) ربيعة بن أبي عبدالرحمن فرُوخ، أبو عثمان، القرشي التيمي، المشهور بربيعة الرأي. مفتي المدينة، كان من أئمة الاجتهاد. قال عنه الإمام مالك: «ذهبت حلاوة الفقه منذ مات ربيعة». اهـ.

وقال عبدالعزيز بن الماجشون: «والله ما رأيت أحوط لسنة من ربيعة». اهـ.

توفي سنة ست وثلاثين ومائة.

انظر: تاريخ بغداد (٨/ ٤٢٠)، صفة الصفوة (٢/ ٨٣)، وفيات الأعيان (٢/ ٢٨٨)، السير (٦/ ٨٩)، تهذيب التهذيب (٢/ ٢٥٨).

(٣) «كيف استوى» لم ترد في (ع).

(٤) «وعلينا التصديق» لم ترد في (ع).

(٥) أخرج هذا الأثر اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٢/ ٣٩٨). والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ١٥١). والعجلي في «تاريخ الثقات» ص١٥٨، رقم ٤٣١. ورواه الذهبي في «العلو» ص٩٨ بإسناده إلى سفيان الثوري. وابن قدامة في «العلو» ص١٦٤.

وقد صحح شيخ الإسلام هذا الأثر كما هو في النص، قال في الفتاوى (٥/ ٣٦٥): «وهذا الجواب ثابت عن ربيعة شيخ مالك» اهـ وانظر: درء تعارض العقل والنقل (٦/ ٢٦٤)، وكذا حكم عليه الألباني بالصحة، انظر: مختصر العلو ص١٣٢.

(٦) «الكلام» سقطت من (ج).

(٧) في (ج) «يروى».

(٨) في (ج) زيادة «ابن أبي عبدالرحمن».

غير[١] وجه .

قول الإمام مالك في الاستواء

منها : ما رواه أبو الشيخ الأصبهاني[٢]، وأبو بكر البيهقي[٣] عن يحيى بن يحيى[٤] قال: كنا عند مالك بن أنس، فجاء رجل، فقال : يا أبا عبدالله ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ كيف استوى؟[٥]، فأطرق مالك[٦] برأسه حتى علاه الرُّحَضَاء[٧] ثم قال: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعاً، فأمر به أن يُخرج» اهـ[٨] .

---

(١) «غير» سقطت من (ع).

(٢) أبو الشيخ الأصبهاني: سبقت ترجمته، انظر: ص٢٥٥.

(٣) أبو بكر البيهقي: سبقت ترجمته، انظر: ص٢٥٥.

(٤) يحيى بن يحيى: سبقت ترجمته، انظر: ص٢٦٢ .

(٥) «كيف استوى» سقطت من (ع).

(٦) في (ع) زيادة «ابن انس».

(٧) الرحضاء: من رحض رحضاً، وأصل الرحض: هو: الغسل، وعلى الرجل الرحضاء، أي: العرق، كأنه غسل جسده، ومنه حديث أن النبي ﷺ «مسح عنه الرحضاء..» رواه البخاري (٣/ ٣٢٧) رقم ٤٦٥ كتاب الزكاة، باب الصدقة على اليتامى. انظر: لسان العرب (٧/ ١٥٣-١٥٤).

(٨) أخرج هذا الأثر اللالكائي في « شرح أصول اعتقاد أهل السنة » (٢/ ٣٩٨). والبيهقي في «الأسماء والصفات » (٢/ ١٥٠-١٥١) من طريقين مع اختلاف يسير بينهما في الألفاظ، وفي كتاب الاعتقاد (ص٥٦). والدارمي في «الرد على الجهمية» ص٣٣. وأبو إسماعيل الصابوني في «عقيدة السلف» ص١٧-١٩، من ثلاثة طرق. وابن عبدالبر في «التمهيد» (٧/ ١٥١). وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٣٢٥-٣٢٦). والذهبي في «السير» (٨/ ٨٩-٩٠، ٩٥). وذكره في «العلو» ص١٠٣-١٠٤، المختصر ص١٤١، وحكم عليه بالصحة، وقال: إن هذا ثابت عن الإمام مالك. وكذا ذكره =

معنى قول ربيعة ومالك: الاستواء غير مجهول

فقول[١] ربيعه ومالك : «الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول»[٢] موافقٌ لقول الباقين : «أمِروها كما جاءت بلا كيف»، فإنما نفوا علم الكيفية، ولم ينفوا حقيقة الصفة.

ولو كان القوم قد آمنوا باللفظ المجرد من غير فهم لمعناه على ما يليق بالله لما قالوا : «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول»، ولما قالوا: «أمروها كما جاءت[٣] بلا كيف»، فإن الاستواء حينئذٍ لا يكون معلوماً، بل مجهولاً بمنزلة حروف المعجم.

وأيضاً: فإنه لا يحتاج إلى نفي علم الكيفية، إذا لم يفهم من اللفظ معنى، وإنما يحتاج إلى نفي علم الكيفية إذا أثبتت الصفات[٤] .

وأيضاً : فإن من ينفي الصفات الخبرية[٥] أو الصفات مطلقاً لا يحتاج أن يقول: بلا كيف، فمن قال: إن الله سبحانه وتعالى ليس على العرش،

= ابن قدامة في «لمعة الاعتقاد» ص٤، وفي « العلو » ص١٧٢-١٧٣. والسيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٤٧٣). والبغوي في «شرح السنة» (١/ ١٧١). وجوَّد إسناده الإمام ابن حجر في «الفتح» (١٣/ ٤٠٧)، فقال: وأخرج البيهقي بسند جيد عن عبدالله بن وهب ... فذكره.

(١) في (ع) «فقال».

(٢) في (ج) زيادة «والإيمان به واجب».

(٣) «كما جاءت» سقطت من (ع).

(٤) من قوله : «وأيضاً فإنه لا يحتاج.. إلى قوله: إذا أثبتت الصفات » سقط من (ع).

(٥) الصفات الخبرية: هي التي ثبتت عن طريق السمع فقط، مثل: الاستواء، النزول، المجيء، والوجه، واليدين...إلخ. انظر : الفتاوي: (١٢/ ٣٢)، نقض التأسيس (١/ ٧٥-٧٦)، وانظر: قسم الدراسة .

لا يحتاج أن يقول: بلا كيف، فلو كان من[1] مذهب السلف نفي الصفات[2] في نفس الأمر لما قالوا : بلا كيف.

معنى قول الأئمة: أمروها كما جاءت

وأيضاً : فقولهم : أمروها كما جاءت. يقتضي إبقاء دلالتها على [ما هي عليه، فإنها جاءت ألفاظاً دالة على معاني، فلو كانت][3] دلالتها منتفية لكان الواجب [أن يقال: أمروا ألفاظها مع اعتقاد أن المفهوم منها غير مراد، أو[4] أمرو ألفاظها مع][5] اعتقاد أن الله لا يُوصف بما دلت عليه حقيقة، وحينئذ فلا [تكون قد أُمِرّت][6] كما جاءت، ولا يقال حينئذ[7] بلا كيف، إذ نفي الكيفية عما ليس بثابت لغوٌ من القول.

وروى [الأثرم[8] في السنة][9] وأبوعبدالله بن بطة[10] في الإبانة، [وأبو عمر الطلمنكي[11] وغيرهم][12] بإسناد صحيح عن عبدالعزيز

---

(١) « من » سقطت من (ج، ع).

(٢) قس (ع) زيادة «في نفي الصفات» ولعله خطأ.

(٣) ما بين المعكوفتين بياض في (الأصل)، وما أثبت من (ج، ع).

(٤) قوله: «أمروا ألفاظها مع اعتقاد أن المفهوم منها غير مراد أو» سقط من (ع).

(٥) ما بين المعكوفتين بياض في (الأصل)، ما أثبت من (ج) وبعضه من (ع).

(٦) ما بين المعكوفتين بياض في (الأصل)، وما أثبت من (ج، ع).

(٧) «حينئذ» سقطت من (ع).

(٨) الأثرم: سبقت ترجمته، انظر: ص٢٥٨.

(٩) ما بين المعكوفتين من (ج، ع).

(١٠) أبو عبدالله بن بطة: سبقت ترجمته، انظر ص٢٥٣.

(١١) أبو عمر الطلمنكي: سبقت ترجمه، انظر: ص٢٥٤ .

(١٢) ما بين المعكوفتين من (ج، ع).

قول عبدالعزيز بن الماجشون

ابن عبدالله بن أبي سلمة الماجشون[١] ـ وهو أحد أئمة المدينة الثلاثة الذين هم مالك بن أنس، وابن الماجشون، وأبن ابي ذئب ـ[٢] وقد سئل فيما جحدت به الجهمية[٣] :

« أما بعد : فقد فهمت ما سألت عنه فيما تتايعت[٤][٥] الجهمية ومن

---

(١) عبدالعزيز بن عبدالله بن أبي سلمة أبي سلمة الماجشون، أبو عبدالله التيمي.
من الأئمة، كان من أهل المدينة، ثم رحل إلى بغداد وبقي فيها إلى أن توفي. ورواية أهل العراق عنه أكثر من أهل المدينة. وهو أحد فقهاء أهل المدينة.
توفي ببغداد سنة أربع وستين ومائة، وصلى عليه الخليفة المهدي.
يقال: إنه نظر مرة في شيء من سلب الصفات لبعضهم، فقال: هذا الكلام هدم بلا بناء وصفة بلا معنى. اهـ. وقد نودي مرة بالمدينة بأمر المنصور: لا يفتي الناس إلا مالك، وعبدالعزيز بن الماجشون. انظر: الطبقات الكبرى (٧/ ٣٢٣)، تاريخ بغداد (١٠/ ٤٣٦)، السير (٧/ ٣٠٩)، شذرات الذهب (١/ ٢٥٩).

(٢) ابن أبي ذئب: هو: محمد بن عبدالرحمن بن المغيرة بن أبي ذئب، أبو الحارث القرشي، المدني الفقيه. كان ذا صلاح، ويقول كلمة الحق لا يخشى أحداً، ويدخل على السلاطين وينكر عليهم، قال عنه الإمام أحمد: «كان يشبَّه بسعيد بن المسيب» اهـ. توفي سنة تسع وخمسين ومائة. انظر: وفيات الأعيان (٤/ ١٨٣)، السير (٧/ ١٣٩)، تهذيب التهذيب (٩/ ٢٠٣).

(٣) رواه الذهبي في «العلو» ص ١٠٥-١٠٦، وفي « السير » (٧/ ٣١١-٣١٢)، وحكم عليه بالصحة. وذكره شيخ الإسلام في «درء تعارض العقل والنقل » (٢/ ٣٥-٣٧) وقال: رواه أبو بكر الأثرم قال: حدثنا عبدالله بن صالح بن عبدالعزيز بن عبدالله ابن أبي سلمه أنه قال: ... فذكره. وروى اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٢/ ٥٠٢-٥٠٣) جزءاً من هذا الأثر، قال: ذكره عبدالرحمن بن أبي حاتم قال: ثنا أبي، قال: قال أبو صالح : أملى علي عبدالعزيز بن أبي سلمة الماجشون – وسألته فيما أحدثت الجهمية، فقال ... وذكره.

(٤) في (الأصل، ج، ع) «تتابعت» وما أثبت من الإبانة.

(٥) التتايع: الوقوع في الشر من غير فكرة ولا روية. =

خالفها[١] في[٢] صفة الرب [العظيم الذي فاقت عظمته الوصف والتقدير وكلَّت الألسن عن][٣] تفسير صفته، وانحسرت العقول دون معرفة[٤] قدره[٥] ردت عظمته العقول فلم تجد مساغاً فرجعت خاسئة وهي حسيرة، وإنما أمروا بالنظر والتفكر فيما خلق بالتقدير، وإنما يقال «كيف»[٦]؟ لمن لم يكن[٧] ثم كان، فأما الذي لا يحول[٨] ولا يزول، ولم يزل، وليس له مثل، فإنه لا يعلم كيف هو إلا هو، وكيف يعرف قدر من لم يبد ومن لم يمت[٩]، ولا يبلى[١٠]، وكيف [يكون][١١] لصفة شيء منه حد أو[١٢] منتهى؟ يعرفه عارف أو يحد[١٣] قدره[١٤] واصف على أنه الحق المبين، لا حق أحق منه، ولا شيء[١٥]، أبين منه. الدليل

= وقيل التتايع: ركوب الأمر على خلاف الناس. لسان العرب (٨/ ٣٨).

(١) في (الأصل، ج) «خلفها»، وما أثبت من الإبانة، وكذا في (ع).

(٢) في (ع) «إلى» بدل: في.

(٣) ما بين المعكوفتين طمس في (الأصل)، وما أثبت من (ج، ع).

(٤) في (ع) «معرفته».

(٥) في (ع) «فقد» بدل: قدره.

(٦) في الإبانة زيادة «كان».

(٧) في (ع) « يفهم» بدل: يكن.

(٨) « لا يحول» ليست موجودة في الإبانة.

(٩) في الإبانة «لايموت».

(١٠) « ولا يبلى » ليست موجودة في الإبانة.

(١١) ما بين المعكوفتين من (ج، ع) وكذا في الإبانة.

(١٢) في (ع) إلى: بدل: أو

(١٣) في (ج) «يحده» وفي (ع) « يجده».

(١٤) «قدره» سقطت من (ج).

(١٥) «شيء» سقطت من (ع).

على عجز العقول في تحقيق صفته[١]، عجزها عن تحقيق صفة أصغر خلقه، لا تكاد تراه صغراً يحول ويزول، ولا يرى له سمع ولا بصر، لما يتقلب به ويحتال من عقله، أعضل بك[٢] وأخفى عليك مما ظهر من سمعه وبصره، فتبارك الله أحسن الخالقين، وخالقهم وسيد السادات[٣] وربهم ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشوري :١١].

اعرف ـ رحمك الله ـ غناك عن تكلف صفة ما لم يصف الرب من نفسه بعجزك عن معرفة قدر ما وصف منها، إذا لم تعرف قدر ما وصف[٤] فما تكلفك علم ما لم يصف، هل تستدل بذلك على شيء من طاعته، أو تنزجر به عن شيء من معصيته ؟

فأما الذي جحد ما وصف الرب من نفسه تعمقاً وتكلفاً، فقد ﴿ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾ [الأنعام:٧١] فصار يستدل بزعمه على جحد ما وصف الرب وسمى من نفسه بأن [قال][٥]: لا بد إن كان له[٦] كذا[٧] من أن يكون له كذا[٨] فعمي عن البيِّن بالخفي، وجحد[٩]

---

(١) في (ع) «صفة».

(٢) أعضل: من العضل: يقال: عضل بي الأمر، وأعضل بي، وأعضلني: اشتد وغلظ واستغلق، وأمر معضل : لا يهتدى لوجهه. لسان العرب (١١/ ٤٥٢).

(٣) في الإبانة «السادة» وكذا في (ع).

(٤) «منها إذا لم تعرف قدر ما وصف» سقط من (ع).

(٥) ما بين المعكوفتين من (ج، ع) وكذا في الإبانة.

(٦) «لعله» سقطت من (ع).

(٧) في (ع) «كذلك».

(٨) كما قالت الجهمية: أنه يلزم من إثبات الصفات له أن يكون جسماً أو عرضاً، فيكون محدثاً. كما سيذكر شيخ الإسلام هذا بعد أسطر.

(٩) في (ج، ع) «ويجحد».

ما سمى الرب من نفسه بصمت الرب[1] عما لم يسم منها، فلم يزل

(١) إطلاق الصمت في جانب الله من باب الإخبار، وفي هذا سعة.

* أما وصف الله بالسكوت فقد ورد به النص صريحاً، ومن ذلك:

حديث أبي ثعلبة الخشني قال: قال رسول الله ﷺ «**إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها ...**» وذكر الحديث إلى أن قال : «**وسكت عن أشياء رخصة لكم ليس بنسيان ، فلا تبحثوا عنها**» .

رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ١٢-١٣)، ورواه من طريق آخر موقوفاً على أبي ثعلبة. والخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» ص٩. والحافظ ابن حجر «في المطالب العالية» (٣/ ٧٢) رقم ٢٩٠٩، وقال: رجاله ثقات إلا أنه منقطع. اهـ. وذكره في «الفتح» (١٣/ ٢٦٦) وأشار أن له شاهداً من حديث سلمان وابن عباس. وحسَّن النووي إسناده في الأربعين ص٦٠، وفي «الأذكار» ص٣٥٣، وتعقبه ابن رجب في « جامع العلوم والحكم » ص٢٤٢ بأن الحديث له علتان، ونقل عن الحافظ أبي بكر السمعاني تحسينه، ثم أورد بعض الآثار في هذا المعنى مما سأذكره. وذكره الهيثمي في «المجمع» (١/ ١٧١) وقال: رجاله رجال الصحيح . اهـ.

* ومما ورد في هذا المعنى أيضاً :

حديث أبي الدرداء يرفعه: «**ما أحل الله في كتابه فهو حلال ... وما سكت عنه فهو عافية...**» . رواه الدارقطني في «سننه» (٢/ ١٣٧). والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٧٥) وقال: حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. اهـ. ووافقه الذهبي. والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ١٢). وذكره الهيثمي في «المجمع» (١/ ١٧١) (٧/ ٥٥) وقال: رواه البزار والطبراني في الكبير، وإسناده حسن ورجاله موثقون. اهـ. وذكره الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٢٦٦)، وسكت عنه.

* ومما ورد في هذا المعنى أيضاً : ما رواه الترمذي (٤/ ٢٢٠) رقم ١٧٢٦، كتاب اللباس، باب ما جاء في لبس الفراء عن سلمان، قال: سئل رسول الله ﷺ عن السمن والجبن والفراء: قال: فذكره إلى أن قال: «**وما سكت عنه فهو مما عفا عنه**»، ورواه موقوفاً على سلمان، وقال: وكأن الحديث الموقوف أصح. اهـ. ورواه ابن ماجه (٢/ ١١١٧) رقم ٣٣٦٧، كتاب الأطعمة، باب أكل الجبن والسمن. والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ١٢). =

يملي لـه الشيطان حتى جحد قول الرب ـ عز وجل ـ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣] فقال : لا يراه أحد يوم القيامة، فجحد والله أفضل كرامة الله التي أكرم بها أولياءه يوم القيامة من النظر إلى وجهه ، ونظرته إياهم ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر:٥٥][1]،

= * وأيضاً مما ورد في هذا المعنى: ما رواه أبو داود (٤/ ١٥٧) رقم ٣٨٠٠، كتاب الأطعمة، باب ما لم يذكر تحريمه، عن ابن عباس موقوفاً قال: كان أهل الجاهلية يأكلون أشياء ويتركون أشياء تقذراً، فبعث الله نبيه، وأنزل كتابه وأحل حلاله.. إلى أن قال: وما سكت عنه فهو عفو .. اهـ.

وقد ذكر شيخ الإسلام أن وصف الله بالسكوت ثابت بالسنة والإجماع.

انظر: الفتاوي (٦/ ١٧٨-١٧٩).

(١) لا شك أن أفضل ما يعطاه المؤمنون من النعيم: النظر إلى وجه الله الكريم، وبهذا جاءت النصوص، وعليه قامت الأدلة.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [يونس:٢٦].

ومعنى «الزيادة» في الآية على القول الصحيح: هي النظر إلى وجه الله الكريم، وبه قال أبو بكر، وحذيفة وعبدالله بن عباس، وسعيد بن المسيب، وعبدالرحمن بن أبي ليلى، ومجاهد، وعكرمة .. وغير هؤلاء كثير. انظر: تفسير الطبري (١١/ ١٠٤-١٠٧)، تفسير ابن كثير (٤/ ١٩٨-١٩٩). مختصر الصواعق (٢/ ١٧٩).

وروى مسلم في صحيحه (١/ ١٦٣) رقم ١٨١، كتاب الإيمان، عن صهيب، عن النبي ﷺ قال: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال : يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟** » - ثم ذكر الحديث إلى أن قال: « **فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل**»، ثم تلا هذه الآية: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ . وهذه النصوص صريحة في أن أفضل نعيم أهل الجنة النظر الى وجه الله الكريم. والله أعلم.

وقد[١] قضى أنهم لا يموتون، فهم بالنظر إليه ينظرون.

إلى أن قال: وإنما[٢] جحد رؤية الله يوم القيامة إقامة للحجة الضالة المضلة؛ لأنه قد عرف إذا تجلى لهم يوم القيامة رأوا منه ما كانوا به[٣] قبل ذلك مؤمنين، وكان له جاحداً.

وقال المسلمون: يا رسول الله، هل نرى ربنا؟[٤].

فقال رسول الله ﷺ: **«هل تضارون[٥] في رؤية الشمس ليس دونها سحاب؟»** قالوا[٦]: لا. قال: **«فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟»** قالوا: لا. قال: **«فإنكم ترون ربكم كذلك»**[٧].

وقال رسول الله ﷺ: **«لا تمتلىء النار حتى يضع الجبار فيها قدمه، فتقول: قط قط، وينزوي بعضها إلى بعض»**[٨].

وقال لثابت بن قيس رضي الله عنه: **«لقد ضحك الله مما فعلت بضيفك**

---

(١) في (ج، ع) «قد» دون واو.

(٢) في (ع) «ولنا» بدل: وإنما، ولعله خطأ.

(٣) «به» في (ج، ع) تأخرت بعد «مؤمنين».

(٤) في (ج) زيادة «يوم القيامة».

(٥) تضارون: بضم أوله، وتشديد الراء، بصيغة المفاعلة.
والمراد بالمضارة: الاجتماع والازدحام عند النظر إليه. النهاية لابن الأثير (٣/ ٨٢)، وانظر: لسان العرب (٤/ ٤٩٥)، فتح الباري (١١/ ٤٤٦).

(٦) في (ع) «فقالوا».

(٧) الحديث رواه البخاري (١١/ ٤٤٤) رقم ٦٥٧٣، كتاب الرقاق، باب الصراط جسر جهنم. عن أبي هريرة رضي الله عنه. ومسلم (١/ ١٦٣) رقم ١٨٢ كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية.

(٨) سبق تخريج الحديث، انظر: ص١٧٦.

البارحة»[1] .

وقال فيما بلغنا : «**إن الله ليضحك من أزلكم**[2][3] **وقنوطكم**[4] **وسرعة إجابتكم**» ، فقال له رجل من العرب: إن ربنا ليضحك؟ [قال : «**نعم**»[5] قال : لا نعدم من رب يضحك خيراً »[6] في أشباه لهذا

---

(١) الحديث رواه البخاري (٧/ ١١٩) رقم ٣٧٩٨، كتاب مناقب الأنصار، باب قول الله عز وجل ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر:٩]. عن أبي هريرة رضي الله عنه وفي آخره « **لقد عجب أو ضحك الله ..**» .الحديث. ورواه مسلم (٣/ ١٦٢٤) رقم ٢٠٥٤، كتاب الأشربة.

وفي رواية البخاري ومسلم أن الذي قال له النبي ﷺ: «**لقد ضحك الله ..**» ليس ثابت بن قيس، وقد أوضح ابن حجر أن هذا وقع في بعض الروايات وهو وهم، والصحيح أن المقول له هو: أبو طلحة، كما في رواية مسلم. انظر: فتح الباري (٧/ ١١٩-١٢٠)، (٨/ ٦٣٢).

(٢) «أزلكم» سقطت من (ع).

(٣) أزلكم: الأزل: الضيق والشدة. يقال: هم في أزل من العيش، وآزلت السنة، أي: اشتدت. وأصبح القوم آزلين، أي: في شدة.

لسان العرب (١١/ ١٣-١٤)، النهاية في غريب الحديث (١/ ٤٦).

ولعل المراد هنا: يضحك من شدة يأسكم وقنوطكم.

(٤) وقنوطكم: القنوط: اليأس. ومنه قوله وتعالى: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر:٥٦]. لسان العرب (٧/ ٣٨٦)، النهاية في غريب الحديث (٣/ ١١٣).

(٥) ما بين المعكوفتين من (ج، ع)، وكما في الحديث، وهكذا في الإبانة.

(٦) نص الحديث كما ورد: عن أبي رزين قال: قال رسول الله ﷺ: «**ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب غيره** » قال: قلت: يا رسول الله، أوَيضحك الرب؟ قال: «**نعم** » قلت: لن نعدم من رب يضحك خيراً. والغِيَر: تقلب الحال، انظر: لسان العرب (٥/ ٤٠)، النهاية في غريب الحديث (٣/ ٤٠١). =

مما[1] لم نحصه.

وقال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١] ، ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور:٤٨]، وقال تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه:٣٩]، وقال: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥] ، وقال تعالى : ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[2] [الزمر:٦٧]. فوالله ما دلَّهم على عِظَم ما وصف من[3] نفسه، وما تحيط به قبضته إلا صغر [نظيرها

= رواه ابن ماجه (١/ ٦٤) رقم ١٨١، المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية. وأحمد (٤/ ١١، ١٢). وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٢٤٤) رقم ٥٤٤. والطبراني في «المعجم الكبير» (١٩/ ٢٠٧-٢٠٨). والآجري في «الشريعة» ص ٢٧٩-٢٨٠. واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٢/ ٤٢٦).

قال البوصيري في « مصباح الزجاجة » (١/ ٨٥) عن سند الحديث: هذا إسناد فيه مقال: وكيع ذكره ابن حبان في الثقات، وذكره الذهبي في الميزان، وباقي رجال الإسناد احتج بهم مسلم. اهـ.

وقد حكم الألباني على هذا الحديث بالضعف، انظر: ظلال الجنة مع كتاب السنة لابن أبي عاصم (١/ ٢٢٤)، وضعيف سنن ابن ماجه ص١٣، التعليق على التنكيل (٢/ ٣٤٧) للمعلمي، تحقيق: الألباني، ط المكتب الاسلامي.

وكذا ضعفه محقق كتاب «شرحة أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي» (٢/ ٤٢٦) بعد دراسة سند الحديث. قلت: ومدار الحديث على «وكيع بن حدس» الراوي عن أبي رزين، وقد ضُعِّف. انظر: الجرح والتعديل (٩/ ٣٦)، الكاشف (٣/ ٢٣٧)، الميزان (٤/ ٣٣٥)، تهذيب التهذيب (١١/ ١٣١)، التقريب ص٥٨١.

(١) في (ع) «ما» بدل: مما

(٢) ما بين المعكوفتين بياض في (الأصل)، ما أثبت من (ج، ع) وكذا في الإبانة.

(٣) في (ج، ع) «به» بدل: من، وفي الإبانة «ما وصف نفس نفسه».

منهم عندهم، إن ذلك الذي][1] ألقى في روعهم، وخلق على معرفة [قلوبهم][2] فما وصف الله من[3] نفسه فسماه على لسان رسوله[4] ﷺ سميناه كما أسماه، ولم نتكلف منه صفة ما سواه ـ لا هذا ولا هذا ـ لا نجحد ما وصف، ولا نتكلف معرفة ما لم يصف .

اعلم[5] ـ رحمك الله ـ أن العصمة في الدين أن تنتهي في الدين حيث انتهى[6] بك ولا تجاوز[7] ما حد لك، فإن من قوام الدين معرفة المعروف وإنكار المنكر، فما بسطت عليه المعرفة وسكنت إليه الأفئدة وذكر أصله في الكتاب والسنة وتوارث علمه الأمة، فلا تخافنّ في ذكره وصفته من ربك ما وصفه[8] من نفسه عيباً[9] ، ولا تكلفنّ لما وصف لك من ذلك قدراً.

وما أنكرته نفسك، ولم تجد ذكره في كتاب ربك ولا في الحديث عن نبيك ـ من ذكر ربك ـ فلا تتكلفن علمه بعقلك، ولا تصفه بلسانك، واصمت عنه كما صمت الرب عنه من نفسه، فإن تكلفك [معرفة][10]

(١) ما بين المعكوفتين بياض في (الأصل)، وما أثبت من (ج، ع) وكذا في الإبانة.
(٢) ما بين المعكوفتين بياض في (الأصل)، وما أثبت من (ج، ع) وكذا في الإبانة.
(٣) في (ع) «به» بدل : من.
(٤) في الإبانة « نبيه ».
(٥) في (ج) «وعلم».
(٦) في (ج) «ينتهي».
(٧) في (ج، ع) «تتجاوز».
(٨) «به» سقطت من (ج، ع).
(٩) في (ج) «غيباً»، وفي الإبانة «عبثاً».
(١٠) ما بين المعكوفتين من (ج، ع)، وكذا الإبانة.

ما لم يصف من نفسه كإنكارك[١] ما وصف منها، فكما أعظمت ما جحد الجاحدون مما وصف من نفسه، فكذلك أعظم [تكلف][٢] ما وصف الواصفون مما لم يصف منها[٣].

فقد ـ والله ـ عزَّ المسلمون[٤] الذين يعرفون المعروف وبمعرفتهم يُعرف، وينكرون المنكر وبإنكارهم يُنكر، يسمعون[٥] ما وصف الله به[٦] نفسه من هذا في كتابه[٧]، وما يبلغهم مثله من نبيه، فما مرض من ذكر هذا وتسميته[٨] قلبُ مسلم[٩]، ولا تكلَّف صفة قدرة ولا تسمية غيره من الرب مؤمن .

وما ذكر[١٠] عن الرسول[١١] ﷺ أنه سماه من صفة ربه، فهو بمنزلة

---

(١) في الإبانة: «مثل» بدل الكاف، وفي (ع) «كإنكار».

(٢) ما بين المعكوفتين من (ج، ع) وكذا الإبانة.

(٣) وهذا معنى قول الإمام أحمد المتقدم ص٢٦٥: لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسول ﷺ لا يتجاوز القرآن والحديث. اهـ.
فلا يتجاوز القرآن والحديث في إحداث وتكلف صفة غير موجودة، ولا يعطل وينفى عنه صفة متَّصف بها ثابتة عنه.

(٤) عز المسلمون: عز الشيء يعز عزاً فهو عزيز بمعنى: قل حتى كاد لا يوجد.
لسان العرب (٥/ ٣٧٦).

(٥) في (ع) زيادة «ما لمعرفتهم يعرف».

(٦) «به» سقطت من (ع).

(٧) «ما وصف الله به نفسه من هذا في كتابه» غير موجود في الإبانة.

(٨) في الإبانة زيادة «من الرب».

(٩) «قلب مسلم» سقطت من (ع).

(١٠) في (ع) «وما ذكره».

(١١) في (ع) «رسول الله».

ما سمى وما[١] وصف الرب من نفسه[٢].

والراسخون في العلم ـ الواقفون حيث انتهى علمهم، الواصفون لربهم بما وصف من[٣] نفسه، التاركون لما ترك من ذكرها ـ لا ينكرون صفة ما سمى منها[٤][٥] جحداً، ولا يتكلّفون وصفه بما لم يُسمِّ تعمُّقاً، لأن الحقَّ تركُ ما ترك وتسميةُ ما سمَّى ومن يتبع ﴿ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء :١١٥]، وَهَبَ اللهُ لنا ولكم حُكْماً وألحَقَنا بالصالحين اهـ[٦].

وهذا كله كلام ابن الماجشون الإمام فتدبره، وانظر كيف أثبت الصفات ونفى علم الكيفية موافقة لغيره من الأئمة، وكيف أنكر على من نفى الصفات بأنه يلزم من إثباتها كذا وكذا كما تقوله الجهمية : أنه يلزم أن يكون جسماً أو [عرضاً فيكون][٧].

وفي كتاب[٨] «الفقه الأكبر»[٩][١٠] المشهور عند أصحاب أبي حنيفة،

---

(١) «ما» سقطت من (ع).

(٢) في الإبانة زيادة : «من أجل ما وصفنا كالجاحد النكر لما وصفنا منها».

(٣) «من» ليست موجودة في الإبانة، وفي (ع) « به » بدل: من.

(٤) في الإبانة «منه» بدل: منها.

(٥) في (ع) زيادة «الراسخون في العلم».

(٦) الإبانة لابن بطة – مخطوط – ص١٨١-١٨٣، باب الإيمان بأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة. مكتبة كوبرلي ، رقم ٢٣١.

(٧) بياض في (الأصل) وما أثبت من (ج، ع).

(٨) «كتاب» سقطت من (ع).

(٩) «الأكبر» سقطت من (ع).

(١٠) وقد طبع هذا الكتاب عدة طبعات، وله شروح عدة؛ منها : شرح كتاب الفقه الأكبر للملا علي القاري الحنفي، وشرح الفقه الأكبر لأبي منصور الماتريدي، =

الـذي رووه بالإسـناد عـن أبي مطيع الحكم بن عبدالله البلخي[١] قال: «سـألت أبا حنيفة[٢] عن الفقه الأكبر؟ فقال: لا[٣] تكفرن أحداً[٤] بذنب، ولا تـنفِ أحـداً بـه[٥] مـن الإيمـان، وتأمـر بالمعروف وتنهى عن المنكر،

= وشرح الفقه الأكبر لأبي المنتهى أحمد المغنيساوي. وغير هذه.

وقـد وصـل إليـنا عن أبي حنيفة بروايتين: إحداهما: برواية ابنه حماد بن أبي حنيفة، والثانـية: وصـلت إلينا برواية عن أبي مطيع البلخي، وفي صحة نسبته إلى أبي حنيفة نظـر، أمـا مـن ناحـية السـند، فـإن كلاً من الروايتين لا تخلو من مقال، وحماد بن أبي حنيفة وأبو مطيع كلاهما متكلم فيه من ناحية الرواية.

فمـن العـلماء مـن ينسـب الكـتاب لأبي حنيفة مطلقاً مثل: شيخ الإسلام، وابن أبي العز الحنفي، والبغدادي، وحاجي خلفية.

بيـنما نجـد الإمام الذهبي واللكنوي ينسبان «الفقه الأكبر» الذي برواية أبي مطيع إلى أبي مطـيع نفسـه، ولعل هذا أصله من أمالي أبي حنيفة، وجمعهـا ودونها أبو مطـيع، ويذكـر «بروكلمان» أن الفقه الأكبر ما دون إلا بعد وفاة أبي حنيفة.

انظـر: أصـول الديـن للـبغدادي ص٣٠٨، درء تعـارض العقـل والـنقل (٦/ ٢٦٣) العلـو للذهـبي ص١٠١، شـرح الطحاوي (١/ ٥)، الفوائد البهية للكنوي ص٦٨، كشف الظنون (٢/ ١٢٨٧)، تـاريخ الأب العـربي (٣/ ١٣٧-٢٤٠)، تاريخ التراث العربي لسزكين (٣/ ٣٧)، وانظـر: مـا كتبه د. محمد الخميس في رسالته للدكتـوراه «أصول الدين عند أبي حنيفة» (١/ ١١٧-١٢٣).

(١) أبـو مطـيع، الحكم بن عبدالله بن مسلمة بن عبدالرحمن البلخي، الفقيه، تولى القضاء ببلخ، راوي كـتاب «الفقـه الأكبر» عن الإمام أبي حنيفة. كان بصيراً بالرأي، وكان ابن المبارك يثني علـيه كـثيراً. تـوفي سنه سبع وتسعين ومائة، عن أربع وثمانين سنة. انظر: تاريخ بغداد (٨/ ٢٢٣)، والجواهر المضية في تراجم الحنفية (٤/ ٨٧)، ميزان الاعتدال (١/ ٥٧٤)، (١/ ٢٥٧).

(٢) في الفقه الأكبر «النعمان بن ثابت رضي الله عنه وعنهم».

(٣) في الفقه الأكبر «أن لا».

(٤) في الفقه الأكبر زيادة «من أهل القبلة».

(٥) في (ع) دون «به» وكذا في الفقه الأكبر.

وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك. ولا [تتبرأ من][١] أحد من أصحاب رسول الله ﷺ ولا تولي أحداً دون أحد، وأن ترد أمر عثمان[٢] [وعلي إلى الله عز وجل][٣].

قال «أبو حنيفة»: الفقه الأكبر[٤] في الدين خير[٥] من الفقه في العلم[٦]، ولأن يفقه[٧] الرجل كيف يعبد ربه خير من أي يجمع العلم الكثير. اهـ.

قال «أبو مطيع» : قلت : أخبرني عن أفضل الفقه؟ قال: تعلم[٨] الرجل الإيمان[٩] والشرائع والسنن، والحدود، واختلاف الأئمة[١٠]، وذكر مسائل الإيمان، ثم ذكر مسائل القدر، والرد على القدرية بكلام حسن ليس هذا موضعه.

ثم قال : قلت : فما تقول فيمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فيتبعه على ذلك أناس، فيخرج على الجماعة: هل ترى ذلك؟[١١].

---

(١) بياض في (الأصل)، وما أثبت من (ج، ع) وكذا في الفقه الأكبر.

(٢) في (ع) زيادة «إلى الله».

(٣) بياض في (الأصل) ما أثبت من (ج، ع) وكذا في الفقه الأكبر.

(٤) في الفقه الأكبر بدون « الأكبر ».

(٥) في الفقه الأكبر «أفضل» بدل: خير.

(٦) في الفقه الأكبر «في الأحكام» بدل: في العلم.

(٧) في الفقه الأكبر «يتفقه» بدل: يفقه.

(٨) في الفقه الأكبر «أن يتعلم» بدل: تعلم.

(٩) في الفقه زيادة « بالله تعالى ».

(١٠) في الفقه زيادة «واتفاقها».

(١١) ومن هؤلاء المعتزلة من باب أولى، لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصل من أصولهم، ويرون إقامة ذلك بالسيف والخروج على جماعة المسلمين ما استطاعوا إلى ذلك =

قـال : لا. قلت : ولم؟ وقد أمر الله ورسوله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهـو[١] فريضـة واجـبه؟. قـال[٢] : كذلك ولكن ما يفسدون [٣] أكثر مما يصلحون من سفك الدماء واستحلال الحرام.

قـال: وذكـر الكـلام في قـتال الخـوارج والـبغاة، إلى أن قـال : قـال «أبوحنـيفة» عمـن قـال: لا أعـرف ربي في السماء أم[٤] في الأرض: فقد كفــر؛ لأن الله تعــالى يقــول : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ [طـه :٥] وعرشه فوق سبع سماوات.

قلـت : فإن قال: إنه على العرش استوى، ولكنه[٥] يقول[٦] لا أدري العـرش في السـماء أم في الأرض؟ قال: هو كافر، لأنه أنكر أن يكون في السـماء، لأنـه تعـالى في أعـلى عليين، وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل ـ وفي لفـظ ـ سـألت أبـا حنيفة عمن يقول : لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض .قـال : قـد كفـر ؛ لأن الله تعالى يقول : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ [طه :٥] وعرشـه فـوق سبع سماوات، قال : فإنه يقول ﴿عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ ولكـن لا يـدري العـــرش في الأرض أو في السمـاء .

= سـبيلاً. انظـر: مقـالات الإسـلاميين ص٢٨٧، المعتزلة وأصولهم الخمسة، لعواد بن عبدالله المعتق ص٢٧٣-٢٧٤، ط الأولى ١٤٠٩هـ، دار العاصمة.

(١) في الفقه «وهذا» بدل: وهو.

(٢) في الفقه زيادة «وهو».

(٣) في الفقه «أو» «من ذلك».

(٤) في الفقه «أو» بدل: أم.

(٥) في (ع) «ولكن».

(٦) «يقول» سقطت من (ع).

قال: إذا أنكر أنه[(١)] في السماء فقد كفر[(٢)].

تكفير أبي حنيفة لمن توقف ولم يجزم هل الله في السماء أم في الأرض

ففي هذا الكلام المشهور عن أبي حنيفة عند أصحابه أنه كَفَّر الواقف الذي يقول: لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض؛ فكيف يكون الجاحد النافي[(٣)] الذي يقول: ليس في السماء [أو ليس في الأرض ولا في السماء؟][(٤)] واحتج على كفره بقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] قال: وعرشه فوق سبع سماوات.

وبَيَّنَ بهذا أن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ يبين أن الله فوق السماوات، فوق العرش، وأن الاستواء على العرش دل على أن الله نفسه فوق العرش، ثم أردف ذلك بتكفير من قال إنه على العرش استوى، ولكن توقف في كون العرش في السماء أم في الأرض؟ قال: لأنه أنكر أنه في السماء؛ لأن الله في أعلى عليين، وأنه يُدعَى من أعلى لا من أسفل، وهذا تصريح من أبي حنيفة بتكفير من أنكر أن يكون الله في السماء، واحتج على ذلك بأن الله تعالى في أعلى عليين، وأنه يدعى

---

(١) «أنه» سقطت من (ع).

(٢) الفقه الأكبر، رواية أبي مطيع البلخي ص٤٠، ٤٤، ٤٩، ٥٠. تحقيق محمد زاهد الكوثري ضمن مجموع – العالم والمتعلم – رواية أبي مقاتل عن أبي حنيفة، ورسالة أبي حنيفة إلى عثمان البتي – ط ١٣٦٨هـ، مطبعة الأنوار بالقاهرة، الناشر: مكتبة الخانجي. وانظر: شرح الفقه الأكبر لأبي منصور الماتريدي ص٢، ٦، ١٤، ١٧، ضمن الرسائل السبعة في العقائد، ط. مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن – الهند.
وروى هذا الأثر الذهبي في «العلو» ص١٠١-١٠٢. وانظر: مختصر العلو ص١٣٦.

(٣) في (ج، ع) تقدمت «النافي» على «الجاحد».

(٤) في (الأصل) جاءت العبارة هكذا: «ليس في السماء ولا في الأرض»، وما أثبت من (ج)، وفي (ع) سقط «ولا في السماء».

من أعلى لا من أسفل، وكل من هاتين الحجتين فطرية عقلية، فإن القلوب مفطورة على [الإقرار][1] بأن[2] الله في العلو، وعلى أنه يدعى من أعلى لا من أسفل، وقد جاء اللفظ الآخر صريحاً عنه بذلك، فقال: إذا أنكر أنه في السماء فقد كفر[3].

وروى هذا اللفظ عنه[4] بالإسناد[5][6] شيخُ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري[7] الهروي[8] بإسناده[9]

---

(١) ما بين المعكوفتين من (ج، ع).

(٢) في (الأصل) «إن» وما أثبت من (ج، ع).

(٣) رواه الذهبي في العلو ص١٠١-١٠٢، وانظر: المختصر ص١٣٧.
ورواه ابن قدامة في «العلو» أيضاً ص١٧٠.

(٤) «عنه» في (ج، ع) تأخرت بعد قوله: بالإسناد.

(٥) في (ع) «بإسناد».

(٦) في (ع) زيادة «صحيح».

(٧) في (الأصل) تقدمت «الأنصاري» على «أبو إسماعيل» وما أثبت من (ج، ع)

(٨) أبو إسماعيل الأنصاري الهروي، هو: عبدالله بن محمد بن علي بن محمد الأنصاري الهروي. ولد سنة ست وتسعين وثلاثمائة. كان من سلاطين العلماء، لا يخاف في الله لومة لائم، قال عنه الذهبي: «كان أثرياً قُحّاً. وكان سيفاً مسلولاً على المتكلمين» اهـ.
كان على مذهب الإمام أحمد في الأسماء والصفات. أما في السلوك فقد اقتفى أثر المتصوفة، وألف كتابه «منازل السائرين» على طريقتهم، قال عنه الذهبي: «ولكنه له نَفَس عجيب لا يشبه نَفَس أئمة السلف في كتابه «منازل السائرين» ففيه أشياء مطربة، وفيه أشياء مشكلة...». توفي سنة إحدى وثمانين وأربعمائة.
من مصنفاته: «ذم الكلام» «الأربعين» «منازل السائرين» وكتاب «الفاروق» الذي ذكره الشيخ، وهذا الكتاب ـ على حد بحثي ـ لا يزال مفقوداً، ويكثر شيخ الإسلام من النقل منه. انظر: طبقات الحنابلة (٢/ ٢٤٧)، السير (١٨/ ٥٠٣)، العبر (٢/ ٣٤٣)، شذرات الذهب (٣/ ٣٦٥).

(٩) «بإسناده» سقطت من (ع).

في كتاب «الفاروق»[(١)].

قول هشام ابن عبيدالله الرازي

وروى هو أيضاً وابنُ أبي حاتم[(٢)] أن هشام بن عبيدالله[(٣)] الرازي[(٤)] ـ صاحب محمد بن الحسن[(٥)]، قاضي الري[(٦)] ـ حبس رجلاً

---

(١) وذكر ابن القيم في « اجتماع الجيوش » ص١٣٩، وابن أبي العز الحنفي في «شرح الطحاوية » (٢/ ٣٨٦) أن هذا الأثر رواه أبو إسماعيل الهروي بسنده في كتاب «الفاروق» عن أبي مطيع البلخي.

(٢) ابن أبي حاتم، هو عبدالرحمن بن محمد بن إدريس، ابن أبي حاتم، أبو محمد، الرازي. ولد سنه أربعين ومائتين. قال عنه الذهبي: « كان بحراً لا تكدره الدلاء » . اهـ. عُرف بالزهد، وكثرة العبادة، من العلماء العاملين. توفي سنة سبع وعشرين وثلاثمائة. له مصنفات عدة؛ منها : الجرح والتعديل ، الرد على الجهمية ، المسند، الزهد، الكنى . انظر: السير (١٣/ ٢٦٣)، ميزان الاعتدال (٢/ ٥٨٧)، شذرات الذهب (٢/ ٣٠٨).

(٣) في (ع) «عبدالله».

(٤) هشام بن عبيدالله الرازي البستي. الفقيه. قال الذهبي عنه: «كان من بحور العلم» اهـ. أحد أئمة السنة. وقال عنه أبو حاتم: «ما رأيت أحداً أعظم قدراً ولا أجلّ من هشام بن عبيدالله بالري».اهـ. توفي سنة إحدى وعشرين ومائتين.
انظر: الجرح والتعديل (٩/ ٦٧)، السير (١٠/ ٤٤٦)، تهذيب التهذيب (١١/ ٤٧).

(٥) محمد بن الحسن بن فرقد، أبو عبدالله الشيباني، الكوفي، فقيه العراق، صاحب أبي حنيفة. ولي القضاء للرشيد بعد أبي يوسف، كان ذكياً يضرب به المثل.
قيل للإمام أحمد:من أين لك هذه المسائل الدقاق؟ .قال: من كتب محمد بن الحسن. اهـ. توفي سنة تسع وثمانين ومائة بالري.
انظر: تاريخ بغداد (٢/ ١٧٢)، وفيات الأعيان (٤/ ١٨٤)، السير (٩/ ١٣٤).

(٦) الـرَيّ: بفتح أوله، وتشديد ثانيه، من المدن المشهورة قديماً، فتحها المسلمون في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة عشرين، وإليها ينسب أبو زرعة الرازي، وأيضاً فخر الدين الرازي وغيرهم. وهي الآن تقع شمال إيران وجنوب بحر قزوين. انظر: معجم البلدان (٣/ ١١٦-١٢٢)، مراصد الاطلاع (٢/ ٦٥١).

في التجهم[1]، فتاب فجيء به إلى هشام ليطلقه، فقال : الحمد لله على التوبة. فامتحنه هشام، فقال : أتشهد أن الله على عرشه بائن من خلقه؟ فقال: أشهد أن الله على عرشه، ولا أدري ما بائن من خلقه . فقال: «ردوه إلى الحبس ، فإنه لم يتب»[2] .

قول يحيى ابن معاذ الرازي

وروى أيضاً[3][4] عن يحيى بن معاذ الرازي[5] أنه قال : «إن الله على العرش بائن من الخلق، وقد [أحاط][6] بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً، لا يشك في هذه المقالة إلا جهمي رديء ضِلِّيل، وهالك مرتاب، [يمزج][7] الله بخلقه، ويخلط منه الذات بالأقذار والأنتان[8]»[9].

---

(١) أي انتحل مذهب الجهمية.

(٢) وذكر هذا الأثر ابن القيم في «اجتماع الجيوش» ص١٤٠-١٤١.
وذكره شيخ الإسلام في «درء تعارض العقل والنقل» (٦/ ٢٦٥).
وأورده في نقض التأسيس (١/ ٤٤٠) من رواية أبي حاتم، قال: حدثنا علي بن الحسن السلمي، سمعت أبي يقول: حبس هشام بن عبيدالله ... فذكره.

(٣) أيضاً سقطت من (ع).

(٤) أي: أبو إسماعيل الأنصاري الهروي.

(٥) يحيى بن معاذ الرازي، أبو زكريا، من الزهاد، وله كلام كثير في الوعظ والزهد. ذكره أبو نعيم في الحلية، والبغدادي في «تاريخ بغداد». توفي سنه ثمان وخمسين ومائتين. انظر: حلية الأولياء (١٠/ ٥١-٧٠)، تاريخ بغداد (١٤/ ٢٠٨-٢١٢)، وفيات الأعيان (٦/ ١٦٥)، السير (١٣/ ١٥).

(٦) بياض في (الأصل)، وما أثبت من (ج، ع).

(٧) بياض في (الأصل)، وما أثبت من (ج، ع).

(٨) الأنتان: جمع نتن، وهي: الرائحة الكريهة. والمعنى : يخلط الذات بالإماكن المذمومة المكروهة المستقذرة. انظر: النهاية في غريب الحديث (٥/ ١٤)، لسان العرب (١٣/ ٤٢٦).

(٩) ذكر الذهبي في العلو ص١٣٩، ١٤٠، جزءاً من هذا الأثر من رواية أبي إسماعيل الهروي. انظر: مختصر العلو ص٢٠٧-٢٠٨.

قول ابن المديني

وروى أيضاً عن ابن المديني[١] [لما سُئل : ما قول][٢] أهل[٣] الجماعة؟[٤] قال : «يؤمنون بالرؤية والكلام[٥]، وأن الله فوق السماوات على العرش استوى؛ [فسئل عن قوله تعالى][٦] ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة:٧] ، فقال[٧] : اقرأ ما قبلها : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ

(١) ابن المديني: هو علي بن عبدالله بن جعفر، مولاهم البصري، المعروف بابن المديني، أبو الحسن. نعته الذهبي: بأنه الإمام الشيخ الحجة، أمير المؤمنين في الحديث. قال البخاري: «ما استصغرت نفسي عند أحد إلا عند علي بن المديني» اهـ. توفي سنة أربع وثلاثين ومائتين. مصنفاته كثيرة جداً غالبها في الحديث وعلومه، ومنها: الأسماء والكنى، الضعفاء، الطبقات، المدلسون، الثقات، التاريخ. وجل مصنفاته انقرضت، ولم يبق إلا أربعة كتب أو خمسة، كما ذكر الخطيب البغدادي.
انظر: تاريخ بغداد (١١/ ٤٥٨)، السير (١١/ ٤١)، شذرات الذهب (٢/ ٨١).

(٢) ما بين المعكوفتين بياض في (الأصل)، وما أثبت من (ج، ع).

(٣) «أهل» سقطت من (ع).

(٤) أهل الجماعة: المراد بهم: أهل السنة والجماعة من سلف هذه الأمة.

(٥) أي: ويؤمنون برؤية الله وبكلامه، خلافاً لمن أنكر ذلك من الجهمية والمعتزلة.
والناس في رؤية الله على ثلاثة أقوال:
القول الأول : من يثبت أن الله يُرى في الآخرة بالأبصار عياناً، ولن يراه في الدنيا. وهذا قول سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين، وهو الذي تعضده الأدلة والبراهين.
القول الثاني: من يقول: إنه لا يُرى لا في الدنيا ولا في الآخرة.
وهذا قول النفاة من الجهمية ومن حذا حذوهم.
القول الثالث: من يقول: إنه يرى في الدنيا والآخرة. وهذا قول الحلولية ومن تبعهم من غلاة المتصوفة.
انظر: الفتاوى (٢/ ٣٣٦-٣٣٧)، بغية المرتاد ص٤٧٠-٤٧٢.

(٦) ما بين المعكوفتين بياض في (الأصل)، وما أثبت من (ج، ع).

(٧) في (الأصل) « قال » وما أثبت من (ج، ع).

ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ﴾(١)(٢).

قول الإمام الترمذي

وروى أيضاً عن أبي(٣) عيسى الترمذي(٤) قال: «هو على العرش كما وصف في كتابه، وعلمه وقدرته وسلطانه في كل مكان»(٥).

قول أبي زرعة

وروى عن أبي زرعة الرازي(٦) أنه سئل عن تفسير قوله تعالى:

---

(١) أي أن هذه المعية: معية العلم والإحاطة والاطلاع، والدليل على ذلك أنه افتتح هذا الآية بالعلم «ألم تر أن الله يعلم ..» وختمها بالعلم (إن الله بكل شيء عليم». وذكر ابن كثير أن غير واحد حكى الإجماع على أن المراد بهذه الآية: معية علم الله تعالى.
انظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٦٧)، وانظر أيضاً: قسم الدراسة ص١٥٧-١٥٨.
وسيوضح الشيخ في نهاية الرسالة أن المعية بالمعنى اللغوى العام لا تقتضي المصاحبة والاختلاط، انظر: ص٥٢١.

(٢) ذكر الذهبي هذا الأثر في كتابه « العلو » ص١٢٩، من طريق أبي إسماعيل الهروي.
قال: أنبأنا محمد بن محمد بن عبدالله، حدثنا أحمد بن عبدالله، سمعت محمد بن إبراهيم بن نافع، حدثنا الحسن بن محمد بن الحارث، قال: سئل علي بن المديني وأنا أسمع: ما قول أهل الجماعة؟.. وذكره. وانظر: «مختصر العلو» ص١٨٨-١٨٩.

(٣) ما بين المعكوفتين بياض في (الأصل)، وما أثبت من (ج، ع).

(٤) أبو عيسى الترمذي: سبق التعريف به، انظر ص٢٠٨.

(٥) انظر سنن الترمذي (٥/ ٤٠٤) وكتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الحديد.
وذكره ابن القيم في «اجتماع الجيوش» ص٢٤٢-٢٤٣. وذكر جزءاً منه الذهبي في العلو ص١٤٦، ١٤٧، انظر المختصر ص٢١٧-٢١٨.
قال المباركفوري في كتابه «تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي» (٤/ ١٩٤) في تعليقه على هذا الأثر: «وعلم الله وقدرته وسلطانه في كل مكان ـ أي: يستوي فيه العلويات والسفليات وما بينها «وهو على العرش كما وصف في كتابه» ـ قال الطيبي: الكاف في «كما» منصوب على المصدر، أي: هو مستوٍ على العرش استواءً مثل ما وصف نفسه به في كتابه ..» اهـ.

(٦) أبو زرعه الرازي: هو: عبيدالله بن عبدالكريم بن يزيد الرازي.
قال عنه الإمام أحمد: «ما جاوز الجسر ـ يعني جسر بغداد ـ أحد أفقه من إسحاق بن =

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥] فقال: «تفسيره كما تقرأ، هو على العرش[1]، وعلمه في كل مكان، من قال غير هذا فعليه لعنة الله»[2].

قول محمد ابن الحسن صاحب أبي حنيفة

وروى أبو القاسم اللالكائي[3][4] ـ صاحب أبي حامد الإسفراييني[5] ـ في «أصول السنة» بإسناده[6] عن محمد بن الحسن[7] ـ صاحب أبي حنيفة ـ قال: «اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرب

= راهويه، ولا أحفظ من أبي زرعة» اهـ.

كان إماماً في الحفظ والإتقان، وغاب عن وطنه أربع عشرة سنة في طلب العلم، وجلس للتحديث وهو ابن اثنتين وثلاثين سنة. توفي سنة أربع وستين ومائتين.

انظر: الجرح والتعديل (١/ ٣٢٨)، تاريخ بغداد (١٠/ ٣٢٦)، السير (١٣/ ٦٥).

(١) في (ج) زيادة «استوى».

(٢) ذكر الذهبي في «العلو» ص١٣٧، من طريق أبي إسماعيل الهروي، قال: أنبأنا أبويعقوب القراب، أنبأنا جدي، سمعت أبا الفضل إسحاق، حدثني محمد بن إبراهيم الأصبهاني، سمعت أبا زرعة الرازي ـ وسئل .. فذكره.

وانظر: مختصر العلو ص٢٠٣، وذكره ابن القيم في «اجتماع الجيوش» ص٢٣٤.

(٣) «اللالكائي» ليست موجودة في (الأصل)، وما أثبت من (ج، ع).

(٤) أبو القاسم اللالكائي: سبقت ترجمته، انظر ص٢٥٢.

(٥) أبو حامد الإسفراييني هو: أحمد بن طاهر محمد بن أحمد الإسفراييني. شيخ الشافعية ببغداد، قيل: إنه كان يحضر في مجلسه أكثر من ثلاثمائة فقيه، ولد سنة أربع وأربعين وثلاثمائة، وتوفي سنة ست وأربعمائة. والإسفراييني نسبة إلى «إسفراين» بكسر الهمزة، وسكون السين المهملة وفتح الفاء والراء وكسر الياء، بلدة بخراسان، بنواحي نيسابور.

انظر: تاريخ بغداد (٤/ ٢٣٧)، وفيات الأعيان (١/ ٧٢)، السير (٢٧/ ١٩٣).

(٦) في (ع) «بإسناد».

(٧) محمد بن الحسن: سبقت ترجمته، انظر: ص٣٤٢ .

عز وجل : من غير تفسير[(١)] ولا وصف ولا تشبيه، فمن فسر اليوم شيئاً من ذلك، فقد خرج عما كان عليه النبي ﷺ وفارق الجماعة، فإنهم لم يصفوا ولم يفسروا، ولكن أفتوا بما في الكتاب والسنة ثم سكتوا، فمن قال بقول جهم فقد فارق الجماعة، فإنه قد وصفه بصفة لا شيء»اهـ[(٢)].

محمد بن الحسن أخذ عن أبي حنيفة ومالك وطبقتهما من العلماء، وقد حكى على[(٣)] هذا الإجماع، وأخبر أن[(٤)] الجهمية تصفه بالأمور السلبية غالباً[(٥)]، أو دائماً[(٦)].

و[قوله : «من غير تفسير» أراد به تفسير الجهمية المعطلة الذين ابتدعوا تفسير الصفات بخلاف ما كان عليه الصحابة والتابعون من الإثبات][(٧)] .

وروى البيهقي[(٨)] وغيره بأسانيد صحيحة عن أبي عبيد القاسم بن

---

(١) كذا في العلو للذهبي «من غير تفسير» وما نقله شيخ الإسلام في غير هذا الموضع، أما في المطبوع من «شرح أصول أهل السنة»: من غير تغيير، ولعل الصواب «تفسير»؛ يدل على ذلك الكلام الذي بعدها: «فمن فسر، ولم يفسروا ...».

(٢) رواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٢/ ٤٣٢). وذكره الذهبي في «العلو» ص١١٣، من طريق اللالكائي، وانظر مختصر العلو ص١٥٩. وذكره شيخ الإسلام في الفتاوى (٤/ ٤-٥)، قال: وثبت عن محمد بن الحسن ـ صاحب أبي حنيفة ـ أنه قال .. فذكره.

(٣) على سقطت من (ع).

(٤) في (ج) «بأن» بدل: أن.

(٥) انظر: ص٢٣٩-٢٤٠ .

(٦) «أو دائماً» سقطت من (ج).

(٧) ما بين المعكوفتين من (ج، ع).

(٨) البيهقي: سبق التعريف به، انظر ص٢٥٥ .

قول أبي عبيد القاسم بن سلام

سلام[1] قال: «هذه الأحاديث التي يقول فيها: **«ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب غِيَره[2]»**[3]، **«وأن جهنم لا تمتلئ حتى يضع ربك قدمه فيها[4]»**[5]، **«والكرسي موضع القدمين»**[6]، وهذه الأحاديث في

---

(١) أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبدالله، من أهل خراسان. كان مؤدِّباً صاحب نحو وعربية، روى عنه الحاكم أنه قال: «المتبع السنة كالقابض على الجمر، هو اليوم عندي أفضل من ضرب السيف في سبيل الله» اهـ.
قال أبو بكر الأنباري: «كان أبو عبيد ـ رحمه الله ـ يقسم الليل أثلاثاً فيصلي ثلثه، وينام ثلثه، ويصنف الكتب ثلثه». ولد سنه سبع وخمسين ومائة، وتوفي سنة أربع وعشرين ومائتين. من مصنفاته: «غريب الحديث»، وهو أشهرها، وله كتاب «الأموال» و «الناسخ والمنسوخ» ... وغيرها. انظر: الطبقات الكبرى (٧/ ٣٥٥)، طبقات الحنابلة (١/ ٢٥٩)، وفيات الأعيان (٤/ ٦٠)، السير (١٠/ ٤٩٠) شذرات الذهب (٢/ ٥٤).

(٢) غِيَره : بكسر أوله، وفتح ثانيه، من: غار يغير غيراً وغياراً، أي تغير الحال، وغارهم الله بخير ومطر، أي: أصابهم بمطر وخصب. ومنه قولهم: ومن يكفر الله يلق الغير. انظر لسان العرب (٥/ ٤٠)، النهاية في غريب الحديث (٣/ ٤٠١).
ومعنى الحديث: أي: قرب تغير حالهم من الجدب والشدة إلى الخصب والمطر.

(٣) الحديث سبق تخريجه، انظر: ص٣١٤.

(٤) في (ج) «يضع الجبار فيها قدمه»، وفي (ع) تقدمت «فيها» على «قدمه».

(٥) سبق تخريج الحديث، انظر: ص٣١٣ .

(٦) هذا الأثر رُوي موقوفاً على ابن عباس وأبي موسى – رضي الله عنهما – أما أثر ابن عباس، فقد رواه: ابن أبي شيبة في « العرش» ص٧٩، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣/ ١٤٠٦)، وابن جرير في تفسيره (٥/ ٣٩٨)، وعبدالله ابن الإمام أحمد في « السنة » (١/ ٣٠١)، رقم ٥٨٦. وابن منده في الرد على الجهمية ص ٤٥، وعبدالرزاق في تفسيره (٢/ ٢٥١)، وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٢٤٩)، والطبراني في الكبير (١٢/ ٣٩)، والدارقطني في «الصفات» ص٤٩-٥٠، والهروي في =

«الـرؤية» هـي عـندنا حـق حمـلها الثقات بعضهم عن بعض، غير أنّا إذا

= «الأربعـين» ص٥٦-٥٧، والضـياء في المخـتارة (١٠/ ٣١٠). والدارمـي في «الـرد علـى المريسـي» ص٦٧-٧١ تحقـيق محمـد حامد الفقي. قال: «فهذا الذي عرفناه عن ابـن عـباس صـحيحاً مشـهوراً» اهـ. وأبو الشيخ في العظمة (٢/ ٥٨٢). والحاكم في المسـتدرك (٢/ ٢٨٢)، وقـال : هـذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه ووافقـه الذهـبي، والبـيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ١٤٨). والخطيب البغدادي في «تـاريخ بغـداد» (١٢/ ٢٥٢)، والذهـبي في العلـو ص٦١، « المختصر » ص١٠٢، وقـال: رواتـه ثقـات. وذكـره ابـن كـثير في تفسـيره (١/ ٤٥٧) وقال: وقد رواه وكيع في تفسـيره، فقـال: حدثنا ..وساق السند فذكره. وابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ٦-٧).
وذكـره السـيوطي في « الـدر المنـثور » (٢/ ١٧) وعزا روايته إلى: الفريابي، وعبد بن حميد وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وأبي الشيخ، والحاكم، والخطيب، والبيهقي.
ولمـا سـئل عـنه أبو زرعة قال: « صحيح ولا نفسر، نقول كما جاء، وهو كما جاء في الحديـث» اهـ . التوحيد لابن منده (٣/ ٣٠٩). وذكره أيضاً الهيثمي في «المجمع» (٦/ ٣٢٣)، وقال: ورجاله رجال الصحيح.
ونقـل ابـن منظور في « لسان العرب » (٦/ ١٩٤) عن أبي منصور الأزهري صاحب «التهذيب في اللغة » قوله: وهذه الرواية اتفق أهل العلم على صحتها. اهـ.
وقـد حكم عليه الألباني بأن إسناده صحيح، ورجاله كلهم ثقات. انظر: مختصر العلو ص١٠٢، سلسلة الأحاديث الضعيفة (٢/ ٣٠٢-٣٠٣) رقم ٥٨٨.
أما أثر أبي موسى فقد رواه:
الطـبري في تفسيره (٣، ١٠). وعبدالله بن أحمد في السنة (١/ ٣٠٢) رقم ٥٨٨. وابن أبـي شـيبة في «العـرش» ص٧٨. والبـيهقي في «الأسمـاء والصـفات» (٢/ ١٤٨). وأبوالشيخ في «العظمة» (٢/ ٦٢٧-٦٢٨). وابن منده في «الرد على الجهمية» ص٤٦. وذكـره السـيوطي في «الدر المنثور» (٢/ ١٧)، وعزا روايته إلى ابن المنذر. وذكره أيضاً الذهـبي في العلـو ص٨٤، المختصـر ص١٢٣-١٢٤. وصحح الألباني إسناده، وقال: رجاله كلهم ثقات معروفون. انظر: المصدر السابق ص١٢٤.

سُئلنا عن تفسيرها لا نفسرها[١]، وما أدركنا أحداً يفسرها» اهـ[٢] .

«أبو عبيد» أحد الأئمة الأربعة الذين هم : الشافعي، وأحمد، وإسحاق[٣]، وأبو عبيد. وله من المعرفة بالفقه واللغة والتأويل ما هو أشهر من أن يوصف، وقد كان في الزمان الذي ظهرت فيه الفتن والأهواء[٤] ، وقد أخبر أنه ما أدرك أحداً من العلماء يفسرها . [أي تفسير الجهمية][٥] .

وروى اللالكائي والبيهقي عن عبدالله بن المبارك[٦] أن رجلاً[٧] قال له[٨] : يا أبا عبدالرحمن إني[٩] أكره الصفة ـ عنى[١٠] صفة الرب ـ فقال

---

(١) «لا نفسرها» سقطت من (ع).

(٢) الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٩٠) قال: أخبرنا أبو بكر بن الحارث الفقيه، أنا أبومحمد بن حيان الأصبهاني فيما أجازه له جده، عن العباس بن محمد، قال: سمعت أبا عبيد يقول: ...وذكره.

ورواه أيضاً الدارقطني في «الصفات» ص٦٨-٦٩ نحواً من هذا. والآجري في الشريعة ص٢٥٥. واللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة (٢/ ٥٢٦). وابن منده في التوحيد (١/ ٢٣٢). وابن عبدالبر في التمهيد (٧/ ١٤٩). والذهبي في العلو ص١٢٧، وفي السير (١٠/ ٥٠٥)، وصحح الألباني إسناده في «مختصر العلو» ص١٨٦.

(٣) إسحاق: يعني ابن راهويه، سبقت ترجمته، انظر: ص٢٤٣.

(٤) وقد عاش في الفترة من سبع وخمسين ومائة، إلى سنة أربع وعشرين ومائتين.

(٥) ما بين المعكوفتين من (ج، ع).

(٦) عبدالله بن المبارك: سبقت ترجمته، انظر: ص٢٤٣.

(٧) الرجل هو: أفلح بن محمد، كما هو مصرح به عند اللالكائي، والبيهقي والذهبي في العلو.

(٨) «له» سقطت من (ع).

(٩) في (ج) «أنا» بدل: أني.

(١٠) في (ج) «أعني».

قول عبدالله ابن المبارك

له[1] عبدالله بن المبارك : «أنا أشد الناس كراهة لذلك، ولكن إذا نطق الكتاب بشيء قلنا به، وإذا جاءت الآثار بشيء جسرنا عليه»[2] ونحو هذا.

أراد ابن المبارك : أنا نكره أن نبتدئ بوصف الله[3] من ذات أنفسنا حتى يجيء به[4] الكتاب والآثار.

وروى عبدالله بن أحمد[5] وغيره بأسانيد صحاح عن ابن المبارك أنه قيل له : بماذا [6] نعرف ربنا؟ قال[7] : «بأنه فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه، ولا نقول كما تقول[8] الجهمية: أنه ههنا في الأرض»[9]

---

(١) «له» سقطت من (ع).

(٢) رواه اللالكائي في «شرح أصول واعتقاد أهل السنة» (٢/ ٤٣١). والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٦٣). وذكره الذهبي في العلو ص١١٠-١١١، وانظر المختصر ص١٥٢.

(٣) لفظة «الله» سقطت من (ع).

(٤) في (ج) تأخرت «به» بعد: الكتاب.

(٥) عبدالله بن أحمد: سبقت ترجمته، انظر: ص٢٥٨.

(٦) في (ج) «بما» بدل: بماذا.

(٧) في (ع) فقال».

(٨) في (ع) «قالت».

(٩) رواه عبدالله ابن الإمام أحمد في « السنة » (١/ ١١١، ١٧٥، ٣٠٧). والدارمي في الرد على المريسي ص٢٣-٢٤، وفي الرد على الجهمية ص٣٩-٤٠، تحقيق بدر البدر. والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ١٦٩). والبخاري في «خلق أفعال العباد» ص٣١، تحقيق عبدالرحمن عميرة. والذهبي في «العلو» ص١١٠، وانظر المختصر ص١٥١-١٥٢. وذكره في «الأربعين» ص٨١. وذكره ابن القيم في «اجتماع الجيوش» ص١٣٤، وقال : إن هذا الأثر روي بأصح إسناد إلى علي بن الحسن بن =

وهكذا قال الإمام أحمد[١] وغيره[٢].

قول حماد ابن زيد

وروى بإسناد صحيح عن سليمان بن حرب[٣] – الإمام – : سمعت حماد بن زيد[٤] وذكر هؤلاء الجهمية، فقال: «إنما يحاولون أن يقولوا: ليس في السماء شيء»[٥][٦].

= شقيق، قال: سمعت ابن المبارك... فذكره، بل قال في ص٢١٣-٢١٤ في المرجع نفسه: وقد صح عنه ـ يعني ابن المبارك ـ صحة قريبة من التواتر: إنه قيل له... وذكره.
وكذا شيخ الإسلام حكم عليه بالصحة كما هو في النص «بأسانيد صحاح»، وانظر: الفتاوي (٥/ ١٨٤).

(١) «أحمد» سقطت من (ع).

(٢) انظر: الرد على الجهمية للإمام أحمد ص١٣٥، إثبات صفة العلو لابن قدامة ص١٦٧، العلو للذهبي ص١٣٠، اجتماع الجيوش لابن القيم ص٢٠٠.

(٣) سليمان بن حرب بن بجيل، أبو أيوب الأزدي، ولي قضاء مكة، قال عنه أبو حاتم: «سليمان بن حرب إمام من الأئمة..» اهـ. ولد سنة أربعين ومائة، وتوفي سنة أربع وعشرين ومائتين بالبصرة. انظر: الطبقات الكبرى (٧/ ٣٠٠)، تاريخ بغداد (٩/ ٣٣)، السير (١٠/ ٣٣٠) تهذيب التهذيب (٤/ ١٧٨).

(٤) حماد بن زيد: سبقت ترجمته، انظر: ص٣٠١.

(٥) رواه عبدالله ابن الإمام أحمد في « السنة » (١/ ١١٧-١١٨) قال: حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي، وعلي بن مسلم الطوسي، قالا: حدثنا سليمان بن حرب، قال: سمعت حماد بن زيد... فذكره. ورواه الخلال في «السنة» ـ مخطوط ـ لوحة ١٤٨ ب. والبخاري في «خلق أفعال العباد» ص٣١. وذكره ابن قدامة في «العلو» ص١٧١-١٧٢ وعزا روايته إلى الأثرم. وذكره الذهبي في « العلو » ص١٠٦-١٠٧، وعزا روايته إلى ابن أبي حاتم في كتابه «الرد على الجهمية» قال: حدثنا أبي، حدثنا سليمان بن حرب، سمعت حماد بن زيد.. فذكره. وانظر: «مختصر العلو» ص١٤٦. وذكره ابن القيم في «اجتماع الجيوش» ص١٦، ٢١٤، وقد صححه شيخ الإسلام كما في النص. وانظر الفتاوي (٥/ ١٨٣-١٨٤). وصحح الألباني إسناده، انظر مختصر العلو ص١٤٧.

(٦) وقد نقل ابن القيم عن شيخ الإسلام أن هذا الذي كان يحاول الجهمية قوله =

قول سعيد ابن عامر الضبعي

وروى ابـن أبي حاتم[١] في كتاب[٢] «الرد على الجهمية»[٣] عن سعيد ابـن عامـر الضـبعي[٤] - إمـام أهل البصرة[٥] علماً وديناً، من شيوخ[٦] أحمـد[٧] - أنـه ذكـر عـنده الجهمـية، فقـال: «هـم شـرٌ قـولاً من اليهود

= قـد صـرح بـه المـتأخرون مـنهم، بعـد أن ضعفت السنة، وانقرض الأئمة. انظر «اجتماع الجيوش» لابـن القـيم ص١٣٦. وقـال الذهـبي تعلـيقاً عـلى هـذا الأثـر في كـتابه العلو ص١٠٧: «مقالـة السلف وأئمة السنة بل والصحابة، والله ورسوله والمؤمنون أن الله عـز وجـل في السـماء، وأن الله عـلى العـرش، وأن الله فوق سماواته، وأنه ينزل إلى السماء الدنيا، وحجتهم على ذلك النصوص والآثار...

ومقـال مـتأخري المتكـلمين: أن الله تعـالى لـيس في السـماء، ولا عـلى العرش، ولا على السـماوات، ولا في الأرض، ولا داخـل العالم، ولا خارج العالم، ولا هو بائن عن خلقه ولا متصل بهم. وقالوا: جميع هذه الأشياء صفات الأجسام والله تعالى منزه عن الجسم. اهـ.

(١) ابن أبي حاتم: عبدالرحمن بن محمد بن إدريس: سبقت ترجمته، انظر: ص٣٢٤.

(٢) في (ع) «كتابه».

(٣) كـتاب «الرد على الجهمية» لابن أبي حاتم: ذكره الكتاني في «الرسالة المستطرفة» ص٣٩، وذكـره سـزكين في «تـاريخ الـتراث» (١/ ٣٥٥) ولم يذكـر له نسـخاً خطية. ونقل منه شيخ الإسلام كثيراً، وكذا ابن القيم في «الصواعق» «واجتماع الجيوش» والذهبي في «العلو».

(٤) سـعيد بـن عامر الضبعي البصري، أبو محمد، قال زياد بن أيوب: «ما رأيت بالبصرة مـثل سـعيد الضـبعي». اهـ. وقال الإمام أحمد: «ما رأيت أفضل منه». اهـ. توفي سنة ثمـان ومائـتين، ولـه ست وثمانون سنة. انظر: تذكرة الحفاظ (١/ ٣٥١)، السير (٩/ ٣٨٥)، شذرات الذهب (٢/ ٢٠).

(٥) البصـرة: البصـرة في كـلام العرب: الأرض الغليظة، وسميت البصرة بذلك لغلظها وشـدتها. وقد أنشئت هذه المدينة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سنة أربع عشرة قبل الكوفة بستة أشهر، وهـي مـن مـدن العـراق المشهورة، تقع جنوب العراق قرب الكوفة. انظر: معجم البلدان (١/ ٤٣٠-٤٤٠)، مراصد الاطلاع (١/ ٢٠١).

(٦) في (ج، ع) زيادة «الإمام».

(٧) «أحمد» سقط من (ع).

والنصارى، وقد اجتمع اليهود والنصارى وأهل الأديان مع المسلمين على أن الله على العرش . وقالوا هم : ليس عليه شيء»[(١)] .

قول الإمام ابن خزيمة

وقال محمد بن إسحاق بن خزيمة ـ إمام الائمة: «من لم يقل[(٢)] : إن الله فوق سماواته على عرشه، بائن من خلقه وجب أن يُستتاب[(٣)]، فإن تاب وإلا ضُربت عنقه ثم أُلقي على مزبلة، لئلا يتأذى[(٤)] بنتن ريحه[(٥)] أهل القبلة، ولا أهل الذمة»[(٦)(٧)] ، [ذكره عنه الحاكم[(٨)] بإسناد

---

(١) هذا الأثر ذكره الذهبي في «العلو» ص١١٧، من رواية ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، قال: حدثت عن سعيد بن عامر الضبعي ...فذكره. انظر: مختصر العلو ص١٦٨، وذكره في «الأربعين» ص٨٢. وذكره البخاري في «خلق أفعال العباد» ص٣١. وانظر: درء تعارض العقل والنقل (٦/ ٢٦١)، والفتاوي (٥/ ١٨٤)، واجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم ص٢١٥.

(٢) في «معرفة علوم الحديث» من لم يقر.

(٣) في «علوم الحديث» : إن الله على عرشه قد استوى فوق سبع سماواته فهو كافر بربه، يستتاب...إلخ.

(٤) في «علوم الحديث» زيادة: «المسلمون والمعاهدون».

(٥) في « علوم الحديث »: «ريح جيفته » بدل: ريحه.

(٦) «أهل القبلة ولا أهل الذمة » غير موجودة في « علوم الحديث ».

(٧) في « علوم الحديث » زيادة : «وكان ماله فيئاً لا يرثه أحد من المسلمين؛ إذ المسلم لا يرث الكافر كما قال ﷺ».

(٨) الحاكم: هو: محمد بن عبدالله بن حمدويه، أبو عبدالله بن البيع، الشافعي. بدأ في طلب العلم في سن مبكرة، وسمع من نحو ألفي شيخ. قال عنه الذهبي: «صنف وخرج، وجرح وعدل، وصحح وعلل، وكان من بحور العلم».اهـ.

ولد سنه إحدى وعشرين وثلاثمائة، وتوفي سنة ثلاث وأربعمائة، أكثر من التأليف، ومن مصنفاته: «المستدرك على الصحيحين» و «معرفة علوم الحديث»، «وتاريخ نيسابور»، «والإكليل» وغيرها. =

صحيح][1][2].

قول عباد ابن العوام الواسطي

وقد[3] روى عبدالله بن[4] أحمد، عن عباد بن العوام الواسطي[5] ـ إمام أهل واسط[6]، من طبقة شيوخ الشافعي وأحمد ـ قال: «كلمت بشراً المريسي[7] وأصحاب بشر، فرأيت آخر كلامهم ينتهي إلى أن يقولوا: ليس في السماء شيء»[8].

= انظر: تاريخ بغداد (٥/ ٤٧٣)، وفيات الأعيان (٤/ ٢٨٠)، السير (١٧/ ١٦٢)، تذكرة الحفاظ (٢/ ٧٢٠)، لسان الميزان (٥/ ٢٣٢)، الرسالة المستطرفة ص٢١.

(١) ما بين المعكوفتين من (ج، ع).

(٢) رواه الحاكم في «معرفة علوم الحديث» ص٧٤، ط الثانية ١٩٧٧. وأبو إسماعيل الصابوني في « عقيدة السلف » ص٢٠-٢١. وابن قدامة في « العلو » ص١٨٥. وذكره الذهبي في «العلو» ص١٥٢، من رواية الحاكم. « المختصر » ص٢٢٥-٢٢٦. وفي «تذكرة الحفاظ» (٢/ ٧٢٨). وشيخ الإسلام في « درء تعارض العقل والنقل » (٦/ ٢٦٤). وابن قيم في «اجتماع الجيوش » ص١٩٤.

(٣) « قد » سقطت من (ج، ع).

(٤) في (ج، ع) زيادة « الإمام ».

(٥) عباد بن العوام الواسطي: هو: عباد بن العوام بن عمر بن عبدالله المنذر، أبو سهل الطلابي الواسطي. قال عنه ابن سعيد: «كان من نبلاء الرجال في كل أمره». اهـ. توفي سنة خمس وثمانين ومائة. انظر: تاريخ خليفة ص٤٥٧، ط الثانية ١٣٩٧هـ، تاريخ بغداد (١١/ ١٠٤)، السير (٨/ ٤٤٩).

(٦) واسط: هي المدينة الكائنة بين البصرة والكوفة، بناها الحجاج بن يوسف سنة ثلاث وثمانين، سميت بهذا الاسم؛ لأنها متوسطة بين البصرة والكوفة، بينها وبين كل منهما خمسون فرسخاً ، والفرسخ نحو من ثلاثة أميال. انظر: معجم البلدان (٥/ ٣٤٧-٣٤٨)، مراصد الاطلاع (٣/ ١٤١٩)، الأنساب للسمعاني (٥/ ٥٦١).

(٧) بشر المريسي: سبقت ترجمته، انظر: ص٢٤٢ .

(٨) رواه عبدالله ابن الإمام أحمد في « السنة » (١/ ١٢٦-١٢٧)، عن زياد بن أيوب، سمعت يحيى بن إسماعيل الواسطي، قالت: سمعت عباد بن العوام يقول... فذكره =

قول عبدالرحمن بن مهدي

وعن عبدالرحمن[١] بن مهدي[٢] - الإمام المشهور - أنه قال : «ليس في أصحاب الأهواء شر[٣] من أصحاب جهم، يدورون على[٤] أن يقولوا: ليس في السماء شيء، أرى - والله - أن لا يناكحوا، ولا يورثوا»[٥].

وروى عبدالرحمن بن أبي حاتم في كتاب «الرد على الجهمية» عن عبدالرحمن[٦] بن مهدي قال : «أصحاب جهم يريدون أن يقولوا : إن الله لم يكلّم موسى، ويريدون أن يقولوا : ليس في السماء شيء، وإن الله

= وذكره الذهبي في « العلو » ص١١٢، وزاد في آخره: «أرى أن لا يناكحوا ولا يوارثوا»، وانظر المختصر ص١٥٤. وانظر: درء تعارض العقل والنقل (٦/ ٢٦١)، والفتاوي (٥/ ١٨٥). واجتماع الجيوش، لابن القيم ص٢١٥، ٢١٦.

(١) في (ع) «عبدالله» وهو خطأ.

(٢) عبدالرحمن بن مهدي: هو: عبدالرحمن بن مهدي بن حسان بن عبدالرحمن أبو سعيد العنبري البصري. طلب العلم صغيراً، وأثنى عليه العلماء ثناءً عاطراً .قال عنه الشافعي: «لا أعرف له نظيراً في هذا الشأن».اهـ. وقال فيه علي بن المديني: «لو حلفت بين الركن والمقام لحلفت أني لم أرَ أحداً أعلم من عبدالله بن مهدي». اهـ. وقال الذهبي عنه : «كان إماماً حجة، قدوة في العلم والعمل». اهـ. ولد سنة خمس وثلاثين ومائة، وتوفي سنة ثمان وتسعين ومائة. انظر: الطبقات الكبرى (٧/ ٢٩٧)، حلية الأولياء (٩/ ٣)، تاريخ بغداد (١٠/ ٢٤٠)، السير (٩/ ١٩٢)، شذرات الذهب (١/ ٣٥٥).

(٣) في (ع) «أشر».

(٤) «على» سقطت من (ع).

(٥) رواه الخلال في «السنة» - مخطوط - لوحة ١٧٥ ب.
وروي عن عبدالرحمن بن مهدي ألفاظ أخرى في هذا المعنى:
انظر «السنة» لعبدالله ابن الإمام أحمد (١/ ١٢٠-١٢١)، «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» للالكائي (١/ ٣٢٠). « خلق أفعال العباد » للبخاري ص٣٤-٣٥.

(٦) في (ع) «عبدالله» وهو خطأ.

ليس على العرش، أرى أن يُستتابوا، فإن تابوا وإلا قُتلوا»[١] .

قول الأصمعي

وعن الأصمعي[٢] قال : « قدمت امرأة جهم فنزلت الدباغين[٣]، فقال رجل عندها: الله على عرشه. فقالت : محدود على محدود؟ . وقال[٤] الأصمعي : كافرة بهذه المقالة»[٥] .

---

(١) رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (١/ ٣٨٦) عن أبي عبدالله الحافظ، وأبي سعيد بن أبي عمرو، قالا: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا محمد بن علي الوراق، ثنا عمرو بن العباس، قال: سمعت عبدالرحمن بن مهدي...فذكره. وذكره الذهبي في «العلو» ص١١٨، وقال: نقله غير واحد بإسناد صحيح عن عبدالرحمن بن مهدي. وذكره في «الأربعين» ص٨١، وفي سير أعلام النبلاء (٩/ ١٩٩-٢٠٠). ورواه مختصراً عبدالله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١١٩-١٢٠)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (١/ ٣١٦-٣١٧). وذكره البخاري مختصراً في «خلق افعال العباد» ص٨٣. وانظر: الفتاوي (٥/ ١٨٤)، درء تعارض العقل والنقل (٦/ ٢٦١)، وقال شيخ الإسلام: إنه مروي بأسانيد ثابتة . وصححه أيضاً ابن القيم في «اجتماع الجيوش» ص٢١٤. ورواه نحواً من هذا أبو داود في « مسائل الإمام أحمد » ص٢٦٢.

(٢) الأصمعي، هو: عبدالملك بن قريب بن عبدالملك بن علي بن أصمع، الأصمعي، البصري: حجة في الأدب واللغة. قال الشافعي: «ما عبر أحد عن العرب بأحسن من عبارة الأصمعي».اهـ. وقد أثنى عليه الإمام أحمد في السنة. وقال عنه الذهبي: «الإمام العلامة الحافظ، حجة الأدب، لسان العرب».اهـ. توفي سنة ست عشرة ومائتين.
انظر: التاريخ الكبير للبخاري (٥/ ٤٢٨)، تاريخ بغداد (١٠/ ٤١٠)، وفيات الأعيان (٣/ ١٧٠)، السير (١٠/ ١٧٥)، تهذيب التهذيب (٦/ ٤١٥).

(٣) نسبة إلى دباغة الجلود، أصلها: دبغ يدبغ، دبغاً، ودباغة. والدباغ: صاحب الحرفة.
انظر: لسان العرب (٨/ ٤٢٤).
ولعل المراد من «الدباغين» هنا، مكان عرف بهذا الاسم.

(٤) في (ع) «قال» بدون: واو.

(٥) أورده الذهبي في العلو ص١١٨، وقال: بلغنا عن الأصمعي أنه قال: ... فذكره. =

= وانظر «مختصر العلو» ص١٧٠-١٧١. وذكره في «الأربعين» ص٨١.
ولعل الأصمعي أنكر على هذه المرأة بسبب نفيها للاستواء، فكأنها تقول: إن من قال: إن الله على العرش، فقد وصفه بأنه محدود.
والحد من الألفاظ المجملة التي قد يراد بها معنى صحيح، وقد يراد بها معنى باطل، ولهذا ورد عن الإمام أحمد إثباته، وورد عنه النفي أيضاً.
والجهمية يقولون: «ليس له حد» ، ومرادهم أن الله ليس مبايناً للمخلوقات، وليس هو فوق العالم، لأن ذلك على قولهم مستلزم للحد.
وممن أثبت «الحد» أيضاً من السلف: الدارمي، وابن المبارك وغيرهما. ومن أثبت الحد منهم مراده لذلك: أن الله له حد يتميز به عن المخلوقات، وأن بينه وبين المخلوقات انفصالاً ومباينة، ليس مختلطاً ممتزجاً بهم، بل الأمر يصعد إليه وينزل منه، ويصح أن يجيء سبحانه ويأتي ... إلى غير ذلك. فالحد على هذا هو: ما يتميز به الشيء عن غيره بالصفات والقدر. والكتاب والسنة دالة على أن الله تعالى له حد يتميز به عن المخلوقات، وأنه مباين للمحدثات. فإثبات الحد بهذا المعنى صحيح.
أما من كان مراده بالحد: أن الخلق يحويه أو يحيط به،فنفي الحد بهذا المعنى هو الصواب.
فمن أطلق على الله مثل هذه الألفاظ، قيل له: ما المعنى الذي تريد؟ فإن أراد معنى باطلاً، رد ولم يقبل، وإن أراد معنى صحيحاً قبل المعنى الذي أراد.
قال الدارمي: «وادعى المعارض أيضاً أنه ليس لله حد ولا غاية ولا نهاية، وهذا الأصل الذي بنى عليه جهم جميع ضلالاته، واشتق منه أغلوطاته، وهي كلمة لم يبلغنا أنه سبق جهماً إليها أحد من العالمين.
فقال له قائل ممن حاوره: قد علمت مرادك أيها الأعجمي، وتعني أن الله لا شيء؛ لأن الخلق كلهم علموا أنه ليس شيء يقع عليه اسم الشيء إلا وله حد وغاية وصفة. وأن لا شيء ليس له حد ولا غاية ولا صفة. فالشيء أبداً موصوف لا محالة، ولا شيء يوصف بلا حد ولا غاية، وقولك: «لا حد له» يعني أنه لا شيء.
قال الدارمي : الله تعالى له حد لا يعلمه أحد غيره، ولا يجوز لأحد أن يتوهم لحده =

قول عاصم ابن علي ابن عاصم

وعن عاصم بن علي بن عاصم[(١)] ـ شيخ أحمد والبخاري وطبقتهما ـ قال: «ناظرت جهمياً[(٢)]، فتبيَّنَ من كلامه أنه[(٣)] لا يؤمن أن[(٤)] في السماء رباً»[(٥)].

وروى الإمام أحمد: ثنا[(٦)] سريج[(٧)] بن النعمان[(٨)]، قال: سمعت

= غاية في نفسه، ولكن نؤمن بالحد ونكل علم ذلك إلى الله...» اهـ رد الإمام الدارمي على بشر المريسي ص٢٣.

وانظر: نقض التأسيس (١/ ٤٢٦-٤٤٦) (٢/ ١٧٠-١٧٢، ٢٠٢)، مختصر الصواعق (١/ ١٧٣)، شرح الطحاوية (١/ ٢٦٣).

(١) عاصم بن علي بن عاصم بن صهيب، الواسطي، أبو الحسين. قال عنه يحيى بن معين: «عاصم بن علي بن عاصم سيد المسلمين». اهـ. وقال عنه الذهبي: «كان عاصم رحمه الله ممن ذب عن الدين في المحنة». اهـ. كان يحدث في مسجد الرصافة في بغداد، وكان يحضر مجلسه قريب من مائة ألف، توفي سنة إحدى وعشرين ومائتين.

انظر: تاريخ بغداد (١٢/ ٢٤٧)، تذكرة الحفاظ (١/ ٣٩٧)، السير (٩/ ٢٦٢)، الأعلام (٣/ ٢٤٨).

(٢) في (ج) «جهماً».

(٣) في (ع) زيادة «من».

(٤) في (ج) «بأن».

(٥) ذكره الذهبي في العلو ص١٢٣، وقال: روينا عن عاصم بن علي بن عاصم...فذكره.

وانظر مختصر العلو ص١٧٩، درء تعارض العقل والنقل (٦/ ٢٦١)، اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم ص٢١٨.

(٦) في (ع) «أنا».

(٧) في (ع) «شريح» وهو خطأ.

(٨) سريج بن النعمان، هو: سريج بن النعمان بن مروان، أبو الحسن اللؤلؤي، أصله من خراسان، وسكن بغداد. =

قول الإمام مالك

عبدالله بن نافع الصائغ[١] ، قال: سمعت مالك بن أنس يقول : «الله في السماء، وعلمه في كل مكان ، لا يخلو من علمه مكان[٢]»[٣] .

= قال عنه الذهبي: « كان من أعيان المحدثين ». اهـ. توفي سنة سبع عشرة ومائتين في ذي الحجة، ودفن يوم عيد الأضحى.

انظر: تاريخ بغداد (٩/ ٢١٧)، الجرح والتعديل (٤/ ٣٠٤) والسير (١٠/ ٢١٩)، خلاصة تذهيب تهذيب الكمال (١/ ٣٦٥).

(١) عبدالله بن نافع الصائغ، مولى بني مخزوم. من كبار فقهاء المدينة، ومن كبار أصحاب مالك، وقد لزمه لزوماً شديداً، حتى رُوي عنه أنه قال: «صحبت مالكاً أربعين سنة، ما كتبت شيئاً منه، وإنما كان حفظاً أتحفظه». اهـ.

قال عنه الإمام أحمد : «كان صاحب رأي مالك، وفقَّه أهل المدينة برأي مالك». اهـ. توفي سنة ست ومائتين. انظر: الطبقات الكبرى (٥/ ٤٣٨)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك (١/ ٣٥٦)، السير (١٠/ ٣٧١). شذرات الذهب (٢/ ١٥).

(٢) في السنة لعبدالله بن أحمد: «لا يخلو منه شيء».

(٣) رواه عبدالله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٠٦-١٠٧) قال: حدثنا أبي قال: حدثنا سريج بن النعمان، أخبرني عبدالله بن نافع... قال مالك ... وذكره، وزاد: وتلا هذه الآية ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ ﴾ [المجادلة:٧]. ورواه أبو داود في «مسائل الإمام أحمد» ص٦٣، وابن منده في كتاب التوحيد (٣/ ٣٠٧). والآجري في «الشريعة» ص٢٨٩، رواه من طريقين عن الإمام أحمد. وابن عبدالبر في «التمهيد» (٧/ ١٣٨)، وفي الانتقاء ص٣٥. واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٢/ ٤٠١). وابن قدامة في « إثبات صفة العلو » ص١٦٦. وذكره الذهبي في « العلو » ص١٣٠، من رواية عبدالله ابن الإمام أحمد. وذكره في «الأربعين» أيضاً ص٩٣. وانظر: «مختصر العلو» ص١٤٠، درء تعارض العقل والنقل (٦/ ٢٦١-٢٦٢) وصحح شيخ الإسلام إسناده. وذكره ابن القيم في «اجتماع الجيوش» ص١٤١، من رواية ابن عبدالبر. وصححه الألباني، انظر: «مختصر العلو» ص١٤٠.

قول الإمام الشافعي

وقال الشافعي : «خلافة[١] أبي بكر رضي الله عنه حق قضاها الله في سمائه وجمع عليه قلوب عباده»[٢].

وفي الصحيح عن أنس بن مالك، قال : كانت زينب تفتخر على أزواج النبي ﷺ تقول : «زوجكنَّ أهاليكُن وزوجني الله من فوق سبع سماوات»[٣]، وهذا مثل قول الشافعي.

استتابة أبي يوسف بشرا

وقصة أبي يوسف[٤] ـ صاحب أبي حنيفة ـ مشهورة في استتابة بشر المريسي[٥] حتى هرب منه لما أنكر الصفات

---

(١) في (ج) «في خلافة».

(٢) ذكره ابن قدامة في « إثبات صفة العلو » ص١٨١، من رواية الهكاري. وانظر: «اجتماع الجيوش الإسلامية» لابن القيم ص١٦٥، وحكم على هذا الأثر بالصحة.

(٣) رواه البخاري – الفتح – (١٣/ ٤٠٣-٤٠٤) رقم ٧٤٢٠، كتاب التوحيد، باب «وكان عرشه على الماء، وهو رب العرش العظيم».

ومعنى الحديث : أن الله الذي زوجها وأنكحها رسول الله ﷺ حيث قال: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ [الأحزاب:٣٧]، وجاء مفسراً في رواية مسلم (٢/ ١٠٤٨-١٠٤٩) قم ١٤٢٨، كتاب النكاح عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما انقضت عدة زينب قال رسول الله ﷺ لزيد بن حارثة: «اذهب فاذكرها علي. فانطلق حتى أتاها وهي تخمر عجينها ...وذكر الحديث، حتى قال: قلت: يا زينب، أبشري، أرسلني رسول الله ﷺ يذكرك. قالت: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أؤامر ربي عز وجل. فقامت إلى مسجدها، ونزل القرآن، وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن..». الحديث. ورواه الإمام أحمد (٣/ ١٩٥).

ومعنى قوله: «فاذكرها علي» أي: فاخطبها لي من نفسها. شرح مسلم للنووي (٩/ ٢٢٧).

(٤) أبو يوسف، هو: يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري، سبقت ترجمته، انظر: ص٢٤٣.

(٥) بشر المريسي: سبقت ترجمته، انظر ص٢٤٢ .

وأظهر(١) قول جهم . قد ذكرها(٢) ابن أبي حاتم وغيره(٣) .

قول الإمام ابن أبي زمنين

[(٤) وقال أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي زمنين(٥) ـ الإمام المشهور من أئمة المالكية ـ في كتابه الذي صنفه في «أصول السنة»(٦) قال فيه : باب الإيمان بالعرش .

---

(١) في (ع) فأظهر».

(٢) في (ع) «فذكرها» بدل: قد ذكرها.

(٣) والقصة ذكرها الذهبي في «العلو» ص١١٢، من رواية ابن أبي حاتم قال: حدثنا: الحسن بن علي بن مهران، حدثنا بشار بن موسى الخفاف، قال: جاء بشر بن الوليد الكندي إلى القاضي أبي يوسف فقال له: تنهاني عن الكلام وبشر المريسي وعلي الأحول وفلان يتكلمون؟ قال: وما يقولون؟ قال: يقولون: الله في كل مكان . فقال أبو يوسف: عليَّ بهم، فانتهوا إليه، وقد قام بشر فجيء بعلي الأحول، وبالآخر شيخ، فقال أبو يوسف – ونظر إلى الشيخ: لولا أن فيك موضع أدب لأوقعتك، فأمر به إلى الحبس، وضرب الأحول وطوف به.اهـ.

وانظر: «مختصر العلو» ص١٥٤-١٥٥ .

(٤) هذا النقل عن ابن أبي زمنين سقط من الأصل، وهو مثبت في جميع النسخ الخطية عدا نسخة برلين، وأيضاً في جميع النسخ المطبوعة، القديمة والحديثة.

(٥) ابن أبي زمنين، هو: محمد بن عبدالله بن عيسى بن محمد المري، الأندلسي، أبوعبدالله، شيخ قرطبة، اشتهر بابن أبي زمنين.

نعته الذهبي بأنه صاحب عبادة وتقوى وإخلاص، كان مجانباً للأمراء، مقتفياً الآثار والسلف، ذا رسوخ في العلم. ولد سنة أربع وعشرين وثلاثمائة، وتوفي سنة تسع وتسعين وثلاثمائة. ومن مصنفاته: «مختصر المدونة» ، «منتخب الأحكام»، «حياة القلوب»، «أصول السنة »، ويأتي الكلام عليه، وغير ذلك.

انظر: السير (١٧/ ١٨٨)، العبر (٢/ ١٩٦)، شذرات الذهب (٣/ ١٥٦).

(٦) وقد حقق هذا الكتاب في الجامعة الإسلامية في رسالة علمية بعناية محمد بن إبراهيم محمد هارون.

قول الإمام ابن أبي زمنين في العرش والعلو

قال: ومن قول أهل السنة: إن الله عز وجل خلق العرش واختصه بالعلو والارتفاع فوق جميع ما خلق، ثم استوى عليه كيف شاء[1]، كما أخبر عن نفسه في قوله تعالى ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥] وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٤]؛ فسبحان من بَعُدَ[2][3] وقَرُبَ بعلمه[4]، فسمع النجوى. وذكر حديث أبي رزين العقيلي؛ قلت يا رسول الله: أين كان ربنا قبل أن يخلق السماوات والأرض؟ قال: **«في عماء، ما تحته هواء وما فوقه هواء، ثم خلق عرشه على الماء»**[5].

---

(١) في (ع) «كما» بدل: شاء.

(٢) أي: بعد بذاته وقرب بعلمه.

(٣) في أصول السنة زيادة «فلا يرى».

(٤) في أصول السنة زيادة «وقدرته».

(٥) رواه الترمذي (٥/ ٢٨٨) رقم ٣١٠٩، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة هود. وقال: هذا حديث حسن. وابن ماجه (١/ ٦٤) رقم ١٨٢، المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية. وأحمد (٤/ ١٢) وأبو داود الطيالسي في « مسنده » ص١٤٧رقم ١٠٩٣. وعبدالله ابن الإمام أحمد في « السنة » (١/ ٢٥-٢٤٦) رقم ٤٥٠. والحكيم الترمذي في الرد على المعطلة، مخطوط ص١٨٨، والطبري في تفسيره (١٢/ ٤)، ورواه في التاريخ (١/ ٣٧-٣٨)، وابن حبان في صحيحه ـ موارد الظمآن ـ ص٤٠، رقم ٣٩، كتاب الإيمان، باب في الرؤية. وابن أبي عاصم في « السنة » (١/ ٢٧١-٢٧٢). وابن أبي شيبة في « العرش » ص٥٤. والبيهقي في « الأسماء والصفات » (٢/ ١٥٠). وابن عبدالبر في « التمهيد » (٧/ ١٣٧). وقد ضعف الألباني هذا الحديث، انظر: تخريج كتاب السنة لابن أبي عاصم (١/ ٢٧٢)، مشكاة المصابيح (٣/ ١٠٩٥). الهامش.

قلت: ومدار هذا الحديث على وكيع بن حدس أو عدس، على اختلاف في اسمه: =

قال محمد[(١)]: العماء : السحاب الكثيف المطبق فيما ذكره الخليل[(٢)(٣)].

= ذكره ابن حبان في « الثقات ». وقال ابن قتيبة : غير معروف. وقال ابن القطان : مجهول الحال. وقال عنه الحافظ بأنه مقبول. وذكر الذهبي أنه لا يعرف وتفرد عنه يعلى بن عطاء. انظر: تأويل مختلف الحديث ص١٥٠ ، الجرح والتعديل (٩/ ٢٣٦)، تهذيب التهذيب (١١/ ١٣١)، التقريب ص٥٨١، ميزان الاعتدال (٤/ ٣٣٥).

والحديث بهذا الإسناد ضعيف، والله أعلم.

(١) محمد : هو: ابن أبي زمنين.

(٢) الخليل، هو: الخليل بن أحمد الفراهيدي، أبو عبدالرحمن. كان إماماً في لسان العرب، وأول من قال بعلم العروض. قال عنه الذهبي: «كان رأساً في لسان العرب، ديِّناً ورعاً قانعاً متواضعاً كبير الشأن» .اهـ. توفي سنة سبعين ومائة.

انظر: وفيات الأعيان (٢/ ٢٤٤)، السير (٧/ ٤٢٩)، شذرات الذهب (١/ ٢٧٥).

وما أشار إليه ابن أبي زمنين ذكره الخليل في كتابه « العين » (٢/ ٢٦٦).

(٣) العماء: بالفتح والمد، قيل: هو السحاب، وقيل: السحاب المرتفع، وقيل: الكثيف المطر، وقيل: الرقيق، وقيل: هو الأسود.

ومنه قول الفرزدق:

كنجم الثريا أسفرت من عمائها

قال الترمذي: قال أحمد بن منيع: قال يزيد بن هارون: العماء أي : ليس معه شيء ، وما نقله الترمذي على رواية القصر « في عمى ».

والذي يترجح – والله أعلم – أن المقصود بالعماء هو السحاب.

قال الأزهري: القول عندي ما قاله أبو عبيد أنه العماء، ممدود، وهو السحاب، ولا يدرى كيف ذلك العماء بصفة تحصره ولا نعت يحده. اهـ.

انظر: سنن الترمذي (٥/ ٢٨٨)، تأويل مختلف الحديث ص١٥٠، غريب الحديث لأبي عبيد (٢/ ٨-٩)، النهاية في غريب الحديث (٣/ ٣٠٤)، غريب الحديث للخطابي (٣/ ٢٤٢)، لسان العرب (١٥/ ٩٩-١٠٠).

هذا معنى «العماء» في لغة الغرب والتي ورد بها الحديث، فيثبت الخبر كما جاء من غير تكييف، وهذا لا ينافي كونه الأول الذي ليس قبل شيء، قال أبو عبيد ـ القاسم =

وذكر آثاراً أُخَر، ثم قال : باب[١] الإيـمان بالكرسي .

قوله في الكرسي

قـال محمـد بـن عـبدالله[٢] : ومـن قول أهل السنة : أن الكرسي بين يـدي العـرش، وأنـه موضـع القدمين[٣]. ثم ذكر حديث أنس الذي فيه الـتجلي يوم الجمعة في الآخرة، وفيه **«فإذا كان يوم الجمعة هبط من عليين عـلى كرسيه، ثم يحف بالكرسي منابر من ذهب مكللة بالجواهر[٤]، ثم يجيء النبيون فيجلسون عليها»**[٥].

= ابـن سـلام ـ : «وإنمـا تأولنا هذا الحديث عن كلام العرب المعقول عنهم، ولا ندري كيف ذلك العماء وما مبلغه، والله أعلم ».اهـ. غريب الحديث لأبي عبيد (٢/ ٩).

وقـال الأزهـري، بعد أن رجح قول أبي عبيد: « ويقوي هذا القول قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة:٢١٠]، قـال: والغمام معروف في كـلام العرب، إلا أنّا لا ندري كيف الغمام الذي يأتي الله عز وجل يوم القيامة في ظلـل منه، فنحن نؤمن به ولا نكيف صفته، وكذلك سائر صفات الله عز وجل».اهـ. تهذيب اللغة للأزهري (٣/ ٢٤٦)، لسان العرب (١٥/ ١٠٠).

وقـد نقـل ابـن عبدالبر عن بعض العلماء أن الهاء في قولـه: «فوقه، وتحته» راجعة إلى العماء.

انظر: التمهيد (٧/ ١٣٨).

(١) في أصول السنة زيادة «في».

(٢) محمد بن عبدالله: أي ابن أبي زمنين.

(٣) انظر: ص٣٣٠.

(٤) مكللـة بالجواهـر، أي: محاطـة بالجواهـر. ومـنه قولهـم: روضـة مكللـة، أي: محفوفة بالنور، وغمام مكلل، أي: محفوف ومحاط بقطع من السحاب.

انظر لسان العرب (١١/ ٥٩٥-٥٩٦).

(٥) والحديـث كمـا رواه ابـن أبـي زمـنين في « أصـول السنة » (١/ ٢٩٩-٣٠٠): قال: حدثني إسحاق عن أحمد بن خالد، عن ابن وضاح، عن أبي بكر عبدالله بن محمد بن =

....

= أبي شيبة، قال: حدثنا عبدالرحمن بن محمد المحاربي، عن ليث، عن عثمان عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أتاني جبريل بالجمعة، وهي كالمرآة البيضاء ..»**، وذكر الحديث. وفيه: « **أن الرب تبارك وتعالى اتخذ في الجنة وادياً من مسك أبيض، فإذا كان يوم الجمعة هبط من عليين على كرسيه ثم يحف الكرسي بمنابر من ذهب مكللة بالجواهر ثم يجيء النبيون فيجلسون عليها** » اهـ.

هذا الحديث رواه جمع من الأئمة من طرق متعددة، فقد رواه كل من:

الشافعي في « الأم » (١/ ١٨٥) وفي « مسنده » ص٧٠-٧١. وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢/ ١٥٠-١٥١) وقد ساقه بطوله. وفي كتاب « العرش » ص٩٥. وعبدالله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ٢٥٠-٢٥١). وأبو يعلى في « مسنده » (٧/ ٢٢٨-٢٢٩). والطبري في « تفسيره » (٢٦/ ١٨٥)، من ثلاثة طرق. والدارمي في «الرد على الجهمية» ص١٧٦-١٧٧، من طريقين. وابن منده في «الرد على الجهمية» ص١٠١، وقد رواه مختصراً . والآجري في « الشريعة » ص٢٦٥-٢٦٦، من ثلاثة طرق. وفي «التصديق بالنظر إلى الله في الآخرة » ص٦٦-٦٧. والدارقطني في كتاب «رؤية الله جل وعلا» ص٧٦-٨٥ من طرق متعددة. وابن النحاس في كتاب « رؤية الله تبارك وتعالى » ص١٩-٢٠. وابن عدي في «الكامل» (٤/ ١٣٧٣)، مختصراً. والعقيلي في «الضعفاء الكبير» (١/ ٢٩٢-٢٩٣). وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٣/ ٢٣٤-٢٣٥) تحقيق: علي رضا عبدالله ط. الأولى ١٤٠٧، دار المأمون للتراث. ورواه مختصراً في «ذكر أخبار أصبهان» (١/ ٢٧٨). والبزار في مسنده، انظر «كشف الأستار» (٤/ ١٩٤-١٩٦). والخطيب في «تاريخ بغداد» (٣/ ٤٢٥). وابن قدامة في «إثبات صفة العلو» ص١٠٩-١١٠. والذهبي في «العلو» ص٢٨-٣١، من طرق متعددة. وقال: «وهذه طرق يعضد بعضها بعضاً » اهـ. ورواه أيضاً في «الأربعين» ضمن «ست رسائل للذهبي» ص٧٨، وقال: هذا حديث غريب رواه الشافعي في مسنده. اهـ. وذكره الحافظ ابن حجر في « المطالب العالية » ـ المطبوع ـ (١/ ١٥٧-١٥٩)، باب فضل الجمعة والساعة التي يرجى فيها إجابة الدعاء. وفي ـ المخطوط ـ ص٢٤، =

....

= وقف المدرسة المحمودية بالمدينة المنورة. . ورواه الهيثمي في «مجمع البحرين» ـ مخطوط ـ (١/ ٨٦)، باب فضل يوم الجمعة، مصورة من مكتبة أحمد الثالث – استنابول، تركيا. وذكره ابن أبي حاتم في «العلل» (١/ ١٩٩، ٢٠٦) رقم ٥٧١، ٥٩٣. وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٤٢١-٤٢٢)، وقال: رواه الطبراني في الأوسط بنحوه، وأبو يعلى باختصار، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح، وأحد إسنادي الطبراني رجاله رجال الصحيح، غير عبدالرحمن بن ثابت بن ثوبان، وقد وثقه غير واحد، وضعفه غيرهم، وإسناد البزار فيه خلاف. اهـ. وذكره المنذري في «الترغيب والترهيب» (١/ ٤٨٩)، وقال: رواه الطبراني في الأوسط بإسناد جيد. اهـ. وقال العراقي عن الحديث: رواه الشافعي في المسند، والطبراني في الأوسط، وابن مردويه في التفسير بأسانيد ضعيفة مع اختلاف. اهـ – تخريج أحاديث إحياء علوم الدين (١/ ٤١٣)، استخراج محمود الحداد، ط الأولى ١٤٠٨هـ.

وقد ذكر شيخ الإسلام روايات هذا الحديث وبعض طرقه، ثم قال: « فإذا كان الحديث قد روي من تلك الطريق ـ أي: من رواية ابن بطة، وهي من ضمن الطرق التي ذكرها ـ الجيدة، اندفع الحمل عليه ». اهـ. انظر الفتاوي (٦/ ٤١١-٤١٦).

وقد صححه ابن القيم؛ فقال: «وأما حديث أنس بن مالك، فهو الحديث العظيم الشأن، الذي هو قرة لعيون أهل الإيمان وشجى في حلوق أهل التعطيل والبهتان، رواه الشافعي في مسنده مجمِّلاً به كتابه، وراجياً بروايته وتبليغه عن الرسول من الله ثوابه، ورواه أئمة السنة له مقرين، وعلى من أنكره منكرين...اهـ. وذكر بعض طرق الحديث. مختصر الصواعق (٢/ ٢٣٧-٢٣٩).

وذكر في موضع آخر أن هذا الحديث شأنه عظيم، وقد رواه الأئمة وتلقوه بالقبول. انظر: حادي الأرواح ص٣٥٤-٣٥٧. وزاد المعاد (١/ ٤٠٩-٤١٠).

وذكره ابن كثير في «النهاية» (٢/ ٢٨٧-٢٨٨)، وساق بعض طرقه، ونقل عن الحافظ الضياء أنه جوَّد طرق الحديث.

ويتلخص لنا مما سبق أن الذين صححوا الحديث جمع من العلماء؛ منهم: الذهبي، =

وذكر ما ذكره يحيى بن سلام[١] صاحب التفسير المشهور[٢] : حدثني المعلى[٣] بن هلال[٤]، عن عمار الدهني[٥][٦]،

= والهيثمي، والمنذري، وشيخ الإسلام، وابن القيم، والحافظ الضياء.

وعلى هذا فإن الحديث بكثرة طرقه، وتلقّي الأمة له بالقبول، وتصحيح الأئمة الآنف ذكرهم له، لا ينحط عن درجة القبول.

(١) يحيى بن سلام، هو: يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، أبو زكريا البصري. أثنى عليه أبوعمرو الداني، وقال: «كان ثقة ثبتاً، عالماً بالكتاب والسنة، وله معرفة باللغة العربية» اهـ . وذكر تفسيره، وقال: ليس لأحد من المتقدمين مثله ». اهـ. توفي سنة مائتين.

انظر: الجرح والتعديل (٩/ ١٥٥)، السير (٩/ ٣٩٦)، لسان الميزان (٦/ ٢٥٩)، معجم المؤلفين (١٣/ ٢٠٠-٢٠٠١).

(٢) تفسير يحيى بن سلام، هذا الكتاب لم يطبع حتى الآن، ويوجد منه أجزاء متفرقة في تونس، في المكتبة العبدلية، وقد نقلت إلى دار الكتب الوطنية بتونس برقم ٧٤٤٧، ومنه نسخة مصورة بالقاهرة. انظر: تاريخ التراث لسزكين (١/ ٩١)، الأعلام للزركلي (٨/ ١٤٨)، فهرس المخطوطات بدار الكتب المصرية (١/ ١٦٨).

وله مختصر اختصره ابن أبي زمنين باسم « مختصر تفسير يحيى بن سلام » وقد حقق جزء منه في قسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين بجامعة الإمام بعناية عبدالله المديميغ عام ١٤٠٩هـ.

(٣) في (ج، ع) العلاء، وما أثبت من أصول السنة، وهو كذلك في كتب التراجم.

(٤) المعلى بن هلال، هو: المعلى بن هلال بن سويد الحضرمي، أبو عبدالله الطحان، الكوفي. اتفق العلماء على تكذيبه، قال البخاري: تركوه. وقال ابن معين: هو من المعروفين بالكذب ووضع الحديث. من الطبقة الثامنة.

انظر: الجرح والتعديل (٨/ ٣٣١)، تهذيب الكمال (٣/ ١٣٥٥) وتهذيب التهذيب (١٠/ ٢٤٠)، التقريب ص٥٤١، ميزان الاعتدال (٤/ ١٥٢).

(٥) في (ع) الذهلي» وهو خطأ.

(٦) عمار الدهني، هو: عمار بن معاوية بن أسلم البجلي، الدهني الكوفي، أبو معاوية. =

عن سعيد بن جبير[١]، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: «إن الكرسي الذي وسع السماوات والأرض لموضع[٢] القدمين، ولا يعلم قدر العرش إلا الذي خلقه»[٣].

وذكر[٤] حديث أسد بن موسى[٥] حدثنا حماد بن سلمة[٦]، عن عاصم[٧]،

= وثقه الإمام أحمد وجماعة. توفي سنة ثلاث وثلاثين مائة. انظر: الجرح والتعديل (٦/ ٣٩٠)، تهذيب التهذيب (٧/ ٤٠٦)، والسير (٦/ ١٣٨)، شذرات الذهب (١/ ١٩١).

(١) سعيد بن جبير، هو: سعيد بن جبير بن هشام، أبو محمد الأسدي، مولاهم الكوفي. من كبار العلماء العاملين، صاحب زهد وعبادة، لا يخاف في الله لومة لائم، أثنى عليه العلماء ثناءً عاطراً. قال عنه الذهبي: «سعيد بن جبير، الإمام الحافظ المقرئ المفسر الشهيد» اهـ. وعن عمرو بن ميمون عن أبيه، قال: «لقد مات سعيد بن جبير وما على الأرض أحد إلا وهو محتاج إلى علمه» اهـ. توفي سنة خمس وتسعين على يد الحجاج، وقصة قتله مشهورة، تقبله الله في الشهداء. انظر: الطبقات الكبرى (٦/ ٢٥٦)، حلية الأولياء (٤/ ٢٧٢)، تذكرة الحفاظ (١/ ٧١)، السير (٤/ ٣٢١).

(٢) في أصول السنة: «موضع».

(٣) سبق تخريج هذا الأثر، انظر: ص٣٣٠ .

(٤) في (ع) زياد «من».

(٥) أسد بن موسى، هو: أسد بن موسى بن إبراهيم ابن الخليفة الوليد بن عبدالملك بن مروان، القرشي الأموي، أبو سعيد. يلقب بأسد السنة. قال عنه الذهبي: «هو الإمام الحافظ الثقة، ذو التصانيف». اهـ. توفي سنة اثنتي عشرة ومائتين. من مصنفاته: كتاب «الزهد». انظر: تذكرة الحفاظ (١/ ٤٠٢)، السير (١/ ١٦٢)، شذرات الذهب (٢/ ٢٨٧).

(٦) حماد بن سلمه: سبقت ترجمته، انظر ص٣٠٢ .

(٧) عاصم، هو: عاصم بن بهدلة بن أبي النجود، أبو بكر الأسدي مولاهم الكوفي. من كبار القراء، وقد تصدر لذلك مدة بالكوفة، من القراء السبعة. قال أحمد العجلي: «عاصم صاحب سنة وقراءة، كان رأساً في القرآن» اهـ. توفي سنة سبع وعشرين ومائة.=

عن زر[١] عن أبي مسعود رضي الله عنه قال : **«ما بين السماء الدنيا والتي تليها مسيرة خمسمائة عام ، وبين كل سماء[٢] خمسمائة عام، وبين السماء السابعة و[٣] الكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء مسيرة خمسمائة عام[٤]، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش، وهو يعلم ما أنتم عليه»**[٥].

ثم قال[٦] : باب[٧] الإيمان بالحجب[٨] .

= انظر: وفيات الأعيان (٣/ ٩)، معرفة القراء الكبار (١/ ٨٨)، السير (٥/ ٢٥٦) تهذيب التهذيب (٥/ ٣٨).

(١) زر، هو: زر بن حبيش بن حباشة بن أوس الكوفي، أبو مريم الأسدي. أدرك أيام الجاهلية، وحدَّث عن جمع من كبار الصحابة، كان من القراء، وقد قرأ على ابن مسعود وعلي ـ رضي الله عنهما ـ قال عنه عاصم بن أبي النجود: « ما رأيت أحداً أقرأ من زر » اهـ. توفي سنة إحدى وثمانين وقد تجاوز عمره المائة.

انظر: الطبقات الكبرى (٦/ ١٠٤)، حلية الأولياء (٤/ ١٨١)، السير (٤/ ١٦٦) .

(٢) في أصول السنة: «سماءين».

(٣) في أصول السنة زيادة «وبين».

(٤) « بين الكرسي والماء مسيرة خمسمائة عام » سقط من (ج) وما أثبت من (ع) وكذا في « أصول السنة » وفي المصادر التي أخرجت الأثر.

(٥) رواه ابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٢٤٣)(٢/ ٨٨٥). والدارمي في «الرد على الجهمية» ص٤٦. والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ١٤٥). وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٥٦٥-٥٦٦، ٦٨٨-٦٨٩). والطبراني في «المعجم الكبير» (٩/ ٢٢٨). واللالكائي في « شرح أصول أهل السنة » (٢/ ٣٩٦). وابن عبدالبر في «التمهيد» (٧/ ١٣٩). والذهبي في «العلو» ص٣٩-٤٠، وذكر أن له طرقاً. وذكره الهيثمي في «المجمع» وقال: رواه الطبراني في الكبير، ورجاله رجال الصحيح. اهـ. وذكره الحافظ ابن حجر في « الفتح » (١٣/ ٤١٣) كتاب التوحيد، وسكت عنه.

(٦) في (ع) «ذكر».

(٧) في (ع) «في باب».

(٨) من عقيده أهل السنة والجماعة أن الله محتجب عن خلقه بالحجب، لا يستطيع =

قوله في الحجب

قال : ومن قول أهل السنة أن الله بائن من خلقه يحتجب[١] عنهم بالحجب ، فتعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً[٢] ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف :٥] وذكر آثاراً في الحجب .

= أن يراه أحد في الدنيا، لأن الأبصار والأجسام خلقت في الدنيا للفناء، فلو كشف الله هذه الحجب حال وجود الناس في الدنيا لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه، ولاندكت كما اندك جبل موسى، والله أعلم بكيفية هذه الحجب ومقدارها، لكن يوم القيامة تركب الأبصار للبقاء وتعطى قوة لم تكن لها حال خلقها في الدنيا، لذا تحتمل النظر إلى جبار السماوات والأرض.

وبإثبات الحجب جاءت الأدلة، بقوله سبحانه وتعالى: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الشورى:٥١].

وروى مسلم في صحيحه (١/ ١٦١) رقم ١٧٩، كتاب الإيمان عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات، قال: «**إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، ويرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل. حجابه النور**، ـ وفي رواية ـ **النار، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**» .

والنصوص والآثار في ذلك كثيرة، وقد عقد الأئمة في هذا الموضوع أبواباً وأوردوا فيه النصوص والآثار الدالة على ذلك.

قال الإمام الدارمي في كتابه « الرد على الجهمية » ص٦٠-٦٢: «باب الاحتجاب » وساق بعض النصوص والآثار في ذلك، ثم قال: « من يقدر قدر هذه الحجب التي احتجب الجبار بها؟ ومن يعلم كيف هي غير الذي أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً؟ ففي هذا أيضاً دليل على أنه بائن من خلقه محتجب عنهم لا يستطيع جبريل مع قربه إليه الدنو من تلك الحجب...» اهـ. وانظر الفتاوي (٦/ ١٠-١١).

(١) في أصول السنة: «محتجب».

(٢) في أصول السنة دون «علواً كبيراً».

ثم قال: في باب[١] الإيمان بالنزول[٢] .

---

(١) في أصول السنة زيادة «في».

(٢) وصفة النزول كسائر الصفات، يجب الإيمان بها من غير تكييف لهذه الصفة، ولا تعطيل ولا تأويل، وقد عقد العلماء لذلك الأبواب والفصول، بل صنفوا فيها كتباً مستقلة.

قال الآجري في «الشريعة» ص٣٠٦: « باب الإيمان والتصديق بأن الله عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة». ثم قال: الإيمان بهذا واجب، ولا يسع المسلم العاقل أن يقول: كيف ينزل؟ ولا يرد هذا إلا المعتزلة، وأما أهل الحق فيقولون: الإيمان به واجب بلا كيف، لأن الأخبار صحت عن رسول الله ﷺ: أن الله عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة ... ، ثم ساق الآثار الواردة في ذلك.

وقال الإمام ابن خزيمة في كتاب « التوحيد » (١/ ٢٨٩-٢٩٠): «باب ذكر أخبار ثابتة في السنة صحيحة القوام، رواها علماء الحجاز والعراق عن النبي ﷺ في نزول الرب جل وعلا إلى سماء الدنيا كل ليلة، نشهد شهادة مقر بلسانه، مصدق بقلبه، مستيقن بما في هذه الأخبار من ذكر نزول الرب. من غير أن نصف الكيفية، لأن نبينا لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا إلى سماء الدنيا، وأعلمنا أنه ينزل، ثم قال: فنحن قائلون مصدقون بما في هذه الأخبار من ذكر النزول غير متكلفين القول بصفة الكيفية ... ثم قال: وفي هذه الأخبار ما بان وثبت وصح: أن الله جل وعلا فوق سماء الدنيا، الذي أخبرنا نبينا ﷺ أنه ينزل إليه، إذ محال في لغة العرب أن يقول: نزل من أسفل إلى أعلى، ومفهوم الخطاب أن النزول من أعلى إلى أسفل. اهـ ثم ذكر الآثار الواردة في ذلك.

وقال الدارمي في كتاب « الرد على الجهمية » ص٦٣، ٧٩: باب « النزول » ثم ذكر الآثار والنصوص في ذلك، ثم قال: فهذه الأحاديث قد جاءت كلها وأكثر منها في نزول الرب تبارك وتعالى في هذه المواطن، وعلى تصديقها والإيمان بها أدركنا أهل الفقه والبصر من مشايخنا، ولا ينكرها منهم أحد، ولا يمتنع من روايتها ... ثم قال: والإيمان بقول رسول الله ﷺ في نزوله واجب، ولا يسأل الرب عما يفعل كيف يفعل؟ وهم يسألون...».

وقد أفرد الدارقطني في ذلك كتاباً أسماه: « كتاب النزول » ساق فيه روايات حديث النزول، وقد طبع مع كتاب الصفات للمؤلف نفسه بتحقيق د. علي بن محمد الفقيهي، =

قوله في النزول

قـال: ومن قول أهل السنة إن الله ينزل إلى السماء[١] الدنيا، ويؤمنون بذلـك مـن غـير أن يَحـدُّوا فـيه حَـدّاً . وذكـر الحديث من طريق مالك وغـــيره[٢] إلى أن قـــال : وأخـــبرنا[٣] وهـــب[٤] عـــن ابـــن[٥]

= ط الأولى ١٤٠٣هـ ، وكذلك شيخ الإسلام شَرَح حديث النزول في كتاب مستقل أسماه: « شرح حديث النزول » وقد طبع عدة طبعات، وحُقِّق أخيراً في رسالة علمية في قسم العقيدة بكلية أصول الدين بالرياض، بعناية د. محمد بن عبدالرحمن الخميّس.
وقد بلغت النصوص الواردة في إثبات صفة النزول حد التواتر، مما لا يجعل هناك مجالاً لإنكارها، أو الطعن فيها. انظر: مختصر الصواعق (٢/ ٢١٧-٢١٨)، العلو للذهبي ص٧٩، شرح حديث النزول لشيخ الإسلام ص٥، ط. المكتب الإسلامي، التمهيد لابن عبدالبر (٧/ ١٢٨-١٢٩)، عقيدة السلف للصابوني ص٢٦.

(١) في أصول السنة «سماء الدنيا».

(٢) حيث قال: حدثني سعيد بن فحلول، عن العكي، عن ابن بكير قال: حدثنا مالك، عن ابن شهاب، عن أبي عبدالله الأغر، وعن أبي سلمة بن عبدالرحمن، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حيث يبقى ثلث الليل الأخير، فيقول من يدعوني فأستجيب لـه، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر لـه»**. الحديث أخرجه البخاري (٣/ ٢٩)، رقم ١١٤٥، كتاب التهجد، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل. ومسلم (١/ ٥٢١) رقم ٧٥٨، كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٣) في (ع) « أخبرني ».

(٤) وهب، هو: وهب بن مَسَرَّة بن مفرج بن بكر، أبو حزم التيمي الأندلسي الحجازي المالكي. قال عنه الذهبي: « كان رأساً في الفقه، بصيراً بالحديث ورجاله مع ورع وتقوى، دارت الفتيا عليه ببلده ...» اهـ. توفي سنة ست وأربعين وثلاثمائة.
انظر: جذوة المقتبس للحميدي ص٣٦٠، تاريخ علماء الأندلس (٢/ ١٦٥-١٦٦)، تذكرة الحفاظ (٣/ ٨٩٠)، السير (١٥/ ٥٥٦).

(٥) في (ع) « أبي » بدل: ابن.

وضاح[١] عن زهير بن عباد[٢] قال: «من[٣] أدركت من المشايخ ـ مالك وسفيان الثوري[٤][٥] وفضيل بن عياض[٦] وعيسى[٧][٨] وابن المبارك[٩] ووكيع[١٠] ـ كانوا يقولون: النزول حق»[١١].

---

(١) ابن وضّاح، هو: محمد بن وضاح بن بزيع، أبو عبدالله القرطبي، مولى عبدالرحمن بن معاوية. قال عنه ابن الفرضي: «كان عالماً بالحديث، بصيراً بطرقه، متكلماً على علله، كثير الحكاية عن العباد وزاهداً..» اهـ. توفي سنة سبع وثمانين ومائتين. انظر: تاريخ علماء الأندلس (٢/ ١٥-١٧)، بغية الملتمس ص١٣٣، السير (١٣/ ٤٤٥).

(٢) زهير بن عباد، هو: زهير بن عباد بن مليح بن زهير الرؤاسي، الكوفي، ابن عم وكيع بن الجراح. وثقه أبو زرعة، وأحمد بن أبي الحواري. توفي سنة ثمان وثلاثين ومائتين. انظر: ميزان الاعتدال (٢/ ٨٣) والسير (١١/ ٣٨٣)، تهذيب التهذيب (٣/ ٣٤٤).

(٣) في (ج) «لما» وما أثبت من (ع) وكذا في أصول السنة.

(٤) «الثوري» سقطت من (ع).

(٥) سفيان الثوري، سبقت ترجمته، انظر: ص٢٩٨.

(٦) الفضيل بن عياض، سبقت ترجمته، انظر: ص٢٤٤ .

(٧) في (ع) «وعيسى ابن المبارك» وهو خطأ.

(٨) عيسى، هو: عيسى بن يونس بن أبي إسحاق، أبو عمرو الهمداني، السبيعي، الكوفي. كان من المجاهدين المرابطين، إمام قدوة حافظ. قال عنه الذهبي: «كان واسع العلم، كثير الرحلة، وافر الجلالة» اهـ. توفي سنة سبع وثمانين ومائة.
انظر: تاريخ بغداد (١١/ ١٥٢)، تذكرة الحفاظ (١/ ٢٧٩)، السير (٨/ ٤٨٩).

(٩) ابن المبارك، هو: عبدالله بن المبارك، سبقت ترجمته، انظر ص٢٤٣ .

(١٠) وكيع، هو: وكيع بن الجراح بن مليح بن عدي، أبو سفيان الرؤاسي الكوفي. إمام وقته، وحافظ زمانه، ذو زهد وعبادة. قال عنه الإمام أحمد: «ما رأيت أحداً أوعى للعلم ولا أحفظ من وكيع» اهـ. وقال عنه الذهبي: «كان من بحور العلم وأئمة الحفظ». اهـ. انظر: الطبقات الكبرى (٦/ ٣٩٤)، حلية الأولياء (٨/ ٣٦٨)، تاريخ بغداد (١٣/ ٤٤٦)، السير (٩/ ١٤٠).

(١١) وذكر هذا الأثر شيخ الإسلام في «شرح حديث النزول» ص١٨٨ ولم يذكر عيسى بن يونس.

قال ابن وضاح: سألت[1] يوسف بن عدي[2] عن النزول، قال: «نعم[3] أؤمن[4] به ولا أحد فيه حداً». وسألت عنه ابن معين[5] فقال[6][7]: «أقر به ولا أحد فيه حداً»[8].

ذكره لبعض أدلة العلو

قال محمد[9]: وهذا الحديث يبيِّن أن الله عز وجل على عرشه في السماء دون الأرض، وهو أيضاً بَيِّنٌ[10] في كتاب الله وفي ما[11] غير حديث عن رسول الله ﷺ قال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ

---

(١) في (ع) «وسألت».

(٢) يوسف بن عدي، هو: يوسف بن عدي بن زريق بن إسماعيل أبو يعقوب التيمي الكوفي. أقام بمصر وحدث بها إلى أن توفي سنة اثنتين وثلاثين ومائتين.
انظر: السير (١٠/ ٤٨٤)، تهذيب التهذيب (٤/ ١٨٩)، شذرات الذهب (٢/ ٧٥).

(٣) في (ع) زيادة «قال».

(٤) في أصول السنة: «أقر به» بدل: أومن به.

(٥) ابن معين، هو: يحيى بن معين بن عون بن زياد بن سطام، أبو زكريا المري، مولاهم البغدادي. كان إماماً عالماً، حاذقاً في نقد الرجال، كتب الجرح والتعديل تزخر بأقواله. روي عنه أنه قال: «كتبت بيدي ألف ألف حديث».اهـ. وقال علي بن المديني: «ما أعلم أحداً كتب ما كتب يحيى بن معين».اهـ. ولد سنة ثمان وخمسين ومائة، وتوفي سنة ثلاث وثلاثين ومائتين.
انظر: الجرح والتعديل (١/ ٣١٤)، تاريخ بغداد (١٤/ ١٧٧)، وفيات الأعيان (٦/ ١٣٩)، السير (١١/ ٧١).

(٦) في (ع) «قال».

(٧) في (ع) زيادة «نعم».

(٨) ذكر هذين الأثرين شيخ الإسلام في «شرح حديث النزول» ص١٨٨.

(٩) محمد: أي: ابن أبي زمنين.

(١٠) «بين» سقطت من (ج)، وما أثبت من (ع) وكذا في أصول السنة.

(١١) «ما» سقطت من (ج)، وما أثبت من (ع) وكذا في أصول السنة.

ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة :٥] ، وقال تعالى : ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ[١] ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾﴾ [الملك: ١٦-١٧]، وقال تعالى : ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠] ، وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ [الأنعام:١٨] ، وقال تعالى : ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ [آل عمران:٥٥]، وقال تعالى : ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء :١٥٨] .

وذكر من طريق مالك قول النبي ﷺ للجارية: **«أين الله؟»** . قالت : في السماء. قال: **«من أنا؟»** قالت: أنت رسول الله. قال: **«فأعتقها، فإنها مؤمنة»**[٢][٣] .

قال : « والأحاديث[٤] مثل هذه كثيرة جداً، فسبحان[٥] من عِلْمُه بما في السماء كعِلْمِه بما في الأرض[٦] لا إله إلا هو العلي العظيم»[٧] .

---

(١) لم ترد هذه الآية في (ع).

(٢) «فإنها مؤمنة» سقطت من (ع).

(٣) والحديث سبق تخريجه، انظر: ص٢١١.

(٤) في أصول السنة و الحديث بالإفراد.

(٥) في أصول السنة زيادة « الله ».

(٦) في أصول السنة من « علمه بما في الأرض كعلمه بما في الأرض..».

(٧) أصول السنة، لمحمد بن أبي زمنين (١/ ٢٨٢، ٢٨٥، ٢٩٤، ٢٩٨، ٣٠٠، ٣٠٥، ٣٠٩، ٣١١، ٣١٨، ٣٢٦، ٣٣٧، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٨٣، ٤٥٢، ٥٨٣) (رسالة ماجستير في الجامعة الإسلامية شعبة العقيدة) تحقيق محمد إبراهيم هارون لعام ١٤٠٣-١٤٠٤هـ. وقد حقق الكتاب عن النسخة الخطية في مكتبة ريفان كشك بتركيا.

قوله في الأسماء والصفات جملة

وقال قبل ذلك[١][٢] «باب[٣] في الإيمان بصفات الله تعالى وأسمائه» قال: واعلم بأن[٤] أهل العلم بالله وبما جاءت به أنبياؤه ورسله يرون الجهل بما لم يخبر به[٥] تعالى عن نفسه علماً، والعجز عن ما لم يدع إليه[٦] إيماناً، وأنهم[٧] إنما ينتهون من وصفه بصفاته وأسمائه إلى حيث انتهى[٨] في كتابه، وعلى لسان نبيه.

وقد قال الله تعالى - وهو[٩] أصدق القائلين - : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدُۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام:١٩]، وقال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران:٣٠]، وقال: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [ص:٧٢]، وقال: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور:٤٨]، وقال: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ [طه:٣٩]، وقال: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤]، وقال تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ[١٠]﴾ [الزمر:٦٧]، وقال:

---

(١) في المصدر السابق (١/ ١٥١، ١٧٩، ١٨٠، ٢١١).

(٢) في (ع) زيادة «في».

(٣) في أصول السنة دون «باب».

(٤) في أصول السنة «أن».

(٥) في أصول السنة زيادة « تبارك».

(٦) في أصول السنة دون «إليه».

(٧) في (ج) «وهم» وما أثبت من أصول السنة، وهكذا هو في بقية النسخ.

(٨) في (ع) «ينتهي».

(٩) «الله تعالى — وهو» لم ترد في (ع).

(١٠) في أصول السنة زيادة: «والسموات مطويات بيمينه».

﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه:٤٦]، وقال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء:١٦٤]، وقال تعالى: ﴿ ۞ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور:٣٥]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ[1]﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد:٣] ومثل هذا في القرآن كثير.

فهو تبارك وتعالى نور السماوات والأرض، كما أخبر عن نفسه وله وجه ونفس وغير ذلك مما[2] وصف به نفسه، ويسمع ويرى ويتكلم، الأول ولا[3] شيء قبله، والآخر الباقي إلى غير نهاية ولا[4] شيء بعده، والظاهر العالى فوق كل شيء[5] والباطن بطن علمه بخلقه، فقال: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٩]، حي قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم.

وذكر أحاديث الصفات، ثم قال: فهذه صفات ربنا التي وصف بها نفسه في كتابه، ووصفه بها نبيه، وليس في شيء منها تحديد ولا تشبيه ولا تقدير[6] ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، لم تره العيون فتحده كيف هو، ولكن رأته القلوب في حقائق

---

(١) في أصول السنة زيادة: «لا تأخذه سنة ولا نوم».

(٢) في أصول السنة «كما».

(٣) في أصول السنة دون الواو.

(٤) في أصول السنة دون الواو.

(٥) في أصول السنة زيادة: «خلق».

(٦) في أصول السنة: «فسبحان من ليس كمثله ..».

الإيـمان»اهـ[(١)](٢).

وكـلام الأئمـة في هـذا الـباب أطـول وأكـثر مـن أن تسع هذه الفتيا عشره، وكذلك كلام الناقلين لمذهبهم.

قول الإمام الخطابي

مـثل مـا ذكـره أبو سليمان الخطابي(٣) في رسالته المشهورة في «الغنية

---

(١) وذلـك حيـث آمنـت بكـل ما ورد من أسمائه وصفاته في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ إيماناً قاطعاً، وتصـديقاً جازماً لا لـبس فيه ولا شبهة، ولم تتكلف تكييف ذلك أو تمثيله، وهـذه هـي الرؤية القلبية التي تكون في بعض الأحيان أعظم من الرؤية البصرية، وخاصة فـيما يـتعلق بالمعـاني الإيمانـية، وقـد روي أن عـروة بن الزبير خطب من عبدالله بن عمر رضي الله عنهما ابنـته، وهـو في الطـواف؛ فقـال: «أتحدثـني في النساء ونحن نتراءى الله في طوافنا؟» فهـذا الـتجلي بحسـب إيمـان العـبد ومعرفـته وحبه، ولهذا تختلف وتتنوع أحوال الناس في ذلك.

انظر: شرح حديث النزول لشيخ الإسلام ص١٢٣-١٢٤.

(٢) إلى هنا انتهى النقل عن ابن أبي زمنين.

(٣) أبـو سـليمان الخطـابي، هـو: حمـد بـن محمـد بـن إبراهـيم بن الخطاب، من ولد زيد بن الخطـاب، أبـو سـليمان البسـتي. جمـع بين علم الحديث والفقه، والشعر واللغة، وقد أخذ الفقه على مذهب الشافعي.

قـال عـنه أبـو الطاهـر السـلفي: «وأمـا أبـو سليمان الشارح لكتاب أبي داود، فإذا وقف منصـف عـلى مصـنفاته، واطلـع عـلى بديع تصرفاته في مؤلفاته تحقق إمامته وديانته فيما يورده وأمانته ..» اهـ.

ومن بديع شعره:

وما غربة الإنسان في شقة النوى ... ولكنها والله في عـدم الشكـل

وإني غريب بين بُست وأهلهـا ... وإن كان فيها أسرتي وبها أهلي

توفي سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة.

ومـن مؤلفاتـه: «معـالم السـنن» شـرح لسـنن أبـي داود ، «غريـب الحديث»، و«العزلة»، و«شرح أسماء الله الحسنى» و«الغنية عن الكلام» إلى غير ذلك. =

عن الكلام وأهله »[1] قال: «فأما ما سألت عنه من الصفات، وما جاء منها في الكتاب والسنة، فإن مذهب السلف إثباتها وإجراؤها على ظواهرها، ونفي الكيفيه والتشبيه عنها، وقد نفاها قوم فأبطلوا ما أثبته الله،[2] وحققها[3] قوم من المثبتين، فخرجوا في ذلك إلى ضرب من التشبيه والتكييف[4]، وإنما

= وقد خالف السلف، وتأوّل بعض الصفات نحو: تأويل صفة الاستواء، والنزول، والضحك، والفرح، ويمين الله، والأصبع، وغير ذلك.

انظر: معجم الأدباء (٤/ ٢٤٦)، وفيات الأعيان (٢/ ٢١٤)، السير (١٧/ ٢٣)، شذرات الذهب (٣/ ١٢٧)، تاريخ التراث لسزكين (١/ ٣٢٧). وانظر: أعلام الحديث للخطابي (١/ ٦٣٩-٧٥٤)، (٢/ ١٣٦٧)، (٣/ ١٨٩٩، ١٩٩٢، ٢٢٣٨)، (منهاج السنة (٢/ ٦٣٩-٦٤٠)، شرح كتاب التوحيد للغنيمان (١/ ٣١٨-٣٢٤).

(١) كتاب « الغنية عن الكلام وأهله » في حد علمي وبحثي أنه مفقود.

وقد أورد السيوطي جزءاً من هذا الكتاب، في كتابه «صون المنطق والكلام» ص٩١-١٠١، وأيضاً شيخ الإسلام في «درء تعارض العقل والنقل» (٧/ ٢٧٨-٣١٦)، وفي «نقض التأسيس» (١/ ٢٥١، ٢٥٤)، والأصبهاني في «الحجة في بيان المحجة» (١/ ٣٧١-٣٧٦).

(٢) وهؤلاء هم أهل التعطيل من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة ومن حذا حذوهم.

أما **الجهمية:** فعطلت الأسماء والصفات، وجحدت قيامها بالرب، وأما **المعتزلة:** فقد أثبتوا الأسماء، وأنكروا الصفات. **والأشاعرة:** أثبتوا الأسماء وبعض الصفات، وأنكروا بعضها.

انظر: مجموع الفتاوي (٦/ ٣٥٩)، التبصير في الدين ص٣٧، ٦٣-٦٤، أصول الدين للبغدادي ص٩٠، ١٠٩.

(٣) حققها: حقق يحقق تحقيقاً: أي: أثبت. انظر: لسان العرب (١٠/ ٤٨-٤٩).

ومعناه: المبالغة في الإثبات.

(٤) وهؤلاء هم: الممثلة المشبهة، ومنهم: طوائف من الشيعة، وعلى رأسهم: هشام بن الحكم الرافضي، زعيم فرقة « الهشامية » ، الذي زعم أن الله سبعة أشبار بشبر نفسه ـ تعالى عن ذلك ـ، وزعم أن جبل أبي قبيس أعظم منه، ومنهم أيضاً هشام بن سالم الجواليقي، الذي زعم أن الله على صورة إنسان، وأيضاً ممن ذهب إلى هذا المذهب: =

القصد[١] في السلوك الطريقة المستقيمة بين الأمرين[٢]، ودين الله تعالى بين الغالي فيه والمقصر عنه.

والأصل في هذا: أن[٣] الكلام في الصفات فرع عن[٤] الكلام في الذات، يحتذى[٥] في ذلك حذوه وأمثاله[٦]، فإذا كان معلوماً أن إثبات الباري سبحانه إنما هو إثبات وجود[٧] لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات

= داود الجواربي، وإبراهيم بن أبي يحيى الأسلمي، وغير هؤلاء من مشبهة الرافضة، ومن المشبهة أيضاً: حلولية الصوفية، وبعض غلاتهم، حيث أجازوا على الله الملامسة والمصافحة، وأن بعض المسلمين يعانقه في الدنيا والآخرة، وتجوز رؤيته وزيارته في الدنيا.
انظر: الفرق بين الفرق ص٢١٤-٢١٦، التبصير في الدين ص٧١، ٧٦، الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١١٨-١٢٣)، شرح الطحاوية (١/ ٢٦١).

(١) القصد: قصد يقصد قصداً، فهو قاصد. ومعناه: العدل، ومنه قول الشاعر:
على الحكم المأتي يوماً إذا قضى ... قضيته، أن لا يجور ويقصد
لسان العرب (٣/ ٣٥٣). والمعنى: إنما العدل هو سلوك الطريقة المستقيمة.

(٢) أي: بين التعطيل، وبين التشبيه والتكييف إثبات بلا تشبيه، وتنزيه بلا تعطيل.

(٣) «أن» سقطت من (ج).

(٤) في (ج) «على» بدل: عن.

(٥) في (ع) «ويحتذى».

(٦) وهذه قاعدة عامة، وهي: (أن القول في الصفات كالقول في الذات)، وذلك أنه يثبت لله صفات لا تماثل صفات الخلق، كما أنه يثبت له ذات لا تشبه الذوات الأخرى ولا تُماثلها، فإنه ليس كمثله شيء في ذاته، ولا أفعاله، ولا صفاته.
فإذا قال قائل: كيف استوى؟ أو كيف ينزل؟ أو كيف يده...إلخ، يقال له: كيف هو؟ فإذا قال: لا أعلم كيفيته، قيل له أيضاً: ونحن لا نعلم كيفية هذه الصفات. وهكذا.
وقد شرح شيخ الإسلام هذه القاعدة في «التدمرية» ـ محققة ـ ص٤٣-٤٥، واستخدمها الخطيب البغدادي في الرد على نفاة الصفات، انظر: «العلو» للذهبي ص١٨٥.

(٧) قوله: «وأمثاله فإذا كان معلوماً أن إثبات الباري سبحانه إنما هو إثبات وجود» سقط من (ع).

صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف.

فإذا قلنا : يد وسمع وبصر وما أشبهها، فإنما هي صفات أثبتها الله لنفسه، ولسنا نقول: إن معنى اليد القوة أو النعمة[١] ، ولا معنى السمع والبصر العلم[٢] ، ولا نقول: إنها جوارح، ولا نشبهها[٣] بالأيدي والأسماع والأبصار التي هي[٤] جوارح وأدوات للفعل[٥] ، ونقول[٦]

---

(١) هذا من تأويل الأشاعرة لليد المضافة إلى الله الواردة في النصوص.

انظر: التمهيد للباقلاني ص٢٩٥-٢٩٨، أصول الدين للبغدادي ص١١٠-١١٢، الإرشاد للجويني ص١٥٥، الاعتقاد للبيهقي ص٢٩-٣١، مقالات الإسلاميين ص٥٢٢.

وقول أهل الحق في ذلك : أن الله متصف بأن له يدين مختصتين به، ذاتيتين، لائقتين به، وقد خلق آدم بيده ويقبض الأرض ويطوي السماوات بيمينه، والأدلة على إثبات هذا كثيرة.

انظر: مجموع الفتاوي (٦/ ٦٨، ٣٦٣)، (٣/ ١٣٣)، التوحيد لابن خزيمة (١/ ١١٨-١٧٠). مختصر الصواعق (٢/ ١٥٣-١٧٤)، الشريعة للآجري ص٣٢٠-٣٢٣.

(٢) والذين أولوا السمع والبصر بأن المراد منه هو العلم هم المعتزلة . انظر: مقالات الإسلاميين ص١٧٥، أصول الدين للبغدادي ص٩٦-٩٧، نهاية الإقدام للشهرستاني ص٣٤١، الاقتصاد في الاعتقاد ص٩٨.

أما أهل السنة، فيثبتون لله سمعاً وبصراً، وأنهما صفتان ذاتيتان، حقيقيتان كسائر صفاته سبحانه، لائقتان به سبحانه، لا تشبه سمع المخلوق ولا بصره.

فتثبت لله إثباتاً بلا تمثيل، وتنزه عن مشابهة المخلوق تنزيهاً بلا تعطيل.

والأدلة على إثبات هاتين الصفتين كثيرة جداً، فالقرآن والسنة مليئة بمثل ذلك.

انظر: التوحيد لابن خزيمة(١/ ١٠٦-١١٧)، مجموع الفتاوي(٣/ ١٣٣-١٣٤).

(٣) في (ع) «ولا تشبيهاً».

(٤) « هي» سقطت من (ع).

(٥) كما هو الحال عند المشبهة.

(٦) في (ع) زيادة «أن القول».

إنما وجب إثبات[١] الصفات لأن التوقف ورد بها، ووجب نفي التشبيه عنه لأن الله ليس كمثله شيء، وعلى هذا جرى قول السلف في أحاديث الصفات ».اهـ. هذا كله كلام الخطابي[٢].

وهكذا قال[٣] أبو بكر الخطيب الحافظ[٤][٥]

---

(١) في (ع) «بإثبات».

(٢) ذكر الذهبي في «العلو» ص١٧٢-١٧٣ أوله، إلى قوله: «ونفي الكيفية والتشبيه عنها».
وانظر: مختصر العلو ص٢٥٧، الفتاوي (٣/ ١٩٦).
وبعد أن أورد الذهبي في العلو ص١٨٥، كلام الخطيب البغدادي حول الصفات، وهو نحو مما ذكره شيخ الإسلام عن الخطابي، قال الذهبي بعد إيراد كلام الخطيب: «وقال نحو هذا القول قبل الخطيب الخطابي أحد الأعلام».اهـ.

(٣) في (ع) «قاله».

(٤) في (ع) زيادة «الخطابي وهكذا قاله» وهو خطأ.

(٥) أبو بكر الخطيب، هو: أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي البغدادي، اشتهر بالخطيب البغدادي.
بدأ سماع الحديث في سن مبكرة من عمره، وبعد أن بلغ عمره عشرين سنة رحل في طلب العلم، فذاع صيته واشتهر، وصنف المصنفات الكبيرة تصل إلى ثمانين مؤلفاً من كتاب كبير إلى رسالة صغيرة.
وصفه الذهبي بأنه: « الإمام الأوحد، والعلامة المفتي، والحافظ الناقد، محدث الوقت. طلب هذا الشأن، ورحل فيه إلى الأقاليم، وبرع وصنف وجمع، وسارت بتصانيفه الركبان، وتقدم في عامة فنون الحديث». اهـ.
ولد سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة، وتوفي سنة ثلاث وستين وأربعمائة.
من مؤلفاته المطبوعة: تاريخ بغداد، شرف أصحاب الحديث، الفقيه والمتفقه، تقييد العلم، الرحلة في طلب الحديث.. وغير ذلك.
وهو على مذهب السلف في الصفات، كما صرح بنفسه، وذكره الأئمة، قال عن الذهبي: «فقد صرح الخطيب في أخبار الصفات أنها تمر كما جاءت بلا تأويل». اهـ. =

في رسالة لـه[(١)(٢)] أخبر فيها أن مذهب السلف على ذلك[(٣)].

= انظر: وفيات الأعيان (١/ ٩٢)، تذكرة الحفاظ (٢/ ١١٣٥)، السير (١٨/ ٢٧٠)، شذرات الذهب (٣/ ٣١١)، كتاب الحافظ الخطيب البغدادي وأثره في علوم الحديث، تأليف د. محمود الطحان. وانظر التنكيل (١/ ١٢٦-١٢٧).

(١) «لـه» سقطت من (ع).

(٢) هذه الرسالة ذكرها الألباني باسم «رسالة في الصفات» وذكر أنها محفوظة في دار الكتب الظاهرية برقم (مجموع ١٦/ ٤٣-٤٤).
انظر: مختصر العلو ص٢٧٣.
وقد ساق الألباني هذه الرسالة في «مقدمة» كتاب «مختصر العلو» ص٤٧-٤٩، وذكر أنها لم تنشر حتى الآن.

(٣) وقد روى الذهبي عنه ذلك بإسناده، فقال: أخبرنا أبو علي ابن الخلال، أنا جعفر، أنا أبوالطاهر الحافظ، نا محمد بن مرزوق الزعفراني، نا الحافظ أبو بكر الخطيب، قال: «أما الكلام في الصفات، فأما ما روي منها في السنن الصحاح، فمذهب السلف إثباتها وإجراؤها على ظواهرها، ونفي الكيفيه والتشبيه عنها؛ فقد نفاها قوم فأبطلوا ما أثبته الله، وحققها قوم من المثبتين، فخرجوا في ذلك إلى ضرب من التشبيه والتكييف، والقصد إنما هو سلوك الطريقة المتوسطة بين الأمرين، ودين الله تعالى بين الغالي فيه والمقصر عنه.
والأصل في هذا أن الكلام في الصفات فرع الكلام في الذات، ويحتذى في ذلك حذوه وأمثاله، فإذا كان معلوماً أن إثبات رب العالمين إنما هو إثبات وجود لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف.
فإذا قلنا: لله يد وسمع وبصر، فإنما هي صفات أثبتها الله لنفسه، ولا نقول: إن معنى اليد القدرة، ولا أن معنى السمع والبصر العلم، ولا نقول: إنها جوارح، ولا نشبهها بالأيدي والأسماع والأبصار التي هي جوارح وأدوات للفعل، ونقول: إنما وجب إثباتها؛ لأن التوقيف ورد بها، ووجب نفي التشبيه عنها لقوله : ﴿ليس كمثله شيء﴾ ﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾ . اهـ.
تذكرة الحفاظ (٣/ ١١٤٢-١١٤٣)، السير(١٨/ ٢٨٣-٢٨٤)، العلو ص١٨٥، مختصر العلو ص٢٧٢-٢٧٣، وانظر مقدمة «مختصر العلو» ص٤٧-٤٩.

وهـذا الكـلام الذي ذكره الخطابي قد نقل نحواً منه من العلماء ما لا يحصى، مثل: أبي بكر الإسماعيلي[١]، والإمام يحيى بن عمار السجزي[٢]

---

(١) أبـو بكـر الإسماعـيلي: هـو: أحمـد بـن إبراهـيم بن إسماعيل، الجرجاني، الإسماعيلي، أبوبكر الشافعي. إمام أهل جرجان، شافعي المذهب، صاحب التصانيف.
قـال الحاكم: «كان الإسماعيلي واحد عصره، وشيخ المحدثين والفقهاء وأجلهم في الرئاسة والمروءة والسخاء...» اهـ.
ولـد سَنة سـبع وسـبعين ومائتين، وتـوفي إحـدى وسـبعين وثلاثمائـة، مـن مصـنفاته: المستخرج على صحيح البخاري، وقد كان سلفي الاعتقاد، كما روى عنه ذلك الذهبي.
انظـر: تذكرة الحفاظ (٣/ ٩٤٧)، السير (١٦/ ٢٩٢)، طبقات الشافعية للسبكي (٢/ ٧٩)، شذرات الذهب (٣/ ٧٢).
والكـلام الـذي أشـار إلـيه شـيخ الإسلام المنقول عنه، روى جزءاً منه الذهبي بإسناده من كـتاب «اعـتقاد السـنة» للإسماعـيلي، وهو مخطوط في الظاهرية برقم: (مجموع ١٦/ ٣٨-٤٤) ذكر ذلك الألباني في «مختصر العلو» ص٢٤٨.
وقد رواه الذهبي في «العلو» ص١٧٦، والسير (١٦/ ٢٩٥)، وتذكرة الحفاظ (٣/ ٩٤٩).
(٢) يحـيى بـن عمـار السـجزي. هو: يحيى بن عمار بن يحيى بن عمار السجستاني أبو زكريا، سكن هراة، حسن الموعظة، كان له قبول تام بين أهل بلده، وكان بارعاً في التفسير.
وقال عنه أبو إسماعيل الأنصاري: «كان يحيى بن عمار ملكاً في زي عالم».اهـ.
وقـال عـنه الذهـبي: «كـان مـتحرقاً على المبتدعة والجهمية، بحيث يؤول به ذلك إلى تجاوز طريقة السلف ...إلا أنه كان له جلالة عجيبة ..» .
وذكـر عـنه شـيخ الإسـلام أنـه كان يذهب إلى ما ذهب إليه السلف في صفة «الاستواء»، وحكـى إجمـاع السـلف عـلى أن القـرآن غـير مخلوق، وأن الله يُرى في الآخرة، وأنه فوق العـالم. تـوفي بهـراة سـنة اثنـتين وعشـرين وأربعمائة. والسجزي: بكسر السين، وسكون الجيم، نسبة إلى سجستان، وهذه النسبة على غير قياس.
انظـر: الأنسـاب للسـمعاني (٣/ ٢٢٣) ، السـير (١٧/ ٤٨١) ، شـذرات الذهب (٣/ ٢٢٦)، وانظـر: درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٤٥-٢٤٦)(٢/ ١٠، ١٩)، منهاج السنة (٢/ ٦٣٩-٦٤٠).
=

شيخُ شيخِ[1] الإسلام أبي[2] إسماعيل الأنصاري[3] الهروي[4] ومثل: أبي عثمان الصابوني شيخ الإسلام[5]، وأبي عمر ابن عبدالبر النمري إمام المغرب[6] وغيرهم.

= وقد نقل عنه الذهبي في العلو ص١٧٧-١٧٨ بعض ما أشار إليه شيخ الإسلام.

قال الذهبي: قال الإمام أبو زكريا يحيى بن عمار السجستاني في رسالته: لا نقول كما قالت الجهمية إنه تعالى مداخلٌ للأمكنة وممازجٌ بكل شيء، ولا نعلم أين هو؟ بل نقول: هو بذاته على العرش، وعلمه محيط بكل شيء، وعلمه وسمعه وبصره وقدرته مدركة لكل شيء...».اهـ. وانظر مختصر العلو ص٢٦٣.

(١) «شيخ» سقطت من (ج).

(٢) في (ع) « إلى » بدل : أبي وهو خطأ.

(٣) «الأنصاري» سقطت من (ج، ع).

(٤) أبو إسماعيل الهروي: سبقت ترجمته، انظر: ص٣٢٣.

(٥) أبو عثمان الصابوني، هو: إسماعيل بن عبدالرحمن بن أحمد بن إسماعيل أبو عثمان الصابوني، شيخ الإسلام، كان من سيوف السنة، شديداً على أهل البدع، وقد برع في التفسير والحديث والوعظ. قال عنه أبو عبدالله المالكي: «أبو عثمان ممن شهدت له أعيان الرجال بالكمال في الحفظ والتفسير».اهـ. وقال البيهقي: «حدثنا إمام المسلمين حقاً وشيخ الإسلام صدقاً، أبو عثمان الصابوني...» اهـ. وقال الذهبي عنه: «ولقد كان من أئمة الأثر، له مصنف في السنة واعتقاد السلف، ما رآه منصف إلا واعترف به». اهـ. توفي سنة تسع وأربعين وأربعمائة. من مصنفاته التي أشار إليه الذهبي: «عقيدة السلف أصحاب الحديث» وقد طبع أكثر من مرة. انظر : تهذيب تاريخ دمشق (٣/ ٣٠) ، السير (١٨/ ٤٠)، شذرات الذهب (٣/ ٢٨٢).

وما أشار إليه شيخ الإسلام ذكره الصابوني في كتابه «عقيدة السلف» ص١٤-١٦.

(٦) المغرب: بلاد واسعة تطلق على المناطق التي تقع غرب مصر إلى المحيط، وأصل هذه التسمية أن أهل مصر يسمون من كان عن إيمانهم إذا استقبلوا الجنوب مغرباً، ويدخلون في هذا الاسم بلاد الأندلس. وهذه المنطقة تضم حالياً: جزءاً من الصحراء الغربية لمصر، وليبيا، وتونس، والجزائر، والمغرب، وأسبانيا. =

قول أبي نعيم الأصبهاني

وقال أبو نعيم الأصبهاني[1] صاحب «الحلية»[2] في عقيدة له في أولها: «طريقتنا طريق المتبعين للكتاب والسنة وإجماع الأمة، قال: «فمما اعتقدوه أن الأحاديث التي ثبتت[3] عن النبي ﷺ في العرش واستواء الله

= انظر: صورة الأرض ص٦٤، معجم البلدان (١/ ٥٤)(٥/ ١٦١) ومراصد الاطلاع (٣/ ١٢٩٣).

(١) أبو نعيم الأصبهاني، هو: أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق بن موسى، المهراني، الأصبهاني. كان من الحفاظ الكبار، ومحدث وقته. قال عنه الذهبي: «رحلت الحفاظ إلى بابه لعلمه وحفظه، وعلو إسناده..».اهـ. وقال عنه شيخ الإسلام بعد أن ذكر شيئاً من مؤلفاته «... من أكبر حفاظ الحديث ومن أكثرهم تصنيفات، وممن انتفع الناس بتصانيفه، وهو أجل من أن يقال له: ثقة؛ فإن درجته فوق ذلك...». توفي سنة ثلاثين وأربعمائة، وقد بلغ من العمر أربعاً وتسعين سنة. وصنف المصنفات الكبار، منها وأعظمها: «حلية الأولياء»، «ذكر أخبار أصبهان»، «المستخرج على الصحيحين»، «صفة الجنة».

وقد نقل ابن كثير عن ابن الجوزي أن أبا نعيم كان يميل إلى مذهب الأشعري في الاعتقاد ميلاً كثيراً.

وذكره ابن عساكر من أصحاب أبي الحسن، ولكن إذا نظرنا إلى عقيدته التي نقلها عنه ابن القيم والذهبي نجد أنها تخالف مذهب الأشاعرة، في إثبات كثير من الصفات التي نفاها هؤلاء، فلعله كان يميل إلى مذهب الأشاعرة في أول عمره ثم رجع عنه، أو أنه أوّلَ بعض الصفات مما جعل بعض العلماء يرى أنه من الأشاعرة. إضافة إلى أن أبا نعيم دخل في شيء من التصوف.

انظر: وفيات الأعيان (١/ ١٩١)، الفتاوى (١٨/ ٧١)، تذكرة الحفاظ (٣/ ١٠٩٢)، العلو للذهبي ص٢٤٦، السير (١٧/ ٤٥٣)، البداية والنهاية (١٢/ ٤٥)، تبيين كذب المفتري ص٢٤٦، اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم ص٢٧٩، شذرات الذهب (٣/ ٢٤٥)، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان (٦/ ٢٢٤).

(٢) الحلية، أي: كتاب «حلية الأولياء»، وهو من الكتب المشهورة.

(٣) في الأصل «ثبت».

يقولون بها ويثبتونها من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه، وأن الله بائن من خلقه، والخلق بائنون منه، لا يحل فيهم ولا يمتزج بهم، وهو مستوٍ على عرشه في سمائه دون أرضه وخلقه»[(١)].

[[(٢)]وقال الحافظ أبو نعيم في كتاب «محجة الواثقين ومدرجة الوامقين»[(٣)] تأليفه: «وأجمعوا أن الله فوق سماواته، عال على عرشه مستوٍ عليه، لا مستولٍ عليه كما تقول الجهمية[(٤)] إنه بكل

---

(١) انظر: الفتاوي (٥/ ١٩٠-١٩١)، درء تعارض العقل والنقل (٦/ ٢٥٢)، اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم ص٢٧٩، العلو الذهبي ص١٧٦، مختصر العلو ص٢٦١.

(٢) هذا النقل عن الحافظ أبي نعيم سقط من الأصل، وهو مثبت في جميع النسخ الخطية والمطبوعة، عدا نسخة «برلين».

(٣) لم أقف على هذا الكتاب في مؤلفات أبي نعيم، وقد أشار شيخ الإسلام أيضاً إليه في موضع آخر. انظر الفتاوي (١٨/ ٧١).

«والوامقون» من: ومق يمق مقة، فهو وامق، وهو المحب.

ومنه قول الشاعر:

وماذا عسى الواشون أن يتحدثوا   سوى أن يقولوا: إنني لك وامق

والمدرجة : المذهب والمسلك. انظر: لسان العرب (١٠/ ٣٨٥) (٢/ ٢٦٧).

(٤) انظر: شرح الأصول الخمسة ص٢٢٦-٢٢٧، أصول الدين للبغدادي ص١١٢-١١٤، التفسير الكبير، تفسير الرازي (٦/ ٢-٦)، تفسير البغوي (٢/ ٢٣٧-٢٣٨)، مختصر الصواعق (٢/ ١٤٤).

وقد رد شيخ الإسلام على من فسر الاستواء بمعنى «الاستيلاء» من وجوه عدة، انظر مجموع الفتاوي (٥/ ١٤٤-١٤٩، ٢٢٦)، درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٧٨-٢٧٩).

وانظر: التمهيد لابن عبدالبر (٧/ ١٣١-١٣٢)، أقاويل الثقات لمرعي بن يوسف الحنبلي ص١٢٣-١٢٦.

أما ابن القيم فأبطل قولهم هذا من اثنين وأربعين وجهاً، فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم. انظر: مختصر الصواعق (٢/ ١٢٦-١٥٢)، وسبق الكلام عن هذه المسألة في قسم «الدراسة».

مكان[١] خلافاً لما نزل في كتابه: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ [الملك:١٦]، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠]، ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، له العرش المستوي عليه والكرسي الذي وسع السماوات والأرض، وهو قوله وتعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾[٢] [البقرة:٢٥٥]، وكرسيه جسم، والسماوات السبع والأرضون السبع عند الكرسي[٣] كحلقة في أرض فلاة[٤]، وليس كرسيه علمه كما

(١) ذكر شيخ الإسلام أن نفاة العلو من الجهمية قسمان:

* قسم يرون أنه في كل مكان، وهذا يغلب على الصوفيه، العباد والعوام.

* وقسم يذهبون إلى النفي المطلق، وينفون عنه الوصفين المتقابلين جميعاً.

وهذا يغلب على نُظَّارهم والمتكلمين منهم، وأهل البحث والقياس، ومن هؤلاء الفلاسفة، انظر الفتاوي (٥/ ٢٧٢-٢٧٣).

(٢) قوله «وهو قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾» سقطت من (ع).

(٣) «عند الكرسي» سقطت من (ع).

(٤) ورد في الأثر عن ابن عباس وأبي موسى الأشعري - رضي الله عنهما - أن الكرسي موضع القدمين، انظر تخريج الأثر ص٣٣٤.

وعن أبي ذر رضي الله عنه أنه سأل النبي ﷺ عن الكرسي. فقال رسول الله ﷺ: **«والذي نفسي بيده ما السماوات والأرضون السبع عند الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وإن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة»**.

رواه ابن أبي شيبة في كتاب «العرش» ص٧٧. وابن جرير في تفسيره (٣/ ١٠). وأبوالشيخ في العظمة (٢/ ٥٧٨). والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ١٤٨-١٤٩). وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٢/ ١٧) وعزا روايته إلى ابن مردويه. وساقه ابن كثير في تفسيره (١/ ٤٥٨) من طريق ابن مردويه. وأورده ابن حجر في الفتح (١٣/ ٤١١) وسكت عنه. وقد صححه الألباني بمجموع طرقه، انظر السلسلة الصحيحه رقم ١٠٩.

وورد عن مجاهد موقوفاً قال: ما السماوات والأرض إلا كحلقة ملقاة بالفلاة، وما =

قالت الجهمية[١]، بل يوضع كرسيه يوم القيامة لفصل القضاء بين خلقه، كما قاله النبي ﷺ[٢]، وأنه تعالى وتقدس يجيء

= أخذت من الكرسي إلا كما أخذت تلك الحلقة من الأرض».

رواه ابن أبي شيبة في العرش ص٧٨. وعبدالله بن أحمد في «السنة» (١/ ٢٤٧). وأبوالشيخ في العظمة (٢/ ٥٨٥). والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ١٤٩). وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٢/ ١٨)، وعزا روايته إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد. والدارمي في الرد على بشر المريسي ص٧٤. وذكره الذهبي في العلو ص٩٤. وابن حجر في الفتح (١٣/ ٤١١) وقال: أخرجه سعيد بن منصور في التفسير بسند صحيح.

(١) انظر: الكشاف للزمخشري (١/ ٥٨٥)، شرح الطحاوية (٢/ ٣٧١)، تفسير القرطبي (٣/ ٢٧٦-٢٧٨)، أقاويل الثقات لمرعي بن يوسف الحنبلي ص١١٦.

(٢) عن جابر رضي الله عنه قال: لما رجعت إلى رسول الله ﷺ مهاجرة البحر، قال: **«ألا تحدثوني بأعجب ما رأيتم بأرض الحبشة؟»** قال فتية منهم: بلى يا رسول الله، بينا نحن جلوس، مرت بنا عجوز من عجائز رهبانيهم تحمل على رأسها قُلَّة من ماء، فمرت بفتىً منهم، فجعل إحدى يديه بين كتفيها، ثم دفعها، فخرَّت على ركبتيها، فانكسرت قلتها. فلما ارتفعت التفتت إليه، فقالت: سوف تعلم، يا غُدَر، إذا وضع الله الكرسي وجمع الأولين والآخرين، وتكلمت الأيدي والأرجل ... قال يقول رسول الله ﷺ: **«صَدَقَتْ، صَدَقَتْ، كيف يُقدس اللهُ أمةً لا يُؤخذ لضعيفهم من شديديهم؟»**.

رواه ابن ماجه (٢/ ١٣٢٩) رقم (٤٠١٠)، كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وابن حبان في صحيحه ـ موارد الظمآن ـ ص٦٤٠ رقم٢٥٨٤. وأخرج بعضه الخطيب في تاريخه (٧/ ٣٩٦). وحسَّن البوصيري إسناده في مصباح الزجاجة (٣/ ٢٤٢-٢٤٣). وذكره العجلوني في «كشف الخفاء» (١/ ٤٤٣-٤٤٤). وقال عنه الذهبي في «العلو» ص٦٨، : إسناده صالح. وذكره الهيثمي في المجمع (٣/ ٢٠٨-٢٠٩) وقال: رواه الطبراني في الأوسط. وورد الحديث من طريق آخر عن بريدة عن أبيه عن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه. رواه البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ١٤٨). وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٢٥٧). وذكره ابن حجر في المطالب العالية (٣/ ٢١٢-٢١٣) وحسَّن إسناده. ونقل المحقق عن البوصيري في إتحاف المهرة ـ مخطوط ـ (٣/ ١٢٦) قوله: رواته =

يـوم القـيامة[1] لفصـل القضاء بين عباده والملائكة صفاً صفاً كما[2] قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر:٢٢][3]، وأنه تعالى وتقدس يجـيء يـوم القيامة لفصل القضاء بين عباده، فيغفر لمن يشاء من مذنبي[4] الموحدين، ويعذب من يشاء؛ كما قال تعالى: ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران :١٢٩]» اهـ.

قول معمر ابن أحمد الأصبهاني

وقـال الإمام العارف معمر بن أحمد الأصبهاني[5] ـ شيخ الصوفيه في حـدود المائـة الرابعة في بلاده ـ قال: «أحببت أن أوصي أصحابي بوصية مـن السنة وموعظة من الحكمة، وأجمع ما كان عليه أهل الحديث والأثر، وأهل المعرفة والتصوف من المتقدمين والمتأخرين.

قـال فـيها : وأن الله استوى عـلى عرشـه بلا كيف، ولا تشبيه، ولا

= ثقـات. وذكـره الهيـثمي في المجمـع (٣/ ٢٠٨) وقـال: رواه الـبزار والطبراني في الأوسط، وفـيه عطـاء بـن السائب وهو ثقة، ولكن اختلط، وبقية رجاله ثقات. وذكر جزءاً منه ابن كـثير في «تفسـيره» (١/ ٤٥٨) وعـزا روايـته إلى ابـن مـردويه. وروى ابـن خـزيمة في «التوحـيد» (١/ ٢٤٦) نحـواً من هذا، عن أسماء بنت عميس. وذكر الألباني أنه بمجموع طرقه يكون صالحاً إن شاء الله، انظر مختصر العلو ص١٠٦-١٠٧.

(١) قولـه : «لفصـل القضـاء بـين خلقـه كمـا قـال الـنبي ﷺ، وأنه تعالى وتقدس يجيء يوم القيامة» سقط من (ع).

(٢) «كما» سقطت من (ع).

(٣) في (ع) زيادة «وقالـه النبي ﷺ».

(٤) في (ع) «مذنبة».

(٥) معمـر بـن أحمـد بـن محمـد بـن زيـاد الأصـبهاني، أبـو منصور. شيخ الصوفيه في زمانه بأصـبهان. تـوفي سنة ثمان عشرة وأربعمائة. له رسالة في التصوف. انظر: العبر (٢/ ٢٣٥ -٢٣٦)، شذرات الذهب (٣/ ٢١١)، تاريخ التراث لسزكين (٤/ ١٨٧، ١٨٨).

تأويل، والاستواء معقول[١] والكيف فيه[٢] مجهول، وأنه عز وجل بائن من خلقه، والخلق منه بائنون[٣] بلا حلول ولا ممازجة، ولا اختلاط ولا ملاصقة، لأنه المنفرد[٤] البائن من خلقه، الواحد الغني عن الخلق.

وأن الله عز وجل سميع، بصير، عليم، خبير، يتكلم، ويرضى ويسخط، ويضحك، ويعجب، ويتجلى لعباده يوم القيامة[٥] ضاحكاً وينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا كيف يشاء فيقول: «**هل من داع فأستجيب له؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من تائب فأتوب عليه؟ حتى يطلع الفجر**»[٦]، ونزول الرب إلى السماء بلا كيف ولا تشبيه، ولا تأويل، فمن أنكر النزول أو تأول فهو مبتدع ضال[٧]، وسائر الصفوة من العارفين على هذا»[٨].

[[٩] وقال الشيخ الإمام أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال[١٠]

---

(١) في (ع) «معلوم».

(٢) «فيه» سقطت من (ع).

(٣) «منه بائنون» سقطت من (ع).

(٤) في (ع) «الفرد».

(٥) «يوم القيامة» سقطت من (ج، ع).

(٦) سبق تخريج الحديث، انظر: ص٣٥٥ .

(٧) انظر: ص٣٥٤.

(٨) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٦/ ٢٥٦-٢٥٧)، الفتاوي (٥/ ١٩١)و اجتماع الجيوش لابن القيم ص٢٧٦، العلو للذهبي ص١٧٧، مختصر العلو ص٢٦٢.

(٩) ما بين المعكوفتين سقط من (الأصل)، وهو مثبت في جميع النسخ الخطية والمطبوعة، عدا نسخة «برلين».

(١٠) الخلال، سبقت ترجمته، انظر: ص٢٥٧ .

قـول الفضيل بن عياض

في كتاب «السنة»[١] حدثنا أبو بكر الأثرم[٢]، حدثنا إبراهيم بن الحارث ـ يعني العبادي[٣] ـ حدثنا الليث بن يحيى[٤]، قال: سمعت إبراهيم بن الأشعث[٥]، قال أبو بكر ـ وهو صاحب الفضيل ـ قال: سمعت الفضيل بن عياض[٦] يقول: «ليس لنا أن نتوهم في الله كيف هو؛ لأن الله تعالى وصف نفسه فأبلغ، فقال: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [سورة الإخلاص] فلا صفة أبلغ مما وصف به نفسه.

وكل هذا: النزول، والضحك، وهذه[٧] المباهاة[٨]، وهذا

---

(١) انظر: ص٢٥٨.

(٢) الأثرم، سبقت ترجمته، انظر: ص٢٥٨ .

(٣) إبراهيم بن الحارث بن مصعب بن الوليد بن عبادة بن الصامت، أبو إسحاق العبادي، ذكره الخلال، فقال: كان من كبار أصحاب أبي عبدالله، يعني الإمام أحمد. وكان الإمام أحمد يعظمه ويرفع قدره، ويثني عليه. انظر: طبقات الحنابلة (١/ ٩٤)، تاريخ بغداد (٦/ ٥٥).

(٤) الليث بن يحيى: لم أقف على ترجمته.

(٥) إبراهيم بن الأشعث البخاري: خادم الفضيل بن عياض، روى عنه الرقائق، ويروي عن ابن عيينة، قال أبو حاتم: «كنا نظن به الخير فقد جاء بمثل هذا الحديث، وذكر حديثاً ساقطاً، وقال ابن حبان «يغرب، وينفرد، ويخطئ ويخالف». اهـ

انظر: الجرح والتعديل (٢/ ٨٨)، الثقات لابن حبان (٨/ ٦٦)، تهذيب الكمال (٢/ ١١٠٣)، لسان الميزان (١/ ٣٦).

(٦) الفضيل بن عياض، سبقت ترجمته، انظر: ص٢٤٤.

(٧) «هذه» سقطت من (ع).

(٨) ورد هذا في الحديث عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ : **«ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة، وأنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: ماذا أراد هؤلاء»**.

الاطلاع[1] كما يشاء أن ينزل، وكما يشاء أن يباهي، وكما يشاء أن يضحك، وكما يشاء أن يطلع. فليس لنا[2] أن نتوهَّم كيف وكيف. فإذا قال الجهمي : أنا أكفر برب يزول عن مكانه. فقل : بل أؤمن برب يفعل ما يشاء».

ونقل هذا عن الفضيل جماعة، منهم البخاري في «خلق[3] أفعال العباد »[4].

= رواه مسلم (٢/ ٩٨٢-٩٨٣) رقم ١٣٤٨، كتاب الحج.

ومعنى المباهاة، هي: المفاخرة، وتباهوا: أي تفاخروا، وقد باهى به يباهي مباهاة.

لسان العرب (٤/ ٩٩)، النهاية في غريب الحديث (١/ ١٦٩).

والمراد هنا – والله أعلم – أنه يفاخر بهم ملائكته، على ما يليق بجلالة الله وعظمته.

(١) كما جاء في حديث حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه الطويل، وفيه: فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: دعني يا رسول الله فأضرب عنقه – يعني حاطباً – فقال رسول الله ﷺ: **«إنه شهد بدراً، وما يدريك لعل الله عز وجل اطّلع على أهل بدر، فقال : اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم»** .

رواه البخاري (٨/ ٦٣٣) رقم ٤٨٩٠، كتاب التفسير، باب ﴿ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾. ومسلم (٤/ ١٩٤١) رقم ٢٤٩٤، كتاب فضائل الصحابة.

(٢) «لنا» سقطت من (ع).

(٣) «خلق» سقطت من (ع).

(٤) وقد نقل البخاري الجزء الأخير من ذلك من قوله: «فإذا قال لك الجهمي...» ورواه عنه معلقاً.

انظر: خلق أفعال العباد ص٣٦، تحقيق عبدالرحمن عميرة. ورواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٢/ ٤٥٢). وأبو إسماعيل الصابوني في «عقيدة السلف» ص٥٠.

وذكره شيخ الإسلام في «شرح حديث النزول» ص٤٨. وأورد شيخ الإسلام الأثر كاملاً من رواية الخلال كما هو معنا في النص، في كتاب «درء تعارض العقل والنقل» =

ونقلـه شيخ الإسلام [١] بإسناده في كتابه «الفاروق» فقال : حدثني [٢] يحيى بـن عمـار [٣] ، ثـنا أبي [٤] ثنا يوسف بن يعقوب [٥] ، ثنا حرمي بن علي البخاري [٦]، وهانئ بن النضر [٧] عن الفضيل .

وقـال عمـرو بـن المكـي [٨] في كـتابه الـذي سمـاه

= (٢/ ٢٣-٢٤). وكـذا ابـن القـيم في اجتماع الجيوش ص٢٦٩-٢٧٠. وذكره عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب في «جواب أهل السنة النبوية» ص١٥٤ من طريق الأثرم.

(١) شيخ الإسلام : أي: أبو إسماعيل الهروي، وتقدمت ترجمته، انظر: ص٣٢٣ .

(٢) «حدثني» سقطت من (ع).

(٣) يحيى بن عمار، أبو زكريا السجستاني، تقدمت ترجمته، انظر: ص٣٦٧ .

(٤) هـو: عمـار بـن يحـيى بـن عمـار العنـبس، الشـيباني السجستاني. عاش في القرن الرابع تقريباً. انظر: ترجمة ابنه (يحيى بن عمار) في السير (١٧/ ٤٨١).

(٥) يوسـف بـن يعقـوب: لعله: يوسف بن يعقوب بن إسماعيل، الأزدي مولاهم البصري، أبـو محمـد، الملقب «يوسف القاضي». قال عنه البغدادي: «كان ثقة، صالحاً، عفيفاً، مهيباً، سـديد الأحكـام..».اهــ . وذكـر ابـن كثير أنه هو الذي قتل الحلاج، ونعته بأنه من أكابر العـلماء وأعـيانهم. تـوفي سـنة سـبع وتسـعين ومائتين. انظر: تاريخ بغداد (١٤/ ٣٦٠)، تذكرة الحفاظ (٢/ ٦٦٠)، السير (١٤/ ٨٥)، البداية والنهاية (١١/ ١١٢).

(٦) حرمي بن علي البخاري، لم أقف على ترجمته.

(٧) هانئ بن النضر: لم أقف على ترجمته.

(٨) عمـرو بـن عـثمان بـن كُـرَب بن غُصص، أبو عبدالله المكي. من مشايخ الصوفية، ومن عـلماء الأصـول في الفقـه، صـحب الجنـيد، وسـكن بغـداد حتى توفي سنة سبع وتسعين ومائتين، وقد كتب كتباً إلى الآفاق يلعن فيها الحلاج ويحذر الناس من شره.

وقـد أثـنى علـيه شـيخ الإسلام، وذكر أنه من الشيوخ المشهورين بالخير المثبتين للصفات، الذين أنكروا على الجهمية والحلولية.

انظـر: حلـيه الأولـياء (١٠/ ٢٩١) ، ذكـر أخـبار أصبهان (٢/ ٣٣) ، تاريخ بغداد (١٢/ ٢٢٣)، طـبقات الأولـياء لابـن الملقـن ص٣٤٤، شـذرات الذهـب (٢/ ٢٢٥)، الـبداية والنهاية (١١/ ١٣٥)، درء تعارض العقل والنقل (٥/ ٤-٩) (٦/ ٢٢٢٦).

قول عمرو ابن عثمان المكي

«التعرف[١] بأحوال العباد والمتعبدين »[٢] قال: «ما يجيء[٣] به الشيطان للتائبين» وذكر أنه يوقعهم في القنوط[٤]، ثم في الغرور وطول الأمل، ثم في التوحيد، فقال: من أعظم ما يوسوس[٥] في التوحيد بالتشكيك[٦] أو في صفات[٧] الرب بالتمثيل والتشبيه، أو بالجحد لها والتعطيل. فقال بعد ذكر حديث الوسوسة[٨] : واعلم ـ رحمك الله تعالى ـ أن كل ما

---

(١) في (ع) «التعريف».

(٢) كتاب «التعرف بأحوال العباد والمتعبدين» لم أقف عليه، وكثير ممن ترجم «لعمرو بن عثمان المكي » يذكرون أن له مصنفات في التصوف، ولكن لا يذكرونها على وجه التحديد.

(٣) في الأصل: نحى، ومعنى نحى، وانتحى، أي قصد وعرض، ومنه قول حرام بن ملحان: فانتحى له عامر بن الطفيل فقتله، أي عرض له وقصده. لسان العرب (١٥/ ٣١١).

(٤) القنوط: قنط يقنط، ويقنط قنوطاً، وهو: شدة اليأس.
لسان العرب (٧/ ٣٨٦).

(٥) وَسْوَس وِسْواساً، ووَسْواساً. والوسوسة، في الأصل هي: حديث النفس، واستعملت في ما يمليه الشيطان للإنسان، ومنه قوله وتعالى : ﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴾ [الناس:٤] ، وقوله: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ [طه:١٢٠].
انظر: النهاية في غريب الحديث (٥/ ١٨٦-١٨٧)، لسان العرب (٦/ ٢٥٨-٢٥٩).

(٦) في (ع) «التشكك».

(٧) في (ع) «الصفات».

(٨) وحديث الوسوسة لعله ما ورد في صحيح مسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء ناس من أصحاب النبي ﷺ فسألوه: إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به. قال: **«وقد وجدتموه؟»** قالوا: نعم. قال: **«ذاك صريح الإيمان»** .
رواه مسلم (١/ ١١٩) رقم ١٣٢، كتاب الإيمان. وأبو داود (٥/ ٣٣٦) رقم ٥١١١، كتاب الأدب، باب في رد الوسوسة. وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٢٩٥) رقم ٦٥٤، باب الوسوسة في أمر الرب عز وجل. وأبو القاسم الأصبهاني في «الحجة» (٢/ ٢٨٥) =

توهمه قلبك، أو سنح[1] في مجاري فكرك، أو خطر في معارضات قلبك من حسن أو بهاء، أو ضياء أو إشراق، أو جمال، أو شبح[2] مائل، أو شخص متمثل : فالله تعالى بغير ذلك، بل هو تعالى أعظم وأجل وأكبر،

= فصل في الوسوسة في أمر الرب عز وجل .
ومعنى قوله: «ذاك صريح الإيمان» أي: استعظام الكلام والنطق به، فضلاً عن اعتقاده ، وهذا لا يكون إلا لمن استكمل الإيمان وانتفت عنه جميع الشكوك والريب.
وقيل : إن معناه أن الشيطان لا يوسوس بهذا إلا لمن أيس منه ومن إضلاله وإغوائه، فينكد عليه بالوسوسة، لعجزه عنه، أما الكافر فإنه يتلاعب به كيف شاء ولا يقتصر في حقه بالوسوسة، وعلى هذا فالوسوسة علامة محض الإيمان. وهذا هو اختيار القاضي عياض.
وفي رواية لأبي داود (٥/ ٣٣٦) رقم ٥١١٢، وأحمد (١/ ٢٣٥)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٩٦) رقم ٦٥٨: قال رسول الله ﷺ : «**الله أكبر ، الحمد لله الذي رد أمره إلى الوسوسة**» . انظر: شرح مسلم للنووي (٢/ ١٥٤).

(١) سنح يسنح، أي: عرض، ومنه سنح لي رأي، أي: عرض.
ومنه قول سوار بن المضرَّب:

وحاجة دون أخرى قد سنحت لها   جعلتها، للتي أخفيت عنوانا

لسان العرب (٢/ ٤٩١-٤٩٢)، النهاية في غريب الحديث (٢/ ٤٠٧).
والمراد هنا: أن كل ما عرض لك في مجاري فكرك...

(٢) شبح : الشبح : أن يمد كالمصلوب ، ومنه: شبح القوم أيديهم في الدعاء، وقول ذي الرمة :

ويشبح بالكفين شبحاً كأنه   أخو فجرة عالي به الجذع صالبه

وشبحه يشبحه: مده كالمصلوب.
ومنه: أن أبا بكر مر ببلال ـ رضي الله عنهما ـ وقد شبح في الرمضاء، أي مد في الشمس.
الفائق في غريب الحديث (٢/ ٢١٩)، لسان العرب (٢/ ٤٩٤).

ألا تسمع إلى قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:٤] أي لا شبيه ولا نظير ولا مساوٍ ولا مثل[١]، أوَلَمْ تعلم أنه تعالى لما تجلَّى للجبل تدكدك[٢] لعظم هيبته[٣]، وشامخ[٤] سلطانه، فكما لا يتجلى لشيء إلا اندك، كذلك لا توهمه أحد[٥] إلا هلك، فرُدّ بما بين الله في كتابه من نفيه عن نفسه التشبيه والمثل والنظير والكفؤ.

فإن اعتصمت به وامتنعت منه[٦] أتاك من قبل التعطيل لصفات الرب تبارك[٧] وتعالى وتقدس في كتابه وسنة رسوله محمد ﷺ فقال لك: إذا كان موصوفاً بكذا أو وصفته، أوجب لك التشبيه، فأكذبه، لأنه اللعين إنما يريد أن يستزلك[٨] ويغويك ويدخلك في صفات الملحدين الزائغين الجاحدين لصفة الرب تعالى.

فاعلم رحمك الله تعالى أن الله واحد تعالى لا كالآحاد، فرد صمد لم

---

(١) «ولا مثل» سقطت من (ع).

(٢) تدكدك: دكه، يدكه دكا، الدك: هدم الجبل والحائط ونحوهما. وقد تدكدكت الجبال، أي: تهدمت. لسان العرب (١٠/ ٤٢٤).

(٣) قال سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف:١٤٣].

(٤) شامخ، شمخ يشمخ شموخاً، أي: تكبر وتعظم، ومنه قولهم: شمخ بأنفه، أي: ارتفع وتكبر. لسان العرب (٣/ ٣٠). والمراد هنا: اندك لعِظَم سلطانه.

(٥) «أحد» سقطت من (ع).

(٦) في (ع) تكرر «وامتنعت منه» مرتين.

(٧) «تبارك» سقطت من (ع).

(٨) «يستزلك» غير واضحة في (ع).

يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤاً أحد ـ إلى أن قال ـ : خلصت له الأسماء السنية[١] فكانت واقعة في قديم الأزل بصدق الحقائق، لم يستحدث تعالى صفة كان منها خلياً[٢]، أو[٣] اسماً كان منه برياً[٤] تبارك وتعالى، فكان هادياً سيهدي، وخالقاً سيخلق، ورازقاً سيرزق، وغافراً سيغفر، وفاعلاً سيفعل[٥][٦]، لم يحدث له الاستواء إلا وقد كان في صفة أنه سيكون ذلك الفعل فهو يسمى به في جملة فعله كذلك[٧]، قال الله تعالى : ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر:٢٢] بمعنى أنه سيجي فلم يستحدث الاسم بالمجيء، وتخلف الفعل لوقت المجيء، فهو جاء سيجيء، ويكون المجيء منه موجوداً بصفة لا تلاحقه الكيفية ولا التشبيه، لأن ذلك فعل

---

(١) السَّنية، من السَّناء، وهو علو الضوء والنور، ومنه قوله تعالى : ﴿ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ [النور:٤٣] . انظر: لسان العرب (١٤/ ٤٠٣)، النهاية في غريب الحديث (٢/ ٤١٤).

والمراد هنا : وصف أسماء الله الحسنى بالنور والعلو بجميع معانيه.

(٢) خلياً، من خلا يخلو خلواً، وخلا المكان : إذا لم يكن فيه أحد ولا شيء فيه.

لسان العرب (١٤/ ٢٣٧).

والمعنى هنا: أن الله لم تحدث له صفة لم تكن له من قبل، وكان خالياً منها.

(٣) في (ع) «واو» بدل: أو.

(٤) برياً: من برأ، يبرأ برءاً، وبروءاً. لسان العرب (١/ ٣١). والمعنى كالذي قبله.

(٥) «وفاعلاً سيفعل» سقطت من (ع).

(٦) هادياً سيهدي، وخالقاً سيخلق ..إلخ، أي: متصفاً بهذه الصفات أزلاً وأبداً. لم يخل ولن يخلو من هذه الصفات، وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ ونحو ذلك. قال: كان، ولم يزل، ولا يزال، انظر: مجموع الفتاوى (٥/ ٥٣٨-٥٣٩، ٥٥٢-٥٥٣).

(٧) «كذلك» سقطت من (ع).

الربوبية، فتحسر[١] العقول وتنقطع النفس عن إرادة الدخول في تحصيل كيفية المعبود، فلا تذهب في أحد الجانبين لا معطلاً، ولا مشبهاً، وارضَ لله[٢] بما رضي به لنفسه، وقف عند خبره لنفسه مسلماً، مستسلماً، مصدقاً؛ بلا مباحثة التنفير[٣] ولا مناسبة التنقير[٤][٥].

إلى أن قال : فهو[٦] تبارك وتعالى القائل: ﴿أَنَا ٱللَّهُ﴾[القصص :٣٠] لا الشجرة[٧]، الجائي قبل أن يكون

---

(١) فتحسر، الحسْرُ والحسر والحُسُور: الإعياء والتعب، ومنه: حسرت الدابة حسراً، واستحسرت: أعيت وكَلَّت وانقطعت. لسان العرب (٤/ ١٨٨).

والمراد: أن العقول إذا أرادت الدخول في كيفية الرب، كلَّت وأعياها ذلك، بل تنقطع وتعجز، وتعود خاسئة وهي حسيرة.

(٢) في (ع) «الله».

(٣) التنفير، من النفر وهو التفرق، يقال: لقيته قبل كل صيح ونفر. أي أولاً، والصيح: الصياح، والنفر: التفرق. لسان العرب: (٥/ ٢٤٤) .

والمعنى: قف مستسلماً مصدقاً مؤمناً بجميع ما ورد من صفات الله بلا تفريق بينها.

(٤) في (ع) «التغيير ».

(٥) التنقير، بمعنى: التفتيش، والتنقير عن الأمر، أي: البحث والتفتيش عنه، ومنه ما روي في الأثر: متى يكثر حملة القرآن ينقروا، ومتى ينقروا يختلفوا.

انظر: الفائق في غريب الحديث (٤/ ١٩)، لسان العرب (٥/ ٢٢٩-٢٣٠).

(٦) «فهو » سقطت من (ع).

(٧) وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [القصص:٣٠].

وهذا رد على الجهمية ومتأخري المعتزلة، القائلين إن ابتداء الكلام كان من الشجرة، وهذا وجه من وجوه فساد شبهتهم ، حيث إن قولهم هذا يلزم منه أن الشجرة هي القائلة : ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ! =

جائياً[١] لا أمره المتجلي لأوليائه في الميعاد؛ فتبيَضُّ به وجوههم، وتفلج[٢] به على الجاحدين حجتهم، المستوي على عرشه بعظمة جلاله فوق كل مكان تبارك وتعالى، الذي كلم موسى تكليماً، وأراه[٣] من آياته، فسمع موسى كلام الله؛ لأنه قرَّبه نجيًّا، تقدس أن يكون كلامه مخلوقاً أو محدثاً أو مربوباً[٤]، والوارث لخلقه[٥][٦]، السميع لأصواتهم،

= انظر: الفتاوي (١٦/ ١٥٣)، شرح الطحاوية (١/ ١٨٢)، النونية لابن القيم مع شرحها لهراس (١/ ١١٤-١١٥).

(١) أي يوصف بالمجيء على الوجه اللائق به، وإن لم يقع منه هذا الفعل، لتحقق وقوعه منه، كما قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ وهذا سيكون يوم القيامة، ونظائر هذا كثير؛ كقوله ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل:١].
وأيضاً فكما أنه يوصف بأنه غفور وإن لم يغفر، ورحيم وإن لم يرحم، ... فكذلك يوصف بالمجيء وإن لم يحصل منه هذا الفعل، لقدرته على ذلك كله وتحقق وقوعه.

(٢) تَفْلُج، من فَلَجَ يَفْلِج فلْجاً، يقال: أفلج الله حجته: أظهرها وقومها.
لسان العرب (٢/ ٣٤٧).

(٣) في (ع) «وأراد».

(٤) مربوباً، من رب، ورب كل شيء مالكه. يقال: رب الدابة ورب البيت.. ومنه قول عبدالمطلب جد رسول الله ﷺ: «أنا رب الإبل، وللبيت رب يحميه..».
انظر: لسان العرب (١/ ٣٩٩)، القاموس المحيط (١/ ٧٢-٧٣).
والمعنى هنا: أن يكون كلام الله مملوكاً له، وليس صفة من صفاته قائمة به سبحانه.

(٥) في (ع) «بخلقه».

(٦) يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [مريم:٤٠]. ويقول جل من قائل عليماً: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [القصص:٥٨].
ومعنى كونه وارثاً لخلقه: أنه تبارك وتعالى كتب على الخلق جميعاً بالفناء والهلاك، ولا يبقى إلا هو سبحانه، بل هو وحده الوارث لجميع الخلق، فكأنه والحالة هذه ورث =

الناظر بعينه إلى أجسادهم، يداه مبسوطتان، وهما غير نعمته[١] خلق آدم ونفخ فيه من روحه ـ وهو أمره ـ تعالى وتقدس أن يحل بجسم، أو يمازج بجسم[٢] أو يلاصق به تعالى عن ذلك علواً كبيراً، الشائي[٣] له المشيئة، العالم له العلم[٤]، الباسط يديه بالرحمة، النازل كل ليلة إلى سماء الدنيا[٥]، ليتقرب إليه خلقه بالعبادة[٦]، وليرغبوا إليه بالوسيلة[٧]، القريب في

= الأرض ومن عليها.

أخرج ابن أبي حاتم عن عمر بن عبدالعزيز: أنه كتب إلى عامله بالكوفة، «أما بعد: فإن الله كتب على خلقه حين خلقهم الموت، فجعل مصيرهم إليه، فقال فيما أنزل في كتابه الصادق الذي أنزله بعلمه، وأشهد ملائكته على خلقه أنه يرث الأرض ومن عليها وإليه يرجعون» . اهـ.

انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٢٢٩)، الدر المنثور (٥/ ٥١٣)، فتح القدير (٣/ ٣٣٤)، أضواء البيان (٤/ ٢٨٢).

(١) انظر: ص٢٩٧ .

(٢) في (ع) «جسماً» بدل : بجسم.

(٣) الشائي: من: الشيئة، والشيئة: اسم لشاء، ومنه قولهم: «كل شيء بشيئة الله» أي: بمشيئته. انظر: تاج العروس (١/ ٢٩٣)، لسان العرب (١/ ١٠٣).

(٤) «له العلم» سقطت من (ع).

(٥) «الدنيا» سقطت من (ع).

(٦) كما جاء ذلك في الصحيح عن النبي ﷺ انظر: ص٣٥٥ .

(٧) الوسيلة، تأتي بمعنى: القربة، وتوسل إليه بوسيلة: إذا تقرب إليه بعمل. قال لبيد:

أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم ... بلا كل ذي رأي إلى الله واسل

لسان العرب (١١/ ٧٢٤) .

وقد جاء ذكر الوسيلة في القرآن، وهي بمعنى القربة إلى الله، يقول سبحانه : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَـٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾=

قربه من حبل الوريد، البعيد في علوه من كل مكان بعيد، ولا يشبه بالناس.

إلى أن قال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ القائل: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ [الملك:١٥-١٦] تعالى وتقدس أن يكون في الأرض كما في السماء جل عن ذلك علواً كبيراً». اهـ[1].

قول الحارث المحاسبي

وقال الإمام أبوعبدالله الحارث بن إسماعيل بن أسد[2] المحاسبي[3]

= [المائدة :٣٥]، وقال جل من قائل عليماً: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ...﴾ الآية [الإسراء :٥٧].

(١) روى أبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ٢٩١-٢٩٢) بعض كلامه هذا، والبغدادي في «تاريخه» (١/ ٢٢٣-٢٢٤)، والسلمي في «طبقات الصوفيه» ص٢٠٢. وذكر جزءاً منه الذهبي في «العلو» ص١٥٥، وانظر المختصر ص٢٢٩-٢٣٠. وابن القيم في «اجتماع الجيوش» ص٢٧٤. وابن العماد الحنبلي في «شذرات الذهب» (٢/ ٢٢٦). والمناوي في «الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية» ص٢٥٩. والشعراني في «الطبقات الكبرى» (١/ ٩٨).

(٢) «ابن أسد» سقطت من (ع).

(٣) الحارث بن أسد المحاسبي، العنزي البغدادي، أبو عبدالله. سُمِّي المحاسبي: لكثرة محاسبته لنفسه، كان في زمانه إماماً في الفقه والتصوف، وقد عرف بالزهد والورع.
قال عنه الخطيب: «له كتب كثيرة في الزهد وأصول الديانة والرد على المعتزلة والرافضة»، وقال الذهبي: «المحاسبي كبير القدر، وقد دخل في شيء يسير من الكلام، فنقم عليه. وورد أن الإمام أحمد أثنى على حال الحارث من وجه، وحذر منه». اهـ
وقد كان على خلاف كبير مع والده بسبب أن والده كان ممن يقف في مسألة خلق القرآن، فلا يقول: إن القرآن مخلوق ولا غير مخلوق، فأنكر عليه الحارث ذلك، حتى قيل: إنه لم يرث من مال أبيه شيئاً، وقال: لا يتوارث أهل ملتين.
ولد حوالي سنة سبعين ومائة، وتوفي سنة ثلاث وأربعين ومائتين.
له مصنفات جمة؛ منها: هداية المسترشدين، آداب النفوس، كتاب التوهم، كتاب العلم، محاسبة النفوس، فهم القرآن، العقل. =

في كتابه المسمى: «فهم القرآن»[١] قال في كلامه على ـ الناسخ والمنسوخ وأن النسخ لا يجوز في الأخبار [٢] ـ قال: «لا يحل لأحد أن يعتقد أن مدح الله وأسمائه وصفاته[٣] يجوز أن ينسخ منها شيء[٤].

إلى أن قال: وكذلك لا يجوز إذا أخبر أن صفاته حسنة عليا أن يخبر بعد ذلك[٥] أنها دنية سفلى، فيصف[٦] نفسه بأنه جاهل ببعض الغيب

= وقد دخل في شيء من علم الكلام، وصنف فيه، وكان على قول ابن كُلاَّب في نفي ما يقوم بذات الله من الأمور الاختيارية المتعلقة بمشيئته وقدرته، ولهذا أمر الإمام أحمد بهجر الحارث، وقيل: إن الحارث رجع عن ذلك.

وأيضاً فقد كان ينسب إلى شيء من التصوف، وألف فيه.

انظر: حلية الأولياء (١٠/ ٧٣)، تاريخ بغداد (٨/ ٢١١) السير (١٢/ ١١٠)، طبقات الشافعية للسبكي (٢/ ٣٧)، تاريخ التراث لسزكين (٤/ ١١٣)، وانظر: درء تعارض العقل والنقل (٢/ ٦-٧، ٨٠-٨١) (٣/ ٣٨٠-٣٨١) (٧/ ٩٧، ١٤٧-١٤٩)، الفتاوى (١٠/ ٣٦١) (١٢/ ٣٦٦-٣٦٧)، الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٠٦).

(١) كتاب «فهم القرآن» للحارث المحاسبي: طبع مع كتاب «العقل» للمؤلف نفسه، تقديم وتحقيق: د. حسين القوتلي، وقد طبع ثلاث طبعات، آخرها عام ١٤٠٢هـ ط: دار الكندي، ودار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

(٢) قال ابن الجوزي في «نواسخ القرآن» ص٩٣: «الخبر الخالص فلا يجوز عليه ـ يعني النسخ ـ لأنه يؤدي إلى الكذب، وذلك محال.. إلى أن قال: وقال أبو جعفر النحاس: وهذا القول ـ يعني القول بجواز النسخ في الأخبار ـ عظيم جداً يؤول إلى الكفر، لأن قائلاً لو قال: قام فلان، ثم قال: لم يقم، فقال: نسخته، لكان كاذباً» اهـ، أما الحارث المحاسبي فقد ذكر أن النسخ لا يجوز في معنيين: أسماء الله وصفاته، وأخباره، وعَدَّ هذا كفراً.

انظر: فهم القرآن ص٣٣٢.

(٣) في فهم القرآن: «ولا صفاته ولا أسمائه» وكذا في (ع).

(٤) في فهم القرآن: دون «منها شيء».

(٥) في (ع): «بذلك» بدل: بعد ذلك.

(٦) في فهم القرآن: «أو يصف».

بعد أن[١] أخبر أنه عالم بالغيب[٢] وأنه لا يبصر ما قد كان، ولا يسمع الأصوات، ولا قدرة له[٣]، ولا يتكلم[٤] ولا الكلام كان منه[٥]، وأنه تحت الأرض لا على العرش جل وعلا عن ذلك[٦].

فإذا عرفتَ ذلك واستيقنته: علمتَ ما يجوز عليه النسخ وما لا يجوز[٧]، فإن[٨] تلوت[٩] آية في ظاهر[١٠] تلاوتها تحسب أنها ناسخة لبعض أخباره؛ كقوله عن[١١] فرعون: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ﴾ [يونس:٩٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [محمد:٣١].

وقال: قد تأول قوم أن[١٢] الله عنى أن ينجيه ببدنه من النار إذ قد آمن[١٣] عند الغرق، وقالوا: إنما ذكر الله قوم فرعون يدخلون النار

---

(١) في فهم القرآن: «بعدما» بدل: بعد أن.

(٢) في فهم القرآن: «عالم الغيب».

(٣) في فهم القرآن: «وأنه لا قوة له، ولا قدرة على الأشياء».

(٤) في فهم القرآن: «ولم يتكلم بشيء».

(٥) في فهم القرآن: «ولا له الخلق والأمر».

(٦) في فهم القرآن: «جل عن ذلك وتعالى علواً كبيراً».

(٧) قوله «علمت ما يجوز عليه النسخ وما لا يجوز» هذه الجملة غير موجودة في فهم القرآن.

(٨) في (ع) «فإذا».

(٩) في فهم القرآن: «فتلوت».

(١٠) في (ع) «ظهور».

(١١) في فهم القرآن: «في» بدل: عن.

(١٢) في (ع) «إلى» بدل: أن.

(١٣) «قد آمن» بياض من (ع).

دونـه[١]، وقال: ﴿فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ [هود:٩٨]، وقال: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر:٤٥]، ولم يقل بفرعون[٢]، وقال[٣]: وهكذا الكذب علـى الله، لأن[٤] الله تعـالى يقـول: ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ﴾ [النازعات:٢٥][٥]، وكذلـك قولـه تعـالى: ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟﴾ [العنكبوت:٣][٦] فأقـر[٧] الـتلاوة عـلى استئناف العلم من الله عز وجل عـن أن يسـتأنف عـلماً بشـيء[٨][٩]، لأنـه من ليس لـه علم بما يريد أن

---

(١) في فهم القرآن دون كلمه«دونه».

(٢) في فهم القرآن : «ولم يقل فيردها فرعون».

وأيضاً في فهم القرآن جاءت هذا الجملة بعد آية ﴿فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾.

فالكلام هنا فيه تقديم وتأخير.

(٣) في (ع) «وقال».

(٤) في (ع) «إن » بدل: لأن.

(٥) وذكـر الحـارث المحاسـبي أن معنى قوله: ﴿نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ أن بني إسرائيل شكوا في مـوت فرعون، فأمر الله البحر بإلقاء بدنه بلا روح على الساحل ليستيقن بنو إسرائيل موته.

انظـر: فهـم القرآن ص٣٣٧، وذكر نحواً من هذا ابن كثير في تفسيره (٤/٢٢٨) وعزا هذا القول لابن عباس.

(٦) في فهم القرآن زيادة: وقولـه : ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ﴾ [آل عمران:١٤٢] .

(٧) في فهم القرآن: «فظاهر» بدل: فأقر.

(٨) في فهـم القـرآن العـبارة هكـذا: «فظـاهـر الـتلاوة، عـلى اسـتئناف العلم من الله، بجهاد المجاهدين وصدق الصادقين، وكذب الكاذبين، وجل الله أن يستأنف علماً بشيء » اهـ.

(٩) أسـقط الشيخ هنا نحواً من ثلاثة أسطر، ففي «فهم القرآن» بعد قوله: «علماً بشيء»، قال: «كـيف؟! وكـل شيء يكون فهو يكونه؟ فلم يأتِ إلا وقد تقدم العلم منه به، وكيف يأتي وكيف يكون، ولو لم يعلم كيف يكون ما أحسن أن يكونه أبداً ».

يصنعه[١][٢] لم يقدر عليه أن يصنعه نجده ضرورة[٣].

قال[٤] : ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك:١٤][٥]، قال: وإنما قوله ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ﴾[٦] إنما يريد حتى نراه[٧][٨]، فيكون معلوماً موجوداً، لأنه لا جائز[٩] أن يكون يعلم الشيء معدوماً من[١٠]

---

(١) في (ج) «يضعه» وما أثبت من فهم القرآن، وكذا في (ع).

(٢) سقط هنا نحو من سطر، فبعد قوله: «أن يصنعه» قال: «كيف يكون يحسن أن يصنعه؟ ومن لم يحسن كيف يصنعه لم يقدر...»

(٣) أسقط الشيخ هنا عدة أسطر، لا بأس بذكرها ليتضح كلام الحارث، قال بعد قوله: «أن يصنعه» : «وهذا نجده ضرورة في فطرنا، فلو لم نر كتاباً قط، ولم نحسن أن نكتب، لم يجز لنا أن نكتب كتاباً مؤلفاً بمعاني مفهومة بالتخمين أبداً، وكذلك جميع الصنعات من لم يرها فيعلمها أو توصف له فيعلمها لم يحسن أن يأتي بها أبداً، فالله جل ذكره أَوْلَى بعلم ما يكونه قبل أن يكونه..».

(٤) في فهم القرآن «ألم تسمعه يقول...».

(٥) سقط هنا قريب من صفحة، حول علم الله بما كان، وبما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، والاستدلال على ذلك.

(٦) في فهم القرآن: وإنما قول: «حتى نعلم» و«لما يعلم» و«ليعلمن» إنما يريد...إلخ.

(٧) في فهم القرآن : حتى يراه.

(٨) وهذا مروي عن ابن عباس، قال ابن كثير: «وذلك أن الرؤية تتعلق بالموجود، والعلم أعم من الرؤية ، فإنه يتعلق بالمعدوم والموجود ». اهـ. تفسير ابن كثير (٦/ ٢٧٣)، (٧/ ٣٠٤).

وذكر ابن جرير أن المراد من قوله: ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ﴾ أي: يعلم حزبي وأوليائي. انظر: تفسير ابن جرير (٢٦٠/ ٢٦١)، (٢/ ١٣)، (٢٠/ ١٢٩).

(٩) في (ج) «جائز» دون «لا» وما أثبت من (ع) وكذا في ، فهم القرآن، ولعل الكلام لا يستقيم إلا بهذا.

(١٠) في فهم القرآن دون « من ».

قبل أن يكون، ويعلمه موجوداً كان قد كان[١]، فيعلم في وقت واحد[٢] معدوماً موجوداً[٣] وإن لم يكن[٤]، وهذا المحال[٥][٦].

وذكر كلاماً في هذا في الإرادة.

إلى أن قال: وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾ [الشعراء:١٥] ليس معناه أن يحدث له سمعاً[٧]، ولا تكلف[٨] لسمع ما كان من قولهم[٩][١٠] وقد ذهب قومٌ من

---

(١) في فهم القرآن: ويعلمه موجوداً كائناً .

(٢) في فهم القرآن زيادة : أنه.

(٣) في (ج) «وموجوداً» وما أثبت من (ع) وكذا في : فهم القرآن.

(٤) في فهم القرآن: نص العبارة كما يلي: «فيعلم في وقت واحد أنه معدوم أنه قد كان وأنه لم يكن بعد ...».

(٥) في (ج) «الحال»، وما أثبت من (ع) وكذا في: فهم القرآن.

(٦) وأوضح المحاسبي كلامه هذا، فقال: «وإنما لم يجز أن يُقال : يعلم الله أن الشيء قد كان، لأن الشيء لم يكن بعد، فإن الله جل وعز ولا يجوز أن يكون جاهلاً به أنه سيكون وذلك موجود فينا، ونحن جهال وعلمنا محدَث، قد علمنا أن كل إنسان ميت، فكلما مات إنسان قلنا: قد علمنا أنه قد مات، من غير أن يكون من قبل موته جاهلين أنه سيموت إلا أنا قد يحدث لنا العلم من الرؤية وحركة القلب إذا نظرنا إليه ميتاً، لأنه ميت، والله لا تحدث فيه الحوادث، لأنا لم نجهل موت من مات أنه سيكون، وكذلك علمنا أن النهار سيكون صبيحة ليلتنا، ثم يكون فنعلم أنه قد كان من غير جهل منا تقدم أنه سيكون ..».
فهم القرآن ص٣٤٠، وانظر: الفتاوي (٦/ ١٨١).

(٧) في فهم القرآن: ليس معناه إحداث سمع..

(٨) في (ع) «ولا يكلف».

(٩) في فهم القرآن: ما يكون من المتكلم في وقت كلامه..

(١٠) تكملة الكلام كما في فهم القرآن: «وإنما معنى ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾ و﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾أي: المسموع والمبصر لن يخفى على سمعي ولا على بصري أن أدركه سمعاً =

أهل السنة[١][٢] أن لله استماعاً حادثاً في ذاته، فذهبوا[٣] إلى أن[٤] ما يعقل من الخلق أنه يحدث منهم علم سمع لما كان من قوله[٥]؛ لأن المخلوق إذا سمع[٦] حدث له عقد[٧] فهم عما أدركته أذنه من الصوت، وكذلك قوله: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة:١٠٥]، لا يستحدث بصراً[٨] محدثاً في ذاته[٩]، وإنما يحدث الشيء فيراه مكوناً كما لم يزل يعلم قبل كونه[١٠].

قول المحاسبي في العلو

إلى أن قال: وكذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨]، وقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، وقوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك:١٦]، وقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ

= وبصراً، لا بالحوادث في الله جل وعز وتعالى عن ذلك . وكذلك قوله: ﴿ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ﴾ لا يستحدث بصراً ولا لحظاً محدثاً في ذاته تعالى عن ذلك» اهـ.

(١) قوله: «من أهل السنة» ليست موجودة في : فهم القرآن.

(٢) في (ع) زيادة «إلى ».

(٣) في فهم القرآن : فذهب.

(٤) «أن » ليست موجودة في: فهم القرآن.

(٥) العبارة كما في فهم القرآن: «أنه يحدث فيهم علة لسمع ما يكون من قول عند سمعه للقول».

(٦) في فهم القرآن : إذا سمع الشيء.

(٧) في فهم القرآن: «عنه» بدل: عقد، وفي (ج) «عقل» ما أثبت من (ع).

(٨) في فهم القرآن زيادة: ولاحظاً.

(٩) من قوله: وكذلك قوله: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ ..﴾ إلى قوله: « محدثاً في ذاته» هذه الجملة جاءت في فهم القرآن قبل قوله: «وقد ذهب قوم ..إلخ».

(١٠) قوله: «إنما يحدث الشيء ... إلى قوله: يعلم قبل كونه» هذه الجملة غير موجودة في فهم القرآن .

ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ [فاطر:١٠]، وقال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ﴾ [السجدة:٥]، وقال تعالى: ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ﴾ [المعارج:٤]، وقال لعيسى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، وقال تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾ [النساء:١٥٨]، وقال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ﴾ [الأعراف:٢٠٦][١] .

وذكر الآلهة أن لو كانوا آلهة لابتغوا إلى ذي العرش سبيلاً إلى طلبه حيث هو[٢]، فقال: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٞ كَمَا يَقُولُونَ إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا﴾ [الإسراء:٤٢][٣]، وقال تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾ [الأعلى:١] .

قال أبو عبدالله: فلن ينسخ ذلك أبداً[٤].

كذلك[٥] قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ﴾ [الزخرف:٨٤][٦]، وقوله تعالى: ﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ﴾ [ق:١٦][٧]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِۖ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ﴾ [الأنعام: ٣]،

---

(١) في فهم القرآن آية فصلت : ٣٨ ﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ﴾ بدل آية الأعراف.

(٢) والعبارة كما في فهم القرآن: «وذكر آلهة لو كانوا لابتغوا إلى طلبه سبيلاً حيث هو...».

(٣) قوله «إلى طلبه حيث هو فقال : ﴿قُل لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ..﴾ الآية سقط من (ع).

(٤) في فهم القرآن بعد قوله «فلن ينسخ ذلك أبداً» قال: فإذا تلوت ما يكون كأنه نسخ أو خلاف ظاهر، فاعلم أن ذلك ليس بنسخ ولا بمضاد لهذا، وذلك كقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ ..﴾.

(٥) في (ع) «لهذا أكد» بدل: كذلك.

(٦) معنى هذه الآية وآية الأنعام الآتية ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ على القول الراجح : المعبود المدعو في السماوات وفي الأرض. وليس كما يقوله الحلولية أنه في كل مكان، وقد ذكر ابن كثير أن جمهور المفسرين اتفقوا على تخطئتهم في ذلك . انظر : تفسير ابن كثير (٣/ ٢٣٥) (٧/ ٢٢٩) دفع إيهام الاضطراب للشنقيطي ص٢٢٧ .

(٧) سيأتي الكلام إن شاء الله على معنى القرب في هذه الآية، وأن المراد منه قرب الملائكة على القول الراجح.

وقولـــه تعـــالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلـة:٧]، فليس هذا بناسخ لهذا، ولا هذا ضد لذلك[١][٢].

واعلم أن هذه الآيات ليس معناها أن الله أراد[٣] الكون بذاته فيكون في أسـفل الأشـياء، أو يتـنقل فـيها لاستفالها[٤][٥]، ويتبعض[٦] فيها على أقدارهـا، ويزول عنها عند فنائها، جل وعز عن ذلك، وقد نزغ بذلك[٧] بعـض أهل الضلال[٨]، فزعموا أن الله تعالى في كل شيء[٩] بنفسه كائناً، كمـا هـو في العرش، ولا فرق[١٠] بين ذلك عندهم[١١] ثم أحالوا[١٢] في

---

(١) في فهـم القـرآن: «فلـيس بناسـخ، ولا ذلك ناسخ لهذا، ولا هذا ضد ذلك، ولكن معنى ذلك غير معنى هذا».

(٢) أي: الآيات التي أوردها الدالة على علو الله على خلقه، ليست منسوخة بهذه الآيات: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ﴾ ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ﴾ ولا ضداً لها.

(٣) في فهم القرآن: «هذه الآية معناها أن الله عز وجل لم يرد الكون..» إلخ.

(٤) في فهم القرآن: «ويتتقل فيها لانتقالها ...».

(٥) استفالها، من السفول وهو نقيض العلو. انظر: لسان العرب (١١/ ٣٣٧).

(٦) في فهم القرآن: وينهض.

(٧) في فهم القرآن: وقد ادعى بعض ...

(٨) والمـراد بهـم: حلولـية الجهمية، وبعض طوائف أهل الكلام، بالإضافة إلى كثير من غلاة الصـوفية. انظـر: الفتوحات المكية لابن عربي (٤/ ٢٦٣)، النور من كلمات أبي طيفـور (١/ ١١١)، وانظر أيضاً : الفتاوي (٢/ ٢٩٨-٢٩٩).

(٩) في فهم القرآن: «في كل مكان»، وفي (ع) سقطت «شيء».

(١٠) في (ج) : «فرقان» وما أثبت من (ع) وكذا في فهم القرآن.

(١١) «عندهم» غير موجودة في فهم القرآن.

(١٢) في (ج): أجابوا.

النفي بعد تثبيت[١] ما يجوز عليه[٢] في قولهم ما نفوه[٣] لأن كل من يثبت[٤] شيئاً في المعنى ثم نفاه بالقول لم يغنِ[٥] عنه نفيه بلسانه[٦]، واحتجوا بهذه الآيات[٧] أن الله تعالى في كل شيء بنفسه كائناً ثم نفوا[٨] معنى ما أثبتوا، فقالوا: لا كالشيء في الشيء[٩].

قال أبو عبدالله[١٠]: أما قوله[١١]: ﴿حَتَّىٰ نَعۡلَمَ﴾[١٢]، ﴿وَسَيَرَى ٱللَّهُ﴾ و﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ﴾ فإنما معناه: حتى يكون الموجود فيعلمه[١٣] موجوداً، ويسمعه[١٤] مسموعاً، ويبصره[١٥] مبصراً لا على استحداث علم ولا سمع ولا بصر.

---

(١) في (ع) «ثبت».

(٢) في (ج) «عليهم»، وما أثبت من (ع) وكذا في فهم القرآن.

(٣) في فهم القرآن «ما نفوا».

(٤) في فهم القرآن «أثبت».

(٥) في (ع) «يفي» بدل: يغني.

(٦) وقد أسقط المؤلف هنا عدة أسطر، يشرح فيها الحارث قوله: «لأن كل من أثبت شيئاً في المعنى ثم نفاه بالقول لم يغن عنه نفيه بلسانه».

(٧) في فهم القرآن «الآية».

(٨) في (ع) «نقول» بدل: نفوا.

(٩) تكملة الكلام كما في فهم القرآن: «فأحالوا، لأن ما كان في الأشياء فهو كالشيء وإن نفوه بألسنتهم».

(١٠) أي: الحارث المحاسبي.

(١١) في فهم القرآن: «أما معنى قوله ...»، وفي (ع) «لنا قوله» بدل: أما قوله.

(١٢) في فهم القرآن : «يعلم» بدل: حتى نعلم.

(١٣) في فهم القرآن: «فنعلمه».

(١٤) في فهم القرآن: «ونسمعه».

(١٥) في فهم القرآن: «ونبصره».

وأما قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ﴾(١) : إذا جاء وقت كون المراد(٢) فيه.

وأن قوله(٣) ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ ﴿إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ فهذا وغيره(٤) مثل قوله : ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾هذا منقطع(٥) يوجب أنه فوق العرش، فوق الأشياء كلها(٦) منزه عن الدخول في خلقه، لا يخفى عليه منهم خافية، لأنه أبان في هذه الآيات أن ذاته(٧) بنفسه فوق عباده؛ لأنه قال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ يعني فوق العرش، والعرش فوق(٨) السماء(٩)، لأن من قد كان فوق كل شيء على السماء في السماء(١٠)، وقد قال مثل ذلك(١١) قال : ﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [التوبة:٢] يعني على الأرض، لا يريد الدخول في جوفها(١٢).

---

(١) في فهم القرآن «إذا أردناه».

(٢) «كون» سقطت من (ج)، وما أثبت من (ع) وكذا في فهم القرآن.

(٣) ما قوله.

(٤) في فهم القرآن «فهذه وغيرها».

(٥) في فهم القرآن «مقطع».

(٦) في فهم القرآن بدون «كلها».

(٧) في (ج) «أنه أراد» بدل: أنه ذاته، وفي (ع) «أنه أراد أنه بنفسه»، وما أثبت من فهم القرآن.

(٨) في (ج): على، بدل: فوق.

(٩) قوله «يعني فوق العرش، والعرش فوق السماء، سقط من (ع).

(١٠) في فهم القرآن: «لأن من كان فوق شيء على السماء لسماء ...».

(١١) «ذلك» سقطت من (ع).

(١٢) في (ج) زيادة: «وكذلك قوله: ﴿يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [المائدة:٢٦] يعني: على الأرض لا يريد الدخول في جوفها».

وكذلك قوله ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه :٧١] يعني: فوقها عليها[١].

وقال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ﴾ ثم فصل فقال: ﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ﴾ ولم يصل[٢]، فلم يكن لذلك معنى ـ إذ[٣] فصل بقوله[٤]: ﴿مَّن فِي السَّمَاءِ﴾ [٥][٦] ثم استأنف التخويف بالخسف ـ إلا أنه على عرشه[٧] فوق السماء[٨].

وقال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة: ٥]، وقال: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج:٤] فبين عروج الأمر وعروج الملائكة، ثم وصف وقت[٩] صعودها بالارتفاع صاعدة إليه، فقال: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج:٤]، فقال صعودها إليه[١٠]، وفصله[١١] من قوله: ﴿إِلَيْهِ﴾ كقول القائل: أصعد[١٢] إلى

---

(١) «عليها» غير موجودة في فهم القرآن.

(٢) في فهم القرآن: «يصله بمعنى فيشتبه ذلك».

(٣) في (ج، ع) «إذا» وما أثبت من فهم القرآن، ولعل المعنى لا يستقيم إلا بذلك.

(٤) في (ج) «قوله».

(٥) في فهم القرآن بدون «من».

(٦) قوله «ثم قال ... إلى قوله: من في السماء» سقط من (ع).

(٧) في فهم القرآن «العرش».

(٨) انظر: نقض التأسيس (١/ ٥٥٧-٥٦١).

(٩) في فهم القرآن دون «وقت».

(١٠) في فهم القرآن : «ثم وصف صعودها بالارتفاع صاعدة إليه، فقال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾، وقال: ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ ثم قال: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ﴾ مقدار صعودها...الخ».

(١١) في (ج، ع) دل: وفصله، وما أثبت من فهم القرآن، ولعله الصواب.

(١٢) في فهم القرآن «صعدت».

فلان في ليلة أو يوم[١] وذلك أنه في العلو[٢] وأن صعودك إليه في يوم، فإذا صعدوا إلى العرش فقد صعدوا إلى الله عز وجل، وإن كانوا لم يروه، ولم يساووه في الارتفاع في علوه، فإنهم صعدوا من الأرض وعرجوا بالأمر إلى العلو[٣] قال الله تعالى[٤] : ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾ [النساء:١٥٨] ولم يقل: عنده .

وقال تعالى[٥] : ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ ثم استأنف الكلام[٦] فقال: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ﴾ [غافر:٣٦، ٣٧] فيما قال لي إن إلهه فوق السموات[٧].

فبَيَّنَ الله سبحانه أن فرعون ظن بموسى أنه كاذب فيما قال[٨]، وعمد لطلبه[٩] حيث قاله[١٠] من الظن[١١] بموسى إنه كاذب، ولو أن موسى

---

(١) في فهم القرآن «في يوم أو في ليلة».

(٢) «وذلك في العلو» غير موجودة في فهم القرآن.

(٣) في فهم القرآن، زيادة: «الذي لله عز وجل فوق. وقال: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾، وكلام الملائكة أكثر وأطيب من كلام الآدميين، فلم يقل: ينزل إليه الكلم الطيب».

(٤) في فهم القرآن «وقال عن عيسى».

(٥) في فهم القرآن «وقال عن فرعون».

(٦) قوله: «الكلام» غير موجودة في فهم القرآن.

(٧) في فهم القرآن «فيما قال لي أنه في السماء».

(٨) «فبين الله سبحانه أن فرعون ظن بموسى أنه كاذب فيما قال» ليست في فهم القرآن.

(٩) في فهم القرآن «فطلبه».

(١٠) في فهم القرآن «قال له موسى».

(١١) في فهم القرآن زيادة «منه».

قال[١]: إنه في كل مكان بذاته، لطلبه[٢] في بيته أو[٣] بدنه، أو حشه[٤]، فتعالى الله عن ذلك، ولم يجهد نفسه ببنيان الصرح[٥][٦].

قال أبوعبدالله: وأما الآية[٧] التي يزعمون أنها قد وصلها[٨] ـ ولم يقطعها كما قطع الكلام الذي أراد به أنه على عرشه[٩] فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [المجادلة:٧] فأخبر[١٠] بالعلم، ثم أخبر[١١] أنه مع كل مناج[١٢] ثم ختم الآية بالعلم[١٣] بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) في فهم القرآن «أخبره».

(٢) في فهم القرآن زيادة «في الأرض».

(٣) في فهم القرآن زيادة «في».

(٤) «أوحشه» ليست موجودة في فهم القرآن، وفي (ع) «حسه».

(٥) في فهم القرآن: «ولم يتعز ببنيان الصرح».

(٦) الصرح: هو القصر العالي في السماء، ومنه قول أبي ذؤيب:

على طرق كنحور الظبا تحسب آرامهن الصروحا

ومعنى آرامهم: جمع أرم، يقال: جارية حسنة الأرم، أي: مجدولة الخلق.

انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ١٣٤)، والمفردات للراغب ص٤٧٩/ ٧٥، لسان العرب (٢/ ٥١١).

(٧) في (ع) «الآي».

(٨) العبارة كما في فهم القرآن: «وأما الآيات الأخر التي نزعوا بها فقد أبان الله جل وعز في تلاوتها أنه لا يريد أنه كائن في الأشياء بنفسه إذا وصلها ولم يقطعها...».

(٩) في فهم القرآن «كونه فوق عرشه».

(١٠) في فهم القرآن: «فبدأ».

(١١) في فهم القرآن: «وأخبر».

(١٢) في فهم القرآن زيادة: «حيث وجد».

(١٣) في (ع) زيادة «ثم» ولا معنى لها هنا.

﴿بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فبدأ بالعلم، وختم بالعلم، فبين أنه أراد أنه يعلمهم حيث كانوا[١] لا يخفون عليه، ولا يخفى عليه[٢] مناجاتهم[٣] ولو اجتمع القوم في أسفل[٤] وناظر إليهم في العلو[٥]، فقال : إني لم أزل[٦] أراكم، وأعلم مناجاتكم[٧] لكان[٨] صادقاً ـ ولله المثل الأعلى[٩] أن يشبه الخلق[١٠] ـ فإن أبوا إلا ظاهر التلاوة، وقالوا : هذا منكم[١١] دعوى، خرجوا عن[١٢] قولهم في ظاهر التلاوة[١٣] لأن من هو مع الاثنين أو أكثر[١٤] هو معهم لا فيهم، ومن كان مع الشيء فقد خلا منه[١٥] جسمه[١٦] وهذا

---

(١) في فهم القرآن «ما كانوا».

(٢) «عليه» سقطت من (ع).

(٣) في فهم القرآن زيادة: «تفردوا أو اجتمعوا».

(٤) في فهم القرآن «اجتمع قوم في السفل ».

(٥) في فهم القرآن زيادة: «ويسمع كلامهم ».

(٦) في فهم القرآن زيادة «معكم ».

(٧) قوله «في أسفل، وناظر إليهم ... إلى قوله : مناجاتكم » سقطت من (ع).

(٨) في فهم القرآن: كان.

(٩) في (ع) زيادة: «عن».

(١٠) في فهم القرآن «عن شبه الخلق».

(١١) «منكم» غير موجودة في فهم القرآن.

(١٢) في فهم القرآن «من».

(١٣) قوله «وقالوا: هذا منكم دعوى خرجوا عن قولهم في ظاهر التلاوة» سقطت من (ع).

(١٤) عبارة فهم القرآن «لأن موضع الاثنين والثلاثة والأربعة، وأكثر من ذلك وأقل من ذلك الواحد».

(١٥) «منه» سقطت من (ج، ع) وما أثبت من فهم القرآن.

(١٦) في فهم القرآن زيادة: «وبان كل واحد منهما بنفسه عن الآخر».

خروج من[١] قولهم[٢].

كذلك قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق :١٦] لأن ما قرب من الشيء ليس هو في الشيء، ففي ظاهر التلاوة على دعواهم أنه ليس في حبل الوريد[٣][٤].

(١) في فهم القرآن «عن».

(٢) تكملة الكلام كما في فهم القرآن: «لأن عندهم لا يخلو من الله سبحانه شيء أن يكون فيه نفسه، فقد تركوا قولهم على ظاهر التلاوة؛ لأن الله تعالى قال: «معهم» ولم يقل: «فيهم».

(٣) اختصر الشيخ هنا الكلام على آية القرب، أما في فهم القرآن، فقد تحدث عنها المحاسبي بكلام طويل، وما أورده الشيخ جزء يسير من ذلك.

(٤) اختلف العلماء في القرب في هذه الآية ما المراد منه على قولين:

* **القول الأول**: ذهبت طائفة من العلماء أن المراد من القرب هنا: هو قرب العلم والإحاطة والقدرة، وإلى هذا ذهب الحارث المحاسبي.

وقد ضعَّف شيخ الإسلام هذا القول، وذكر أنه ليس في الكتاب والسنة وصف الرب بقرب عام من كل موجود حتى يحتاجوا إلى القول بأن القرب قرب العلم والقدرة، كما هو الحال في «المعية».

* **القول الثاني**: أن المراد بالقرب هنا، هو: قرب الملائكة، وأنه أضاف ذلك لنفسه على عادة العظماء والكبراء في إضافة أعمال عبيدهم إليهم، فيقولون: نحن فعلنا، ونحن هزمنا، ومعلوم أنهم لا يباشرون ذلك.

وهذا موجود في القرآن، كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٨] والذي باشر القراءة على الرسول ﷺ هو جبريل. وقال سبحانه: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ [الأنفال:١٧] والذي باشر القتال في معركة «بدر» هم ملائكته.

ورجح هذا الرأي شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم، لعدة وجوه، منها: تقييد القرب في الآية بالظرف ﴿إِذْ يَتَلَقَّى...﴾ أي: حين يتلقى والعامل في الظرف ما في قوله ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ من معنى الفعل، ولو كان المراد قربه سبحانه لم يقيد ذلك بوقت تلقي الملائكة، فإن العلم والقدرة عامة، ليست خاصة بوقت التلقي. =

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾[1] [الزخرف:٨٤] لم يقل في السماء ثم قطع كما قال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ ثم قطع فقال: ﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾[2]، فقال ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾[3] إله أهل السماء وإله أهل الأرض، وذلك موجود في اللغة؛ تقول[4] فلان أمير في خراسان[5] وأمير في

= ومنها: أن قرب الرب ورد خاصاً وليس عاماً وهو القرب من الداعي بالإجابة، والقرب من الطائع بالإثابة، وليس القرب كالمعية منها خاصة وعامة، بل القرب لم يرد إلا خاصاً، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦]، وقوله: ﴿فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود:٦١].

انظر: مجموع الفتاوي (٥/ ٣٣٥-٣٣٦، ٤٩٤)، (٦/ ١٩-٢٣)، مختصر الصواعق (٢/ ٢٦٧-٢٦٩)، تفسير الطبري (٢٦/ ١٥٧)، تفسير ابن كثير (٧/ ٣٧٦)، تفسير الخازن (٦/ ٢٣٥)، تفسير البغوي ـ بحاشية تفسير الخازن ـ (٦/ ٢٣٥)، فهم القرآن ص٣٥٤-٣٥٥.

(١) قوله: «التلاوة على دعواهم أنه ليس في حبل الوريد، وكذلك قوله تعالى: ﴿وهو....﴾» سقطت من (ع).

(٢) الآية سقطت من (ع)

(٣) في فهم القرآن زيادة «فأخبر أنه».

(٤) في فهم القرآن «إذ يقول القائل»، وفي (ع) «نقول» بدل: تقول.

(٥) خراسان: بلاد واسعة، تمتد من العراق حتى بلاد الهند، ومن أمهات بلادها: نيسابور، وهراة ومرو، وبلخ، ونسا، وسرخس، وهي حالياً تضم: بلاد إيران، وافغانستان، وجزءاً من الجهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفيتي. وفتحت أغلب هذه البلاد عنوة في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه.

وقد خرج منها فطاحل من العلماء، نشر الله على أيديهم العلم الكثير والخير الوفير، من هؤلاء: الأئمة أصحاب الكتب الستة: البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وكذلك: ابن المبارك، والحاكم، وغير هؤلاء كثير.

انظر: معجم البلدان (٢/ ٣٥٠-٣٥٤)، مراصد الاطلاع (١/ ٤٥٥-٤٥٦).

بلخ[١]، وأمير في[٢] سمرقند[٣] وإنما هو موضع واحد، ويخفى عليه ما وراءه[٤]، فكيف العالي فوق الأشياء لا يخفي عليه شيء[٥] من الأشياء يدبره[٦]، فهو إله فيهما[٧] إذا كان مدبراً لهما[٨]، وهو على عرشه فوق كل شيء تعالى[٩] عن الأمثال[١٠]. اهـ[١١].

---

(١) بلخ: من أكبر مدن خراسان، تقع في الناحية الشرقية منها، قريبة من ترمذ، وقد فتحها الأحنف بن قيس في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهي الآن تابعة لأفغانستان.
انظر: معجم البلدان (١/ ٤٧٩-٤٨٠)، مراصد الاطلاع (١/ ٢١٧)، الأنساب للسمعاني (١/ ٣٨٨-٣٨٩).

(٢) «في» سقطت من (ع)

(٣) سمرقند: إحدى بلاد ما وراء النهر، وهي معروفة مشهورة، يقال: إن الذي بناها ذو القرنين، ويقال: شمر أبو كُرب، فسميت: شمر كنت، فعربت إلى : سمرقند. وقد قال دعبل الخزاعي في قصيدته الي يفتخر فيها، ويذكر التبابعة.

وهم كتبوا الكتاب بباب مرو ... وباب الصين كانوا الكاتبينا
وهم سموا قديماً سمرقند ... .

وهي الآن من الجمهوريات الإسلامية التي كانت تابعة للاتحاد السوفيتي. انظر: معجم البلدان (٣/ ٢٤٦-٢٥٠)، مراصد الاطلاع (٢/ ٧٣٦).

(٤) إيراد المثل من اللغة هنا اختصره الشيخ على ما في فهم القرآن.

(٥) «شيء» سقطت من (ع).

(٦) في فهم القرآن زيادة «فهو إله أهل السماء، وإله أهل الأرض، لا إله فيهما سواه».

(٧) في فهم القرآن «فهو فيهما إله».

(٨) في فهم القرآن زيادة «وما فيهما».

(٩) في فهم القرآن «فوق كل شيء باق».

(١٠) في (ع) زيادة «الأشباه».

(١١) كتاب «فهم القرآن» ص٣٣٢-٣٥٦، طبع مع كتاب «العقل» كلاهما للحارث المحاسبي، تحقيق: د. حسين القوتلي، ط الثالثة ١٤٠٢هـ.

قول الإمام ابن خفيف واتفاق الصحابة في أصول الدين

وقال الإمام أبوعبدالله محمد بن خفيف[١] في كتابه الذي سماه: «اعتقاد التوحيد بإثبات الأسماء والصفات»[٢] قال في آخر خطبته: «فاتفقت أقوال المهاجرين والأنصار في توحيد الله عز وجل، ومعرفة أسمائه وصفاته وقضائه، قولاً واحداً، وشرعاً[٣] ظاهراً، وهم الذين نقلوا عن رسول الله ﷺ ذلك حتى قال: **«عليكم بسنتي»**[٤] وذكر الحديث. وحديث **«لعن الله من أحدث حدثاً أو آوى محدثاً[٥]»**[٦]

---

(١) محمد بن خفيف، الضبي الفارسي، الشيرازي، أبو عبدالله. من مشايخ الصوفية، وقد رحل وحج مراراً، درس على الأشعري، له مؤلفات كثيرة. قال أبو العباس الفسوي: «صنف شيخنا ابن خفيف من الكتب ما لم يصنفه أحد، وانتفع به جماعة صاروا أئمة يقتدى بهم، وعمر حتى عم نفعه البلدان» اهـ.
وقال الذهبي عنه: «قد كان هذا الشيخ قد جمع بين العلم والعمل وعلو السند، والتمسك بالسنن، ومتع بطول العمر في الطاعة».اهـ.
ولد حوالي سنة ثمان وستين ومائتين، وتوفي سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة. من مؤلفاته: الوصية، العقيدة أو المعتقد، كتاب الاقتصاد. انظر: حلية الأولياء (١٠/ ٣٨٥)، تبيين كذب المفتري ص١٩٠، السير (١٦/ ٣٤٢)، طبقات الصوفية للسلمي ص٤٨٥، شذرات الذهب (٣/ ٧٦)، تاريخ التراث لسزكين (٤/ ١٦٢).

(٢) ذكر سزكين في تاريخ التراث (٤/ ١٦٣) ضمن مصنفات ابن خفيف كتاب : «العقيدة أو المعتقد» وذكر له عدة نسخ خطية في: أيا صوفيا ٤٧٩٢، الفاتح ٥٣٩١، صائب بأنقرة ١٥٥٩، وأيضاً ذكر إبراهيم الدسوقي في كتابه «سيرة الشيخ الكبير أبي عبدالله محمد بن خفيف..» ص٢٥٧ ضمن مصنفاته كتاب «الاعتقاد». فلعله هو المراد.

(٣) في (ع) «شرطاً» بدل: شرعاً.

(٤) حديث «عليكم بسنتي» سبق تخريجه، انظر: ص١٨٠ .

(٥) «أو آوى محدثاً» سقطت من (ع).

(٦) الحديث رواه البخاري (١٣/ ٢٨١) رقم ٧٣٠٦، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب إثم من آوى محدثاً. ومسلم (٢/ ١١٤٧) رقم ١٣٧٠، كتاب العتق. ولفظ الحديث كما =

اتفاق الصحابة في أصول الدين

وقال: فكانت كلمة الصحابة على اتفاق من غير اختلاف، وهم الذين أُمرنا بالأخذ عنهم؛ إذ لم يختلفوا بحمد الله تعالى في أحكام[(١)] التوحيد وأصول الدين من الأسماء والصفات كما اختلفوا في الفروع، ولو كان منهم في ذلك اختلاف لنُقل إلينا كما نُقل سائر الاختلاف، فاستقر صحة ذلك عن[(٢)] خاصتهم وعامتهم حتى أدوا إلى التابعين لهم بإحسان، فاستقر صحة ذلك عند العلماء المعروفين حتى نقلوا ذلك قرناً بعد قرن، لأن الاختلاف كان في الأصل عندهم[(٣)] كفر، ولله المنة[(٤)].

ثم إني قائل ـ وبالله أقول ـ إنه لما أحدثوا في أحكام التوحيد وذكر الأسماء والصفات على خلاف منهج المتقدمين من الصحابة والتابعين، فخاض في ذلك[(٥)] من لم[(٦)] يعرفوا بعلم الآثار، ولم يعقلوا قولهم بذكر

= في مسلم: عن إبراهيم التيمي عن أبيه، قال: خطبنا علي بن أبي طالب فقال: من زعم أن عندنا شيئاً نقرأه إلا كتاب الله وهذت الصحيفة: (قال: وصحيفة معلقة في قراب سيف) فقد كذب، فيها أسنان الأبل، وأشياء من الجراحات، وفيها قال النبي ﷺ: «**المدينة حرم ما بين عير إلى ثور، فمن أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً ...**» الحديث.

(١) «أحكام» سقطت من (ع).

(٢) «عن» سقطت من (ع).

(٣) في (ع) تقديم وتأخير هكذا «عندهم في الأصل».

(٤) قال الإمام ابن القيم: «وقد تنازع الصحابة في كثير من مسائل الأحكام، وهم سادات المؤمنين، وأكمل الأمة إيماناً، ولكن بحمد الله لم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات والأفعال، بل كلهم على إثبات ما نطق به الكتاب والسنة كلمة واحدة من أولهم إلى آخرهم ...». اهـ. أعلام الموقعين (١/ ٤٩).

(٥) في (ع) «ذلكم».

(٦) «من لم» سقطت من (ع).

الأخبار، وصار معولهم[١] على أحكام هواجس النفوس المستخرجة من سوء الطوية[٢][٣] وما وافق[٤] على مخالفة السنة، والتعلق منهم بآيات لم يسعدهم فيها، فتأولوا على أهوائهم[٥]، وصححوا بذلك مذاهبهم: احتجت إلى الكشف عن صفة المتقدمين، ومأخذ المؤمنين ومنهاج الأولين، خوفاً من الوقوع في جملة أقاويلهم التي حذر رسول الله ﷺ أمته[٦] ومنع المستجيبين له حتى حذرهم.

ثم ذكر أبو عبدالله خروج النبي ﷺ وهم يتنازعون في القدر وغضبه[٧].

---

(١) معوّلهم، مصدر عوّل، ومعنى عول: اتكل واعتمد. ومنه قول الشاعر:

فهل عند رسم دارس من معوّل

وقولهم: إلى الله المشتكى والمعوّل. لسان العرب (١١/ ٤٨٤-٤٨٥).

والمعنى هنا: صار عمدتهم على أحكام هواجس ... إلخ.

(٢) في (ع) «الظن» بدل: الطوية.

(٣) الطوية: هي الضمير، من الطي، وهي نقيض النشر. لسان العرب (١٥/ ١٩)، المعجم الوسيط ص٥٧٣ .

والمعنى هنا : المستخرجة من سوء ضمائرهم.

(٤) «ما وافق» سقطت من (ع).

(٥) في (ع) «وفق هواهم» بدل: أهوائهم.

(٦) في (ع) «منها» بدل: أمته.

(٧) والحديث بتمامه: عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه وهم يختصمون في القدر، فكأنما يُفقأ في وجهه حب الرمان من الغضب، فقال: **«بهذا أمرتم، ولهذا خلقتم، تضربون القرآن بعضه ببعض. بهذا هلكت الأمم من قبلكم»** .

رواه ابن ماجه (١/ ٣٣) رقم٨٥، المقدمة، باب في القدر. وأحمد (٢/ ١٧٨). واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٣/ ٦٢٧). وروى عبدالرزاق في «مصنفه» (١١/ ٢١٦) رقم ٢٠٣٦٧، نحواً من هذا، مع اختلاف يسير في الألفاظ. والبغوي أيضاً في «شرح =

وحديث : «لا ألفين(١) أحدكم متكئاً على أريكته»(٢)(٣)(٤).

= السنة» (١/ ٢٦٠) رقم ١٢١. وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (١/ ٥٨) : هذا إسناد صحيح رجاله ثقات ، رواه الإمام أحمد في مسنده من هذا الوجه بزيادة في آخره. وكذا رواه الحارث بن محمد بن أبي أسامة في مسنده كما أوردته في زوائد المسانيد العشرة. اهـ.

وصحح أحمد شاكر إسناده، انظر تعليقه على المسند (١٠/ ١٥٣) رقم ٦٦٦٨.

وأيضاً حسن الألباني إسناده، انظر حاشية المشكاة (١/ ٣٦).

وحسنه شعيب الأرناؤوط في تعليقه على شرح السنة (١/ ٢٦٠).

والحديث له شواهد أخرى؛ منها :

ما رواه الترمذي (٤/ ٤٤٣) رقم ٢١٣٣، كتاب القدر، باب ما جاء في التشديد في الخوض في القدر عن أبي هريرة نحواً من هذا، وقال: وفي الباب عن عمر وعائشة وأنس، وهذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث صالح المري، وصالح المري له غرائب ينفرد بها لا يتابع عليها. اهـ.

ورواه أيضاً عن أبي هريرة: ابن حبان في «المجروحين» (١/ ٣٧٢).

ورواه ابن حجر في «المطالب العالية» (٣/ ٧٦-٧٧) عن أنس. وذكره الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٢٠٢)، وقال: رواه أبو يعلى ، وفيه يوسف بن عطية، وهو متروك.

(١) لا ألفين: أي: لا أجد وألقى. يقال: ألفيت الشيء ألفيه إلفاء: إذا وجدته وصادفته ولقيته. النهاية في غريب الحديث (٤/ ٢٦٢)، لسان العرب (١٥/ ٢٥٢).

(٢) «متكئاً على أريكته» سقطت من (ع).

(٣) أريكته: الأريكة: كل ما اتكئ عليه من سرير أو فراش، أو منصة.

النهاية في غريب الحديث (١/ ٤٠)، لسان العرب (١٠/ ٣٨٩-٣٩٠).

ومنه قوله تعالى: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴾ [الإنسان:١٣].

(٤) الحديث كما رواه أبو داود (٥/ ١٢) رقم ٤٦٠٥، كتاب السنة، باب في لزوم السنة. عن أبي رافع رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه، فيقول: لا ندري، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه»** . =

وحديث: «ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقه»[١] وأن الناجية ما كان عليه هو وأصحابه.

ثم قال: فلزم الأمة قاطبة معرفة ما كان عليه الصحابة، ولم يكن[٢] الوصول إليه إلا[٣] من جهة التابعين لهم بإحسان المعروفين بنقل الأخبار ممن لا[٤] يقبل المذاهب المحدثة، فيتصل ذلك قرناً بعد قرن ممن عُرفوا

= ورواه الترمذي (٥/ ٣) رقم ٢٦٣٦، كتاب العلم، باب ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبي ﷺ. وقال: هذا حديث حسن صحيح. وابن ماجه (١/ ٦-٧) رقم ١٣، المقدمة، باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ والتغليظ على من عارضه. وأحمد (٦/ ٨). والشافعي في «الرسالة» ص٨٩ رقم ٢٩٥. وفي مسنده ص١٥١. والحميدي في «مسنده» (١/ ٢٥٢) رقم ٥٥١. والآجري في «الشريعة» ص٥٠. وابن بطة في «الإبانة» (١/ ٢٢٩). والطبراني في «المعجم الكبير» (١/ ٢٩٥) رقم ٩٣٤. وابن حبان ص٥٥ رقم ٩٨، كتاب العلم، باب اتباع رسول الله ﷺ. والحاكم في «المستدرك» (١/ ١٠٨)، وقال الحاكم: هو صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، والذي عندي أنهما تركاه لاختلاف المصريين في هذا الإسناد. اهـ ووافقه الذهبي. واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (١/ ٨٢). والبيهقي في الدلائل (١/ ٢٤). وفي الكبرى (٧/ ٧٦). والبغوي في «شرح السنة» (١/ ٢٠٠-٢٠١). وقال: هذا حديث حسن. والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٤/ ٢٠٩). والخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (٨٨١). وابن عبدالبر في «التمهيد» (٢/ ٢٣٢)، وفي جامع بيان العلم ص١٥١. وصحح أحمد شاكر إسناده. انظر تعليقه على «الرسالة» للشافعي ص٩٠. وصححه الألباني أيضاً، انظر«صحيح سنن ابن ماجه» (١/ ٧).

(١) حديث الافتراق، سبق تخريجه، انظر: ص٢٣٠ .

(٢) في (ع) «يمكن».

(٣) في (ج) «لا» وما أثبت من (ع) ولا يستقيم الكلام إلا به.

(٤) في (ج) «لم» وما أثبت من (ع).

بالعدالة والأمانة، المحافظين على الأمة ما لهم وما عليهم من إثبات[١] السنة.

إلى أن قال: فأول ما نبتدئ به مما [أوردنا][٢] هذه المسألة من أجلها، ذكر أسماء الله عز وجل وصفاته[٣] مما ذكر الله في كتابه، وما بين ﷺ من صفاته في سنته، وما وصف به عز وجل نفسه[٤] مما سنذكر[٥] قول القائلين بذلك مما لا يجوز لنا في ذلك أن نرده إلى أحكام عقولنا بطلب الكيفية بذلك، ومما قد أمرنا بالاستسلام له.

إلى أن قال: ثم إن الله تعرف إلينا بعد إثبات الوحدانية وإقرار الألوهية: أن ذكر تعالى في كتابه بعد التحقيق، بما بدأ به[٦] من أسمائه وصفاته، وأكده عليه السلام بقوله، فقبلوا منه كقبولهم، لأوائل التوحيد من ظاهر قوله لا إله إلا الله.

إلى أن قال بإثبات نفسه بالتفصيل[٧] من المجمل، فقال لموسى عليه السلام: ﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي﴾ [طه:٤١]، وقال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ﴾ [آل عمران:٣٠] .

---

(١) في (ع) «اتباع» بدل : أثبات.

(٢) في (ج، ع) «أردناه» ولعل الكلام لا يستقيم إلا بما أثبت.

(٣) في (ع) زيادة «واو».

(٤) «نفسه» سقطت من (ع).

(٥) في (ع) «سنذكره».

(٦) «به» سقطت من (ع).

(٧) في (ع) «من التفصيل».

ولصحة ذلك، واستقراره[١] ناجاه[٢] المسيح عليه السلام فقال: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ [المائدة :١١٦] .

إثبات ابن خفيف النفس لله

وأكد عليه السلام صحة إثبات[٣] ذلك في سنته[٤] فقال: «**يقول الله عز وجل : من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي**»[٥].

وقال ﷺ: «**كتب كتاباً بيده على نفسه: إن رحمتي سبقت[٦] غضبي**»[٧] .

وقال: «**سبحان الله رضى نفسه**»[٨]، وقال في محاجة آدم لموسى: «**أنت**

---

(١) في (ع) «واستقرار».

(٢) في (ع) «ما جاء به» بدل: ناجاه.

(٣) «إثبات» سقطت من (ع).

(٤) في (ع) «سننه».

(٥) رواه البخاري (١٣/ ٣٨٤)، رقم ٧٤٠٥، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ وقوله جل ذكره: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾.
ومسلم (٤/ ٢٠٦١)، رقم ٢٦٧٥، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.
والحديث كما في البخاري: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: « **يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإذا ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم ..**» الحديث.

(٦) في (ع) «غلبت» بدل: سبقت.

(٧) رواه مسلم (٢١٠٨) رقم ٢٧٥١، كتاب التوبة، عن أبي هريرة، مع اختلاف يسير في اللفظ، ونصه: «**لما قضى الله الخلق، كتب في كتابه على نفسه، فهو موضوع عنده: إن رحمتي تغلب غضبي**». وفي رواية : « **سبقت رحمتي غضبي** » .
ورواه البخاري (١٣/ ٣٨٤) رقم ٧٤٠٤، كتاب التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ وقوله جل ذكره: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾، نحواً من رواية مسلم.

(٨) رواه مسلم (٤/ ٢٠٩١) رقم ٢٧٢٦، كتاب الذكر والدعاء، والتوبة والاستغفار عن =

الذي اصطفاك الله واصطنعك[١] **لنفسه؟ »**[٢].

فقد صح بظاهر[٣] قوله أنه أثبت لنفسه نفساً، وأثبت له الرسول ذلك، فعلى من صدق الله ورسوله اعتقاد ما أخبر الله به عن نفسه[٤] ويكون ذلك مبنياً على ظاهر[٥] قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[٦].

= ابن عباس، عن جويرية - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح، وهي في مسجدها، ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة، فقال: «**ما زلت على الحال التي فارقتك عليها؟**» . قالت: نعم. قال النبي ﷺ: «**لقد قلت بعدك أربع كلمات، ثلاث مرات. لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله عدد خلقه، سبحان الله رضا نفسه، سبحان الله زنة عرشه، سبحان مداد كلماته** » .

(١) «واصطنعك» سقطت من (ع).

(٢) الحديث رواه البخاري (٨/ ٤٣٤) رقم ٤٧٣٦ كتاب التفسير، باب ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾ . ومسلم (٤/ ٢٠٤٢) رقم ٢٦٥٢ كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى.

(٣) في (ع) «الظاهر».

(٤) قوله : «وأثبت له الرسول ذلك، فعلى من صدق الله ورسوله اعتقاد ما أخبر الله به عن نفسه». سقط من (ع).

(٥) «ظاهر» سقطت من (ع).

(٦) أراد أبو عبدالله ابن خفيف بذلك إثبات أن لله نفساً، وأنها مغايرة لنفوس الخلق، فليس كمثله شيء، والسلف اختلفوا: هل النفس الواردة في النصوص هي صفة للذات، أم هي الذات نفسها، والمفهوم من كلام أبي عبدالله ابن خفيف هنا أنه يثبت على أنها صفة.
وكذلك الإمام ابن خزيمة، حيث قال: «فالله ـ جل وعلا ـ أثبت في آي من كتابه أن له نفساً، كذلك بين على لسان نبيه ﷺ أن له نفساً، كما أثبت النفس في كتابه، وكفرت الجهمية بهذه الآي وهذه السنن ...» التوحيد لابن خزيمة (١/ ١٩).
وذهب شيخ الإسلام أن المراد بالنفس هنا الذات المتصفة بالصفات وليست صفة للذات، قال رحمه الله: «ويراد بالنفس: الشيء ذاته وعينه، كما يقال: رأيت زيداً نفسه =

ثم قال: فعلى المؤمنين خاصتهم وعامتهم قبول كل ما ورد عنه عليه السلام بنقل العدل عن العدل حتى يتصل به عليه السلام، وأن مما قص[١] الله علينا في كتابه، ووصف به نفسه، ووردت[٢] السنة بصحة ذلك أن قال: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ثم قال عقيب ذلك: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ [النور:٣٥] وبذلك دعاه ﷺ: «**أنت نور السماوات والأرض**»[٣][٤] ثم ذكر حديث أبي موسى: «**حجابه النور – أو النار – لو كشفه لأحرقت سُبُحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**»[٥] وقال: سبحات وجهه:

إثبات النور لله تعالى

= عينه، وقد قال تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ ... وساق بعض النصوص التي فيها ذكر النفس، ثم قال: فهذه المواضع المراد فيها بلفظ النفس عند جمهور العلماء: الله نفسه التي هي ذاته المتصفة بصفاته، ليس المراد بها ذاتاً منفكة عن الصفات، ولا المراد بها صفة للذات، وطائفة من الناس يجعلونها من باب الصفات، كما يظن طائفة أنها الذات المجردة عن الصفات، وكلا القولين خطأ». اهـ. الفتاوي (٩/ ٢٩٢-٢٩٣).

وما ذهب إليه شيخ الإسلام هنا هو المفهوم أيضاً من كلام الدارمي. انظر: رده على بشر المريسي ص١٩٦، وانظر: الفصل لابن حزم (٢/ ١٧٢).

(١) في (ع) «قضى» بدل: قص.

(٢) في (ع) «وورد».

(٣) قوله «ثم عقيب ذلك.. إلى قوله السموات والأرض» سقطت من (ع).

(٤) رواه البخاري (١٣/ ٣٧١) رقم ٧٣٨٥، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: كان النبي ﷺ يدعو من الليل: «**اللهم لك الحمد، أنت رب السماوات والأرض، لك الحمد أنت قيم السماوات والأرض ومن فيهن، لك الحمد أنت نور السموات والأرض، قولك الحق...**» الحديث.

ورواه مسلم (١/ ٥٣٢-٥٣٣) رقم ٧٦٩، كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٥) الحديث سبق تخريجه، انظر ص٣٥٣.

جلاله ونوره، نقله عن الخليل وأبي عبيد[(١)(٢)]، وقال : قال عبدالله بن مسعود: نور السماوات من[(٣)] نور وجهه[(٤)(٥)].

ثم قال[(٦)] : ومما ورد به النص أنه حي، وذكر قوله تعالى: ﴿ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ﴾ [البقرة:٢٥٥]، والحديث: «**يا حي يا[(٧)] قيوم برحمتك أستغيث**»[(٨)].

---

(١) في (ج) «عبيد الله » وهو خطأ.

(٢) انظر: غريب الحديث لأبي عبيد (٣/ ١٧٣)، العين للخليل (٣/ ١٥٢).
وانظر أيضاً: الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٣٦)، النهاية لابن أثير (٢/ ٣٣٢)، لسان العرب (٢/ ٤٧٣)، تاج العروس (٦/ ٤٤٨).

(٣) «من » سقطت من (ع).

(٤) رواه ابن منده في «الرد على الجهمية » ص٩٩، ولفظه : «إن ربكم ليس عنده ليل ولا نهار، ونور السماوات نور من نور وجهه». ورواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٣٧) وقال: هذا موقوف، وراويه غير معروف. اهـ. وذكره ابن كثير في تفسيره (٦/ ٦١) بلفظ «... نور العرش من نور وجهه» . وابن القيم في «مختصر الصواعق» (٢/ ١٩٣).

(٥) أراد المؤلف بذلك إثبات أن من أسمائه سبحانه «النور»، وأنه نور لائق بجلال الله وعظمتة لا كالأنوار، خلافاً لمن تأول ذلك بأنه: هاد، أو منور: أو مزين ...
وقد أجاب ابن القيم على هذه التأويلات كلها، وأثبت لله النور، وأبطل قول من تأول غير ذلك من أربعة عشر وجهاً. فلتراجع.
انظر: مختصر الصواعق (٢/ ١٨٨-٢٠٥)، أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات ص١٩٤-١٩٦، شرح أسماء الله الحسنى للرازي ص٣٤٧-٣٤٨، المقصد الأسنى للغزالي ص١٤٦، شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري ص١٦٩-١٧٧.

(٦) أي: أبوعبدالله ابن خفيف.

(٧) «الياء» سقطت من (ج).

(٨) رواه الترمذي (٥/ ٥٣٩) رقم ٣٥٢٤، كتاب الدعوات، باب ٩٢ عن أنس بن مالك قال كان النبي ﷺ إذا كربه أمر قال: «**يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث**». =

قال : ومما تعرف الله إلى عباده أن وصف نفسه أن لـه وجهاً موصوفاً بالجلال والإكرام، فأثبت لنفسه وجهاً ، وذكر الآيات(١). إثبات الوجه لله

ثـم ذكـر حديـث أبـي(٢) موسـى المتقدم(٣)، فقـال: في هذا الحديث مـن(٤) أوصاف الله عز وجل «لا ينام» موافق لظاهر الكتاب ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وأن لـه وجهـاً موصـوفاً بالأنوار(٥)(٦)

= وقال الترمذي: هذا حديث غريب، وقد رُوي هذا الحديث عن أنس من غير وجه. اهـ.
ورواه الحاكم (١/ ٥٠٩) عن ابن مسعود بلفظ: «إذا نزل به هم أو غم، قال...» فذكره.
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١/ ١٩٢) بلفظ «إذا نـزل بـه كرب قال...». ورواه الطبراني في «المعجم الصغير» (١/ ١٥٩) عن أنس بوجه آخر، غير ما ذكر. وحسنه الألباني، انظر: التوسل ص٣٠.

(١) منها قولـه تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٧]. وقوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨].
فهذه الآيات صريحة في إثبات الوجه لله تعالى.

(٢) «أبي» سقطت من (ع).

(٣) وحديث أبي موسى هو: «**حجابه النور ـ أو النار ـ ....**» ، وفي أول الحديث: «**إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام ...**» الحديث. وقد تقدم تخريجه ص٣٥٣.

(٤) في (ع) «في» بدل: من.

(٥) في (ج) «بأنوار».

(٦) من مذهب أهل السنة والجماعة إثبات الوجه لله على الحقيقة كما يليق به سبحانه، بلا تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، وهذا ثابت بنص الكتاب والسنة.
وذهب المعطلة من المعتزلة والجهمية، ومن تبعهم من أهل الكلام إلى تأويل ذلك، فمنهم من ذهب إلى أن المراد بالوجه هو: الذات المقدسة، وذهب آخرون إلى تأويل الوجه بأنه الوجود، وتأول البعض الوجه بالرضا والثواب.
وجميع هذه التأويلات باطلة تردها الأدلة، ولغة العرب التي خوطبنا بها. وليس هذا مجال مناقشتها والرد عليها، وقد أبطلها ابن القيم ورد عليها من ستة وعشرين وجهاً، وكذلك =

وأن له بصراً كما أعلمنا في كتابه أنه سميع بصير.

ثم ذكر الأحاديث في إثبات الوجه[١]، وفي إثبات السمع والبصر، والآيات الدالة على ذلك.

إثبات اليدين والقدمين لله تعالى

ثم قال : ثم إن الله تعرف إلى عباده المؤمنين، وأنه قال: له يدان قد بسطهما بالرحمة[٢]. وذكر الأحاديث[٣] في ذلك، ثم ذكر شعر أمية بن أبي[٤] الصلت[٥]، ثم ذكر حديث : «**يلقى في النار وتقول هل من مزيد؟ حتى يضع فيها رجله**»، وهي رواية البخاري، وفي رواية أخرى : «**يضع عليها قدمه**»[٦].

ثم ما رواه مسلم البطين[٧] عن ابن عباس : «أن الكرسي

= غيره من العلماء ممن بحثوا هذه المسألة.

انظر: التوحيد لابن خزيمة (١/ ٢٤-٤٤)، الفتاوي (٦/ ٥١)، مختصر الصواعق (٢/ ١٧٤-١٨٨)، الاعتقاد للبيهقي ص٢٩-٣٠، الرد على الجهمية لابن منده ص٩٤، التمهيد للباقلاني ص٢٩٥-٢٩٨، مقالات الإسلاميين ص١٨٩، أصول الدين للبغدادي ص١٠٩-١١٠، دفع شبه التشبيه لابن الجوزي ص٣١، الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٤)، شرح الأصول الخمسة ص٢٢٧، إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل ص١٢٠-١٢٢، التفسير الكبير للرازي (١/ ٤٥٤)، تفسير القرطبي (١٧/ ١٦٥)، أقاويل الثقات ص١٤١-١٤٦، أضواء البيان (٧/ ٧٥).

(١) وقد ذكر ابن خزيمة أكثرها في كتاب التوحيد (١/ ٢٧-٤٤).

(٢) ومما ذهب إليه أهل السنة إثبات صفة اليدين لله، حقيقة، كما يليق به سبحانه، بلا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، انظر: ص٣٦٤.

(٣) في (ع) «الحديث».

(٤) «أبي» سقطت من (ع).

(٥) أمية بن أبي الصلت، سبقت ترجمته، انظر: ص٢١٥، وشعره سبق ذكره ص٢١٦.

(٦) الحديث سبق تخريجه، انظر ص١٧٦ .

(٧) مسلم البطين، هو: مسلم بن عمران، ويقال ابن أبي عمران البطين، أبو عبدالله الكوفي. =

موضـــع القدمـــين[١] ، وأن العـــرش لا يقـــدر قدره إلا الله»[٢] وذكر قول مسلـــم الـبطـين نفسه[٣]، وقـول السـدي[٤]، وقـول[٥] وهب بن منبه[٦]،

= روى عن عطاء ومجاهد وسعيد بن جبير. وقد وثقه أحمد وابن معين وأبو حاتم والنسائي. مـن الطـبقة السادسـة. انظر: تهذيب الكمال (٣/ ١٣٢٦)، تهذيب التهذيب (١٠/ ١٣٤) والتقريب ص٥٣٠.

(١) «القدمين» سقطت من (ع).

(٢) هذا الأثر سبق تخريجه، انظر: ص٣٥١ .

(٣) والأثـر كمـا رواه عنه ابن جرير في «تفسيره» (٣/ ١٠) عن مسلم البطين، قال: «الكرسي موضع القدمين».

وذكره ابن كثير في تفسيره (١/ ٤٥٧) من رواية ابن جرير عنه.

(٤) السـدي، هـو: إسماعـيل بـن عـبدالرحمن بـن أبي كريمة، أبو محمد الكوفي السدي، أحد موالي قريش. من أئمة التفسير، حدث عن أنس وابن عباس.

قال عنه العجلي: ثقة عالم بالتفسير، راوية له. اهـ.

ونعته الذهبي بأنه الإمام المفسر.

وقـيل: إن سـبب تسـميته بالسدي، لأنه كان يجلس بالمدينة في موضع يقال له: السد. توفي سـنة سـبع وعشرين ومائة. انظر: الطبقات الكبرى (٦/ ٣٢٣)، الأنساب للسمعاني (٣/ ٢٣٨)، السير (٥/ ٢٦٤)، تهذيب التهذيب (١/ ٣١٣).

والأثـر الـذي أشـار إلـيه الشيخ هو: ما رواه ابن جرير في «تفسيره » (٣/ ١٠)، عنه قال: عـن السـدي ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ فـإن السـماوات والأرض في جـوف الكرسـي، والكرسـي بـين يـدي العرش ، وهو موضع القدمين».اهـ. وذكره السيوطي في «الـدر المنـثور» (٢/ ١٨)، وقـال: أخـرج ابـن جريـر وابن أبي حاتم عن السدي قال: ... فذكره. وذكره أيضاً ابن كثير في « تفسيره » (١/ ٤٥٧)، من رواية ابن جرير عنه.

(٥) «وقول» سقط من (ع).

(٦) وهـب بـن منبه، هـو: وهـب بن منبه بن كامل، أبو عبدالله اليماني الذماري الصنعاني، أخـو همام بن منبه. لقي بعض الصحابة وأخذ عنهم، وقد ولد في خلافة عثمان بن عفان سنة أربع وثلاثين، اشتهر بالعبادة والزهد، وكان واعظاً وصاحب حكمة. =

وأبي مالك(١)، وبعضهم يقول: «موضع قدميه» وبعضهم يقول:

= من كلامه: «المؤمن ينظر ليعلم، ويتكلم ليفهم، ويسكت ليسلم. الإيمان عريان، ولباسه التقوى، وزينته الحياء، وماله الفقه».اهـ. توفي سنة عشر ومائة.

انظر: الطبقات الكبرى (٥/ ٥٤٣)، حلية الأولياء (٤/ ٢٣)، السير (٤/ ٥٤٤).

والأثر الذي أشار إليه الشيخ هو: ما رواه أبو الشيخ في «العظمة » (٢/ ٦٢٣)، قوله: إن الله عز وجل خلق العرش والكرسي من نوره، وخلق البيت المعمور من درة جوفاء، فالعرش ملتصق بالكرسي..» اهـ. وذكره السيوطي في «الدر المنثور» ٢/ ١٧، من رواية أبي الشيخ. ورواه نحواً من هذا عبدالله ابن الإمام أحمد في «السنة » (٢/ ٤٧٧). وذكره الذهبي في «الأربعين» ص١٢٥-١٢٦.

(١) أبو مالك، هو: غزوان الغفاري الكوفي، أبو مالك، اشتهر بكنيته. روى عن عمار بن ياسر، وابن عباس والبراء بن عازب. قال ابن أبي خيثمة : «سألت ابن معين عن أبي مالك؟ فقال: هو الغفاري، كوفي ثقة» اهـ. من الطبقة الثالثة. انظر: الثقات لابن حبان (٥/ ٢٩٣) وتهذيب الكمال (٢/ ١٠٨٩)، تهذيب التهذيب (٨/ ٢٤٥)، تقريب التهذيب ص٤٤٢.

والأثر الذي أشار إليه الشيخ هو: ما رواه عبدالله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ٣٠٣) عن أبي مالك، وفيه فقال: «والكرسي تحت العرش، قال: هو واضع رجليه تبارك وتعالى على الكرسي». ورواه أبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٥١). والبيهقي في « الأسماء والصفات » (٢/ ١٤٧) مع اختلاف يسير في ألفاظه. وذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٢/ ١٧) من رواية عبد بن حميد، وابن أبي حاتم. وابن كثير أيضاً في « تفسيره » (١/ ٤٥٧). وذكره الحافظ في الفتح (١٣/ ٤١١) مختصراً. وذكره الذهبي في «الأربعين». ص١٢٦.

ولا شك أن مثل هذه الآثار المروية عن ابن عباس، ومسلم البطين، والسدى، ... لا يمكن أن تكون بمجرد الرأي والاجتهاد ؛ لأنها إخبار عن الله، والخبر عن الله مما لا يسوغ الاجتهاد فيه، بل الأمر فيه توقيفي مبناه على النقل، ولعل مستند أولئك فيما ذكروه الحديث المروي عن النبي ﷺ الآتي .

قال شيخ الإسلام: «وهكذا روى بعض أهل العلم عن أصحاب النبي ﷺ وغيرهم أنهم شددوا في أن يفسروا القرآن بغير علم.. إلى أن قال: فليس الظن بهم أنهم قالوا في =

«واضع رجليه عليه».

موقف النفاة من نصوص الصفات

ثم قال: فهذه الروايات قد رويت عن هؤلاء[١] من صدر هذه الأمة موافقاً لقول النبي ﷺ[٢] متداولاً في الأقوال، ومحفوظاً في الصدور، لا ينكر خلف عن سلف ولا ينكر عليهم أحد من نظرائهم، نقلتها الخاصة والعامة مدونة في كتبهم إلى أن حدث في آخر الأمة من قلل

= القرآن وفسروه بغير علم أو من قبل أنفسهم، وقد روي عنهم ما يدل على ما قلنا أنهم لم يقولوا من قبل أنفسهم بغير علم...».اهـ. مقدمة في أصول التفسير لشيخ الإسلام ص٣٨.

(١) في (ع) زيادة: «من صدر هؤلاء».

(٢) عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال سئل النبي ﷺ عن قول الله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ قال: «كرسيه موضع قدميه، والعرش لا يقدر قدره».
رواه الدارقطني في كتاب «الصفات» ص٣٠. وابن منده في «الرد على الجهمية» ص٤٤-٤٥، وقال ابن منده: «هكذا رواه شجاع بن مخلد في التفسير مرفوعاً عن النبي ﷺ وقال إسحاق بن سيار في حديثه عن أبي عاصم: من قول ابن عباس. وكذلك رواه أصحاب الثوري عنه، وكذلك روي عن عمار الدهني موقوفاً ...» وكذلك رواه الخطيب البغدادي في «تاريخه» (٩/ ٢٥١)، ثم قال: «قال ابن المظفر: قال لنا أبو عبدالله شيخنا: هكذا قال لنا شجاع: سئل النبي ﷺ. قال الخطيب: قلت: رواه أبو مسلم الكجي، وأحمد بن منصور الرمادي عن أبي عاصم فلم يرفعاه، وكذلك رواه عبدالرحمن بن مهدي ووكيع جميعاً عن سفيان موقوفاً على ابن عباس من قوله غير موفوع ... اهـ. ورواه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١/ ٦-٧)، ثم قال: «هذا الحديث وهم شجاع بن مخلد في رفعه، فقد رواه أبو مسلم الكجي، وأحمد بن منصور الرمادي كلاهما عن أبي عاصم، فلم يرفعاه، ورواه عبدالرحمن بن مهدي ووكيع، كلاهما عن سفيان فلم يرفعاه، بل وقفاه على ابن عباس، وهو الصحيح. اهـ. وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٢/ ١٦) من رواية الخطيب البغدادي. وابن كثير في «تفسيره» (١/ ٤٥٧)، وذكر أنه لا يصح رفعه، وأنه غلط من شجاع بن مخلد الفلاس. وقد ضعف أيضاً الألباني هذا الحديث. انظر: «السلسلة الصحيحة» (١/ ١٦) رقم ١٠٩.

الله عددهم ممن حذرنا رسول الله ﷺ عن مجالستهم ومكالمتهم(١)، وأمرنا أن لا نعود مرضاهم، ولا نشيع جنائزهم(٢)، فقصد هؤلاء إلى هذه(٣) الروايات فضربوها(٤) بالتشبيه(٥) وعمدوا إلى الأخبار، فعملوا في دفعها على أحكام المقاييس، وكفَّروا المتقدمين، وأنكروا على الصحابة، وردوا على الأئمة الراشدين، فضلوا وأضلوا عن سواء السبيل.

---

(١) «ومكالمتهم» سقطت من (ع).

(٢) ورد هذا في حديث مرفوع في وصف «القدرية»، وقد جاء بألفاظ متقاربة وطرق متعددة كلها تدور حول ما ذكره المصنف من ترك مجالستهم وهجرهم، والنهي عن عيادة مرضاهم وتشييع جنائزهم، وممن روى ذلك:
أبو داود (٥/ ٦٦-٦٧) رقم ٤٦٩١، ٤٦٩٢ ، كتاب السنة ، باب في القدر . وابن ماجه (١/ ٣٥) رقم ٩٢، المقدمة، باب في القدر. وأحمد (١/ ٣٠)، (٢/ ٢٥، ٨٦). وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ١٤٤-١٤٥). وعبدالله ابن الإمام أحمد في «السنة» (٢/ ٣٨٧) رقم ٨٤١. والآجري في «الشريعة» ص١٩٠-١٩١. والطبراني في المعجم الصغير (١/ ٢٢١). واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٢/ ٦٣٠، ٦٣٩-٦٤٠) رقم ١١٢٤، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٤. والحاكم في المستدرك (١/ ٨٥)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين - إن صح سماع أبي حازم من ابن عمر- ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٢٠٣). وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١/ ١٥٠-١٥١). وذكر بعضها الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٢٠٥)، وقال عن أحدهما: «رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله رجال الصحيح غير هارون بن موسى الغروي وهو ثقة».اهـ. وذكر ابن أبي العز الحنفي أن أحاديث القدرية المرفوعه كلها ضعيفة، وإنما يصح الموقوف منها. انظر: شرح الطحاوية ص٣٠٥، المكتب الإسلامي. وحسَّن الألباني هذه الأحاديث بمجموعها، انظر: تخريجه على كتاب «السنة» (١/ ١٤٤-١٤٥). ويقاس على هذا كل مبتدع يدعو إلى بدعته، وضلالته.

(٣) «هذه» سقطت من (ع).

(٤) في (ع) «وضروبها».

(٥) في (ع) «التشبه».

ثم ذكر المأثور عن ابن عباس، وجوابه لنجدة الحروري[(١)(٢)] ثم ذكر[(٣)] حديث الصورة[(٤)] وذكر أنه صنف فيه كتاباً

---

(١) نجدة الحروري: هو: نجدة بن عامر الحنفي، الخارجي، الحروري. رأس من رؤوس الخوارج، وزعيم فرقة النجدات، وكانوا في الأصل تابعين لنافع بن الأزرق، فاختلفوا معه، فخرجوا عليه، وبايعوا نجدة، ثم إن أصحابه انشقوا عليه، وخرجوا عليه وقتلوه سنة تسع وستين.

والحروري: بفتح الحاء وضم الراء، وكسر الراء الأخرى، نسبة إلى حروراء، وهو موضع قرب الكوفة، نزل به الخوارج عندما خرجوا على علي بن أبي طالب. وقد قال عنه ابن حجر: «نجدة بن عامر الحروري من رؤوس الخوارج زائغ عن الحق». اهـ.

انظر: العبر (١/ ٥٦)، لسان الميزان (٦/ ١٤٨)، شذرات الذهب (١/ ٧٦)، التبصير في الدين ص٣٠، التنبيه والرد ص٥٢، الفرق بين الفرق ص٦٦، الأنساب للسمعاني (٢/ ٢٠٧).

(٢) والأثر كما رواه الهروي عن عكرمة، أن نجدة قال لابن عباس: كيف معرفتك بربك؟ لأن من قبلنا اختلفوا علينا. فقال: إن من ينصب دينه للقياس لا يزال الدهر في التباس، مائلاً عن المنهاج، طاعناً في الاعوجاج، أعرفه بما عرف به نفسه، من غير روِيَّة، وأصفه بما وصف نفسه». اهـ. ذكره السيوطي عن الهروي في «صون المنطق والكلام» ص٥٠.

وذكر شيخ الإسلام في «درء تعارض العقل والنقل » (٨/ ٥١١) جزءاً من ذلك.

الرَّوِيَّة: يقال: رَوّى في الأمر، إذا نظر فيه وتعقبه وتفكر. لسان العرب (١٤/ ٣٥٠) — بتصرف.

والمعنى هنا: أعرف الله بما عرف نفسه من غير نظر، أو تعقب أو تفكر. وقد روى مسلم (٣/ ١٤٤٤-١٤٤٧) رقم ١٨١٢، كتاب الجهاد والسير، بعض ما سأل به نجدةُ ابنَ عباس، وجوابه له.

(٣) «ذكر» سقطت من (ج).

(٤) وحديث الصورة هو: ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا قاتل أحدكم أخاه، فليجتنب الوجه، فإن الله خلق آدم على صورته»**.

رواه مسلم (٤/ ٢٠١٧) رقم ٢٦١٢، كتاب البر والصلة والآداب. ورواه البخاري =

مفرداً[١] و[٢] اختلاف الناس في تأويله[٣].

= بنحوه (١١/ ٣) رقم ٦٢٢٧، كتاب الاستئذان، باب بدء السلام.

وفي حديث آخر عن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تقبحوا الوجه؛ فإن الله خلق آدم على صورة الرحمن»**.

رواه عبدالله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ٢٦٨) رقم ٤٩٨. والدارقطني في «الصفات» ص٣٧، رقم ٤٨. وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٢٢٩)، وابن أبي خزيمة في «التوحيد» (١/ ٨٥). والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢/ ٤٣٠). والآجري في «الشريعة» ص٣١٥. وأبو يعلى في «إبطال التأويلات» (١/ ٩٦). والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ١٨). وذكره الهيثمي في «المجمع» (٨/ ١٠٦)، وقال: «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير إسحاق بن إسماعيل الطالقاني وهو ثقة وفيه ضعف». اهـ.

وضعف ابن خزيمة هذا الحديث. انظر: «التوحيد» لابن خزيمة (١/ ٨٧).

وأيضاً ممن ضعفه المازري، كما نقله عنه ابن حجر، انظر: «فتح الباري» (٥/ ١٨٣).

وقد تعقب ابن خزيمة في ذلك، وصحح الحديث جمع من الأئمة منهم الإمام أحمد، وإسحاق بن راهويه، والإمام الذهبي والإمام ابن حجر، وأيضاً شيخ الإسلام قد صححه، ورد على من يطعن فيه. انظر فتح الباري (٥/ ٤٥٠)، ميزان الاعتدال (٢/ ٤٢٠)، إبطال التأويلات (١/ ٨١)، عقيدة أهل الإيمان ص٧٣-٧٦.

(١) ولم أجد في مصنفاته ذكر هذا الكتاب، فلعله فُقِدَ، أو أدخل ضمن أحد كتبه الأخرى.

(٢) في (ع) «إلى» بدل: الواو.

(٣) قد وقع خلاف في هذا الحديث المسمى «حديث الصورة» وعلى من يعود الضمير في قوله «خلق آدم على صورته»؟ وسأشير هنا إلى شيء منها مع بيان الرأي الراجح إن شاء الله:

منها ما ذهب إليه ابن خزيمة في أن الضمير يعود على المضروب، حيث قال: «توهم بعض من لم يتحر العلم أن قوله **«على صورته»** يريد صورة الرحمن ـ عز ربنا وجل ـ عن أن يكون هذا معنى الخبر، بل معنى قوله: **«خلق آدم على صورته»**: الهاء في هذا الموضع كناية عن اسم المضروب، والمشتوم، أراد ﷺ أن الله خلق آدم على صورة هذا المضروب .. اهـ.

وهذا كلامه على حديث أبي هريرة، أما حديث ابن عمر، فقد ضعفه كما سبق، ثم قال: «فإن صح هذا الخبر مسنداً ... فمعنى هذا الخبر عندنا: أن إضافة الصورة إلى الرحمن =

....

= في هـذا الخبر إنما هو إضافة الخلق إليه. لأن الخلق يضاف إلى الرحمن؛ إذ الله خلقه وكذلك الصورة تضاف إلى الرحمن؛ لأن الله صورها....» اهـ.

التوحيد لابن خزيمة (١/ ٨٤-٨٥، ٨٧-٩٢).

وقد تعقب العلماء ابن خزيمة في هذا وخطَّؤوه في ذلك.

نقـل شيخ الإسلام عن الشيخ أبي الحسن محمد بن عبدالملك الكرجي الشافعي أنه قال في كـتابه «الفصول في الأصول » قولـه: «فأما تأويل من لم يتابعه عليه الأئمة فغير مقبول وإن صـدر ذلـك الـتأويل عـن إمـام معـروف غـير مجهول نحو ما ينسب إلى أبي بكر محمد بن خزيمة تأويل الحديث «**خلق آدم على صورته...**» اهـ.

ونقـل شيخ الإسـلام أيضـاً عـن الحافظ أبي موسى المديني فيما جمعه من مناقب الإمام الملقـب بقـوام السـنة أبـي القاسـم إسماعـيل بـن محمد التيمي صاحب كتاب «الترغيب والترهيـب » ، قـال سمعـته يقول: أخطأ محمد بن إسحاق بن خزيمة في حديث الصورة ، ولا يطعـن عليه بذلك، بل لا يؤخذ عنه هذا فحسب، قال أبو موسى: أشار بذلك إلى أنه قـلَّ مـن إمام إلا وله زلَّة، فإذا تُرك ذلك الإمام لأجل زلّته تُرك كثير من الأئمة، وهذا لا ينبغي أن يفعل. اهـ.

وقد رد شيخ الإسلام هذا التأويل من وجوه عدة.

هـذا كـلام شـيخ الإسـلام في نقـض التأسيس – المخطوط – (٣/ ٢١٨-٢٢٠) – نسخة مصورة من جامعة الملك سعود برقم ٢٥٩٠/ ٣.

وقـال الإمـام الذهـبي في ابـن خـزيمة: «وكـتابه في «التوحيد »، وقد تأول في ذلك حديث الصـورة، فلـيعذر مـن تـأول بعـض الصـفات... ولو أن كل من أخطأ في اجتهاده – مع صـحة إيمانـه، وتوخّيه لاتـباع الحـق – أهدرناه، وبدَّعناه، لقل من يسلم من الأئمة معنا، رحم الله الجميع بمنّه وكرمه ».اهـ . سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٧٦) .

وممـن ذهـب إلى رأي ابـن خـزيمة الإمام البيهقي، انظر«الأسماء والصفات» للبيهقي (٢/ ١٧)، ويـرى ابـن حـزم أن الإضـافة في الحديث إضافة ملك، نحو: بيت الله، وناقة الله... انظر: الفصل (٢/ ١٧٦). =

....

= وهناك تأويل آخر لهذا الحديث، حيث ذهب البعض أن الضمير عائد على آدم، وإلى هذا ذهب الرازي، وأبو سليمان الخطابي، ومن تبعهم من أهل الكلام.

ومنهم من تأوله على معنى: أن الله تعالى خلق آدم على صورة عنده.

وقيل: أراد بذلك رداً على الدهرية القائلين: إن الإنسان لم يكن إلا من نطفة، ولا تكون نطفة الإنسان إلا من إنسان ولا أول لذلك، فبين بهذا الحديث: أنه خلق من أول الأمر على هذه الصورة.

وقيل: أراد بذلك الرد على الطبائعيين الذين يزعمون أن الإنسان قد يكون من فعل الطبع وتأثيره، فقال ﷺ: **«إن الله خلق آدم على صورته»** من غير فعل الطبيعة وتأثيرها.

إلى غير ذلك من التأويلات الباطلة والمرجوحة.

انظر: تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص١٤٨-١٤٩، الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ١٦)، فتح الباري (١١/ ٣)(٥/ ١٨٣)، مشكل الحديث لابن فورك ص٦-١٥، إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل ص١٥٤-١٥٥، شرح مسلم للنووي (١٦/ ١٦٦). إلجام العوام للغزالي ص٥٦، دفع شبه التشبيه لابن الجوزي ص٤٦-٥٤، نقض التأسيس - مخطوط - (٣/ ٢٠٢-٢٠٨)، عقيدة أهل الإيمان للشيخ حمود التويجري ص٥٠-٥١.

وقد أجاب الأئمة والعلماء عن هذه التأويلات وأبطلوها، وهذا ليس مجالاً للمناقشة والرد، وإنما القصد الإشارة إلى شيء من ذلك.

والرأي الراجح - والله أعلم - أن الضمير عائد الى الله، وهذا ما ذهب إليه الأئمة والعلماء قديماً وحديثاً، وإثبات الصورة لله كإثبات سائر الصفات، فتثبت لله كما ثبت السمع والبصر، والوجه، والقدم...إلخ بلا تكييف لذلك، وينزه الله عن التشبيه والتمثيل.

وقد أثبت ابن قتيبة هذه الصفة لله، وأبطل التأويلات السابقة، ثم قال: « والذي عندي - والله أعلم - أن الصورة ليست بأعجب من اليدين والأصابع والعين، وإنما وقع الإلف لتلك لمجيئها في القرآن، ووقعت الوحشة من هذه لأنها لم تأت في القرآن. ونحن نؤمن بالجميع ولا نقول في شيء منه بكيفيه ولا حد» اهـ. تأويل مختلف الحديث ص١٥٠. =

....

= وقد نُقل أيضاً عن الإمام أحمد إثبات ذلك وإنكاره على من تأوّل الحديث على غير هذا. فقد روى عنه الخلال عن أبي طالب من وجهين، قال : سمعت أبا عبدالله ـ يعني أحمد ابن حنبل ـ يقول: من قال: إن الله خلق آدم على صورة آدم فهو جهمي، وأي صورة كانت لآدم قبل أن يخلقه.اهـ.

وروى الخلال عن أبي بكر المروذي، قال: سمعت أبا عبدالله يقول: لقد سمعت الحميدي بحضرة سفيان بن عيينة، فذكر هذا الحديث **«خلق الله آدم على صورته»** فقال: من لا يقول بهذا فهو كذا، وكذا، يعني من الشتم، وسفيان ساكت لا يرد عليه. اهـ.

وقال المروذي: أظن أني ذكرت لأبي عبدالله عن بعض المحدثين بالبصرة أنه قال: قول النبي ﷺ **«خلق الله آدم على صورته»** قال: صورة الطين، قال: هذا جهمي، وقال: نسلم الخبر كما جاء. اهـ.

وذكر أبو بكر الخلال عن إسحاق بن منصور الكوسج في مسائله المشهورة عن أحمد وإسحاق أنه قال لأحمد: **«لا تقبحوا الوجه، فإن الله خلق آدم على صورته»** أليس تقول بهذه الأحاديث، قال: صحيح، وقال إسحاق: صحيح، ولا يدعه إلا مبتدع أو ضعيف الرأي. اهـ.

نقل هذا كله شيخ الإسلام في نقض التأسيس – مخطوط – (٣/ ٢٢١-٢٢٢).

وقال الآجري بعد أن ساق روايات **«إن الله خلق آدم على صورته»** و **«إن الله خلق آدم على صورة الرحمن»**، قال: هذه من السنن التي يجب على المسلمين الإيمان بها، ولا يقال فيها: كيف؟ ولم؟ بل تستقبل بالتسليم والتصديق، وترك النظر، كما قال من تقدم من أئمة المسلمين. اهـ. الشريعة للآجري ص٣٥١.

وقال شيخ الإسلام بعد إيراد روايات الحديث: «والكلام على ذلك أن يُقال: هذا الحديث لم يكن بين السلف من القرون الثلاثة نزاع في أن الضمير عائد إلى الله، فإنه مستفيض من طرق متعددة عن عدد من الصحابة وسياق الأحاديث كلها تدل على ذلك... ثم قال: ولكن لما انتشرت الجهمية في المائة الثالثة، جعل طائفة الضمير فيه عائداً إلى غير الله تعالى، حتى نقل ذلك عن طائفة من العلماء المعروفين بالعلم والسنة في عامة =

....

= أمورهم كأبي ثور وابن خزيمة وأبي الشيخ الأصبهاني وغيرهم، ولذلك أنكر عليهم أئمة الدين وغيرهم من علماء السنة».اهـ. نقض التأسيس – مخطوط – (٣/ ٢٠٨-٢٠٩).

وقال الإمام الذهبي: «أما معنى حديث الصورة، فنرد علمه إلى الله ورسوله، ونسكت كما سكت السلف، مع الجزم بأن الله ليس كمثله شيء».اهـ . ميزان الاعتدال (٢/ ٤٢٠).

وقال في موضع آخر، عقب حديث الصورة: «فنؤمن ونفوض، ونسلم ولا نخوض فيما لا يعنينا مع علمنا بأن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير».اهـ. السير(٥/ ٤٥٠).

وقال الإمام أبو يعلى: «الفصل الثاني: من إطلاق القول بأنه خلق آدم على صورته وأن الهاء راجعة على الرحمن » ثم أورد حديث **«إن الله خلق آدم..»** إلخ، ثم قال: والوجه فيه أنه ليس في حمله على ظاهره ما يحيل صفاته ولا يخرجها عما تستحقه؛ لأننا نطلق تسمية الصورة عليه لا كالصور كما أطلقنا تسميته ذات ونفس لا كالذوات والنفوس». اهـ. إبطال التأويلات (١/ ٨١).

وقال الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبا بطين - من أئمة الدعوة في نجد - بعد إيراد روايات الحديث والرد على من تأوله بأن الضمير عائد إلى غير الله، ونقل عن العلماء قولهم في أن الضمير على القول الصحيح يعود إلى الله قال عقب ذلك: «فالذي ينبغي في هذا ونحوه: إمرار الحديث كما جاء على الرضا والتسليم، مع اعتقاد أنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. والله أعلم».اهـ. مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٢/ ٢٢١-٢٢٣).

هذا مجمل قول الأئمة في هذا الحديث. وهذه الصفة «الصورة » لم يثبتها أهل السنة بهذا الحديث فقط، بل هناك آثار أخرى تدل على ذلك؛ منها:

حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ، وذكر فيه: **«فيأتيهم الله تبارك وتعالى، في صورة غير صورته التي يعرفون. فيقول: أنا ربكم. فيقولون: نعوذ بالله منك. هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا عرفناه. فيأتيهم الله تعالى في صورته التي يعرفون..»** الحديث.

رواه البخاري (١٣/ ٤١٩) رقم ٧٤٣٧، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾.

ومسلم (١/ ١٦٣-١٦٤) رقم ١٨٢، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية. وهذا لفظه.=

قول أهل الحق في بعض المسائل التي خالف فيها أهل البدع

ثم قال: وسنذكر أصول السنة وما ورد من الاختلاف[١] فيما نعتقده[٢] فيما خالفنا فيه أهل الزيغ[٣]، وما وافقنا فيه أصحاب الحديث من المثبته[٤] إن شاء الله .

ثم ذكر الخلاف في الإمامة واحتج عليها: وذكر اتفاق المهاجرين والأنصار على تقديم الصديق رضي الله عنه وأنه أفضل الأمة[٥].

= وقال أبو يعلى بعد إيراد هذا الحديث: «واعلم أن هذا الخبر يدل على إثبات الصورة وعلى الإتيان، وأنه غير ممتنع جواز إطلاق الصورة لا كالصور، كإطلاق نفس وذات لا كالنفوس والذوات..». إبطال التأويلات (١/ ١٥١).

هذا ما تيسر الإشارة إليه في حديث الصورة ما يدل عليه، وقد بحث شيخ الإسلام هذه المسألة بحثاً متسوفياً بما لا مزيد عليه في كتابه «نقض التأسيس» - مخطوط - (٣/ ٢٠١-٣٢٨).

وانظر ما كتبه الشيخ حمود التويجري حول هذا الحديث في كتابه عقيدة أهل الإيمان .

(١) في (ع) «اختلاف» بدل: الاختلاف.

(٢) في (ع) «يعتقدوه».

(٣) الزيغ، من زاغ يزيغ زيغاً وزيغاناً وزيوغاً، وهو الميل، يقال: زاغ عن الطريق، يزيغ : إذا مال وعدل عنه. وزاغت الشمس: إذا مالت. ومنه قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران:٨] أي: لا تملنا عن الهدى، وقوله: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف:٥] ، وقوله : ﴿ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾ [آل عمران:٧]. لسان العرب (٨/ ٤٣٢) – بتصرف.

(٤) في (ع) «المشبهه» بدل: المثبتة. وهو خطأ.

(٥) وهذا خلاف ما عليه جمهور الشيعة، حيث زعموا أن الإمام بعد النبي ﷺ هو علي بن أبي طالب بالنص والتصريح منه ﷺ، وقالوا: إنه أمر بالسمع والطاعة له.

انظر: إعلام الورى بأعلام الهدى للطبرسي ص١٦٢، الغيبة للنعماني ص٣٥، ٣٦، الشافي في شرح أصول الكافي لعبدالحسين المظفر (٢/ ٢٩٤ وما بعدها).

وانظر في الرد عليهم: منهاج السنة (١/ ٤٨٦-٥٣٢)، الرد على الرافضة للمقدسي ص٧٢، الفصل لابن حزم (٤/ ١٧٦-١٧٩)، مختصر التحفة الاثني عشرية ص١٢٣، ١٣٨-٢٤٠ =

ثـم قال: وكان الاختلاف في خلق[(١)] الأفعال، هل هي مقدرة أم لا؟ قال : وقولنا فيها أن أفعال العباد مقدرة معلومة وذكر إثبات القدر[(٢)].

= عقيدة السلف للصابوني ص٨٧-٨٩، شرح الطحاوية (٢/ ٦٩٨-٧١٠).

وقـد أشـار المقدسي في كتابه «الرد على الرافضة» ص٣٨٢-٣٨٣ إلى قول أبي عبدالله بن خفيف هذا.

(١) في (ع) تكررت «في خلق» مرتين.

(٢) وفي هـذا رد عـلى «القدريـة» القائلين إن العبد مستقل بعمله، ويخلق فعل نفسه، ليس لله فـيه إرادة ولا خلـق ولا مشـيئة، فأنكـروا عموم المشيئة والخلق. وهؤلاء هم المعتزلة ومن وافقهم.

وقـابل هـؤلاء طائفـة أخرى، فجفوا وغلوا في إثبات القدر حتى جعلوا العبد مجبوراً على فعـل نفسـه. ولـيس له اختـيار البتة، بل هو كالريشة في مهب الريح، وكحركة الآلة في يد من يحركها، وهذا مذهب الجهمية، ومن تبعهم من الأشاعرة في مسألة «الكسب».

وسمي هذا المذهب بمذهب «الجبرية» لأنهم يقولون: إنا مجبورون على أفعالنا.

وإذا كـان هـؤلاء قـد اسـتدلوا بالنصـوص الـتي تثبـت الفعـل والمشيئة لله كقولـه :﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفـال:١٧] وقولـه: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ [النسـاء: ٧٨]، وقولـه ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [التكوير:٢٩] إلى غير ذلك من الآيات.

فـإن أولـئك «القدريـة» اسـتدلوا بالنصـوص الـتي تثبت الفعل والمشيئة للبعد كقوله: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ ﴾ [النساء:٧٩]، وقوله: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾ [المزمل:١٩]، وقولـه: ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ ﴾ [المدثر:٥٤-٥٥] إلى غير ذلك.

فكـل طائفـة أخـذت بجانـب مـن الأدلـة وعطلـت الجانب الآخر، فهدى الله سلف هذه الأمـة، أهـل السنة والجماعة، فأخذوا بهذا وهذا، وتوسطوا بين هؤلاء وأولئك وقالوا: إن الله خلق كل شيء، ولا يكون شيء إلا بقضاء الله وقدره، وأفعال العباد داخلـة في ذلك =

ثم ذكر الخلاف في أهل الكبائر و[1] مسألة «الأسماء والأحكام»[2]

= خيرها وشرها، والطاعات والمعاصي، والكفر والإيمان لا يخرج من ذلك شيء عن مشيئته وتقديره، والعبد غير مجبور عليها، بل قد منحه الله المشيئة والاختيار وأقدره على ذلك: إن شاء آمن وإن شاء كفر، والعبد فاعل لفعله حقيقة، وينسب إليه حقيقة، وأن الله يريد الكفر من الكافر ويشاؤه، ولا يرضاه ولا يحبه، فيشاؤه بمشيئته الكونية، ولا يرضاه ولا يحبه ولا يريده بإرادته الدينية.

ومنشأ الضلال لدى الفرق المنحرفة في هذا الباب، والذي أوقعهم في ذلك هو: التسوية بين المشيئة والإرادة، وبين المحبة والرضا، فكل من الجبرية والقدرية سوَّت بينهما، لكن الجبرية قالوا: الكون كله بقضائه وقدره، إذاً فهو محبوب مرضي، أما القدرية فقالوا: المعاصي ليست محبوبة لله ولا مرضية له، إذاً فليست مقدرة ولا مقضية له.

ومن هنا وقع كل من الفريقين فيما وقع فيه من التخبط والضلال، وهدى الله أهل السنة إلى التفريق بينهما كما دل على ذلك الكتاب والسنة.

انظرالفتاوي: (٨/ ٢٥٦-٢٦١) (١٣/ ٣٦-٣٧)، مجموعة الرسائل والمسائل لشيخ الإسلام ١٥٠-١٥٢، ١٦٩، الاعتقاد للبيهقي ص٥٣-٧٣، شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٢/ ٥٣٤-٧٤٦)، العين والأثر في عقائد أهل الأثر ص٤١، لوامع الأنوار (١/ ٢٩٨-٣٢٠)، معارج القبول (٣/ ٣٤٨-٣٦٣) .

وقد أفرد الإمام ابن القيم كتاباً فريداً في هذا الموضوع، وهو «شفاء العليل في القضاء والقدر والحكمة والتعليل». فليراجع، وأيضاً المجلد الثامن من الفتاوي خاص ببحث مسألة القضاء والقدر.

وانظر: أصول الدين للبغدادي ص١٣١-١٣٤، ١٤٥، الإنصاف للباقلاني ٢٠٥-٢٢٩، لمع الأدلة للجويني ص١٢٠-١٢١، الغنية في أصول الدين ص١٢٦-١٢٧، التمهيد للباقلاني ص٣١٧-٣٦٨ ، مقالات الإسلاميين ص٢٢٧-٢٢٨، الملل والنحل (١/ ٩٨)، شرح الأصول الخمسة ص٢٩٩ وما بعدها.

(١) «الواو» سقطت من (ع).

(٢) الأسماء والأحكام، المقصود بالأسماء: أي أسماء الدين؛ مثل: مسلم، مؤمن، كافر، فاسق، والمقصود بالأحكام، أي أحكام هؤلاء في الدنيا والآخرة. =

وقال: قولنا: إنهم مؤمنون على الإطلاق، وأمرهم إلى الله تعالى، إن شاء عذبهم، وإن شاء عفا عنهم[(١)].

وقال: أصل الإيمان موهبة يتولد منها أفعال العباد، فيكون أصله[(٢)] التصديق والإقرار والأعمال، وذكر الخلاف في زيادة الإيمان ونقصانه،

= الفرقان لشيخ الإسلام – ضمن مجموع الرسائل الكبرى – (١/ ٢٨).

التنبيهات السنية ص١٠٢، التمهيد للباقلاني ص٣٨٨.

(١) وهذا رد على الخوارج والمعتزلة والمرجئة والجهمية.

فإن الخوارج سلبت مسمى الإيمان عن مرتكب الكبيرة وكفرته بذلك، أما المعتزلة فإن من أتى كبيرة عندهم صار فاسقاً في منزلة بين المنزلين لا مؤمن ولا كافر، لكن حكمه في الآخرة عند هؤلاء خالد مخلد في النار لا يخرج منها أبداً.

وقابل الخوارجَ والمعتزلةَ المرجئةُ، فقالوا: لا يضر مع الإيمان ذنب، فإيمان أفسق الناس كإيمان الأنبياء، ومرتكب الكبيرة عندهم مؤمن كامل الإيمان؛ لأن الإيمان عندهم شيء واحد لا يزيد ولا ينقص، وهو إما المعرفة أو التصديق على اختلاف بينهم.

واستدل هؤلاء بنصوص الوعد، واستدل أولئك بنصوص الوعيد.

أما أهل السنة والجماعة، فأخذوا بهذا وهذا وقالوا: إن مرتكب الكبيرة مؤمن ناقص الإيمان، أو: مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، ويقولون: معه مطلق الإيمان، لا الإيمان المطلق، فلا يسلبون عنه اسم الإيمان بالكلية، إن شاء الله غفر له وعفا عنه من أول وهلة وأدخله الجنة، وإن شاء عذبه لكن لا يخلد في النار، بل يخرج منها بشفاعة الشافعين، أو رحمة أرحم الراحمين.

انظر: الفتاوى (٣/ ١٥١-١٥٢) و(٧/ ٤٨٢)، (١٣/ ٣٧-٣٨، ٣٨٧)، مجموع الرسائل والمسائل لشيخ الإسلام (٣/ ٧-٨)، عقيدة السلف للصابوني ص٧١-٧٣، شرح الطحاوية (٢/ ٤٤٢-٤٤٨، ٥٢٤، ٥٣٧-٥٤٠)، الاعتقاد للبيهقي ص٨٥-٩٧، التمهيد للباقلاني ص٣٩٨-٤٣١، مقالات الإسلاميين ص٤٧٤، الملل والنحل (١/ ٩٩)، شرح الأصول الخمسة ص٦٩٥ وما بعدها.

(٢) في (ع) «أصل».

وقال: قولنا : إنه[١] يزيد وينقص[٢].

---

(١) «إنه» سقطت من (ع).

(٢) هذا مذهب أهل السنة والجماعة سلف الأمة من الصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم واقتفى أثرهم: أن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان، أو بعبارة أخرى: الإيمان اعتقاد وقول وعمل، أو قول وعمل، والمراد بذلك: قول القلب وعمله، وقول اللسان وعمل الجوارح. يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والطاعات كلها داخلة في مسمى الإيمان.

روى اللالكائي بسنده عن الإمام البخاري أنه قال: «كتبت عن ألف نفر من العلماء وزيادة، ولم أكتب إلا عن من قال: الإيمان قول وعمل، ولم أكتب عن من قال: الإيمان قول » .اهـ. شرح أصول السنة (٣/ ٨٨٩) رقم ١٥٩٧، وصححه ابن حجر . انظرالفتح (١/ ٤٧).

وروى ابن الجوزي عن الإمام أحمد أنه قال: أجمع سبعون رجلاً من التابعين وأئمة المسلمين وفقهاء الأمصار على أن السنة التي توفي عليها رسول الله ﷺ فذكر منها : الإيمان قول وعمل، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. اهـ.

مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص١٧٦.

وتبع السلف في ذلك: الخوارج والمعتزلة، فذهبوا إلى أن الإيمان: اعتقاد، وقول، وعمل، لكن خالفوهم في جعل الإيمان شيئاً واحداً لا يزيد ولا ينقص ولا يتبعض، بل إذا زال بعضه زال كله.

أما جمهور الأحناف أو من يسمون «مرجئة الفقهاء» فذهبوا إلى أن الإيمان: اعتقاد، وقول.

قال ابن أبي العز الحنفي: «وذهب كثير من أصحابنا إلى ما ذكره الطحاوي: إنه الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان».اهـ. شرح الطحاوية (٢/ ٤٥٩).

وقال الماتريدي في «شرح الفقه الأكبر»: فمن استيقن هذا وأقر به فهو مؤمن؛ لأنه عقد على الصواب؛ لأن الإيمان إقرار باللسان وتصديق بالجنان، فإذا صدق بقلبه وأقر به بلسانه، فإنه مؤمن. اهـ. شرح الفقه الأكبر للماتريدي ص٩، وانظر: التوحيد لأبي منصور الماتريدي ص٣٧٣-٣٨١.

وذهب الكرامية إلى أن الإيمان هو: الإقرار باللسان فقط.

وذهب الجهمية إلى أن الإيمان هو: المعرفة، أي معرفة الله فقط، والناس عندهم متساوون =

قال: ثم كان الاختلاف في القرآن: مخلوق أو غير مخلوق، فقولنا وقول أئمتنا: إن القرآن كلام [الله][١] غير مخلوق وإنه صفة منه بدأ قولاً، وإليه يعود حكماً[٢].

= في هذه المعرفة.

هذه أصول مذاهب الناس في مسألة الإيمان إجمالاً وقد أطال العلماء البحث في هذه المسألة وأفردوا لها المصنفات.

انظر: الإبانة لابن بطة (٢/ ٧٦٠-٨٨١)، السنة للخلال (١/ ٥٦٢ وما بعدها) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٣/ ٨٠٩-٨٣٠) (٤/ ٨٨٥-١٠١٣)، الشريعة للآجري ص١١١-١٣٦ ، عقيدة السلف للصابوني ص٦٧-٧١، الاعتقاد للبيهقي ص ٧٩-٨٥، مجموعة الرسائل والمسائل لشيخ الإسلام (٣/ ٨) شرح الطحاوية (٢/ ٤٥٩-٤٨٧)، فتح الباري (١/ ٤٦-٤٧)، عمدة القاري (١/ ١٠٢-١١١)، التمهيد للباقلاني ص٣٨٨-٣٩٠، الإنصاف للباقلاني ص٨٤-٨٩، الغنية في أصول الدين ص١٧٣-١٧٥، أصول الدين للبغدادي ص٢٥٢-٢٥٣، الأصول والفروع لابن حزم ص٨-١٥، معارج القبول (٢/ ١٧، ٤٠٥-٤٠٨)، لوامع الأنوار (١/ ٤٠٣-٤٢٦).

ومن أراد أن يتوسع في هذا الباب، فليراجع ما ألف في هذا الموضوع استقلالاً نحو: كتاب الإيمان لابن أبي شيبة، الإيمان لأبي عبيد، الإيمان لابن منده، مسائل الإيمان للقاضي أبي يعلى، الإيمان لشيخ الإسلام، وانظر: المجلد السابع من الفتاوي، وكتاب الإيمان لابن أبي عمر العدني.

(١) لفظة «الله» لم ترد في (ج،ع) وهي مثبتة في بعض النسخ الأخرى، والسياق يقتضي ذلك.

(٢) هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، في كلام الله عموماً وفي القرآن خصوصاً، وهي مسألة اضطربت فيها الآراء، واختلف الناس بسببها شيعاً وأحزاباً، وعلى إثر ذلك حدثت فتنه خلق القرآن، وأول من اشتهر عنه القول بهذا هو الجهم بن صفوان في آخر عصر التابعين، ثم تولى كبر هذه المسألة بشر بن غياث المريسي، حمل لواءها، وامتحن بسببها الأئمة والعلماء، على رأسهم الإمام أحمد بن حنبل، وأوذي فيه وابتلي بلاءً حسناً، وقد ثبته الله، ونصر به السنة وأهلها، فوقف في وجوه المبتدعة سداً منيعاً. =

....

= واختلاف الناس في مسألة القرآن يرجع إلى اختلافهم في صفة كلام الله، وإليك أصول مذاهبهم إجمالاً، وما خالفوا فيه أهل السنة والجماعة:

أولاً: مذهب الجهمية والمعتزلة، قالوا: إنه مخلوق، خلقه الله منفصلاً عنه، وهؤلاء هم الذي جرى بينهم وبين أهل السنة صولات وجولات في «مسألة خلق القرآن» وانبرى لهم أهل الحق، وعقدوا لهم الأبواب والفصول، وأفردوا في الرد عليهم كتباً ومصنفات مستقلة.

ثانياً: مذهب الفلاسفة: أنه فيضٌ فاض من العقل على النفوس الزكية.

ثالثاً: أنه معنى واحد قائم بذات الله، وهو الأمر والنهي والخبر والاستخبار، إن عبر عنه بالعربية كان قرآناً، وإن عبر عنه بالعبرية كان توراة، وهذا مذهب الكلابية ومن وافقهم من الأشاعرة.

رابعاً : مذهب الكرّامية : أنه حروف وأصوات متعلق بمشيئة الله، قائم بذاته، وهو حادث بعد أن لم يكن، فتكلم الله بها بعد أن لم يكن متكلماً.

خامساً : مذهب أهل وحدة الوجود، وهو أن كل كلام في الوجود هو كلام الله تعالى، نظمه ونثره، حقه وباطله، سحره وكفره...الخ.

وقد رد الأئمة على جميع هذه الأقوال وأبطلوها من وجوه متعددة ليس هذا مجال مناقشتها وردها، وإنما القصد الإشارة إلى من خالف أهل السنة في ذلك، ومن أراد التوسع فلينظر إلى: شرح أصول السنة للالكائي (١/ ٢١٦-٣٦٩) (٢/ ٣٧٨-٣٨٥)، الرد على الجهمية للإمام أحمد ص١١٤-١٢٦، ١٤٥، الرد على الجهمية للدارمي ص١٥٩-١٧٠، التوحيد لابن خزيمة (١/ ٤٠٤-٤٠٥)، الشريعة للآجري ص٧٥-٧٦، عقيدة السلف للصابوني ص٧-١٤، الاعتقاد للبيهقي ص٣٢-٤٠، التمهيد للباقلاني ص٢٦٨-٢٨٣، الفتاوي (١٢/ ٣٩-٤٠، ١٦٢، ٢٣٤) (٣/ ١٧٤-١٧٦)، مجموعة الرسائل المنيرية (٢/ ١٨٤)، مختصر الصواعق (٢/ ٢٧٧-٣٣٢)، شرح الطحاوية (١/ ١٧٢-٢٠٦)، الاعتقاد لعلاء الدين ابن العطار ص٣٥-٤٨، معارج القبول (١/ ٢٣٠-٢٥٣).

وانظر إلى كتاب خلق أفعال العباد للبخاري، كتاب العقيدة السلفية في كلام رب البرية للجديع، وكتاب «الرد على من يقول بخلق القرآن» لأحمد بن سليمان النجار، تحقيق رضا إدريس. =

ثم ذكر الخلاف في الرؤية وقال[١] : قولنا قول أئمتنا فيما نعتقد أن الله يُرى في يوم[٢] القيامة، وذكر الحجة[٣].

ثم قال: واعلم ـ رحمك الله ـ أني ذكرت أحكام الاختلاف على ما ورد من ترتيب المحدثين في كل الأزمنة. وقد بدأت أن أذكر أحكام الجمل من العقود[٤]، فنقول ونعتقد أن الله عز وجل له عرش، وهو

= أما قول المصنف: «منه بدأ وإليه يعود» فمعنى قوله: منه بدأ: أي هو المتكلم به، ولم يبتدئ من غيره كما يزعم الجهمية والمعتزلة، أنه خلق في الهوى، أو بدأ من عند غيره.

وكذا الأشاعرة حيث زعموا أن القرآن مبدؤه من اللوح المحفوظ، وقد أخذه جبريل من اللوح المحفوظ؛ لهذا قال الإمام ابن القيم في معرض حديثه على مذهب الأشاعرة في كلام الله:

وتكايست أخرى وقالت إنه ... نقل من اللوح الرفيع الشّان

فاللوح مبدؤه ورب اللوح قد ... أنشاه خلقاً فيه ذا حدثان

وإليه يعود: أي: يُرفع ويُسرى به في آخر الزمان من المصاحف والصدور، فلا يبقى في الصدر منه كلمة ولا في المصحف منه حرف.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «ليسرين على القرآن ذات ليلة ولا يترك آية في مصحف ولا في قلب أحد إلا رُفعت» .

رواه الدارمي (٢/ ٤٣٨). وروى نحو من هذا مرفوعاً ابن ماجه (٢/ ١٣٤٤) رقم ٤٠٤٨. كتاب الفتن، باب ذهاب القرآن والعلم. والدارمي (٢/ ٤٣٨) كتاب فضل القرآن، باب في تعاهد القرآن. انظر: الفتاوي (٣/ ١٧٤-١٧٥)، شرح النونية للدكتور محمد خليل هراس (١/ ١٠٨).

(١) في (ع) زيادة «واو».

(٢) «يوم » سقطت من (ع).

(٣) سبق ذكر مذاهب الناس في «رؤية الله » انظر: ص٣٢٦ .

(٤) العقود: جمع عقد: والعقود هي أوكد العهود. وهي معنى الإلزام باستيثاق، يقال: عقدت على كذا، أي: ألزمته نفسي، ويطلق على التصميم والاعتقاد الجازم. انظر لسان العرب (٣/ ٢٩٧) .

علـى عرشه فوق سبع سماواته بكمال أسمائه وصفاته، كما قال تعالى : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طـه:٥] و﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة:٥] ولا نقول: إنه في الأرض كما هو في السماء على عرشه(١) ؛ لأنه عالم بما يجري على عباده(٢)(٣).

إلى أن قـال : ونعتقد أن الله خلق الجنة والنار، وأنهما مخلوقتان للبقاء لا للفناء(٤).

---

(١) ذكر شيخ الإسلام أن هذا مذهب طائفة من السالمية والصوفية، وهـؤلاء أرادوا الأخـذ بجميع النصوص الواردة في علو الله واستوائه على عرشه، ونصوص القرب والمعية.
وقد رد عليهم شيخ الإسلام وأوضح تناقضهم هذا. انظر: الفتاوي (٥/ ٢٢٩-٢٣١).

(٢) في (ع) زيادة: «ثم يعرج إليه» ولا معنى لها هنا.

(٣) كأنـه أراد بهذا الإشارة إلى النصوص التي وردت في المعية أنها معية حقيقية تقتضي العلم والإحاطة، لا معية مخالطة وامتزاج. وسيأتي بيان ذلك.

(٤) هـذا مذهـب أهـل السنة والجماعة أن الجنة والنار باقيتان لا تفنيان أبداً، وأنهما خُلقتا للبقاء لا للفـناء، ولم يخـالف في ذلـك إلا الجهـم بـن صـفوان؛ حيـث زعم أن الجنة والنار تفنيان، وتـبعه أبـو الهذيـل العـلاف فقال: إن حركات أهل الجنة والنار تفنى وتبقى أجسامهم، وقد صاح بهم أهل السنة في أقطار الأرض، وأنكروا عليهم هذا القول الشنيع.
قـال الإمـام ابـن حـزم: «اتفقـت الأمـة كـلها بـرها وفاجـرها ـ حاشـا جهم بن صفوان السـمرقندي وأبـا الهذيـل العـلاف ـ على أن الجنة لا فناء لنعيمها، والنار لا فناء لعذابها، وأن أهـلها خـالدون أبد الآباد فيها إلى ما لا نهاية ... ثم ذكر قول الجهم بن صفوان وأبي الهذيل وأبطله». الأصول والفروع لابن حزم ص٤٣-٤٥.
وقـال أبـو عـثمان الصـابوني: «ويشـهد أهـل السـنة ويعتقدون أن الجنة والنار مخلوقتان، وأنهمـا باقـيات لا تفنـيان أبـداً، وأن أهـل الجـنة لا يخرجون منها أبداً، وكذلك أهل النار الذين هـم أهلها خلقوا لها ولا يخرجون أبداً ...» . عقيدة السلف للصابوني ص٦٦.
وقـال شـيخ الإسلام : «.. وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة على أن من المخلوقات ما لا يعدم ولا يفنى بالكلية، كالجنة والنار، والعرش وغير ذلك، ولم =

إلى أن قال : ونعتقد أن النبي ﷺ عرج بنفسه إلى سدرة المنتهى[1].

= يقل بفناء جميع المخلوقات إلا طائفة من أهل الكلام والمبتدعين كالجهم بن صفوان، ومن وافقه من المعتزلة ونحوهم، وهذا قول يخالف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع سلف الأمة وأئمتها». اهـ. الفتاوى (١٨/ ٣٠٧).

وانظر: الشريعة للآجري ص ٣٨٧-٤٠١ ، الفتاوى (٣/ ٣٠٤) ، (٨/ ٣٨٠) ، (١٢/ ٤٥)، نقض التأسيس (١/ ١٥٢-١٥٣) (٢/ ١٨٠) ، درء تعارض العقل والنقل (١/ ٣٨، ٣٠٤-٣٠٥) (٢/ ٣٥٧) (٣/ ١٥٧-١٥٨) (٨/ ٣٤٥)، حادي الأرواح ص٣٨٣-٤٢٤، شرح الطحاوية (٢/ ٦١٤-٦٣١)، فتح الباري (١١/ ٤٢١-٤٢٤)، لوامع الأنوار (٢/ ٢٣٠-٢٣٥).

ومن الكتب المفردة في هذه المسألة: الرد على من قال بفناء الجنة والنار لشيخ الإسلام تحقيق د. محمد السمهري، كتاب رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار للصنعاني، وقد طبع بتحقيق الألباني ط: المكتب الإسلامي ١٤٠٥هـ، الأولى، وكتاب توفيق الفريقين على خلود أهل الدارين، للشيخ مرعي بن يوسف الحنبلي، طبع بتحقيق خليل السبيعي، ط:١٤١١هـ، وكتاب كشف الأستار لإبطال ادعاء فناء النار، للدكتور علي بن علي اليماني، ط: دار طيبة.

(١) وعروج النبي ﷺ ثبت في حديث صحيح رواه البخاري ومسلم، انظر: ص٢٠٣.

ووقع الخلاف في الإسراء :

* فقيل: إنه أُسري بروحه وجسده يقظة لا مناماً. وهذا هو القول الذي تدل عليه النصوص، وهو قول جمهور أهل السنة، وهو الذي أشار إليه المصنف.

* وقيل: إن الإسراء كان بروحه دون جسده.

* وقيل : كان الإسراء مناماً أي كانت رؤيا، ورؤيا الأنبياء حق .

* وقيل: كان الإسراء مرتين، مرة يقظة، ومرة مناماً.

والقول الأول هو الراجح الذي تعضده الأدلة. أما الأقوال الأخرى فهي مرجوحة، وقد ناقشها العلماء وأوضحوا وجه ضعفها.

انظر: شرح الطحاوية (١/ ٢٧٠-٢٧٦)، الشريعة للآجري ص١٨١-١٩١، لوامع الأنوار (٢/ ٢٨٠-٢٨٩)، زاد المعاد (٣/ ٤٢)، تفسير الطبري (١٥/ ٥-١٧)، تفسير =

إلى أن قال: ونعتقد أن الله قبض قبضتين، فقال : **«هؤلاء إلى الجنة وهؤلاء إلى النار»**[(١)].

ونعتقد أن للرسول ﷺ حوضاً[(٢)]،

= ابن كثير (٥/ ٤٠-٤١)، أضواء البيان (٣/ ٣٩١-٣٩٣)، فتح الباري (١/ ٤٥٩-٤٦١)، سيرة النبي ﷺ لابن هشام (٢/ ٥-٦).

(١) ورد هذا في حديث مرفوع بألفاظ متعددة، وطرق مختلفة:
منها ما رواه الإمام أحمد (٤/ ١٧٦-١٧٧) (٥/ ٦٨). وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ١١١). والدولابي في «الكنى والأسماء» (٢/ ٤٨). والعقيلي في «الضعفاء» (١/ ٢٥٧) وقال: وقد روي في القبضتين أحاديث بأسانيد صالحة . اهـ . وابن عدي في « الكامل » (٢/ ٦٢٤). وذكر الهيثمي في «المجمع» (٧/ ١٨٥-١٨٧) أحاديث «القبضتين » من طرق متعددة، وصحح إسناده. والحافظ ابن حجر في «المطالب العالية» (٣/ ٧٧) رقم ٢٩٢٥. وصححه أيضاً الألباني. انظر«السلسلة الصحيحة» (١/ ٧٦) رقم : ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠ ، تخريج كتاب السنة (١/ ١١١).

(٢) والحوض: مما تواتر عن النبي ﷺ ثبوته، قال الحافظ ابن كثير: «ذكر ما ورد في الحوض النبوي المحمدي – سقانا الله منه يوم القيامة – من الأحاديث المتواترة المتعددة من الطرق الكثيرة المتضافرة، وإن رغمت أنوف كثيرة من المبتدعة المعاندة المكابرة، القائلين بجحوده، المنكرين لوجوده» النهاية لابن كثير (٢/ ٣).
وقد ورد في صفته نصوص كثيرة، يتلخص منها:
«أنه حوض عظيم ومورد كريم، يمد من شراب الجنة من نهر الكوثر، الذي هو أشد بياضاً من اللبن، وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيب من المسك، وهو في غاية الاتساع، عرضه وطوله سواء، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر..» شرح الطحاوية (١/ ٢٨٠-٢٨١).
ومجمل هذه الصفات وردت في عدة آثار، منها ما رواه ابن أبي عاصم في السنة، وذكرها القرطبي في التذكرة، وابن كثير في النهاية.
وأنكر بعض المبتدعة حوضه ﷺ منهم الخوارج والمعتزلة كما ذكر الحافظ ابن حجر، والسفاريني. =

ونعتقد أنه أول شافع وأول مشفع[1]،

= روى ابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٣٢١) رقم ٦٩٧، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «سيأتي قوم يكذبون بالقدر، ويكذبون بالحوض، ويكذبون بالشفاعة، ويكذبون بقوم يخرجون من النار». اهـ. وحسن إسناده الألباني، انظر تخريجه لهذا الأثر في المصدر السابق.

وانظر كلام العلماء في الحوض وما ورد فيه، في:

الشريعة للآجري ص٣٥٢-٣٥٧، شرح الطحاوية (١/ ٢٧٧-٢٨٢)، السنة لابن أبي عاصم (٢/ ٣٢١-٣٦١)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٣/ ١١١٦-١١٢٦)، البعث والنشور للبيهقي ص١١٠-١٣٠، التذكرة للقرطبي (١/ ٣٤٣-٣٥٠)، النهاية لابن كثير (٢/ ٣-٣٩)، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري (١١/ ٣٦٣-٣٦٩)، أصول الدين للبغدادي ص٢٤٦، لوامع الأنوار (٢/ ١٩٤-٢٠٤)، مقالات الإسلاميين ص٤٧٣.

(١) مما أجمع عليه أهل السنة قاطبة، وتواترت به الآثار ثبوت الشفاعة في الآخرة.

قال القاضي عياض: «مذهب أهل السنة جواز الشفاعة عقلاً ووجوبها سمعاً، وساق بعض الآيات في هذا، ثم قال: وقد جاءت الآثار التي بلغت بمجموعها التواتر بصحة الشفاعة في الآخرة لمذنبي المؤمنين، وأجمع السلف والخلف ومن بعدهم أهل السنة عليها ...» شرح مسلم للنووي (٣/ ٣٥).

وأنكر الخوارج والمعتزلة الشفاعة بناء على أصلهم الباطل، القول بتخليد صاحب الكبيرة في النار، يقول القاضي عبدالجبار (شرح الأصول الخمسة ص٦٨٨-٦٩٠): «ولا خلاف بين الأمة في أن شفاعة النبي ﷺ ثابتة للأمة، وإنما الخلاف في أنها تثبت لمن؟ ... ثم قال: فعندنا أن الشفاعة للتائبين من المؤمنين».

ويقول في موضع آخر: «فحصل لك بهذه الجملة العلم بأن الشفاعة ثابتة للمؤمنين دون الفساق من أهل الصلاة ...»، وانظر: فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ص٢٠٧-٢٠٩.

وبالتتبع والاستقراء لنصوص الشفاعة الثابتة لنبينا محمد ﷺ نجدها تنقسم إلى ثمانية أنواع، كما ذكر ابن كثير وابن أبي العز؛ أعظمها: الشفاعة الكبرى لأهل الموقف لفصل القضاء.

انظر: التوحيد لابن خزيمة (٢/ ٥٨٩-٦٧٢)، الشريعة للآجري ص٣٣١-٣٤٩، السنة لابن أبي عاصم (٢/ ٣٦٤-٤١٥)، عقيدة السلف للصابوني ص٦١-٦٤، الفتاوي =

وذكـر الصـراط[1]، والمـيزان[2]، والمـوت، وأن المقـتول قـتل بأجلـه،

= (١/ ١٤٣-١٤٩) (١١/ ١٨٤-١٨٥)، شـرح الطحاويـة (١/ ٢٨٢-٢٩٤)، شرح مسلم للـنووي (٣/ ٣٥-٨٦)، فـتح الـباري (١١/ ٤٢٨-٤٣١)، الـتذكرة للقرطبي (١/ ٢٧٩-٢٨٨)، الـنهاية لابـن كـثير (٢/ ١٧٩-٢٠٩) لوامـع الأنوار (٢/ ٢٠٤-٢١٨)، مقالات الإسـلاميـين ص٤٧٤ ، أصـول الديـن للـبغـدادي ص٢٤٤-٢٤٥ ، التمهيد للباقلاني ص٤١٥-٤٣١.

(١) مـن عقـيدة أهـل السنة والجماعة الإيمان بالصراط، وهو الجسر الممدود على متن جهنم، أدق مـن الشعر، وأحد من السيف، يجاوزه الناس، ويمرون عليه على قدر أعمالهم؛ فمنهم مـن يمـر كالبرق ، ومنهم من يمر كالريح، وكأجاويد الخيل، ومنهم من يزحف زحفاً، وقد ثبت بالكتاب والسنة، وأفرده الأئمة والعلماء بالبحث في كتبهم ومصنفاتهم.

وأنكـره الجهمية والمعتزلة وجماعة من الخوارج، وتأولوا النصوص الواردة فيه بأن المراد منه هـو الطريق، وأنكر آخرون أن يكون أدقّ من الشعر، وأحدّ من السيف، وقالوا: لأن ذلك تعذيـب، ولا يمكـن العبور عليه. والنصوص ترد على كلا الطائفتين، وحجة عليهم، وهو من الأمور الغيبية التي يجب الإيمان بها، والتسليم لها.

انظـر: شـرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٣/ ١١٧٧-١١٧٩)، الفتاوي (٣/ ١٤٦-١٤٧)، (٤/ ٢٧٩)، الـتذكرة للقـرطبي (٢/ ٢٦-٣٦)، الـنهاية لابـن كـثير (٢/ ١١٨-١٣٨)، فـتح الباري (١١/ ٤٤٤-٤٤٥)، لوامع الأنوار (٢/ ١٨٩-١٩٤)، معارج القبول (٢/ ٢٧٢-٢٧٩)، مقـالات الإسـلاميين ص٤٧٢، أصـول الديـن للـبغدادي ص٢٤٦، الإرشـاد لـلجويني ص٣٧٩-٣٨٠، المواقـف للإيجـي ص٣٨٣-٣٨٤، شـرح الأصـول الخمسة ص٧٣٧-٧٣٨، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ص٢٠٥-٢٠٦.

(٢) أيضـاً فمـن عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان بالميزان، على ما جاء في النصوص، وثبت في الكـتاب والسـنة، وأنـه مـيزان حسـي لا معـنوي، ذو كفـتين، توزن فيه الأعمال، وأنه مـيزان واحـد لا موازيـن، وما ورد في النصوص بالجمع ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ﴾ فإنما هو باعتبار مـا يوزن فيها. وأنكرت الجهمية وبعض المعتزلة الميزان، وتأولوا النصوص الواردة فيه، أن المراد به هو العدل.

انظر: السنة لابن أبي عاصم (٢/ ٣٦١-٣٦٣)، الشريعة للآجري ص٣٨٢-٣٨٧، شرح=

واستوفى رزقه[١].

إلى أن قال[٢]: ومما نعتقد[٣] أن الله ينزل كل ليلة إلى السماء[٤] الدنيا في ثلث الليل الآخر، فيبسط يده فيقول: **«ألا هل من سائل»** الحديث[٥] وليلة النصف[٦]،

= أصول أهل السنة للالكائي (٣/ ١١٧٠-١١٧٣)، التنبيه والرد ص٩٨، ١١٠-١١١، الفتاوي (٣/ ١٤٥-١٤٦) (٤/ ٣٠٢)، شرح الطحاوية (٢/ ٦٠٨-٦١٤)، التذكرة للقرطبي (٢/ ٣-١٣). النهاية لابن كثير (٢/ ٥٦-٦٨)، لوامع الأنوار (٢/ ١٨٤-١٨٩)، معارج القبول (٢/ ٢٦٧-٢٧٢)، مقالات الإسلاميين ص٤٧٢-٤٧٣، أصول الدين للبغدادي ص٢٤٦، المواقف للإيجي ص٣٨٣-٣٨٤، الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي ص١٨٢، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ص٢٠٤-٢٠٥. وانظر: البرهان في إثبات حقيقة الميزان لمرعي بن يوسف الحنبلي.

(١) وذهب جمهور المعتزلة إلى أن المقتول لم يستوفِ أجله، ولم يستكمل رزقه، بحيث لو لم يُقتل لبقي أكثر من ذلك.
قال البغدادي في معرض رده عليهم: «فجعلوا العباد قادرين على أن ينقصوا مما أجَّله الله عز وجل ووقَّته. ولو جاز ذلك لجاز أن يزيدوا في أجل من قضى الله له أجلاً محدوداً، وإذا لم يقدروا على الزيادة في أجل آخر لم يقدروا على النقصان منه». اهـ. أصول الدين للبغدادي ص١٤٣.
وقد رد عليهم العلماء وأبطلوا قولهم هذا بالنقل والعقل. انظر: الاعتقاد للبيهقي ص٧٧-٧٩، الفتاوي (٨/ ٢٨٦-٢٨٧)، لوامع الأنوار (١/ ٢٤٥)، العين والأثر ص٤١، مقالات الإسلاميين ص٢٥٦، ٢٥٧، التمهيد للباقلاني ص٣٧٣، ٣٧٦، أصول الدين للبغدادي ص١٤٢-١٤٤، شرح الأصول الخمسة ص٧٨٢، ٧٨٤.

(٢) أي: أبو عبدالله بن خفيف.

(٣) في (ع) «نعتقده».

(٤) في (ع) «سماء».

(٥) الحديث رواه البخاري ومسلم، انظر: ص٣٥٥.

(٦) ليلة النصف: أي ليلة النصف من شعبان، وقد بوب العلماء لهذا أبواباً مستقلة، =

....

= ومن هؤلاء الدارقطني في «كتاب النزول»، والدارمي في «الرد على الجهمية»، وغيرهم.
والحديث الوارد في هذا جاء من طرق متعددة وبألفاظ متقاربة، منها ما رواه أبو بكر الصديق رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: **«ينزل الله عز وجل ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا فيغفر لكل نفس إلا إنسان في قلبه شحناء أو شرك بالله عز وجل»**.
رواه الدارمي في «الرد على الجهمية» ص٦٩. وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٢٢٢) رقم ٥٠٩. وابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٣٢٦). والدارقطني في «كتاب النزول» ص١٥٥-١٥٧. وابن عدي في «الضعفاء» (٥/ ١٩٤٦) وقال: «وعبدالملك بن عبدالملك - أحد رجال السند - معروف بهذا الحديث، ولا يرويه عنه غير عمرو بن الحارث، وهو حديث منكر بهذا الإسناد». اهـ. واللالكائي في «شرح أصول أهل السنة» (٢/ ٤٣٨) رقم ٧٥٠. وأبو نعيم في «ذكر أخبار أصبهان» (٢/ ٣). والبزار في «مسنده» - كشف الأستار - (٢/ ٤٣٥) رقم ٤٠٢٥، وقال: لا نعلمه يروى عن أبي بكر إلا من هذا الوجه، وقد رُوي عن غير أبي بكر، وأعلى من رواه أبو بكر، وإن كان في إسناده شيء، فجلالة أبي بكر يحسنه، وعبدالملك ليس بمعروف، وقد روى هذا الحديث أهل العلم، واحتملوه.اهـ قال الهيثمي عقبه: قلت: هذا كلام ساقط. اهـ. وذكره أبو يعلى في «إبطال التأويلات» (١/ ٢٥٥)، قال: رواه الثقات من طرق مختلفة، وألفاظ مختلفة، حدثناه أبو القاسم بإسناده عن أبي بكر الصديق... فذكره.
وضعفه البخاري من طريق عبدالملك بن عبدالملك، انظر: ميزان الاعتدال (٢/ ٦٥٩)، لسان الميزان (٤/ ٦٧).

وذكره الهيثمي في المجمع (٨/ ٦٥)، وقال: «رواه البزار، وفيه عبدالملك بن عبدالملك، ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ولم يضعفه، وبقية رجال ثقات. اهـ.

وفي الباب عن عائشة - رضي الله عنها - وذكرت قصتها عندما تبعت النبي ﷺ إلى البقيع، وفيه قال النبي ﷺ: **«إن الله عز وجل ينزل ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا، فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم كلب»**. رواه الترمذي (٣/ ١١٦) رقم ٧٣٩، كتاب الصوم، باب ما جاء في ليلة النصف من شعبان. قال الترمذي: وفي الباب عن أبي بكر الصديق، ثم قال: حديث عائشة لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث الحجاج، =

وعشية عرفة[١]، وذكر الحديث في ذلك. قال : ونعتقد أن الله كلم موسى تكليماً، واتخذ إبراهيم خليلاً، وأن الخلة غير الفقر، لا كما قال أهل البدع[٢].

= وسمعت محمداً ـ يعني البخاري ـ يضعف هذا الحديث. وقال: يحيى بن أبي كثير لم يسمع من عروة، والحجاج بن أرطأة لم يسمع من يحيى بن أبي كثير. اهـ. ورواه ابن ماجه (١/ ٤٤٤) رقم ١٣٨٩، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في ليلة النصف من شعبان. وأحمد (٦/ ٢٣٨). والدارقطني في «كتاب النزول» ص١٦٩-١٧٢. واللالكائي في «شرح أصول أهل السنة» (٢/ ٤٤٨) رقم ٧٦٣. والمزي في «تهذيب الكمال» (١/ ٤٢٥). وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (١/ ٤٤٧)، إسناد حديث أبي موسى ضعيف: لضعف عبدالله بن لهيعة، وتدليس الوليد بن مسلم، وله شاهد من حديث عائشة، رواه الترمذي وابن ماجه. اهـ.

وفي الباب أيضاً عن علي بن أبي طالب ، وكثير بن مرة . انظر : سنن ابن ماجه (١/ ٤٤٤)، كتاب النزول للدارقطني ص١٦٥-١٦٨.

وقد صححه الألباني بمجموع هذه الطرق، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحه (٣/ ١٣٥-١٣٩) رقم ١١٤٤، وتخريج كتاب السنة لابن أبي عاصم (١/ ٢٢٢-٢٢٤).

(١) الحديث الوارد في نزوله عشية عرفة، سبق تخريجه، انظر: ص٣٧٥. وقد جاء التصريح بالنزول عشية عرفة في رواية ابن منده في كتاب التوحيد (٣/ ٣٠١) رقم ٨٨٥، وأبي يعلى في مسنده (٤/ ٦٩) رقم ٢٠٩٠، وابن خزيمة في صحيحه (٤/ ٢٦٣) رقم ٢٨٤٠، وابن بطة في الإبانة. المختصر – (ل١٩٩/ أ)، والصابوني في عقيدة السلف (ص٣٨) رقم ٦٧، وابن حبان في صحيحه. الإحسان – (٩/ ١٦٤) رقم ٣٨٥٣، والطحاوي في مشكل الآثار (٤/ ١١٤)، والبزار في مسنده – كشف الأستار – (٢/ ٢٨) رقم ١١٢٨، والبغوي في شرح السنة (٧/ ١٥٩) رقم ١٩٣١.

وحسنه ابن منده – الإحالة السابقة، والهيثمي في المجمع (٤/ ١٧).

(٢) والخلة، هي: كمال المحبة المستلزمة من العبد كمال العبودية لله، ومن الرب سبحانه كمال الربوبية لعباده الذين يحبهم ويحبونه. الفتاوي (١٠/ ٢٠٣).

ومذهب أهل السنة والجماعة وصف الله بالمحبة والخلة على الوجه اللائق بالله سبحانه،=

ونعتقد أن الله تعالى خص محمداً ﷺ بالرؤية، واتخذه خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً[1].

= وأنكرت الجهمية والمعتزلة هذه الصفة، وتأولتها على ما ذكر المؤلف أن المقصود منها الفقر والحاجة.

وأول من حفظ عنه إنكار ذلك الجعد بن درهم، الذي قتله خالد بن عبدالله القسري، انظر: ص٢٣٢.

وانظر الفتاوي (٦/ ٤٧٧) (١٠/ ٦٦-٧١، ٢٠٢-٢٠٤)، شرح الطحاوية (١/ ١٦٤-١٦٧) (٢/ ٣٩٤-٣٩٨)، الكشاف للزمشخري (١/ ٥٦٦-٥٦٧).

(١) هذه المسألة ـ رؤية النبي ﷺ لربه ـ وقع الخلاف فيها قديماً وحديثاً.

القول الأول : ذهب قوم إلى إنكارها ، وأن النبي ﷺ لم يرَ ربَّه ، ومن هؤلاء : عائشة وابن مسعود وأبوهريرة، رضي الله عنهم .

عن عائشة – رضي الله عنها – قالت : «ثلاث من حدثك بهن فقد كذب، من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب...» الحديث. رواه البخاري (٨/ ٦٠٦) رقم ٨٨٥٥، كتاب التفسير، باب سورة النجم، وهذا لفظه، ومسلم (١/ ١٥٩) رقم ١٧٧، كتاب الإيمان، باب معنى قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ وإلى هذا ذهب الإمام أحمد في إحدى الروايتين عنه.

القول الثاني: إثبات رؤية النبي ﷺ لربه، وهذا قول ابن عباس وأنس ، وإليه ذهب عكرمة والحسن والربيع بن سليمان، وابن خزيمة، والإمام أحمد في إحدى الروايتين عنه، وأبو إسماعيل الهروي، وكعب الأحبار، والزهري، وعروة بن الزبير، ومعمر، وهو قول الأشعري وغالب أتباعه. ورجحه الإمام النووي ونقل عن صاحب التحرير قوله: «وإذا صحت الروايات عن ابن عباس في إثبات الرؤية وجب المصير إلى إثباتها، فإنها ليست مما يدرك بالعقل ويؤخذ بالظن، وإنما يتلقى بالسماع، ولا يستجيز أحد أن يظن بابن عباس أنه تكلم في هذه المسألة بالظن والاجتهاد...» اهـ. وقد وافقه الإمام النووي على هذا، وقال: «ثم إن عائشة ـ رضي الله عنها ـ لم تنف الرؤية بحديث عن رسول الله ولو كان معها فيه حديث لذكرته، وإنما اعتمدت على الاستنباط من الآيات...» اهـ.

القول الثالث: التوقف في المسألة، ذكره القاضي عياض، حيث قال: «ووقف بعض =

....

= مشايخنا في هذا، وقال: ليس عليه دليل واضح ولكنه جائز...» اهـ وقال القرطبي: «والوقف في هذه المسألة أرجح. وذكر أنه ليس في الباب دليل قاطع، وغاية ما استدل به للطائفتين ظواهر متعارضة قابلة للتأويل...».

القول الراجح – والله أعلم – ما ذهب إليه الإمام ابن حجر، وهو المفهوم من كلام شيخ الإسلام، أن رسول الله ﷺ رأى ربه بفؤاده، وليس بعيني رأسه، وبهذا يمكن أن تجتمع الأدلة ويمكن التوفيق بين الرأيين الأولين: رأي ابن عباس ورأي عائشة، فمن نفى الرؤية فيحمل قوله على نفي الرؤية العينية، ومن أثبتها، فيحمل على أثبات الرؤية القلبية، وهذا ثابت عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «رآه بقلبه» وفي رواية: «رآه بفؤاده مرتين» رواه مسلم (١/ ١٥٨) رقم ١٧٦، كتاب الإيمان، باب معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾ وبهذا يحمل ما نقل عن ابن عباس المطلق على المقيد، وبذلك تجتمع الأدلة وتتفق الأقوال ولله الحمد.

قال شيخ الإسلام: «والألفاظ الثابتة عن ابن عباس هي مطلقة أو مقيدة بالفؤاد، تارة يقول: رأى محمد ربه، وتارة يقول: رآه محمد، ولم يثبت عن ابن عباس لفظ صريح بأنه رآه بعينه.

وكذلك الإمام أحمد تارة يطلق الرؤية، وتارة يقول: رآه بفؤاده. إلى أن قال: وليس في الأدلة ما يقتضي أنه رآه بعينه ولا ثبت ذلك عن أحد من الصحابة، ولا في الكتاب والسنة ما يدل على ذلك..» اهـ. وهذا ما رجحه الشيخ محمد الأمين الشنقيطي.

وبمثل ما ذكره شيخ الإسلام أفتت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

ومعنى: رآه بفؤاده، أي: بقلبه، وهي كما قال الإمام ابن القيم: «انكشاف صورة المعلوم له، بحيث تكون نسبته إلى القلب كنسبة المرئي إلى العين» اهـ.

انظر التوحيد لابن خزيمة (١/ ٤٧٧-٥٤٧) (٢/ ٥٤٨-٥٦٠)، الشريعة للآجري ص٤٩١-٤٩٧، الأربعين للهروي ص٨١-٩٣، رؤية الله للدارقطني ص١٨٦-١٨٩، الحجة في بيان المحجة للأصبهاني ص٥٠٩-٥١٠، الفتاوي (٣/ ٣٨٦-٣٨٧) (٦/ ٥٠٧-٥١١)، مدارج السالكين (٣/ ٢٤٦)، شرح الطحاوية (١/ ٢٢٢-٢٢٥)، تفسير الطبري (٢٧/ ٤٦-٤٧)، شرح مسلم للنووي (٣/ ٤-١٤)، فتح الباري (٨/ ٦٠٨-٦٠٩)، فتح الملهم (١/ ٣٣٧-٣٤٠)، لوامع الأنوار (٢/ ٢٥٠-٢٥٦)، أقاويل الثقات=

ونعتقد أن الله تعالى اختص[١] بمفاتح خمس من الغيب لا يعلمها إلا الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ الآية[٢] [لقمان:٣٤] ونعتقد المسح على الخفين. ثلاثاً للمسافر، ويوماً وليلة للمقيم[٣].

ونعتقد الصبر على السلطان من قريش ما كان من[٤] جور أو عدل، ما أقام الصلاة من الجمع والأعياد، والجهاد معهم ماض إلى يوم القيامة[٥]

= ص١٩٦-١٩٧، الإنصاف للباقلاني ص٢٤١، أضواء البيان (٣/ ٣٩٩-٤٠٠)، فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٢/ ١٢٨-١٣٠).

(١) في (ع) «خص».

(٢) قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [لقمان:٣٤] روى البخاري (٨/ ٥١٣-٥١٤) رقم ٤٧٧٨، كتاب التفسير، باب «إن الله عنده علم الساعة» عن عبدالله بن عمر – رضي الله عنهما – قال النبي ﷺ: **«مفاتيح الغيب خمس»**، ثم قرأ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ الآية.
وانظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٣٥٥).

(٣) والمسح على الخفين مما تواتر عن النبي ﷺ. انظر: لقط اللآلئ المتناثرة في الأحاديث المتواترة للزبيدي ص٢٣٦-٢٥٠، نظم المتناثر ص٤٢-٤٦.
ووجه إدخال العلماء هذه المسألة في باب العقائد، مع أن مجالها كتب الفروع، وذلك أن الرافضة أنكرت المسح على الخفين، ووافقهم الخوارج في هذا، كما ذكر الأشعري.
انظر: الاستبصار للطوسي (١/ ٧٦)، كتاب الطهارة، باب جواز التقية في المسح على الخفين. وانظر أيضاً: الإبانة لابن بطة (١/ ٣٦١-٣٦٣)، الفتاوي (٣/ ٣٨٢)، شرح الطحاوية (٢/ ٥٥١-٥٥٥)، مقالات الإسلاميين ص٤٧٠.

(٤) «من» سقطت من (ع).

(٥) هذا مذهب أهل السنة والجماعة، وعليه قامت الأدلة، وخالف في ذلك الخوارج والرافضة، فذهب الخوارج إلى وجوب الخروج على الأئمة إذا ظلموا وجاروا، وتبعهم في ذلك المعتزلة. =

والصلاة في(١) الجماعة حيث ينادى لها واجب إذا لم يكن عذر مانع(٢)،

= أما الرافضة : فذهبت إلى أنه لا تجوز الصلاة إلا خلف الإمام المعصوم عندهم، وأبطلوا الجهاد حتى يخرج إمامهم.

انظر: السنة لابن أبي عاصم (٢/ ٤٩١-٥١٤)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (١/ ١٦٠-١٦١، ١٦٧-١٦٨)، الفتاوي (٢٨/ ٥٠٦-٥٠٨)، شرح الطحاوية (٢/ ٥٤٠-٥٤٤، ٥٥٥-٥٥٧)، مقالات الإسلاميين ص ٥٨، ١٢٥، ٤٥٠، ٤٥٢، ٤٦٦، ٤٦٧، الفرق بين الفرق ص٥٥.

(١) «في»سقطت من (ع).

(٢) هذه المسألة – وجوب صلاة الجماعة – فيها ثلاثة أقوال للعلماء :

القول الأول : القول بالوجوب على الأعيان، وهو الذي نص عليه المؤلف، وإلى هذا القول ذهب عطاء بن أبي رباح والحسن البصري وأبو عمرو الأوزاعي، وأبو ثور، والإمام أحمد في ظاهر مذهبه، ونص عليه الشافعي في بعض أقواله، وابن خزيمة، وابن المنذر، وابن حبان، وداود الظاهري، وتبعه على ذلك ابن حزم، وهو قول الإمام البخاري، ونص عليه التهانوي من الحنفية.

وهذا هو الذي رجحه شيخ الإسلام، وتلميذه ابن القيم أن الأدلة تعضده، وأيضاً الحافظ ابن حجر في الفتح. ورجح هذا القول من المعاصرين سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، والشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمهما الله .

القول الثاني: أنها فرض كفاية، وهو الراجح في مذهب الشافعي، وقول بعض أصحاب مالك، وقول في مذهب أحمد، وقال به كثير من الحنفية، ورجح هذا القول الإمام النووي.

القول الثالث: أنها سنة مؤكدة، وذكر شيخ الإسلام أن هذا القول هو المعروف عن أصحاب أبي حنيفة، وأكثر أصحاب مالك، وكثير من أصحاب الشافعي، ويذكر رواية عن أحمد.

بل ذكر ابن القيم أنه مذهب الحنفية والمالكية، وأنهم يأثّمون من تركها، ويصححون الصلاة دونها، وذكر أن الخلاف بينهم وبين من قال إنها واجبه لفظي، وذلك أنهم يأثّمون تارك السنن المؤكدة.

وقد توسعت كتب الفروع في بحث هذه المسألة وإيراد الأدلة عليها، ومناقشة الأقوال فيها، انظر: المجموع شرح المهذب (٤/ ٧٦-٧٩)، إعلاء السنن للتهانوي (٤/ ١٦٤-١٦٥) ، =

والتراويح سنة[(١)]، ونشهد أن من ترك الصلاة عمداً فهو كافر[(٢)]،

= المغني لابن قدامة (٣/ ٥-٦)، المحلى لابن حزم (٤/ ٢٦٥-٢٧٦)، الفتاوي (٢٣/ ٢٢٢-٢٤٠، ٢٥٣)، كتاب الصلاة لابن القيم – ضمن مجموعة الحديث النجدية ص ٥٦٩-٥٨٦، بدائع الفوائد (٣/ ١٥٩-١٦١)، مدارج السالكين (١/ ١٢١-١٢٢)، فتح الباري (٣/ ١٢٥-١٢٩)، رسالة في كيفية صلاة الجماعة للشيخ عبدالعزيز بن باز ـ ضمن ثلاث رسائل في الصلاة ـ ص٧-٩.

(١) والقول بأن التراويح سنة، وإيراد المصنف لها هنا: رد على الرافضه الذين قالوا: صلاة التراويح بدعة، حدثت في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه. انظر: نهج الحق وكشف الصدق للحلي ص٢٨٨، بحار الأنوار لمحمد باقر المجلسي (٨/ ٢٨٤).
وقد رد عليهم شيخ الإسلام رداً شافياً كافياً. انظر: منهاج السنة في نقض كلام الشيعة القدرية (٨/ ٣٠٤-٣١٢).

(٢) إذا ترك الصلاة جاحداً لوجوبها، فقد كفر كفراً أكبر مخرجاً من الملة، وهذا بإجماع الإمة، اللهم إلا أن يكون حديث عهد بالإسلام، أما من تركها تكاسلاً مع الإقرار بوجوبها، فاختلف العلماء في هذا:
ذهب طائفة منهم: إلى أنه يكفر بذلك، وهذا القول مروي عن علي رضي الله عنه وإليه ذهب: إبراهيم النخعي، وابن المبارك، وأحمد في إحدى الروايتين عنه، وذكر صاحب الإنصاف أنه المذهب – أي مذهب الحنابلة – وعليه جمهور الأصحاب، واختاره أبو بكر الخرقي من الحنابلة وابن شاقلا، وابن حامد، وهو قول: سعيد بن جبير، وإسحاق بن راهويه، والشعبي، والأوزاعي، وأيوب السختياني.
وإليه ذهب عبدالملك بن حبيب من المالكية، وهو أحد الوجهين من مذهب الشافعي، وحكاه الطحاوي عن الشافعي نفسه، وذكر شيخ الإسلام أن أكثر السلف على هذا.
ورجح هذا القول من المعاصرين: سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، وسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، والشيخ محمد بن عثيمين، وأدلة هؤلاء النصوص المصرحة أن ترك الصلاة كفر.
القول الثاني: أن ترك الصلاة تهاوناً وتكاسلاً، لا يكفر بذلك: وهو مذهب أكثر الفقهاء: منهم: أبو حنيفة ومالك، والشافعي في رواية، وهو اختيار ابن بطة من الحنابلة، وقال: =

والشهادة والبراءة بدعة[١]، والصلاة على من مات من أهل القبلة سنة[٢]، ولا ننزل أحداً جنة ولا ناراً حتى يكون الله ينزلهم[٣]،

= لم أجد في المذهب خلافة. اهـ. والجد ابن تيمية، وابن قدامة، وذكر النووي أنه المشهور من مذهب الشافعية.

واستدل هؤلاء ببعض نصوص الوعد، وهذا ليس مجال إيراد أدلة الفريقين والأجوبة عنها، فمن أراد التوسع فلينظر إلى :

تعظيم قدر الصلاة للمروزي (٢/ ٨٧٣ وما بعدها)، كتاب الصلاة لابن القيم- ضمن مجموعة الحديث النجدية - ص٤٨١-٥٢٧، المجموع شرح المهذب (٣/ ١٥-١٩)، بداية المجتهد (١/ ٩٧-٩٩)، الإنصاف للمرداوي (١/ ٤٠٣-٤٠٥)، الفتاوي (٢٢/ ٤٧-٤٩) (٢٨/ ٣٠٨، ٣٥٩-٣٦٠)، الإيمان لشيخ الإسلام ص٢٨٧، عقيدة السلف للصابوني ص٧٤، الشريعة للآجري ص١٣٣-١٣٦، معالم السنن للخطابي - مع مختصر سنن أبي داود (٧/ ٤٥-٤٦)، فتح الباري (٢/ ٢٧٥)، نيل الأوطار (١/ ٣٣٦-٣٤٨)، نصيحة عامة نافعة إلى جميع المسلمين للشيخ محمد بن إبراهيم ص٨-٩.

(١) معنى الشهادة هنا: أن يشهد على معين من المسلمين أنه من أهل النار، أو أنه كافر، دون العلم بما ختم الله له به.

ومعنى البراءة: هي البراءة من أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - وهذا مذهب الرافضة.شرح الطحاوية (٢/ ٤٣٦-٤٣٩)، وانظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (١/ ١٦٩).

(٢) مذهب أهل السنة والجماعة أن من مات من أهل القبلة يصلى عليه ويستغفر له، ولا تترك الصلاة عليه بسبب ذنب فعله.

انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (١/ ١٦٤، ١٧٠، ١٨٣)، مقالات الإسلاميين للأشعري ص٢٩٦، شرح الطحاوية (٢/ ٥٣٥-٥٣٧).

(٣) من مذهب أهل السنة والجماعة أن لا يقطع لأحد بجنة ولا نار إلا ما نُص عليه، كالعشرة المبشرين بالجنة، وعكاشة بن محصن... إلخ.

وذكر ابن أبي العز الحنفي أن للسلف في الشهادة بالجنة ثلاثة أقوال:

الأول: أن لا يشهد لأحد إلا للأنبياء، وذكر أن هذا منقول عن محمد بن الحنفية =

والمراء[١] والجدال في الدين بدعة[٢].

= والأوزاعي.

الثاني: أن يشهد لكل من جاء فيه النص، وذكر أن هذا قول كثير من العلماء وأهل الحديث.

الثالث: أن يشهد لمن جاء فيه النص، ولمن شهد له المؤمنون.

انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ١٦٩)، مقالات الإسلاميين للأشعري ص٢٩٣-٢٩٤، عقيدة السلف للصابوني ص٨٢، الفتاوي (١١/ ٥١٨) (١٨/ ٣١٣-٣١٤)، شرح الطحاوية (٢/ ٥٣٧-٥٣٨).

(١) المراء: يقال: مارى يماري مماراة، ومراءً، والمراء في اللغة: الجدال.

ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾ [الكهف:٢٢].

وذكر الراغب الأصبهاني أن المماراة هي: المحاجة فيما فيه مرية، أي: شك.

انظر لسان العرب (١٥/ ٢٧٨)، النهاية في غريب الحديث (٤/ ٣٢٢)، المفردات للراغب الأصفهاني ص٤٦٧، الكشاف للزمخشري (٢/ ٤٧٩)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٧٨).

(٢) وقد أكثر العلماء من النهي عن الجدال والخصومة في الدين وأفردوه بالأبواب والفصول:

انظر: شرح أصول أهل السنة للالكائي (١/ ١١٤-١٥٠)، الإبانة لابن بطة (٢/ ٤٨٣-٥٤٥)، الشريعة للآجري ص٥٤-٧١، عقيدة السلف للصابوني ص١٠٠، الفتاوي (٣/ ٣٠٩-٣١٢)، لمعة الاعتقاد ص٣٣.

وقد ذكر الشيخ محمد بن عثيمين أن الجدال والخصومة في الدين إن كان الغرض منها التعنت، أو الانتصار للنفس أو للباطل، فهذا هو المذموم، والذي ورد النهي عنه.

أما إن كان الغرض من ذلك إثبات الحق وإبطال الباطل، فلا شيء في ذلك، بل قد يكون مأموراً به وجوباً أو استحباباً. شرح لمعة الاعتقاد ص١١٢ - بتصرف.

وما ذكره الشيخ قد أشار إليه الأئمة ونبهوا عليه، وأنه ليس كل جدال في الدين مذموماً، بل من الجدال ما هو مأمور به، مندوب إليه، قال سبحانه: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:١٢٥].

انظر: الشريعة للآجري ص٦٠-٦٤، ٧٠-٧١، الإبانة لابن بطة (٢/ ٥٤٥-٥٤٩).

ونعتقد أن ما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ أمرهم إلى الله[١]، ونترحم على عائشة ونترضى عليها[٢].

---

(١) أجمع أهل السنة والجماعة على تولّي جميع الصحابة، ومحبتهم وإنزالهم منازلهم، والترضي عنهم، وأنهم ثقات عدول بتوثيق الله لهم، والكف عما شجر بينهم، مع الاعتقاد أنهم غير معصومين، والخطأ منهم جائز وواقع، فمن أصاب فله أجران، ومن أخطأ فله أجر اجتهاده، ومغمور خطؤه في بحر حسناته، ويحسنون النية والقول فيهم، مع العلم أن علياً أولى الطائفتين بالحق. وهم بذلك مخالفون ومنكرون للرافضة والخوارج والنواصب الذين لم يسلم الصحابة منهم.

فالرافضة غلوا في عليٍّ وأهل البيت، وناصبوا جمهور الصحابة العداوة والسب والشتم، وقد بالغوا حتى جعلوا ذلك ديناً لهم، وحكموا على أكثرهم بالردة والكفر ، نعوذ بالله من ذلك.

وقابلهم في الجانب الآخر النواصب، فجفوا في حق علي وآل البيت، وحملهم المبالغة في حب عثمان ومعاوية على البغض لآل البيت عامة، ولعلي خاصة.

أما الخوارج ـ فكما ذكر عنهم أصحاب المقالات ـ أنهم اتفقوا على تكفير عثمان وعلي، والحكمين، وطلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم أجمعين.

انظر: أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٤/ ١٢٤١-١٢٧٠)، الإبانة للأشعري ـ ط. الجامعة ص١٨، ١٠٤-١٠٥، عقيدة السلف للصابوني ص٩٣ الاعتقاد للبيهقي ص١٥٩-١٦٦، لمعة الاعتقاد ص٣٢، الفتاوي (٣/ ١٥٢-١٥٦، ٣٧٥، ٤٠٥-٤١٤)، (٤/ ٤٣١- وما بعدها) ، منهاج السنة (٥/ ٨١-٨٣) ، شرح الطحاوية (٢/ ٦٨٩-٦٩٨)، أصول الدين للبغدادي ص٢٨٦-٢٩٣، الفرق بين الفرق ص٥٥، الفصل لابن حزم (٤/ ١٣٣- وما بعدها)، الرد على الرافضة للمقدسي ص٨٧-٨٩، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي ص٤٦، مختصر التحفة الاثني عشرية ص٢٣٧، وما بعدها، ٢٨٥، الفوائد البديعة في فضائل الصحابة وذم الشيعة لأحمد فريد.

(٢) خلافاً لما ذهب إليه الرافضة والخوارج الذين استحلوا سب أم المؤمنين عائشة بنت الصديق – رضي الله عنها – بل وذهبوا إلى أبعد من هذا، حيث كفروها ولعنوها. =

والقـــــــــــول في اللفـــــــــظ والملفـــــــــــوظ(١)،

= انظر: نهج الحق وكشف الصدق للحلي ص٧١.
وقد رد عليهم الأئمة، وأوضحوا إفكهم وباطلهم، وفندوا أقوالهم.
انظر: منهاج السنة (٤/ ٣٠١ وما بعدها)، أصول الدين للبغدادي ص٢٩٠-٢٩١، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص٤٦، الرد على الرافضة للمقدسي ص٩٢-٩٥، مختصر التحفة الاثني عشرية ص٢٦٨-٢٧١، رسالة في الرد على الرافضة ص٢٢-٢٦.

(١) والمراد باللفظ والملفوظ أي: هل اللفظ بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق، وهي ما عرفت بمسألة «اللفظ» وأول من تكلم في هذه البدعة: حسين الكرابيسي، وتلميذه داود الأصبهاني، زمن الإمام أحمد، اللذين قالوا: لفظنا بالقرآن مخلوق. وقد عرفوا عند السلف «باللفظية» ثم عارضهم طائفة من أهل السنة والحديث، فقالوا: لفظنا بالقرآن غير مخلوق.
أما الإمام أحمد وجمهور أهل السنة، فمنعوا الإطلاقين، وقالوا: من قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، ومن قال: غير مخلوق فهو مبتدع، وذلك أن كل واحد من الإطلاقين يقتضي إيهاماً لخطأ، واحتمالاً لباطل، وصح عن الإمام أحمد أنه قال: «من قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، ومن قال: غير مخلوق فهو مبتدع».
وذكر شيخ الإسلام أسماء جملة من علماء أهل السنة ممن يقولون بقول الإمام أحمد، وينكرون على من تكلم في هذه المسألة، قال شيخ الإسلام بعد أن ذكر القائلين: إن لفظنا بالقرآن مخلوق، وأن حقيقة قولهم هو قول الجهمية، قال: «فقابلهم قوم أرادوا تقويم السنة فوقعوا في البدعة، وردوا باطلاً بباطل، وقابلوا الفاسد بالفاسد، فقالوا: تلاوتنا للقرآن غير مخلوقة، وألفاظنا به غير مخلوقة، لأن هذا هو القرآن... إلى أن قال: فأنكر الإمام أحمد أيضاً على من قال: إن تلاوة العباد وقراءتهم وألفاظهم وأصواتهم غير مخلوقة، وأمر بهجران هؤلاء، كما الأولين وبدَّعهم...» الفتاوي (١٢/ ٣٥٩).
وقال ابن جرير الطبري: «وأما القول في ألفاظ العباد بالقرآن، فلا أثر فيه نعلمه عن صحابي مضى، ولا تابعي قضى، إلا عمن في قوله الغناء والشفاء رحمة الله عليه ورضوانه، وفي اتباعه الرشد والهدى... أبي عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل، ثم روى عن الإمام أحمد قوله السابق: «من قال: لفظي بالقرآن مخلوق، فهو جهمي..» اهـ.
صريح السنة لابن جرير الطبري ص٢٥-٢٦. =

وكذلك في الاسم والمسمى بدعة[1]،

= وينبغي التفريق بين التلاوة والمتلو، وبين القراءة والمقروء؛ فالتلاوة والقراءة فعل للعبد وهو مخلوق، وأما المتلو والمقروء فهو كلام الله وقوله غير مخلوق، فمن قال : «لفظي بالقرآن مخلوق» إن أراد المقروء؛ فهذا باطل، وإن أراد القراءة، فهذا حق.

ومن قال : «لفظي بالقرآن غير مخلوق» فإن أراد المقروء فهذا حق، وإن أراد القراءة فهذا باطل.

ولهذا قال الإمام ابن القيم في نونيته:

وتلاوة القرآن أفعال لنا	وكذا الكتابة فهي خط بنان
لكنما المتلو والمكتوب والـ	ـمحفوظ قول الواحد الرحمن
والعبد يقرؤه بصوت طيب	وبضده فهما له صوتان
أصواتنا ومدادنا وأداؤنا	والرق ثم كتابة القرآن
فعليك بالتفصيل والتمييز فالـ	إطلاق والإجمال دون بيان
قد أفسدا هذا الوجود وخبطا الـ	أذهان والآراء كل زمان

النونية لابن القيم – مع شرح هراس – (١/ ١٣٣-١٣٤) – مع حذف بعض الأبيات.

لكن لما كان إطلاق هذه العبارة يحتمل حقاً وباطلاً منع منها الأئمة.

انظر: السنة لعبدالله ابن الإمام أحمد (١/ ١٦٣-١٦٦)، مسائل الإمام أحمد لأبي داود ص٢٦٤-٢٦٥، شرح أصول السنة للالكائي (١/ ٣٤٩-٣٦٢)، عقيدة السلف للصابوني ص٩-١٣، الشريعة للآجري ص٨٩-٩٦، درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٥٧-٢٧٨)، الفتاوي (١٢/ ٣٥٩، ٣٦٣، ٤٢١، ٤٣٣، ٥٧١، ٥٧٤)، مختصر الصواعق (٢/ ٣٠٦-٣١٧)، الدرة فيما يجب اعتقاده لابن حزم ص٢٥٨، معارج القبول (١/ ٢٥٣-٢٥٤)، العقيدة السلفية للجديع ص٢٠١-٢٦٠. وانظر: كتاب خلق أفعال العباد للبخاري، والاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة لابن قتيبة.

(١) مسألة الاسم والمسمى من المسائل التي وقع فيها خلاف كبير، وكثر الكلام حولها، ولم تعرف إلا بعد انقضاء عصر الصحابة والتابعين، وأنكر الأئمة على الجهمية قولهم «الاسم غير المسمى» ومرادهم أن أسماءه الله غير الله، وما كان غيره فهو مخلوق، حيث زعموا أن كلام الله مخلوق، وأسماءه مخلوقة، ولم يتكلم بكلام يقوم بذاته، ولا سمى =

والقول في أن[١] الإيمان[٢] مخلوق أو غير مخلوق بدعة[٣].

= نفسه باسم هو المتكلم به، فالقول في الأسماء نوع من القول في الكلام، ولهذا يروى عن الإمام الشافعي والأصمعي قولهم: «إذا سمعت الرجل يقول: الاسم غير المسمى، فاشهد عليه بالزندقة» اهـ. وقد كره كثير من العلماء الخوض في هذه المسألة لما فيها من إجمال، وإبهام، لما تحتمله من حق وباطل، قال الإمام ابن جرير: «وأما القول في الاسم: أهو المسمى أم غير المسمى؟ فإنه من الحماقات الحادثة التي لا أثر فيها فيتبع، ولا قول من إمام فيستمع، فالخوض فيه شين والصمت عنه زين. وحسب امرئ من العلم به والقول فيه أن ينتهي إلى قول الله عز وجل ثناؤه الصادق، وهو قوله: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الاسراء:١١٠] وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠] اهـ.

فإذا قيل: هل الاسم هو المسمى، أو غيره؟ فمنهم من قال: هو المسمى؛ ومنهم من قال: بل الاسم غير المسمى.

والصحيح: أن الاسم للمسمى، ولا يطلق بأنه المسمى، ولا غيره، بل لا بد من التفصيل، فالاسم يراد به المسمى تارة، ويراد به اللفظ الدال عليه تارة أخرى، فإذا قيل: القرآن كلام الرحمن، فإن المراد به هنا المسمى. وإذا قيل: الرحمن اسم عربي، فالاسم هنا للمسمى.

ولا يقال غير المسمى؛ لما في لفظ «الغير» من إبهام، فإن أراد بالغيرية هنا أن اللفظ غير المعنى، فهذا حق، وإن أراد أن أسماء الله بائنة عنه، وأنه كان ولا اسم له ثم خلق لنفسه أسماءً، فهذا باطل، والأولى ترك الخوض في هذه المسائل كما أشار إلى ذلك المؤلف؛ لما فيها من الإجمال، ولأنها من المسائل المبتدعة التي لم يكن السلف يتكلمون فيها.

صريح السنة (ص٢٦-٢٧)، الفتاوي (٦/ ١٨٥-٢١٢)، (١٢/ ٦٧-٦٩، ٢٨٠-٢٨٣)، شرح الطحاوية (١/ ١٠٢)، وانظر: شرح أسماء الله الحسنى للرازي ص٢١-٢٩، المقصد الأسنى للغزالي ص٢٤-٣٩، التمهيد للباقلاني ص٢٥٨-٢٦١، أصول الدين للبغدادي ص١١٤-١١٥، الإرشاد للجويني ص١٤١-١٤٢.

(١) «أن» سقطت من (ع).

(٢) في (ع) زيادة «وهو».

(٣) وهذه المسألة أيضاً شبيهة بالمسألتين السابقتين، وهي: أنه لما ظهرت مقولة « اللفظية »=

أقوال بعض أهل التصوف والرد عليهم

واعلم أني ذكرت اعتقاد أهل السنة على ظاهر ما ورد عن الصحابة والتابعين مجملاً من غير استقصاء؛ إذ قد[(١)] تقدم القول عن[(٢)] مشايخنا المعروفين من أهل الإمامة والديانة، إلا أنني أحببت أن أذكر «عقود أصحابنا المتصوفة» فيما أحدثه طائفة انتسبوا إليهم مما[(٣)] قد[(٤)] تخرَّصوا من القول مما[(٥)] نزه الله المذهب[(٦)] وأهله من ذلك .

إلى أن قال : وقرأت لمحمد بن جرير الطبري[(٧)(٨)] في كتاب سماه

= القائلين: لفظنا بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق، تكلم الناس حينئذ في الإيمان، فقال طائفة: الإيمان مخلوق، ودخل في ذلك ما تكلم الله به من الإيمان؛ مثل قول: لا إله إلا الله، فصار مقتضى قولهم إن نفس هذه الكلمة مخلوقة، ولم يتكلم الله بها، فبدَّع الإمام أحمد هؤلاء.

قال شيخ الإسلام بعد إيراد هذه المسألة والكلام عليها : «وهذه الأقوال كلها مبتدعة مخترعة، لم يقل السلف شيئاً منها، وكلها باطلة شرعاً وعقلاً... ثم ذكر في نهاية البحث أنه من قال: الإيمان مخلوق أو غير مخلوق، فلا بد من الاستفصال منه وما يريد بالإيمان؟ فإن أراد بالإيمان شيئاً من صفات الله كقوله لا إله إلا الله وإيمانه الذي دلَّ عليه اسمه المؤمن، فهو غير مخلوق، وإن أراد شيئاً من أفعال العباد وصفاتهم، فالعباد كلهم مخلوقون، وجميع أفعالهم وصفاتهم مخلوقة، ولا يكون للبعد المحدث المخلوق صفة قديمة غير مخلوقة.

الفتاوى (٧/ ٦٥٥-٦٦٥) (١٢/ ٤٣١). وانظر: مسائل الإيمان للقاضي أبي يعلى ص ٤٥٩-٤٦٠، التوحيد للماتريدي ص٣٨٥-٣٨٨.

(١) «قد» سقطت من (ع).

(٢) في (ج) «من».

(٣) في (ع) «ما» بدل: مما.

(٤) «قد» سقطت من (ج).

(٥) في (ع) «بما».

(٦) أي: مذهب المتصوفة.

(٧) «الطبري» سقطت من (ع).

(٨) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، أبو جعفر الطبري، من أهل طبرستان.

كان من الأئمة الكبار، مرجعاً في التفسير والتاريخ، ذا باع في علوم شتى، قوّالاً بالحق لا =

«التبصير»[١] كتب بذلك إلى أهل طبرستان[٢] في اختلاف عندهم، وسألوه أن يصنف لهم ما يعتقده ويذهب إليه، فذكر في كتابه اختلاف القائلين برؤية الله تعالى؛ فذكر عن طائفة إثبات الرؤية في الدنيا والآخرة[٣].

= يخاف في الله لومة لائم. نعته الخطيب فأفاد وأجاد، قال فيه: «كان أحد الأئمة العلماء، يحكم بقوله، ويرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله، وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، وكان حافظاً لكتاب الله، عارفاً بالقراءات، بصيراً بالمعاني، فقيهاً في أحكام القرآن، عالماً بالسنن وطرقها، وصحيحها وسقيمها، وناسخها ومنسوخها، عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الخالفين في الأحكام ومسائل الحلال والحرام، عارفاً بأيام الناس وأخبارهم». اهـ. وقال عنه الذهبي: «كان من أفراد الدهر علماً وذكاءً وتصانيف، قل أن ترى العيون مثله». اهـ. وقال عنه أيضاً: «وكان ابن جرير من رجال الكمال، وشنع عليه بيسير تشيع، وما رأينا إلا الخير، وبعضهم ينقل عنه أنه كان يجيز مسح الرجلين في الوضوء، ولم نر ذلك في كتبه». اهـ. كان مولده سنة أربع وعشرين ومائتين، وتوفي سنة عشر وثلاثمائة.

من مصنفاته الكبار: تفسيره، المسمى: جامع البيان، وهو مطبوع في ثلاثين جزءاً، وأيضاً: تاريخه المسمى تاريخ الأمم والملوك، وهو مطبوع في أحد عشر جزءاً، وأيضاً: تهذيب الآثار، وقد طبع منه أجزاء، وكتاب «صريح السنة » في العقيدة مطبوع.

انظر: تاريخ بغداد (٢/ ١٦٢)، وفيات الأعيان (٤/ ١٩١)، تذكرة الحفاظ (٢/ ٧١٠)، السير (١٤/ ٢٦٧)، شذرات الذهب (٢/ ٢٦٠).

(١) التبصير في أصول الدين، أو التبصير في معالم الدين: طبع الكتاب بتحقيق الأخ الفاضل علي بن عبدالعزيز الشبل، ط دار العاصمة الأولى ١٤١٦هـ.

(٢) طبرستان ـ بفتح أوله وثانيه، وكسر الراء ـ: بلاد واسعة، وهي من بلاد الري، النسبة إليها: طبري. ومعنى «طبر» بالفارسية: ما يشقق به الأخشاب، و«استان» موضع أو ناحية، فكأن المعنى: ناحية الطبر، وتقع الآن جنوب الاتحاد السوفيتي، وشرق إيران تقريباً.

معجم البلدان البلدان (٤/ ١٣-١٦)، مراصد الاطلاع (٢/ ٨٧٨)، صورة الأرض لابن حوقل ص٣٢٣-٣٢٦.

(٣) سبقت الإشارة إلى انقسام الناس في رؤية الله، وأن منهم من يثبت رؤية الله في الدنيا والآخرة ومن هؤلاء طوائف من أهل التصوف، انظر: ص٣٢٦.

ونسب هذه المقالة إلى الصوفية قاطبة[١]، لم يخص طائفة دون طائفة[٢] فتبين[٣] أن ذلك على جهالة منه[٤] بأقوال المحصلين[٥][٦] منهم، وكان ممن نسب إليه ذلك القول ـ بعد أن ادعى على الطائفة ـ[٧][٨] ابن أخت عبدالواحد بن زيد[٩]، والله أعلم بمحله عند المحصلين[١٠]؛ فكيف بابن أخته[١١].

---

(١) قاطبة: اسم يدل على العموم، ولا يستعمل إلا حالاً، وهو بمعنى جميعاً، يقال: جاء القوم قاطبة، أي جميعاً، ومنه قول عائشة رضي الله عنها: «لما قبض رسول الله ﷺ ارتد العرب قاطبة». لسان العرب (١/ ٦٨١)

(٢) «دون طائفة» سقطت من (ع).

(٣) في (ع) «فبين».

(٤) «منه» من (ع).

(٥) في (ع) «المخلصين» بدل: المحصلين.

(٦) المحصلين: لعلها من التحصيل، هو: التحقيق، يقال: حصلت الأمر: أي حققته. انظر: لسان العرب (١١/ ١٥٥). ويكون المعنى هنا: على جهالة بأقوال المحققين منهم.

(٧) الطائفة، أي: طائفة الصوفيه.

(٨) في (ع) بعد قوله «المحصلين منهم» العبارة هكذا: «ثم ما كان من بعد ادعى نسبة ذلك إلى الطائفة نسبته إلى ابن أخت..».

(٩) ابن أخت عبدالواحد بن زيد: لم أجده. أما عبدالواحد بن زيد، فهو: عبدالواحد بن زيد أبو عبيدة البصري، حدث عن الحسن، وعطاء بن أبي رباح.
من مشايخ الصوفية، صاحب وعظ، رمي بالقدر، قال عنه الذهبي: «وحديثه من قبيل الواهي عندهم» اهـ. توفي بعد الخمسين ومائة. انظر المجروحين (٢/ ١٥٤)، حلية الأولياء (٦/ ١٥٥)، السير (٧/ ١٧٨)، ميزان الاعتدال (٢/ ٦٧٢).

(١٠) في (ع) «المخلصين».

(١١) وذكر الأشعري أن أصحاب عبدالواحد بن زيد كانوا يقولون: إن الله يُرى على قدر الأعمال، فمن كان عمله أفضل رآه أحسن. مقالات الإسلاميين ص٢١٣.

وليس إذا أحدث الزائغ في نحلته قولاً نسب إلى الجملة، كذلك في الفقهاء والمحدثين ليس من أحدث قولاً في الفقه، أو لبَّس فيها حديثاً ينسب ذلك إلى جملة الفقهاء والمحدثين.

واعلم[١] أن ألفاظ «الصوفية» وعلومهم تختلف، فيطلقون ألفاظهم على موضوعات لهم، ومرموزات وإشارات تجري فيما بينهم، فمن لم يداخلهم على التحقيق، ونازل ما هم عليه رجع عنهم[٢] خاسئاً وهو حسير.

ثم ذكر إطلاقهم لفظ الرؤية بالتقييد، فقال: كثير ما يقولون: رأيت الله[٣]، وذكر عن جعفر بن محمد[٤] قوله لما سئل: هل رأيت الله حين عبدته؟[٥] قال: رأيت الله ثم عبدته. فقال السائل: كيف رأيته؟ فقال: لم تره العيون بتحديد العيان[٦]، ولكن رأته القلوب بتحقيق الإيقان[٧][٨].

---

(١) في (ع) «والله أعلم» بدل: واعلم.

(٢) «عنهم» سقطت من (ع).

(٣) في (ع) زيادة «يقول» بعد لفظ الجلالة.

(٤) جعفر بن محمد: الظاهر أنه الخواص، وهو جعفر بن محمد بن نصير بن قاسم، أبومحمد البغدادي، الخلدي، شيخ الصوفية، صحب الجنيد والجريري، وروى عنه أبونعيم في الحلية كثيراً، سافر ولقي المشايخ والكبراء. قال عنه البغدادي وابن كثير: «كان ثقة صادقاً فاضلاً». أهـ. ولد سنة اثنتين وخمسين ومائتين، وتوفي سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة.
انظر: حلية الأولياء (١٠/ ٣٨١)، تاريخ بغداد (٧/ ٢٢٦)، السير (١٥/ ٥٥٨)، طبقات الأولياء لابن الملقن ص٧٠، طبقات الصوفية للسلمي ص٤٥٤، البداية والنهاية (١١/ ٢٣٤).

(٥) في (ع) «عبدالله» بدل: عبدته.

(٦) في (ع) «العبادة» بدل: العيان.

(٧) لم أعثر على هذا الكلام لجعفر بن محمد.

(٨) قال الإمام ابن القيم: «معاينة القلب: هي انكشاف صورة المعلوم له، بحيث تكون نسبته =

ثم قال[١]: يرى في الآخرة كما أخبر في كتابه وذكره رسوله ﷺ[٢]، فهذا قولنا وقول أئمتنا دون الجهال من أهل الغباوة[٣] فينا.

وإن مما نعتقد أن الله حرَّم على المؤمنين دماءهم وأموالهم وأعراضهم، وذكر ذلك في حجة الوداع[٤]، فمن زعم أنه يبلغ مع الله درجة يبيح الحق

= إلى القلب كنسبة المرئي إلى العين، وقد جعل الله سبحانه القلب يبصر ويعمى، كما تبصر العيون وكما تعمى، قال تعالى: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ [الحج:٤٦]، فالقلب يرى ويسمع، ويعمى ويصم، وعماه وصممه أبلغ من عمى البصر وصممه.

ثم مشاهدة القلب لجلال الرب وجماله، وكماله، وعزه، وسلطانه، وقيوميته، وعلوه فوق عرشه، وتكلمه بكتبه، وذكر شيئاً من نعوته وصفاته، ثم قال: فصاحب هذا الشاهد سائر إلى الله في يقظته ومنامه، وحركته وسكونه وفطره وصيامه، له شأن وللناس شأن، هو في واد والناس في واد.

ثم ذكر أن ما يقوم بقلوب عابديه ومحبيه والمنيبين إليه من هذا الشاهد، هو الباعث لهم على العبادة والحبه، والخشية والإنابة. مدارج السالكين (٣/ ٢٤٦-٢٤٧، ٢٥٢-٢٥٤).

وانظر: الوصية الكبرى لشيخ الإسلام ص٢٦-٢٧.

(١) في (ع) زيادة «أنه تعالى».

(٢) وقد مرّ شيء من ذكر ذلك، فانظر ص٣٢٦.

(٣) الغباوة: من غبي عن الأمر غباوة: إذا خفي عليه ولم يفطن له، وفلان ذو غباوة، أي: تخفى عليه الأمور، والغباوة: مصدر. لسان العرب: (١٥/ ١١٤).

(٤) رواه البخاري (٣/ ٥٧٣) رقم ١٧٣٩، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى، ومسلم (٢/ ٨٨٦) رقم ١٢١٨، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ.

أما تسميتها «بحجة الوداع» فجاء صريحاً في حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: «وقف النبي ﷺ يوم النحر بين الجمرات في الحجة التي حج بها، وقال: هذا يوم الحج الأكبر. فطفق النبي يقول: «**اللهم اشهد**» وودع الناس، فقالوا: هذه حجة الوداع».

رواه البخاري (٣/ ٥٧٤) رقم ١٧٤٢، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى.

لـه[١] ما حظر على المؤمنين ـ إلا المضطر على حال يلزمه[٢] إحياء النفس ـ[٣] وإن بلغ العبد[٤] ما بلغ من العلم والعبادة فذلك كفر بالله والقائل بذلك قائل بالإلحاد وهم المنسلخون من الديانة[٥].

وأن مما نعتقده ترك إطلاق العشق على الله؛ وبين[٦] أن ذلك لا يجوز لاشتقاقه[٧]، ولعدم ورود الشرع به، وقال: أدنى ما فيه أنه بدعة وضلالة، وفيما نص الله من ذكر المحبة كفاية[٨].

وأن مما نعتقده: أن الله لا يحل في المرئيات[٩]، وأنه المنفرد بكمال أسمائه

---

(١) في (ع) تقدمت «له» على «الحق».

(٢) في (ع) «للزمه».

(٣) ورد هذا صريحاً في الآية أن من اضطر اضطراراً يترتب عليه إنقاذ نفسه من الهلكة أبيح له ما حرم عليه، قال جل ذكره: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة : ١٧٣].

(٤) «العبد» سقطت من (ع).

(٥) انظر الفتاوي (٢/ ٥٨، ٥٩، ٩٥).

(٦) في (ع) «ويبين».

(٧) حيث إن العشق محبة مع شهوة. انظر: الفروق في اللغة للعسكري ص١١٦، لسان العرب (١٠/ ٢٥١-٢٥٢)، شرح الطحاوية (١/ ١٦٦).

(٨) انظر : روضة المحبين ص٢٨-٢٩، شرح الطحاوية (١/ ١٦٦).

(٩) وهذا رد على أهل الحلول، القائلين: إن الله يحل في المخلوقات، وقد ذهب إلى هذا القول الباطل: غلاة الجهمية، وغالبية الرافضة، وبعض أهل التصوف. انظر: فصوص الحكم لابن عربي ص٧٠، ٢٤٥-٢٤٦، ٣٤٢-٣٤٦، الفتوحات المكية (٤/ ٣٦٣).
وانظر كلام شيخ الإسلام على هذا المذهب وإيضاح بطلانه في الجزء الثاني من الفتاوي، ص١١١ إلى نهاية المجلد، فقد تكلم في غالب هذا الجزء على هذا المذهب وأهله، القائلين =

وصفاته، بائن من خلقه[١]، مستوٍ على عرشه، وأن القرآن كلامه غير مخلوق، حيث[٢] ما تلي وحفظ ودرس[٣].

ونعتقد : أن الله تعالى اتخذ إبراهيم خليلاً، واتخذ نبينا محمداً ﷺ خليلاً وحبيباً[٤]، والخلة لهما منه على خلاف ما قاله[٥] المعتزلة : أن الخلة الفقر والحاجة[٦].

إلى أن قال : والخلة والمحبة صفتان لله هو موصوف بهما، ولا تدخل أوصافه تحت التكييف والتشبيه، وصفات الخلق من المحبة والخلة جائز عليهم الكيف، وأما صفات[٧] الله[٨] تعالى

= به، كلاماً شافياً وافياً، وأيضاً كتاب «حقيقة مذهب الاتحاديين» لشيخ الإسلام تعليق محمد رشيد رضا.

(١) قال الألباني في مقدمة «مختصر العلو» ص١٨-١٩، بعد أن ذكر جماعة من العلماء صرحوا بلفظ «بائن» قال: «ومن هذا العرض يتبين أن هاتين اللفظتين : «بذاته» و «بائن» لم تكونا معروفتين في عهد الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ولكن لما ابتدع الجهم وأتباعه القول بأن الله في كل مكان، اقتضى ضرورة البيان أن يتلفظ هؤلاء الأئمة الأعلام بلفظ «بائن» دون أن ينكره أحد منهم» . اهـ.

(٢) «حيث» سقطت من (ع).

(٣) انظر: ص٣٦٢ .

(٤) عن جندب رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «**إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل؛ فإن الله تعالى قد اتخذني خليلاً، كما اتخذ إبراهيم خليلاً..**» الحديث. رواه مسلم (١/ ٣٧٧) رقم٥٣٢، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور.

(٥) في (ج) «قالت».

(٦) انظر: ص٤٤٠ .

(٧) في (ع) «صفاته».

(٨) لفظ الجلالة لم يرد في (ع).

فمعلومة[١] في العلم، وموجودة[٢] في التعريف[٣]، قد انتفى عنهما التشبيه، فالإيمان واجب وحسم الكيفية عن ذلك ساقط.

ومما نعتقده: أن الله أباح المكاسب والتجارات والصناعات، وإنما حرم الله الغش والظلم، وأن من قال بتحريم[٤] المكاسب، فهو ضال مضل مبتدع، إذ ليس الفساد والظلم والغش من التجارات والصناعات في شيء، وإنما حرم الله ورسوله الفساد لا الكسب والتجارة[٥]، فإن ذلك على أصل الكتاب والسنة جائز إلى يوم القيامة[٦].

وأن مما نعتقده: أن الله لا يأمر بأكل الحلال، ثم يعدمهم الوصول إليه من جميع الجهات؛ لأن ما طالبهم[٧] به موجود إلى يوم القيامة، والمعتقد أن الأرض تخلو من الحلال، والناس[٨] يتقلبون في الحرام فهو مبتدع ضال،

---

(١) في (ع) «فمعلوم».

(٢) في (ع) «موجود».

(٣) أي: معلومة ومعروفة لدينا، مع انتفاء التشبيه والتكييف في ذلك.

(٤) في (ع) زيادة «تلك».

(٥) في (ع) «التجارة».

(٦) وفي هذا رد على بعض أهل التصوف الذين جعلوا حقيقة التوكل عدم الاكتساب وترك الاتجار.

انظر: التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي ص٥٦-٥٧، جامع الأصول للنقشبندي ص٢٩٧-٢٩٨، الغنية للجيلاني ص٩٠٠-٩٠١، المنتقى النفيس من تلبيس إبليس لابن الجوزي، تهذيب: علي حسن عبدالحميد، ص٧٠-٧٩، وانظر كتاب «الحث على التجارة والصناعة والعمل والإنكار على من يدعي التوكل في ترك العمل» لأبي بكر الخلال، وكتاب الاكتساب في الرزق المستطاب لمحمد بن الحسن الشيباني.

(٧) في (ع) «طلبهم».

(٨) «والناس» تكررت في (ع).

إلا أنه يقل في موضع ويكثر في موضع؛ لا أنه مفقود من الأرض.

ومما نعتقده : أنّا[١] إذا رأينا من ظاهره جميل لا نتهمه في مكسبه وماله وطعامه، جائز أن يؤكل طعامه، والمعاملة في تجارته، فليس علينا الكشف عن ماله، فإن سأل سائل على[٢] سبيل الاحتياط جاز، إلا من داخل الظلمة.

ومن لا يزغ عن الظلم، وأخذ الأموال بالباطل ومعه غير ذلك : فالسؤال والتوقي؛ كما سأل الصديق غلامه[٣]، فإن كان معه من المال سوى ذلك مما هو خارج عن تلك الأموال فاختلطا، فلا يطلق عليه اسم الحلال ولا[٤] الحرام، إلا أنه مشتبه، فمن سأل استبرأ لدينه كما فعل الصديق. وأجاز ابن مسعود وسلمان، قالا: «كُلْ منه وعليه[٥]

---

(١) في (ع) «أن» بدل: أنا.

(٢) في (ع) «إلى» بدل: على.

(٣) عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: «كان لأبي بكر غلام يخرج له الخراج، وكان أبوبكر يأكل من خراجه، فجاء يوماً بشيء فأكل منه أبو بكر، فقال له الغلام: أتدري ما هذا؟ فقال أبو بكر: وما هو؟ قال: كنت تكهنت لإنسان في الجاهلية، وما أحسن الكهانة، إلا أني خدعته فأعطاني بذلك، فهذا الذي أكلت منه، فأدخل أبو بكر يده فقاءَ كل شيء في بطنه».

رواه البخاري (٧/ ١٤٩) رقم ٣٨٤٢، كتاب مناقب الأنصار، باب أيام الجاهلية.

وقال الحافظ ابن حجر: «في رواية الإسماعيلي من وجه آخر من طريق إسماعيل ابن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم: «كان لأبي بكر غلام، فكان يجيء بكسبه، فلا يأكل منه حتى يسأله، فأتاه ليلة بكسب فأكل منه ولم يسأله، ثم سأله...» الفتح (٧/ ١٥٤).

رواه نحواً من هذا الوجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٣١).

وذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (١/ ٢٥١-٢٥٢).

(٤) «لا» سقطت من (ع).

(٥) في (ع) «وعليهما».

التبعة»[١] والناس طبقات ، والدين : الحنيفية السمحة[٢].

وأن مما نعتقده : أن العبد ما دام أحكام الدار جارية عليه، فلا يسقط عنه الخوف والرجاء، فكل من ادعى الأمن فهو جاهل بالله، وبما[٣] أخبر به عنه نفسه ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف:٩٩] ، وقد أفردت كشف عوار كل من قال بذلك[٤].

---

(١) الأثران رواهما عبدالرزاق في «مصنفه » (٨/ ١٥٠) رقم ١٤٦٧٥، ١٤٦٧٧، باب طعام الأمراء وأكل الربا؛ فقد روى عبدالرزاق بسنده عن ذر بن عبدالله عن ابن مسعود، قال: جاء إليه رجل، فقال: إن لي جاراً يأكل الربا، وإنه لا يزال يدعوني، فقال: مَهْنَأه لك، وإثمه عليه .

وأخرج عبدالرزاق بسنده عن سلمان الفارسي، قال: إذا كان لك صديق عامل أو جار عامل، أو ذو قرابة عاملة فأهدى لك هدية، أو دعاك إلى طعام، فاقبله، فإنه مهنأه لك، وإثمه عليه». ومعنى التبعة: ما فيه إثم يتبع به. لسان العرب(٨/ ٣٠).

(٢) اختلف في الحكم من في ماله حلال وحرام مختلط : ذهب بعض العلماء إلى أنه إن كان أكثر ماله حرام، فينبغي اجتنابه، وهذا مروي عن الشافعي وأحمد، وهل هو مكروه أو محرم؟ فيه وجهان عند الحنابلة. وإن كان أكثره حلالاً جازت معاملته.

وذهب الزهري ومكحول إلى أنه لا بأس أن يؤكل منه ما لم يعرف أنه حرام بعينه، فإن لم يعرف في ماله حرام بعينه، ولكن علم أن فيه شبهة، فلا بأس بالأكل منه. وإلى هذا ذهب الإمام أحمد في رواية عنه.

وذهب إسحاق بن راهويه، والحسن البصري وابن سيرين إلى ما روي عن ابن مسعود وسلمان في الرخصة مطلقاً، وبهذا قال فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين.

ويرى ابن قدامة وبعض العلماء أنه لا بأس بتركه تورعاً.

انظر: مصنف عبدالرزاق (٨/ ١٥٠-١٥٢)، الفتاوي (٢٩/ ٢٤١-٣١٥،٢٤٢)، جامع العلوم والحكم ص٦١-٦٢، مختصر منهاج القاصدين ص٩٠-٩٢.

(٣) في (ع) «وإنما».

(٤) وفي هذا رد على بعض مشايخ أهل الطرق، الذين يرون أن عبادة الله تكون بالمحبة فقط مجردة عن الخوف والرجاء، وقد ذكر عن بعضهم أنه جعل الخوف والرجاء من مقامات =

ونعتقد : أن العبودية لا تسقط عن العبد ما عقل وعلم ما له وما عليه مميز على أحكام القوة والاستطاعة، إذ لم يسقط ذلك عن الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، ومن زعم أنه قد خرج من رق العبودية إلى فضاء الحرية بإسقاط العبودية والخروج إلى أحكام الأحدية[1]

= العامة، ونقل عن بعضهم قوله : لم أعبدك شوقاً إلى جنتك ولا خوفاً من نارك.

وأفضى بهم إلى الضلال والجهل العظيم، حتى زعم البعض منهم أن الكون كله مراد لله، إذاً فهو محبوب له، وعلى هذا، فكمال المحبة أن يحب العبد كل شيء وإن كان فسقاً وعصياناً.

وقد قال بعض السلف: من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبد الله بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبد الله بالخوف فهو حروري، ومن عبد الله بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد. انظر: الفتاوي (١٠/ ٦١-٧٤، ٨١-٨٥، ٢٠٧-٢١٣، ٢٤٠ -٢٤٣)، مدارج السالكين (٢/ ٧٦-٨٤).

(١) ذكر ابن عربي أن الأحدية: تطلق على كل موجود في إنسان وغيره، ويعني بها وحدة الوجود . «كتاب الأحدية» لابن عربي ص٣ ، ضمن رسائل ابن عربي .

وقال النقشبندي في «جامع الأصول» ص٩١، «الأحدية» هي: الاسم باعتبار الصفة مع إسقاط الجميع من الصفات والأسماء والنسب ...» اهـ.

ويتضح معنى «الأحدية» وأنها تعني «وحدة الوجود» عند الصوفية بالنصوص التالية عن بعض أئمتهم : «إن الحقيقة إن أخذت بشرط أن لا يكون معها شيء، فهي المسماة بالمرتبة الأحدية المستهلكة فيها جميع الأسماء والصفات، وتسمى أيضاً «جمع الجمع» و« حقيقة الحقائق » و«العماء» ...».

«وإذا كان الإنسان في حالة جمعه سائراً إلى الله، شهد الله في كل شيء، فيكون في مقام الواحدية؛ فإذا تم جمعه سار به الحق، وما رأى شيئاً طلبه إلا أنكره، ويكون ذلك الإنكار من جمله مطلوبة، ويكون الوجود الحق، وهذا مقام الأحدية، فهي أصل لظهور الممكنات التي هي أرض العبودية ..

«... اجعل ظاهرك عبودية، وباطنك أحديه، وميز ومهد». =

المبدئية[(١)(٢)] بعلائق الآخرية[(٣)]، فهو كافر لا محالة[(٤)]، إلا من اعتراه

= «اجعلني منفعلاً في كل حال لما يحولني عن ظلمات تكويناتي، والْحِق فعلي وفعل الفاعلين في أحدية فعلك...».

«وزُجَّ بي في بحار الأحدية وانشلني من أوحال التوحيد، وأغرقني في بحر الوحدة حتى لا أرى ولا أسمع ولا أحس إلا بها».

«إذا حققت أن الأكوان ثابته بإثباتها، ممحوة بأحدية ذاته، علمت علم يقين أن الأكوان والمكان والزمان لا وجود لها، وأن الحق كما كان وجوده وحده ولا أين ولا مكان بقي كذلك لا أين ولا مكان ولا زمان نور أحديته محى وجود الأكوان، فانتفى بوجوده الزمان والمكان ولم يبق إلا الواحد المنان».

كتاب «الكشف عن حقيقة الصوفية» ص١٩٩-٢٠٠، ٢٠٨، ٢١٨، ٢٤٣، ٢٤٩.

(١) في (ج) «المسدية».

(٢) المبدئية: من المبدأ، والمبدأ عند الصوفي هو: الله تعالى. انظر: معجم المصطلحات الصوفية ص٢٢٤.

(٣) في (ع) «الأخروية».

(٤) والقول بأن بعض الناس يصل إلى درجة تسقط عنه التكاليف قول بعض غلاة الصوفية، وحكى عنهم: «إذا وصلت إلى مقام اليقين سقطت عنك العبادة، متأولين قول الله عز وجل: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر:٩٩].

قال شيخ الإسلام: «ومنهم صنف يدَّعون التحقيق والمعرفة، فيزعمون أن الأمر والنهي لازم لمن شهد لنفسه فعلاً وأثبت له صنعاً، وأما من شهد أن أفعاله مخلوقة أو أنه مجبور على ذلك، وأن الله هو المتصرف فيه، كما تحرك سائر المتحركات، فإنه يرتفع عنه الأمر والنهي، والوعد والوعيد، ويقولون: من شهد «الإرادة» سقط عن التكليف...» إلى أن قال: وربما تأولوا على ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ وجعلوا اليقين هو معرفة هذه الحقيقة، وقول هؤلاء كفر صريح...». الفتاوي (١٠/ ١٦٥-١٦٦).

بل ذكر شيخ الإسلام أن من شك في كفر هؤلاء، فلا شك في كفره، وكذلك من اعتقد في أحدهم الولاية. وحكى ابن القيم عن أهل الاستقامة من أئمة الطرق الإجماع على أن هذا كفر وإلحاد. =

علة، أو رأفة فصار معتوهاً[١]، أو مجنوناً، أو مبرسماً[٢] وقد اختلط في عقله، أو لحقه غشية، ارتفع عنه أحكام العقل، وذهب عنه[٣] التمييز والمعرفة، فذلك خارج عن الملة مفارق للشريعة[٤].

ومن زعم[٥] الإشراف على الخلق حتى يعلم مقاماتهم ومقدارهم عند الله بغير الوحي المنزل من قول الرسول ﷺ فهو خارج عن الملة، ومن ادعى أنه يعرف ما قال رسول الله ﷺ فقد باء بغضب من الله[٦]، ومن

= انظر: عوارف المعارف للسهروردي ـ ملحق بكتاب إحياء علوم الدين ـ (٥/ ٧١-٧٢)، الفتاوى (١٠/ ١٦٥-١٧١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٤٥-٤٤٦) (١١/ ٤٠١-٤٢٠)، مدارج السالكين (٣/ ١١٨-١١٩)، قطر الولي على حديث الولي للشوكاني ص٤٦٨-٤٧٠، التصوف لإحسان إلهي ظهير ص٢٦٢- وما بعدها، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي ص٧٤. مقالات الإسلاميين للأشعري ص٢٨٩.

والمراد بقوله: «والخروج من أحكام الأحدية...» إلخ، أي: القول بوحدة الوجود، بمعنى أن الوجود شيء واحد، وأنه لا وجود في الحقيقة إلا بوجود الله، وأن وجود الكائنات خيال ووهم، فليس هناك خالق ومخلوق، لا عابد ومعبود، بل الكل شيء واحد، فوجود الخالق هو عين وجود المخلوق. انظر: مدارج السالكين (٣/ ١٥١-١٥٢، ٣٨٣).

(١) معتوهاً: التَعَتُّه: التجنن، وقد عَتِه الرجل عَتْهاً وعُتْهاً، وعُتَاهاً، قال رؤبة:

بعد لجاج لا يكاد ينتهي   عن التصابي وعن التعته

لسان العرب (١٣/ ٥١٢-٥١٣).

(٢) مبرسماً: البرسام: كلمة معربة، وتعني علة تصيب الرأس.

انظر: لسان العرب (١٢/ ٤٦).

(٣) «عنه» سقطت من (ع).

(٤) انظر: الفتاوي (١٠/ ٤٣٥-٤٤٥) (٢/ ٣٩٦) (٨/ ٣١٢-٣١٣).

(٥) «زعم» سقطت من (ج).

(٦) قوله «ومن ادعى أنه يعرف ما قال رسول الله فقد باء بغضب من الله» سقطت من (ع).

ادعى أنه يعرف مآل الخلق ومنقلبهم، وأنهم[(١)] على ماذا يموتون ويختم لهم، بغير الوحي من قول الله وقول رسول ﷺ فقد باء بغضب من الله[(٢)(٣)].

و «الفراسة »[(٤)] حق على أصول ذكرناها، وليس ذلك

---

(١) في (ع) «أنه».

(٢) قوله «ومن ادعى .. إلى قوله: من الله » سقطت من (ج).

(٣) انظر: الفتاوي (١٤/ ٣٦٥)، قطر الولي ص٥٠٤-٥١٧.

(٤) نقل الإمام ابن القيم عن بعض العلماء عدة تعريفات للفراسة، وقد عرفها هو، فقال: «هي خاطر يهجم على القلب ينفي ما يضاده، يثب على القلب كوثوب الأسد على الفريسه. أو : نور يقذفه الله في القلب فيخطر له الشيء، فيكون كما خطر له، وينفذ إلى العين فيرى ما لا يراه غيره » . اهـ.

وذكر أن هذه الفراسة على حسب قوة الإيمان، فمن كان أقوى إيماناً فهو أحدُّ فراسة.

وبمثل التعريف الأول عرفها القشيري في «رسالته».

ومما يستدل به على الفراسة : قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥]، قال مجاهد وغيره: أي للمتفرسين، وإلى هذا القول ذهب ابن جرير وأبو عيسى الترمذي. ونسب ابن القيم هذا القول إلى ابن عباس.

وأشهر دليل يستدل به على الفراسة حديث ابن عمر وأبي سعيد وأبي أمامة عن النبي ﷺ قال : **«اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله»** .

رواه الترمذي (٥/ ٢٩٨) رقم ٣١٢٧، كتاب التفسير، باب «ومن سورة الحجر»، وقال الترمذي: هذا حديث غريب، إنما نعرفه من هذا الوجه، وقد روي عن بعض أهل العلم. اهـ. ورواه ابن جرير في «تفسيره» (١٤/ ٤٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٨/ ١٢١)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٩٤)، والعقيلي في «الضعفاء» (٤/ ١٢٩)، وذكره الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٢٦٨) وحسن إسناده، وذكره الكناني في «تنزيه الشريعة» (٢/ ٣٠٥-٣٠٦) وحسنه، وذكره أيضاً العجلوني في «كشف الخفاء » (١/ ٤٢-٤٣)، وحسن إسناده، وقال الشوكاني في «الفوائد المجموعة» ص٢٤٣-٢٤٤، بعد ذكر الحديث: «وعندي أن الحديث حسن لغيره، وأما صحيح فلا». اهـ . وذكر بعض الشواهد. وذكره ابن حجر في الفتح (١٢/ ٣٨٨) وسكت عنه. =

مما سميناه[١] في شيء[٢].

ومن زعم أن صفاته قائمة بصفاته ـ ويشير في ذلك إلى غير الأيد[٣][٤] والعصمة والتوفيق والهداية ـ وأشار إلى صفاته عز وجل

= هذا مجمل ما قيل في هذا الحديث الذي يعد أشهر الأدلة على الفراسة.

وقد علق ابن القيم على هذا الحديث بقوله: «وهذه الفراسة نشأت له من قربة من الله، فإن القلب إذا قرب من الله انقطعت عنه معارضات السوء المانعة من معرفة الحق وإدراكه، وكان تلقيه من مشكاة قريبة من الله بحسب قربه منه، وأضاء له النور بقدر قربه، فرأى في ذلك النور ما لم يره البعيد، والمحجوب ..».

وقسم الفراسة إلى ثلاثة أقسام:

الأولى: الفراسة الإيمانية، وهي التي سبقت الإشارة إليها.

الثانية: فراسة الرياضة والجوع والسهر والتخلي، وقال: فإن النفس إذا تجردت عن العوائق صار لها من الفراسة والكشف بحسب تجردها، وذكر أن هذا القسم مشترك بين الكافر والمؤمن، وهي ليست دليلاً على إيمان أو ولاية.

الثالثة: فراسة خلقية، وهي التي يستدل بالخَلْق على الخُلُق، نحو قولهم: من كان كثير لحم الخدين فهو غليظ الطبع، ومن كان عنقه قصيراً جداً فهو ذو مكر، ونحو ذلك.

انظر: مدارج السالكين (٢/ ٤٨٢-٤٩٥)، الروح لابن القيم ص٣٢١-٣٢٤، شرح الطحاوية (٢/ ٧٥٣-٧٥٤)، الفتاوي (١١/ ٣١٣)، الرسالة القشيرية ص٢٣١، جامع الأصول للنقشبندي ص٢٩٥، ٣٥٣-٣٥٤، وانظر: تفسير الطبري (١٤/ ٤٥-٤٧)، تفسير ابن كثير (٤/ ٤٦١)، النهاية في غريب الحديث (٣/ ٤٢٨)، لسان العرب (٦/ ١٦٠)، الفراسة للرازي ص١٠٦، ١٠٩.

(١) في (ع) «رسمناه» بدل سميناه.

(٢) أي: ليست من ادعاء الغيب الذي أشار إليه.

(٣) في (ع) «الآية».

(٤) الأيد: القوة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص:١٧]. لسان العرب (٣/ ٧٦).

القديمة، فهو حلولي[١] قائل باللاهوتية[٢][٣] والالتحام، وذلك كفر لا محالة[٤].

ونعتقد أن الأرواح كلها مخلوقة[٥]، ومن قال: إنها غير مخلوقة فقد

---

(١) الحلولي: نسبة إلى الحلولية، وهم الذين يزعمون أن الله يحل في بعض العباد، أو كما يقول النصارى: «حلول اللاهوت في الناسوت» وهذا المذهب قد انتحله بعض الفرق، ومنهم بعض غلاة المتصوفة، واشتهر هذا القول عن الحلاج الذي يروي عنه أنه قال: «من هذب نفسه بالطاعة، وصبر على الشهوات والملذات، وارتقى إلى مقام المقربين، ثم لا يزال يصفو ويرتقي في درجات المصافات حتى يصفو عن البشرية، فإذا لم يبق فيه من البشرية حظ حل فيه روح الإله الذي حل في عيسى بن مريم، ولم يرد شيئاً إلا كان كما أراد، وكان جميع فعله فعل الله تعالى» ، وقال: «أنا الحق وسبحاني».

انظر: أخبار الحلاج ص٧٣، ٩٣، ١٠٨، الطبقات الكبرى للشعراني (١/ ٢٠١)، المعجم الفلسفي ص٧٥، اعتقادات فرق المسلمين المشركين ـ مع كتاب المرشد الأمين ـ ص١١٦-١١٧، التبصير في الدين ص٧٧-٨٧، الفرق بين الفرق ص٢٤٦-٢٤٨، مقالات الإسلاميين ص٢٨٨، الفتاوي (٢/ ١٧١-١٧٢، ٢٩٦-٢٩٩، ٤٨٠، ٤٨٨).

(٢) في (ج) «باللاهوتية» وهو خطأ.

(٣) اللاهوتية: نسبة إلى «لاهوت» وهو عند النصارى: العلم الذي يبحث فيه وجود الله وذاته وصفاته. انظر: المعجم الفلسفي ص١٦٠.

ومراد المؤلف هنا: أن من زعم أن صفات الله قائمة بصفته، فهو قائل بمذهب فرقة «النسطورية» من النصارى، القائلين: «إن اللاهوت حل في الناسوت كحلول الماء في الإناء» ومعنى اللاهوت: أي: الإله، والناسوت: عيسى.

انظر: الفتاوي (٢/ ١٧١)، الملل والنحل (١/ ٢٦٨-٢٧٠)

(٤) انظر: الفتاوي (٨/ ٣١٧-٣١٩) (٢/ ٤٨٠-٤٨٧، ٣٦٨).

(٥) وهذا رد على بعض الروافض، وجمهور الفلاسفة، وبعض زنادقة المتصوفة، الذين يزعمون أن الروح قديمة وليست محدثة مخلوقة.

انظر: الفتاوي (٤/ ٢٢٠-٢٣١)، الروح لابن القيم ص٢٠٢-٢١٨، شرح الطحاوية (٢/ ٥٦٢-٢٦٤).

ضاهى قول[١] النصارى ـ النسطورية ـ[٢] في المسيح، وذلك كفر بالله العظيم.

ومن[٣] قال: إن شيئاً من صفات الله عز وجل حالٌّ في العبد، وقال بالتبعيض على الله فقد كفر؛ والقرآن كلام الله ليس بمخلوق ولا حالٌّ في مخلوق، وأنه كيف ما تُلي وقُرئ وحُفظ، فهو صفة الله عز وجل، وليس الدرس من المدروس[٤]، ولا التلاوة من المتلو، لأنه عز وجل بجميع أسمائه وصفاته[٥] غير مخلوق، ومن قال بغير ذلك فهو كافر[٦].

ونعتقد: أن القراءة الملحنة بدعة وضلالة[٧].

---

(١) «قول» سقطت من (ج).

(٢) النسطورية: فرقة من فرق النصارى، تنسب إلى نسطور الحكيم، الذي تصرف في الأناجيل، وقد زعم أن الكلمة اتحدت بجسد عيسى كإشراق الشمس في كوة على بلورة. وزعمت هذه الفرق أن الابن لم يزل متولداً من الأب، وإنما تجسد واتحد بجسد المسيح حين ولد، والحدوث راجع إلى الجسد والناسوت، فهو إله وإنسان اتحدا، وهما جوهران، أقنومان، طبيعتان : جوهر قديم، وجوهر محدث، إله تام وإنسان تام، ولم يبطل الاتحاد قدم القديم، ولا حدوث المحدث، وقالوا: إن القتل وقع على المسيح من جهة ناسوته، لا من جهة لاهوته، لأن الإله لا تحله الآلام. الملل والنحل (١/ ٢٦٨-٢٦٩) – بتصرف. وانظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين – مع كتاب المرشد للأمين – ص١٣٢.

(٣) «من» سقطت من (ج).

(٤) «من المدروس» سقطت من (ج).

(٥) في (ع) تقديم وتأخير حيث تقدمت «صفاته » على «أسمائه».

(٦) انظر: ص٤٣٠.

(٧) انظر: طبقات الحنابلة (١/ ٥٧، ٦٧، ٧٤-٧٥، ١٨٣، ١٩٧، ٢٠٨، ٢٢٥، ٣٩٦)، تذكرة الحفاظ (٤/ ١٣٠٢)، إغاثة اللهفان (١/ ١٦٠-١٦٢)، روضة المحبين ص٢٦٨-٢٦٩، وقد بحث ابن القيم هذه المسألة في «زاد المعاد» (١/ ٤٨٣-٤٩٣) بحثاً مستوفى ، =

وأن القصائد بدعة، ومجراها على قسمين: فالحسن من ذلك من ذكر آلاء الله ونعمائه، وإظهار نعت الصالحين وصفه المتقين، فذلك جائز، وتركه والاشتغال بذكر الله والقرآن والعلم أولى به، وما جرى على وصف المرئيات، ونعت المخلوقات، فاستماع ذلك على الله كفر[1] واستماع الغناء والرباعيات[2][3] على الله كفر، والرقص بالإيقاع[4] ونعت الرقاصين على[5] أحكام الدين فسق[6]، وعلى أحكام التواجد[7][8]

= وانظر: كف الرعاع لابن حجر الهيتمي ص٥٢-٥٣، وإتحاف الجماعة للشيخ حمود التويجري (١/ ٤٣٤-٤٤٠).

(١) وكون ذلك كفراً لأنه وصف لله بصفات المخلوقات من المرئيات وغيرها، يوضح ذلك الأسطر القادمة.

(٢) في (ع) «الربعيات» ولعله خطأ.

(٣) الرباعيات هي: منظومة شعرية تتألف من وحدات، كل وحدة منها أربعة أشطر تستقل بقافيتها. معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ص١٧٤-١٧٥، المعجم الوسيط ص٣٢٤.

(٤) الإيقاع: اتفاق الأصوات وتوقيعها في الغناء. المعجم الوسيط ص١٠٥، المعجم الأدبي ص٤٤.

(٥) «على» سقطت من (ع).

(٦) أي: وصف أهل الرقص بالتقى والإيمان والزهد. وهذا موجود عند بعض الصوفية.

(٧) في (ع) «التوحيد » بدل: التواجد.

(٨) التواجد من وجد وجداً، بالفتح يطلق على الحب، وبالكسر على الحزن، انظر: تاج العروس (٩/ ٢٥٦). والتواجد عند الصوفية : استجلاب الوجد بالذكر والتفكر . والوجد: ما يرد على الباطن من الله يكسبه فرحاً أو حزناً، ويغيره عن هيئته ويتطلع إلى الله تعالى، وهو فرحة يجدها المغلوب عليه بصفات نفسية ينظر منها إلى الله تعالى.
عوارف المعارف للسهروردي – ملحق بكتاب إحياء علوم الدين – (٥/ ٢٥٠) وسئل أبوعبدالله ابن خفيف: ما الوجد؟ فقال: الوجد هو أن تضيء واردات الحق في الأسرار، فتجذب إليها الأرواح، فتجد القلوب من ذلك نسيماً. اهـ. =

والنغام[١] لهو ولعب.

وحرام على كل من سمع القصائد والرباعيات[٢] الملحنة الجاري[٣] بين أهل الأطباع على أحكام الذكر، إلا لمن تقدم له العلم بأحكام التوحيد، ومعرفة أسمائه وصفاته، وما يضاف إلى الله تعالى من ذلك مما لا [٤] يليق به عز وجل[٥]، مما هو منزه عنه، فيكون استماعه كما قال: ﴿يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ﴾ الآية [الزمر: ١٨] .

وكل من جهل ذلك، وقصد استماعه على الله على غير تفصيله، فهو كفر لا محالة، فكل من جمع القول وأصغى بالإضافة إلى الله، فغير جائز إلا لمن عرف ما[٦] وصفت من ذكر الله ونعمائه، وما هو موصوف به عز وجل ما ليس[٧] للمخلوق[٨] فيه نعت ولا وصف، بل ترك ذلك أولى

= سيرة الشيخ الكبير أبي عبدالله ابن خفيف الشيرازي ص٢٦٠، للدكتور إبراهيم الدسوقي شتا. وانظر: الرسالة القشيرية ص٦١-٦٤، المنتقى النفيس من تلبيس إبليس ص٣٣٣-٣٣٤، وكف الرعاع لابن حجر الهيتمي ص٥٣-٥٤، التعرف بمذهب أهل التصوف ص٨٢-٨٣، جامع الأصول للنقشبندي ص١٥٤-١٥٥، معجم المصطلحات الصوفية ص٥١.

(١) النَّغَام: من النغمة، وجمعها : أنغام، وهي جرْس الكلمة وحسن الصوت والطرب. يقال: تنغم بالغناء. لسان العرب (١٢/ ٥٩٠)، المعجم الوسيط ص٩٣٧.

(٢) في (ع) «الربعيات».

(٣) في (ع) «الجاي» وهو خطأ.

(٤) «لا» سقطت من (ع).

(٥) «به عز وجل» سقطت من (ع).

(٦) في (ع) «بما».

(٧) «ما ليس» سقط من (ع).

(٨) في (ع) «للمخلوقين».

وأحـوط ، والأصل في ذلك أنها بدعة ، والفتنة بها غير مأمونة، إلى أن قال: واتخـاذ المجـالس عـلى الاستماع[١] والغناء والرقص[٢] بالرباعيات[٣] بدعة، وذلـك ممـا أنكره المطلبي[٤] ومالك، والثوري[٥]، ويزيد بن هارون[٦] وأحمد ابـن حنبل، وإسـحق[٧] والاقـتداء بهم أولى من الاقتداء بمن لا يعرفون في الدين، ولا لهم قدم عند المخلصين.

وبلغـني[٨] أنـه قـيل لبشـر بـن الحارث[٩]: إن أصحابك قد أحدثوا شيئاً يقال له القصائد . قال: مثل إيش؟ قال مثل قوله:

اصـــبري يـــا نفـــس حـــتى تســـكني دار الجلـــيل

فقـال: حسـن[١٠]، وأيـن[١١] يكـون هـؤلاء[١٢] الذين يستمعون ذلك؟

---

(١) في (ع) «استماع» بدل: الاستماع

(٢) «الرقص» سقطت من (ع).

(٣) في (ع) «الربيعات».

(٤) المطلبي: هـو: الإمـام محمـد بـن إدريـس الشـافعي، صـاحب المذهـب. انظر: الأنساب للسمعاني (٥/ ٣٢٦)

(٥) الثوري: هو سفيان بن سعيد الثوري، سبقت ترجمته ص٢٩٨ .

(٦) يـزيد بـن هـارون، أبـو خـالد السلمي. قال عنه الذهبي: «كان يزيد رأساً في السنة معادياً للجهمية، منكراً تأويلهم في مسألة الاستواء ». ولد ١١٨هـ، وتوفي ٢٠٦هـ.
انظر الطبقات الكبرى (٧/ ٣١٤)، السير (٩/ ٣٥٨).

(٧) إسحاق، هو إسحاق بن راهويه، سبقت ترجمته ص٢٤٣.

(٨) في (ع) زيادة «أنا ».

(٩) بشر بن الحارث، هو: بشر الحافي، سبقت ترجمته ص٢٤٤.

(١٠) «حسن » سقطت من (ج).

(١١) في (ج) «أن » بدل: أين.

(١٢) «هؤلاء » سقطت من (ع).

قال: قلت: ببغداد[١]. فقال: كذبوا والذي لا إله غيره، لا يسكن بغداد من يسمع ذلك[٢][٣][٤].

---

(١) بغداد: كانت قبل أن يفتحها المسلمون سوقاً للفرس يجتمع فيها التجار مرة كل شهر، ففتحها المثنى بن حارثة رضي الله عنه وأول من بناها أبو جعفر المنصور، وذلك سنة ١٤٥هـ، وأصبحت حاضرة العالم الإسلامي وعاصمة الخلافة الإسلامية إلى أن سقطت وخربت على يد التتار سنة ٦٥٦هـ، وهي الآن عاصمة الدولة العراقية. انظر: صورة الأرض لابن حوقل ص٢١٥، معجم البلدان لياقوت (١/ ٤٥٦)، مراصد الاطلاع (١/ ٢٠٩).

(٢) قوله: «فقالوا كذبوا ... إلى قوله: من يسمع ذلك» سقط من (ع).

(٣) كان بعض الزهاد ينكرون السكنى في بغداد، وذلك لما كان يغلب على أهلها من الترف والفسق، وهذا كان في فترة من الفترات، يقول ياقوت الحموي: «ذم بغداد قد ذكره جماعة من أهل الورع والصلاح والزهاد والعباد، ووردت فيها أحاديث خبيثة، وعلتهم في الكراهة ما عاينوه بها من الفجور والظلم والعسف، وكان الناس وقت كراهيتهم للمقام ببغداد غير ناس زماننا، فأما أهل عصرنا فأجلس خيارهم في الحُشّ وأعطهم فلساً فما يبالون بعد تحصيل الحطام أين كان المقام ...

وكان بعض الصالحين إذا ذكرت عنده بغداد يتمثل:

قل لمن أظهر التنسك في النا ... س وأمسى يعد في الزهاد

الزم الثغر والتواضع فيه ... ليس بغداد منزل العباد

إن بغداد للملوك محل ... ومناخ للقارئ الصياد

معجم البلدان (١/ ٤٦٤)، وانظر تاريخ بغداد للخطيب (١/ ٢٧).

(٤) كلام أبي عبدالله بن خفيف السابق فيما يسمى عند الصوفية بـ«السماع» وهو من أصولهم، بل يتعبدون الله بذلك. وذكر ابن القيم أن حقيقة السماع: تنبيه القلب على معاني المسموع وتحريكه عنها: طلباً، وهرباً، وحباً وبغضاً. فهو حاد يحدو بكل أحد إلى وطنه ومألفه. أهـ. مدارج السالكين (١/ ٤٨٢)

هذه حقيقة السماع عموماً، أما سماع المتصوفة الذي ذمه السلف، فهو: الاجتماع على الأناشيد والغناء، يصاحب ذلك عند بعضهم الدفوف والمزامير، والتصفيق بالأيدي، =

قال أبو عبدالله[1] : ومما[2] نقول ـ وهو قول أئمتنا ـ أن الفقير[3] إذا

= وترتفع الأصوات عند ذلك، وتكثر الصراخات، وتخرق الثياب، ويحصل التواجد للبعض على اصطلاحهم.

قال شيخ الإسلام في معرض كلامه عنه: «بل مقصودهم بذلك أن يتخذ طريقاً إلى الله يجتمع عليه أهل الديانات لصلاح القلوب، والتشويق إلى المحبوب، والتخويف من المرهوب، والتحزين على فوات المطلوب، فتستنزل به الرحمة، وتستجلب به النعمة، وتحرك به مواجيد أهل الإيمان .. حتى يقول بعضهم: إنه أفضل لبعض الناس أو الخاصة من سماع القرآن من عدة وجوه، حتى يجعلونه قوتاً للقلوب، وغذاءً للأرواح، وحادياً للنفوس، يحدوها الى السير إلى الله، ويحثها على الإقبال عليه».اهـ الفتاوي (١١/ ٥٦٧-٥٦٨).

وقد أطال العلماء في الرد عليهم في هذه البدعة المنكرة، من وجوه متعددة يصعب حصرها واستقصاؤها. ومن أراد التوسع في هذه المسألة، فلينظر إلى: عوارف المعارف للسهروردي (٥/ ١٠٨-١٢١)، المنتقى النفيس من تلبيس إبليس ص٢٨٨-٣٢٧، الفتاوي (٣/ ٣٥٩-٣٦٢) (١١/ ٢٩٧-٣٠٢، ٥٥٧-٦٣٧)، مجموعة الرسائل المنيرية (٢/ ١٦٦-١٩٠)، الاستقامة (١/ ٢١٦- وما بعدها)، الوصية الكبرى لشيخ الإسلام ص٥٦-٥٧، مدارج السالكين (١/ ٤٨١-٥٠٥)، إغاثة اللهفان (١/ ٢٢٤- وما بعدها)، قطر الولي للشوكاني ص١٥٢-٢٥٦، وكف الرعاع لابن حجر الهيتمي ص٤٥-٥٢، ٥٣، ٥٤.

وانظر: نزهة الأسماع في مسألة السماع، لابن رجب، وكتاب: ذم ما عليه مدّعو التصوف من الغناء، والرقص والتواجد والدف...، لابن قدامة المقدسي، جامع الأصول للنقشبندي ص٣٢٨-٣٣٠، الصاعقة المحرقة على المتصوفة الرقصة المتزندقة لمحمد صفي الدين الحنفي.

(١) أبو عبدالله هو: ابن خفيف.

(٢) في (ع) «ما» بدل: مما.

(٣) الفقير: نسبة إلى الفقر، وهي مرتبة من مراتب التصوف، ولهم فيها عدة معان: سئل سهل بن عبدالله عن الفقير الصادق؟ فقال: «لا يسأل، ولا يرد ولا يحبس».اهـ.

وقال ابن الجلاء: «الفقر أن لا يكون لك، فإذا كان لك فلا يكون لك حتى تؤثر». اهـ.

وقال إبراهيم الخواص: «الفقر رداء الشرف، ولباس المرسلين، وجلباب الصالحين» اهـ.=

احتاج وصبر لم يتكلف إلى وقت يفتح الله له كان أعلى[١]، فمن[٢] عجز عن الصبر كان السؤال أولى به[٣] على قوله ﷺ: **«لأن يأخذ أحدكم حبله ...»**[٤] الحديث.

ونقول: إن ترك المكاسب غير جائز إلا بشرائط مرسومة من التعفف والاستغناء عما في أيدي الناس[٥]، ومن جعل السؤال حرفة وهو صحيح، فهو مذموم في الحقيقة خارج[٦].

= وقال يحيى بن معاذ: « حقيقة الفقر أن لا يستغنى إلا بالله، ورسمه عدم الأسباب كلها » . اهـ. عوارف المعارف (٥/ ٢٣٥).

وذكر ابن القيم أن مرتبة الفقر عند الصوفية: هي: مرتبة التجرد وقطع كل علاقة تحول بين القلب وبين الله تعالى، وذكر أن هذه المنزلة أشرف منازل الطريق عندهم، وأعلاها وأرفعها، بل هي روح كل منزلة وسرها، ولبها، وغايتها. مدارج السالكين (٢/ ٣٦٩، ٤٣٨).

أما شيخ الإسلام، فيشير إلى أن الفقير في اصطلاح الصوفية هو السالك إلى الله تعالى. الفتاوي (١١/ ٧٠/ ١٩٥) .

(١) انظر: الفتاوي (١١/ ٢٠-٢٢، ٦٨-٧٠، ١٢٥-١٢٨)، مجموعة الرسائل والمسائل لشيخ الإسلام (١/ ٣٠-٣١) ، المنتقى النفيس من تلبيس إبليس ص٢٣٥-٢٤٢ ، مدارج السالكين (٢/ ٤٤١-٤٤٩)، عوارف المعارف (٥/ ٢٣٥-٢٣٦).

(٢) في (ع) «ممن».

(٣) هذه العبارة ظاهرها لا يتناسب مع الدليل الذي ذكره أبو عبدالله «لأن يأخذ أحدكم..»، فلو كانت العبارة هكذا «فمن عجز كان الصبر وعدم السؤال أولى به» لاستقام الكلام.

(٤) والحديث رواه البخاري (٣/ ٣٣٥) رقم ١٤٧٠، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«والذي نفسي بيده، لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من أن يأتي رجلاً فيسأله، أعطاه أو منعه»** .

وأخرجه في كتاب البيوع (٤/ ٣٠٤) رقم ٢٠٧٤، باب كسب الرجل وعمله بيده. وأخرجه نحواً من هذا مسلم (٢/ ٧٢١) رقم ١٠٤٢، كتاب الزكاة، باب كراهة المسألة للناس.

(٥) انظر: ص٤٥٩.

(٦) هكذا وردت العبارة، ولعل قصد ابن خفيف: يعني خارج عن طريقة الصوفية.

ونقـول: إن المستمع إلى الغناء والملاهي، فإن ذلك كما قال عليه السلام: **«الغناء ينبت النفاق في القلب»**[١]، وإن لم[٢] يكفر، فهو فسق لا محالة.

---

(١) هـذا الأثـر رُوي مـرفوعاً بألفـاظ متقاربة، وروي موقوفاً على عبدالله بن مسعود وغيره، ولعـل الموقوف أصح من المرفوع. أما المرفوع، فروي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسـول الله ﷺ يقـول : **«الغـناء ينبـت النفاق في القلب »** . رواه أبو داود (٥/ ٢٢٣) رقم ٤٩٢٧، كـتاب الأدب، بـاب كراهـية الغـناء والزمـر. وهـذا لفظـه. والبـيهقي في «السنن الكـبرى» (١٠/ ٢٢٣) كـتاب الشـهادات، باب الرجل يغني فيتخذ الغناء صناعة ... وزاد **«كمـا ينبـت المـاء الـبقل»**. وابن أبي الدنيا في «ذم الملاهي» ص٣٨، رقم ١٣، بلفظ البيهقي. ونقـل المـناوي في «فـيض القديـر» (٤/ ٤١٣) عن العراقي قوله: رفعه غير صحيح؛ لأن في إسـناده مـن لم يسـم. اهــ وذكـره ابـن حجـر الهيـتمي في «كف الرعاع عن محرمات اللهو والسـماع» ص٢٥، وقـال: رواه ابن صصري في أماليه. اهـ. وروي عن أنس رضي الله عنه مـرفوعاً، بلفـظ: «الغـناء والـلهو ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء العشب...» الحديث. رواه الديـلمي في «الفردوس» (٣/ ١٤١) رقم ٤٢٠٤. وروي أيضاً مرفوعاً نحواً من هذا عن جابر وعائشة وأبي هريرة — رضي الله عنهم — ولعل المرفوع لا يخلو من مقال.
وروي موقوفـاً عـلى ابـن مسـعود: رواه البـيهقي في «السـنن الكـبرى» (١٠/ ٢٢٣) ، كـتاب الشـهادات، بـاب الـرجل يغـني فيتخذ الغناء صناعة . وابن أبي الدنيا في «ذم الملاهي» ص٣٨، رقم ١٢. والخلال في «السنة» ـ مخطوط ـ ل ١٤٦ . اهـ.
قـال العـراقي في كلامـه عـلى هـذا الأثـر: روي مرفوعاً من عدة طرق كلها ضعيفة، قال البـيهقي: «والصحيح أنه من قول ابن مسعود ... اهـ. (تخريج أحاديث إحياء علوم الدين (٣/ ١٣٣٣). انظـر: المقاصـد الحسـنة ص٢٩٦، رقـم ٧٣١، فـيض القديـر (٤/ ٤١٣)، كشـف الخفـاء (٢/ ١٠٣-١٠٤) رقـم ١٨٠٨، أسـنى المطالـب ص٢١١، رقـم ٩٥٠، الفوائـد المجموعـة ص٢٥٤، رقـم ٧٥٧، نـيل الأوطار (٨/ ١١٣)، تخريج أحاديث إحياء علوم الدين (٣/ ١٣٣٣-١٣٣٤) رقم ٢٠١١.

(٢) «لم» سقطت من (ج).

والذي نختار: قول أئمتنا: ترك المراء في الدين، والكلام في الإيمان مخلوق أو غير مخلوق[١] ، ومن زعم أن الرسول ﷺ واسط يؤدي، وأن المرسل إليهم أفضل، فهو كافر بالله[٢]، ومن قال بإسقاط الوسائط على الجملة فقد كفر». اهـ][٣][٤] .

---

(١) انظر: ص٤٥١.

(٢) ذهب بعض أهل وحدة الوجود ـ وعلى رأسهم ابن عربي الطائي، وابن الفارض وغيرهم ـ إلى تفضيل الأولياء على الأنبياء، ولهذا يقول قائلهم:

مقام النبوة في برزخ فويق الرسول ودون الولي

ويُروى عن ابن عربي قوله: «وحقيقة الرسالة إبلاغ كلام من متكلم إلى سامع. فهي حال لا مقام، ولا بقاء لها بعد انقضاء التبليغ...». ويروى عنه أنه قال: «إن الولي يعلم علمين: علم الشريعة، وعلم الحقيقة، أي الظاهر والباطن، والتنزيل والتأويل، حيث إن الرسول من حيث هو رسول ليس له علم إلا بالظاهر والتنزيل، والشريعة....». وقيل لبعضهم: إن الخلق كلهم تحت لواء محمد ﷺ فقال: «تالله إن لوائي أعظم من لواء محمد ﷺ، لوائي من نور تحته الجان والإنس...».

ولا شك أن من ادعى أنه في مرتبة الأنبياء، فضلاً أن يدعى أنه أفضل منهم، فلا شك في كفره، ومنهم من زعم أنه في مرتبة الأنبياء أو قريباً منها. انظر: فصوص الحكم لابن عربي ص٦٤، ١٣٥ ، نوادر الأصول للحكيم الترمذي ص١٥٧-١٥٨، النور من كلمات أبي طيفور – ضمن كتاب شطحات الصوفية – (١/ ١١١)، وانظر أيضاً: حقيقة مذهب الاتحاديين لشيخ الإسلام ـ ضمن مجموعة الرسائل والمسائل ـ (٤/ ٦٣-٦٤)، تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي للبقاعي ص٢١٩، التصوف لإحسان إلهي ظهير ص١٨٨-١٩٦.

(٣) ويعني بذلك بعض غلاة أهل التصوف الذين يزعمون أنهم يأخذون عن الله بلا واسطة، بل يسمعون منه مباشرة، ومن هؤلاء ابن عربي، فقد روي عنه أنه قال: «والولي يستمد المعرفة من حيث يأخذها الملك الذي يؤدي بدوره إلى الأنبياء والرسل».

انظر: الفتوحات المكية لابن عربي (٤/ ٢٧١-٢٧٣).

وانظر أيضاً: الفتاوي (٢/ ٢٢٨-٢٢٩، ٢٣٥)، التصوف لإحسان إلهي ظهير ص١٨٩.

(٤) هذا آخر كلام أبي عبدالله بن خفيف. =

قول عبدالقادر الجيلاني

ومن متأخريهم[(١)(٢)]: الإمام أبو محمد عبدالقادر بن أبي صالح الجيلي[(٣)]، قال في كتاب «الغنية»[(٤)]: «أما معرفة الصانع بالآيات

= ذكر جزءاً منه ابن القيم في «اجتماع الجيوش» ص٢٧٧-٢٧٨، وأورد بعض هذه المسائل في «عقيدته» التي ساقها هو بنفسه، وأوردها د. إبراهيم الدسوقي في كتابه «سيرة الشيخ الكبير أبي عبدالله محمد بن خفيف الشيرازي» ص٣٤٠-٣٦٥.

(١) أي: متأخري الصوفية. انظر: الفتاوي (١١/ ٦٠٤).

(٢) في (ج، ع) زيادة «الشيخ».

(٣) عبدالقادر بن أبي صالح عبدالله الجيلي الحنبلي، أبو محمد، مولده بجيلان سنة إحدى وسبعين وأربعمائة، اشتهر بالزهد والعبادة، وكان يأكل من عمل يده، ذاع صيته واشتهر، من كبار الصوفية حتى نسبت إليه الطريقة القادرية، وهي من طرق الصوفية المشهورة.
قال عنه الذهبي: «الشيخ الإمام العالم الزاهد العارف القدوة، شيخ الإسلام، علم الأولياء...» اهـ. وقال في نهاية ترجمته: وفي الجملة الشيخ عبدالقادر كبير الشأن، وعليه مآخذ في بعض أقاويله ودعاويه، والله الموعد، وبعض ذلك مكذوب عليه. اهـ.
وقد نقل شيخ الإسلام عنه - أي عبدالقادر - أنه سئل : هل كان لله ولي على غير اعتقاد أحمد بن حنبل؟ فقال: لا: لا كان ولا يكون. اهـ.
وقال عنه ابن كثير: «ويذكرون عنه أقوالاً وأفعالاً ومكاشفات أكثرها مغالات، وقد كان صالحاً ورعاً ... إلى أن قال: وبالجملة كان من سادات المشايخ..»اهـ.
وذكر شيخنا الشيخ عبدالله بن جبرين أن أكثر ما ينقل عن مثل هؤلاء من أمور لا تتوافق مع الشرع، لم يقلها ولم يفعلها أولئك، ما هي إلا من تلاميذهم وأتباعهم.
وقال عنه ابن رجب بعد أن ذكر أن بعض ما ينقل عنه لا يصح، قال: «وللشيخ عبدالقادر رحمة الله تعالى كلام حسن في التوحيد، والصفات والقدر، وفي علوم المعرفة موافق للسنة» اهـ. توفي سنة إحدى وستين وخمسمائة. من مصنفاته: «الغنية لطالب طريق الحق» و«الفتح الرباني»، و«فتوح الغيب»، و«الفيوضات الربانية». انظر: السير (٢/ ٤٣٩)، فوات الوفيات (٢/ ٣٧٣)، ذيل طبقات الحنابلة (٣/ ٢٩٠)، درء تعارض العقل والنقل (٥/ ٥)، البداية والنهاية (١٢/ ٢٥٢)، الأعلام للزركلي (٤/ ٤٧).

(٤) كتاب الغنية لعبدالقادر الجيلاني، وقد طبع طبعة قديمة مع كتاب فتوح الغيب، في المطبعة =

والدلالات على وجه الاختصار فهو[١] أن يعرف ويتيقن أن الله[٢] واحد أحد[٣] ـ إلى أن قال: وهو بجهة العلو، مستو على العرش، محتو على الملك، محيط علمه بالأشياء، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠]، ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾[٤] [السجدة:٥]، ولا يجوز وصفه بأنه في كل مكان[٥]؛ بل يقال: إنه في السماء على العرش، كما قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥].

وذكر آيات وأحاديث، إلى أن قال[٦]: وينبغي إطلاق صفة الاستواء من

= الإسلامية بلاهور عام ١٣٢٢هـ، واسمه الكامل: «غنية الطالبين لطريق الحق عز وجل». ويقع في ٩٢٧ صفحة، وفي هامشه «فتوح الغيب» وكل سطر من أسطر الكتاب مترجم باللغة «الأردية» تحت السطر نفسه.

وذكر المؤلف في بداية كتابه ص٤ أنه صنفه بطلب من بعض أصحابه. والكتاب مشتمل على بعض المسائل في الأصول والفروع والآداب، يقول المؤلف ص٤: «فلما رأيت صدق رغبته في معرفة الآداب الشرعية من الفرائض والسنن والهيئات، ومعرفة الصانع عز وجل بالآيات والعلامات، ثم الاتعاظ بالقرآن والألفاظ النبوية في مجالس نذكرها، ومعرفة أخلاق الصالحين، سنمر بها في أثناء الكتاب، ليكون عوناً له على سلوك طريق الله عز وجل ...». اهـ. وقسم كتابه كتباً وأبواباً وفصولاً.

(١) في «الغنية»: «فهي».

(٢) في «الغنية»: «أنه واحد».

(٣) «أحد» غير موجودة في الغنية.

(٤) أسقط الشيخ هنا كلاماً في الغنية بقدر صفحة ونصف، حول علم الله وقدرته.

(٥) كما يزعم الحلولية بأن الله حال في كل مكان، ومن هؤلاء بعض غلاة الصوفية. انظر: ص٤٥٧.

(٦) من قوله «وهو بجهة العلو..» إلى قوله «إلى أن قال» سقط من (ع).

غير تأويل، وأنه استواء الذات على العرش[١]. قال: وكونه على العرش[٢] مذكور في كل كتاب أنزل على كل[٣] نبي أرسل بلا كيف. وذكر كلاماً طويلاً لا يحتمله هذا الموضع، وذكر في سائر الصفات نحو هذا»[٤].

ولو ذكرت ما قال العلماء في ذلك لطال [الكتاب][٥] جداً[٦].

وقال[٧] أبو عمر ابن عبدالبر[٨]: «روينا[٩] عن مالك بن أنس، وسفيان الثوري[١٠]، وسفيان بن عيينة[١١]، والأوزاعي[١٢]، ومعمر بن راشد[١٣] في

---

(١) أسقط الشيخ هنا كلاماً بقدر الصفحة من الغنية، حول مذاهب الناس في الاستواء، والواجب في أخبار الصفات.

(٢) «على العرش» سقطت من (ج).

(٣) «كل» سقطت من (ع).

(٤) الغنية ص١٢١-١٢٨. انظر: ذيل طبقات الحنابلة (٣/ ٢٩٦)، اجتماع الجيوش لابن القيم ص٢٧٧، العلو للذهبي ص١٩٣، المختصر ص٢٨٤.

(٥) ما بين المعكوفتين من (ج، ع).

(٦) ومن أراد التوسع والوقوف على ما قال العلماء في ذلك، فليرجع إلى كتاب «العلو للعلي الغفار» للإمام الذهبي، وكتاب «اجتماع الجيوش الإسلامية» للإمام ابن القيم، فقد ذكرا في هذين الكتابين جملة من أقوال العلماء المتقدمين، والمتأخرين في هذا الباب.

(٧) في (ع) دون «الواو».

(٨) ابن عبدالبر: يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر، سبقت ترجمته، انظر: ص٢٥٤.

(٩) في «رويناه».

(١٠) سفيان الثوري: سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، سبقت ترجمته، انظر: ص٢٩٨.

(١١) سفيان بن عيينة: ابن أبي عمران، سبقت ترجمته، انظر: ٢٤٣.

(١٢) الأوزاعي: عبدالرحمن بن عمرو بن يحمد، سبقت ترجمته، انظر: ٢٩٦.

(١٣) معمر بن راشد: هو: معمر بن راشد بن أبي عروة الأزدي مولاهم البصري، أبو عروة. =

أحاديث الصفات أنهم كلهم قالوا: أمرُّوها كما جاءت. قال أبو عمر: «ما جاء عن النبي ﷺ من نقل الثقات، أو جاء عن الصحابة رضي الله عنهم، فهو علم يُدان به[١]؛ وما حدث[٢] بعدهم ولم يكن له أصل[٣] فيما جاء عنهم، فهو بدعة وضلالة»[٤].

وقال في «شرح الموطأ»[٥]: لما تكلم على حديث النزول[٦] [٧] قال: هذا حديث ثابت من جهة النقل، صحيح الإسناد، لا[٨] يختلف أهل الحديث في صحته، وهو منقول من طرق[٩]

= قال ابن جريج: «عليكم بمعمر؛ فإنه لم يبق في زمانه أعلم منه». اهـ.

قال ابن سعد: «كان معمر رجلاً له حلم ومروءة ونبل في نفسه». اهـ.

ولد سنة خمس أو ست وتسعين، وتوفي سنة ثلاث وخمسين ومائة.

انظر: الطبقات الكبرى (٥/ ٥٤٦)، تذكرة الحفاظ (١/ ١٩٠)، السير (٧/ ٥)، شذرات الذهب (١/ ٢٣٥).

(١) في (ع) «فهو على ما جاءت به» بدل: فهو علم يدان به.

(٢) في (ج، ع) «أحدث».

(٣) في (ع) تكررت «له أصل» مرتين.

(٤) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١١٨) وفيه زيادة: «نحو حديث التنزل، وحديث إن الله خلق آدم على صورته، وأنه يدخل قدمه في جهنم، وما كان مثل هذه الأحاديث».

وليس فيه قوله: «... ما جاء عن النبي ﷺ من نقل الثقات...إلخ».

(٥) شرح الموطأ: المعروف باسم «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد» وهذا الكتاب للإمام ابن عبدالبر نفسه، وقد طبع في ثلاثة وعشرين جزءاً.

(٦) في (ع) زيادة «قال هذا حديث النزول» وفي هذا الأسلوب ركاكة.

(٧) حديث النزول: هو حديث أبي هريرة «**ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا..**» الحديث، سبق تخريجه، انظر: ص٣٥٥.

وقد شرحه ابن عبدالبر في كتاب «التمهيد» في ج٧ ما بين ص١٢٨ إلى ص١٥٩.

(٨) في (ع) «ولا».

(٩) في (ج) «طريق».

سوى هذه[١]، من أخبار العدول عن النبي ﷺ، وفيه دليل على أن الله في السماء على العرش من فوق سبع سماوات، كما قالت[٢] الجماعة، وهو من حجتهم على المعتزلة في قولهم: إن الله في كل مكان[٣].

وقال: والدليل على صحة قول أهل الحق قول الله ـ وذكر بعض الآيات ـ[٤] إلى أن قال: وهذا أشهر وأعرف عند العامة والخاصة من أن يحتاج إلى أكثر من حكايته، لأنه اضطرار[٥] لم يوقفهم[٦] عليه أحد، ولا أنكره [عليهم][٧] مسلم.

وقال أبو عمر ابن عبدالبر أيضاً: أجمع[٨][٩] علماء الصحابة والتابعين الذين حمل[١٠] عنهم التأويل[١١][١٢]، قالوا في تأويل قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن

(١) في التمهيد: «من طرق متواترة ووجوه كثيرة من أخبار العدول..».

(٢) في (ج) «قال».

(٣) في التمهيد زيادة: «وليس على العرش».

(٤) نحو قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، وقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾ [السجدة:٤]، وقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾ [فصلت:١١].

(٥) وهذا الاضطرار كما ذكره: هو أن الموحدين أجمعين من العرب والعجم إذا كربهم أمر، أو نزلت بهم شدة، رفعوا وجوههم إلى السماء، يستغيثون ربهم. التمهيد (٧/ ١٣٤).

(٦) في التمهيد «يؤنبهم»، وفي نسخة (ج) «يوافقهم»، وفي (ع) «يدفعهم».

(٧) ما بين المعكوفتين من (ج، ع)، وكذا في التمهيد.

(٨) في التمهيد: «لأن» بدل: أجمع. وسقطت «أجمع»، من (ج).

(٩) في (ع) زيادة «المسلمون» ولا معنى لها هنا.

(١٠) في التمهيد: «حملت».

(١١) في التمهيد: «التأويل».

(١٢) في التمهيد: زيادة «القرآن».

﴿نَجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة :١٤] هو على العرش وعلمه في كل مكان، وما خالفهم في ذلك من يحتج بقوله.

وقال أبو عمر أيضاً : أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها، وحملها على الحقيقة؛ لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئاً من ذلك ولا يحدون[1] فيه صفة محصورة.

وأما أهل البدع – الجهمية[2] والمعتزلة[3] كلها والخوارج[4] : فكلهم ينكرها، ولا يحمل شيئاً منها على الحقيقة، ويزعم أن من أقر بها مشبِّه، وهم عند من أقر بها[5] نافون للمعبود، والحق فيما قاله القائلون : بما نطق به كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ وهم أئمة الجماعة »[6].

قول الإمام البيهقي

وفي عصره الحافظ أبو بكر البيهقي[7] مع توليه للمتكلمين[8] من أصحاب أبي الحسن الأشعري[9]،

(١) في (ع) «يجدون» بدل: يحدون.

(٢) الجهمية: سبق التعريف بهم ، انظر: ص٢٣٤.

(٣) المعتزلة: سبق التعريف بهم، انظر: ص٢٨١.

(٤) الخوارج: سبق التعريف بهم، انظر: ص٢٠٤.

(٥) في التمهيد: «أثبته » بدل: أقر بها.

(٦) انظر التمهيد (٧/ ١٢٨-١٢٩، ١٣٤، ١٣٨-١٣٩، ١٤٥).

(٧) أبو بكر البيهقي: أحمد بن الحسين البيهقي، سبقت ترجمته، انظر: ص٢٥٥.

(٨) في (ج، ع) «المتكلمين».

(٩) أبو الحسن الأشعري: علي بن إسماعيل بن أبي بشر بن سالم الأشعري، اشتهر بأبي الحسن، نشأ الأشعري على مذهب المعتزلة، ومضى على ذلك صدراً من حياته، وتتلمذ على أبي علي الجبائي من أكابر المعتزلة، وقد ذكر ابن عساكر وغيره أنه بقي على مذهب الاعتزال أربعين سنة، أو قريباً من ذلك، ثم أعلن رجوعه عن الاعتزال على الملأ، وأنه رجع عن جميع أقواله السابقة.

قال عنه الذهبي: لأبي الحسن ذكاء مفرط، وتبحر في العلم، وله أشياء حسنة، =

= وتصانيف جمة تقضي له بسعة العلم. وقال: رأيتُ لأبي الحسن أربعة تواليف في الأصول يذكر فيها قواعد السلف في الصفات، وقال فيها: تمر كما جاءت، ثم قال: وبذلك أقول، وبه أدين، ولا تؤول. اهـ.

وقال أبو بكر بن الصيرفي: كانت المعتزلة قد رفعوا رؤوسهم حتى أظهر الله تعالى الأشعري فحجرهم. اهـ.

وقد ولد سنة ستين ومائتين، وتوفي سنة عشرين وثلاثمائة، واختلف في الأطوار التي مر بها أبو الحسن بعد أن تخلى عن مذهب الاعتزال، هل كانت طوراً واحداً أو طورين.

فقيل: إنه بعد أن تحول بقي على طور واحد، توسط فيه بين المعتزلة والمثبتة، تمخض عنه ما يسمي بالمذهب «الأشعري» وهذا هو رأي جمهور الأشاعرة.

وقيل: إنه مر بطورين بعد تحوله من مذهب الاعتزال، واختلف هؤلاء على قولين:

أ- أن الأشعري انتقل أولاً إلى طريقة ابن كُلاّب، ثم تحول في الأخير إلى مذهب السلف.

ب- أن الأشعري انتقل أولاً إلى مذهب السلف، ثم تحول إلى التوسط بين السلف والمعتزلة.

يقول شيخ الإسلام: «وأبو الحسن الأشعري لما رجع عن مذهب المعتزلة سلك طريقة ابن كُلاّب، ومال إلى أهل السنة والحديث، وانتسب إلى الإمام أحمد كما ذكر ذلك في كتبه كلها كالإبانة، والموجز، والمقالات، وغيرها ...».

وقال في موضع آخر: «والأشعري وأمثاله في برزخ بين السلف والجهمية، وأخذوا من هؤلاء كلاماً صحيحاً، ومن هؤلاء أصولاً عقلية ظنوها صحيحة وهي فاسدة، فمن الناس من مال إليه من الجهة السلفية، ومن الناس من مال إليه من الجهة البدعية والجهمية، كأبي المعالي وأتباعه...» اهـ.

وقد درس فضيلة د. عبدالرحمن بن صالح المحمود شخصية أبي الحسن دراسة وافية في نحو ١٦٢ ورقة، وانتهى إلى أنه قرب كثيراً من مذهب أهل السنة، إلا أنه قد بقيت عليه بقايا من مذهب ابن كلاب.

له مصنفات كثيرة منها: « مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين »، وكتاب «اللمع في =

وذبه عنهم(١) قال في كتاب «الأسماء والصفات»(٢) «باب ما جاء في إثبات اليدين صفتين - لا من حيث الجارحة لورود [خبر](٣) الصادق به»(٤) قال الله تعالى: ﴿يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص:٧٥]، وقال: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤].

وذكر الأحاديث الصحاح في هذا الباب، مثل قوله في غير حديث، في

= الرد على أهل الزيغ والبدع»، وكتاب «رسالة إلى أهل الثغر»، وكتاب «الإبانة عن أصول الديانة»، وكتاب «الرؤية بالأبصار»، وكتاب «النقض على الجبائي»، وغير ذلك.
انظر: تاريخ بغداد (١١/ ٣٤٦)، وفيات الأعيان (٣/ ٢٨٤)، السير (١٥/ ٨٥)، شذرات الذهب (٢/ ٣٠٣)، درء تعارض العقل والنقل (٢/ ١٦)، الفتاوي (١٦/ ٤٧١)، موقف ابن تيمية من الأشاعرة، للدكتور عبدالرحمن المحمود (١/ ٣٦٣) - رسالة دكتوراه.
وانظر: «تبيين كذب المفتري».

(١) في (ع) «بهم» بدل: عنهم.

(٢) كتاب «الأسماء والصفات» للبيهقي، طبع عدة طبعات؛ منها ما خرج في مجلد واحد بعناية محمد زاهد الكوثري، ط: دار أحياء التراث العربي، وطبع في مجلدين بتحقيق: عماد الدين أحمد حيدر. ط. الأولى ١٤٠٥هـ، دار الكتاب العربي.
والبيهقي في هذا الكتاب يسوق الأحاديث والآثار بإسناده مع ذكر بعض الآيات مستدلاً بها على ما أورده، وقسّم كتابه أبواباً متعددة، أولها: « إثبات أسماء الله تعالى ذكره بدلالة الكتاب والسنة وإجماع الأمة»، وآخرها «باب إعادة الخلق» .
وقد نهج في هذا الكتاب أنه غالباً ما يتكلم على بعض النصوص التي يوردها، وقد تأول في بعض النصوص تأويلات مخالفة لمنهج السلف في ذلك، مقتفياً مذهب الأشاعرة في هذا، وقد نقل بعض هذه التأويلات عن مجموعة من علماء الأشاعرة مثل الحليمي، والخطابي، والأشعري، والأسفراييني وغيرهم.

(٣) بياض في (الأصل)، وما أثبت من(ج) وكذا في الأسماء والصفات.

(٤) «خبر الصادق به» سقطت من (ع).

حديث الشفاعة : **«يا آدم أنت أبو البشر، خلقك [الله][(١)] بيده، ونفخ فيك من روحه»**[(٢)(٣)] ومثل قوله في الحديث المتفق عليه: **«أنت موسى اصطفاك الله بكلامه، وخطّ لك الألواح بيده»** وفي لفظ: **«وكتب لك التوراة بيده»**[(٤)]، و[(٥)] مثل ما في صحيح مسلم: **«وغرس كرامة أوليائه في جنة عدن بيده»**[(٦)]، ومثل قوله ﷺ: **«تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفاها[(٧)] الجبار[(٨)] بيده، كما يتكفى أحدكم خبزته في السفر، نُزلاً لأهل الجنة »**[(٩)].

وذكر أحاديث مثل قوله: **«بيدي الأمر[(١٠)]»**[(١١)]،

---

(١) زيادة من (ع).

(٢) « نفخ فيك من روحه » سقط من (ج، ع).

(٣) والحديث كما في صحيح البخاري (١٣/ ٤٧٧-٤٧٨) رقم ٧٥١٦، كتاب التوحيد باب قول الله عز وجل ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾. عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يُجمع المؤمنون يوم القيامة، فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا فيريحنا من مكاننا هذا، فيأتون آدم، فيقولون له: أنت آدم أبو البشر خلقك الله بيده ...»** الحديث.

ورواه مسلم (١/ ١٨٠-١٨١) رقم ١٩٣، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة.

(٤) سبق تخريج الحديث، انظر: ص٤١٠.

(٥) في (ع) زيادة «في».

(٦) رواه مسلم (١/ ١٧٦) رقم ١٨٩، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة، عن المغيرة ابن شعبة .

(٧) يتكفاها: بفتح الفاء، والكاف، وتشديد الفاء المفتوحة. أي : يميلها.

فتح الباري (١١/ ٣٧٣)، النهاية في غريب الحديث (٤/ ١٨٣).

(٨) في (الأصل) يتكفاء بالجبار وهو خطأ، وما أثبت من (ج، ع)، وكذا الأسماء والصفات.

(٩) رواه البخاري (١١/ ٣٧٢) رقم ٦٥٢٠، كتاب الرقاق، باب يقبض الله الأرض يوم القيامة، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(١٠) في (الأصل) «الخير» بدل: الأمر، ولعل الصواب ما أثبت. وسقطت «الأمر» من (ع).

(١١) الحديث كما رواه البخاري (١٣/ ٤٦٤) رقم ٧٤٩١، كتاب التوحيد، باب قول الله =

«والخير بيديك»[١] **«والذي نفس محمد بيده»**[٢] ، و**«إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل»**[٣] وقوله: **« المقسطون عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين»**[٤]، وقوله : **«يطوي الله السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن**[٥] **بيده اليمنى**[٦] **ثم يقول : أنا الملك، أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ ثم يطوي**

= تعالى ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: **«قال الله تعالى: يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر، بيدي الأمر أقلب الليل والنهار»** .

(١) رواه مسلم (١/ ٥٣٤-٥٣٥) رقم ٧٧١، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وذكر في الحديث دعاء استفتاح النبي ﷺ لصلاة الليل الطويل، وفيه: **«لبيك وسعديك والخير كله في يديك»** .

(٢) أورد البيهقي عدة أحاديث مشتمله على هذا اللفظ منها:

ما رواه البخاري (٢/ ١٢٥) رقم ٦٤٤، كتاب الأذان، باب وجوب صلاة الجماعة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«والذي نفسي بيده، لقد هممت أن آمر بحطب فيحطب ثم آمر بالصلاة...»** الحديث.

ومنها ما رواه مسلم (٤/ ١٨٣٦) رقم ٢٣٦٤، كتاب الفضائل، باب فضل النظر إليه ﷺ، وتمنيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: **«والذي نفس محمد بيده ليأتين على أحدكم يوم لا يراني، ثم لأن يراني أحب إليه من أهله وماله معهم»** .

(٣) الحديث رواه مسلم (٤/ ٢١١٣) رقم ٢٧٥٩، كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب، وإن تكررت الذنوب والتوبة، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

(٤) الحديث رواه مسلم (٣/ ١٤٥٨) رقم ١٨٢٧، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر.

ومعني قوله: **«وكلتا يديه يمين»** أي: كلتا يديه خير ويمن وبركة، لدفع توهم النقص.

انظر: تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص١٤٢، النهاية في غريب الحديث (٢/ ٣٤٥-٣٤٦)، لسان العرب (١٣/ ٤٥٩).

(٥) في (ج) «يأخذ بهن» بدل: يأخذهن.

(٦) في (ع) « بيمينه » بدل: بيده اليمنى.

الأرضين بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟»[(١)][(٢)].

وقوله : «**يمين الله ملأى، لا يغيضها نفقه، سحّاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض، فإنه لم يغض ما في يمينه، وعرشه على الماء، وبيده الأخرى القبض**[(٣)] **يخفض ويرفع**»[(٤)]. وكل هذه الأحاديث في الصحيح.

وذكر أيضاً قوله: «**إن الله لما خلق آدم، قال له ويداه مقبوضتان: اختر أيهما شئت. قال : اخترت يمين ربي، وكلتا يدي ربي يمين مباركة**»[(٥)]،

---

(١) قوله : «ثم يطوي الأرضين ..» إلى قوله: «أين المتكبرون» سقط من (ع).

(٢) الحديث رواه مسلم (٤/٢١٤٨) رقم ٢٧٨٨، كتاب صفة القيامة والجنه والنار. عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما .

(٣) في (الأصل) «القسط» وكذا في (ج،ع) وما أثبت من الصحيحين، والأسماء والصفات للبيهقي.

(٤) الحديث متفق عليه: رواه البخاري (١٣/ ٤٠٣) رقم ٧٤١٩، كتاب التوحيد، باب «وكان عرشه على الماء» عن أبي هريرة . ومسلم (٢/ ٦٩١)، كتاب الزكاة، باب : الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف.

ومعنى: «**سحاء الليل والنهار**» سحاء: على وزن فعلاء، صفة لليد، من سحّ يسحّ سحاً، أي: دائمة العطاء والصب، والليل والنهار: منصوبان على الظرفية، أي: فيهما.

انظر: النهاية في غريب الحديث (٢/ ٣٤٥-٣٤٦)، شرح مسلم للنووي (٤/ ٨٠)، فتح الباري (٨/ ٣٥٣) (١٣/ ٣٩٥)، لسان العرب (٢/ ٤٧٦).

ومعنى قوله: «**وبيده الأخرى القبض**» أي: قبض الأرواح بالموت.

شرح مسلم للنووي (٤/ ٨١)، فتح الباري (١٣/ ٣٩٥).

(٥) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٥٣) رقم ٣٣٦٨، كتاب التفسير، باب ومن سورة المعوذتين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ «**لما خلق الله آدم، ونفخ فيه الروح، عطس فقال: الحمد لله...**» وذكر الحديث بطوله.

=

وحديث: «**إن الله**[١] **لما خلق آدم مسح ظهره**»[٢] إلى أحاديث أخر ذكرها من هذا النوع.

ثم قال «البيهقي»: أما المتقدمون من هذه الأمة، فإنهم لم يفسروا ما كتبنا من الآيات والأخبار في هذا الباب، وكذلك قال في الاستواء على العرش، وسائر الصفات الخبرية[٣] مع أنه يحكي قول بعض المتأخرين.

قول القاضي أبي يعلى

وقال القاضي أبو يعلى[٤] في كتاب

= قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة ... اهـ. وابن أبي عاصم في «السنة » (١/ ٩١) رقم ٢٠٦. ورواه الحاكم في المستدرك (١/ ٦٤) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم. وذكر له شاهداً ووافقه الذهبي. والبيهقي في «الأسماء والصفات » (٢/ ٥٦). وابن حبان ص٥٠٨-٥٠٩، رقم ٢٠٨٢.

(١) لفظة «الله» سقطت من (ج، ع).

(٢) الحديث: أخرجه أبو داود (٥/ ٧٩-٨٠) رقم ٤٧٠٣، كتاب السنة، باب في القدر، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديث طويل. والترمذي (٥/ ٢٦٦) رقم ٣٠٧٥، كتاب التفسير، باب ومن سورة الأعراف، قال الترمذي: هذا حديث حسن، ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر، وقد ذكر بعضهم في هذا الإسناد بين مسلم بن يسار وبين عمر رجلاً مجهولاً. اهـ. رواه أحمد في مسنده (١/ ٤٤-٤٥). ومالك في الموطأ (٢/ ٨٩٨-٨٩٩) كتاب القدر، باب النهي عن القول بالقدر. وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٨٧) رقم ١٩٦. والحاكم في المستدرك (١/ ٢٧)، وقال : حديث صحيح على شرطهما ولم يخرجاه. اهـ. وقال الذهبي في «التلخيص»: فيه إرسال. اهـ. والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٥٦، ٥٧) .
وقد ضعف الألباني إسناده، انظر : التعليق على كتاب السنة لابن أبي عاصم (١/ ٨٩).
والشاهد في الحديث قوله «مسح ظهره بيمينه».

(٣) كتاب «الأسماء والصفات » للبيهقي (٢/ ٤٣-٦٢، ١٥٠).

(٤) القاضي أبو يعلى، هو: محمد بن الحسين بن محمد البغدادي الحنبلي، المشهور بالقاضي أبي يعلي، من أئمة الحنابلة، تفقه على أبي عبدالله بن حامد من كبار الحنابلة، وقد تولى القضاء للقائم بأمر الله، وبرع في مذهب أحمد بن حنبل حتى صار إماماً في المذهب. =

«إبطال التأويل»[١]: «لا يجوز رد هذه الأخبار[٢] ولا التشاغل بتأويلها[٣]،

وقد نعته الذهبي بقوله : أفتى ودرّس، وانتهت إليه الإمامة في الفقه، وكان عالم العراق في زمانه مع معرفة بعلوم القرآن وتفسيره، والنظر والأصول...اهـ.

أما عن مذهبه في الأصول، فيقول شيخ الإسلام عنه: «ونوع ثالث سمعوا الأحاديث والآثار، وعظموا مذهب السلف، وشاركوا المتكلمين الجهمية في بعض أصولهم الباقية، ولم يكن لهم من الخبرة بالقرآن والحديث والآثار، ما لأئمة السنة والحديث، لا من جهة المعرفة والتمييز بين صحيحها وضعيفها، ولا من جهة الفهم لمعانيها. وقد ظنوا صحة بعض الأصول العقلية للنفاة الجهمية، ورأوا ما بينها من التعارض، وهذا حال أبي بكر ابن فورك والقاضي أبي يعلى وابن عقيل وأمثالهم ... إلى أن قال : وتارة يفوضون معانيها، ويقولون: تجرى على ظواهرها، كما فعله القاضي أبو يعلى وأمثاله في ذلك » . اهـ.

وقد ولد سنة ثمانين وثلاثمائة، وتوفي سنة ثمان وخمسين وأربعمائة. له مصنفات كثيرة؛ منها: مسائل الإيمان، أحكام القرآن، العدة في أصول الفقه، الأحكام السلطانية، وغيرها.

انظر: تاريخ بغداد (٢/ ٢٥٦) ، طبقات الحنابلة (٢/ ١٩٣) ، درء تعارض العقل والنقل (٧/ ٣٤-٣٥)، السير (١٨/ ٨٩)، شذرات الذهب (٣/ ٣٠٦).

(١) إبطال التأويل: هذا الكتاب لأبي يعلى، طبع منه الجزء الأول باسم «إبطال التأويلات لأخبار الصفات» بتحقيق: عبدالله بن حمد النجدي، ط الأولى ١٤١٠هـ.

أما الكتاب فقد ألفه للرد على ابن فورك في كتابه «مشكل الحديث وبيانه » كما بين ذلك في مقدمة الكتاب ص٤١-٤٢. وقد أخذ العلماء على المؤلف في كتابه هذا إيراده الأحاديث الواهية والموضوعة ، يقول شيخ الإسلام : « وقد صنف القاضي أبو يعلى كتابه في «إبطال التأويل» رداً لكتاب ابن فورك، وهو وإن كان أسند الأحاديث التي ذكرها وذكر من رواها، ففيها عدة أحاديث موضوعة..». اهـ. درء تعارض العقل والنقل (٥/ ٢٣٧).

وقال الذهبي: «وجمع كتاب «إبطال تأويل الصفات» فقاموا عليه لما فيه من الواهي والموضوع ...» السير (١٨/ ٩٠).

(٢) في الإبطال زيادة: «على ما ذهب إليه جماعة من المعتزلة».

(٣) في الإبطال زيادة: «على ما ذهب إليه الأشعرية».

والواجب حملها على ظاهرها، وأنها صفات الله[١]، لا تشبه بسائر الموصوفين بها من الخلق، ولا نعتقد[٢] التشبيه فيها، لكن على ما روي عن الإمام أحمد وسائر الأئمة[٣].

وذكر بعض كلام الزهري[٤] ومكحول[٥] ومالك، والثوري[٦] والأوزاعي[٧] والليث[٨] وحماد بن زيد[٩] وحماد بن سلمة[١٠] وابن عيينة[١١]،

---

(١) في الإبطال: «لله».

(٢) في (ع) «يعتقد».

(٣) في الإبطال: «عن شيخنا وإمامنا أبي عبدالله أحمد بن حنبل وغيره من أئمة أصحاب الحديث أنهم قالوا في هذه الأخبار: أمروها كما جاءت، فحملوها على ظاهرها في أنها صفات لله تعالى، لا تشبه سائر الموصوفين».

(٤) الزهري، هو: محمد بن مسلم بن عبيدالله بن عبدالله بن شهاب، من بني زهرة القرشي، من كبار رواة الأحاديث، روى نحواً من ألفي حديث.
قال عنه عمر بن عبدالعزيز: عليكم بابن شهاب هذا؛ فإنكم لا تلقون أحداً أعلم بالسنة الماضية منه. اهـ.
ولد سنة إحدى وخمسين، وتوفي سنة أربع أو ثلاث وعشرين ومائة.
انظر: حلية الأولياء (٣/ ٣٦٠)، وفيات الأعيان (٤/ ١٧٧)، تذكرة الحفاظ (١/ ١٠٨)، السير (٥/ ٣٢٦)، شذرات الذهب (١/ ١٦٢).

(٥) مكحول، هو: مكحول بن أبي مسلم شهراب بن شاذل الشافعي، تقدمت ترجمته ص٢٩٩.

(٦) الثوري، هو: سفيان بن سعيد الثوري، تقدمت ترجمته ص٢٩٨.

(٧) الأوزاعي، هو: عبدالرحمن بن عمرو بن يحمد، تقدمت ترجمته ص٢٩٦.

(٨) الليث، هو: الليث بن سعد بن عبدالرحمن، تقدمت ترجمته ص٢٩٨ .

(٩) حماد بن زيد: تقدمت ترجمته ص٣٠١.

(١٠) حماد بن سلمة: تقدمت ترجمته ص٣٠٢.

(١١) ابن عيينة، هو: سفيان بن عيينة، تقدمت ترجمته ص٢٤٣.

والفضيل بن عياض[١]، ووكيع[٢]، وعبدالرحمن بن مهدي[٣]، وأسود[٤] ابن سالم[٥]، وإسحق بن راهويه[٦]، وأبي عبيد[٧]، ومحمد بن جرير الطبري[٨]، وغيرهم في هذا الباب. وفي[٩] حكاية ألفاظهم طول[١٠].

إلى أن قال: «ويدل[١١] على إبطال التأويل: أن الصحابة ومن بعدهم من[١٢] التابعين حملوها على ظاهرها، ولم يتعرضوا لتأويلها، ولا صرفها عن[١٣] ظاهرها، فلو كان التأويل سائغاً لكانوا إليه أسبق، لما فيه من إزالة التشبيه ورفع الشبهة»[١٤][١٥].

---

(١) الفضيل بن عياض: تقدمت ترجمته ص٢٤٤.

(٢) وكيع: وكيع بن الجراح، تقدمت ترجمته ص٣٥٦.

(٣) عبدالرحمن بن مهدي، تقدمت ترجمته ص٣٣٨.

(٤) في (ج) «الأسود» والصواب ما أثبت.

(٥) أسود بن سالم، أبو محمد العابد، كان ذا عبادة وصلاح، مجانباً لأهل البدع ومبغضاً لهم. قال محمد بن جرير الطبري: «أسود بن سالم كان ثقة، ورعاً فاضلاً» اهـ. توفي سنة ثلاث عشرة، أو أربع عشرة ومائتين. انظر: تاريخ بغداد (٧/ ٣٥)، الجرح والتعديل (٢/ ٢٩٤).

(٦) إسحاق بن راهويه: تقدمت ترجمته ص٢٤٣.

(٧) أبو عبيد: القاسم بن سلام، تقدمت ترجمته ص٣٣٠.

(٨) محمد بن جرير الطبري: تقدمت ترجمته ص٤٥٢.

(٩) «في» سقطت من (ع).

(١٠) «طول» سقطت من (ع).

(١١) في الإبطال: «ودليل آخر» بدل: ويدل.

(١٢) «ومن بعدهم من» سقطت من (ع).

(١٣) في (ع) «على» بدل: عن.

(١٤) في الإبطال: زيادة: «بدل قد روي عنهم ما دل على إبطاله»، وفي (ج) بدل: الشبهة. وفي (ع) «المشبهة».

(١٥) إبطال التأويلات، لأبي يعلى (١/ ٤٣-٥٨، ٧١).

قول أبي الحسن الأشعري في كتابه المقالات

وقال أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري[١] المتكلم، صاحب الطريقة المنسوبة إليه في الكلام[٢]، في كتابه الذي صنفه في (اختلاف المصلين،[٣] ومقالات الإسلاميين)[٤]، وذكر فرق الروافض[٥]،

---

(١) أبو الحسن، علي بن إسماعيل الأشعري، مضت ترجمته قريباً ص٤٨٢.

(٢) المذهب المنسوب إلى أبي الحسن الأشعري في الكلام هو: المذهب الأشعري.

وسبق الكلام أن مذهب جمهور الأشاعرة في الصفات: إثبات ما يسمونه «بالصفات العقلية» ونفي «الصفات الخبرية»، والصفات العقلية التي يثبتونها هي: الحياة ، والعلم، والإرادة، والقدرة، والسمع، والبصر، والكلام النفسي.

وقد انتشر هذا المذهب في أرجاء العالم الإسلامي، بل أطلق عليه في بعض الأحيان بأنه مذهب أهل السنة والجماعة، وكان لهذا الانتشار أسباب كثيرة ؛ منها:

نشأة هذا المذهب في حاضرة الخلافة العباسية «بغداد »، وأيضاً: تبني بعض الأمراء والوزراء لمذهب الأشاعرة، واعتماد بعض العلماء المشهورين لهذا المذهب ونصرتهم إياه؛ مثل: الباقلاني، وابن فورك، والأسفراييني، والجويني، والبيهقي، والبغدادي، والرازي ... وغيرهم.

ومن أهم الأسباب التي أدت إلى انتشار هذا المذهب تصدي أصحاب هذا المذهب للرد على «المعتزلة » العدو اللدود لأهل السنة.

انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة للدكتور عبدالرحمن المحمود – رسالة دكتوراه – (٢/ ٥٢٨-٥٣٤).

(٣) في (ج) «المضلين» والصواب ما أثبت.

(٤) وقد طبع هذا الكتاب بعناية «هلموت ريتر»، وقد طبع عدة طبعات، وهذا الكتاب من أهم المراجع في الفرق ومقالاتهم، ابتدأه بحكاية مقالات غلاة الشيعة، وانتهى بذكر اختلاف الناس في «الناسخ والمنسوخ».

(٥) الروافض: أطلق شيخ الإسلام اسم «الروافض» على الشيعة تغليباً، وإلا فالروافض فرقة من فرق الشيعة، فقد قسم الأشعري الشيعة إلى ثلاثة أقسام: الغالية، الروافض، الزيدية، وقيل: إن سبب تسمية الرافضة بهذا الاسم: لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر، وقيل: لرفضهم زيد بن علي بن الحسين حينما تولى أبا بكر وعمر، فقال: رفضمتوني، فسموا رافضة. =

والخوارج[١]، والمرجئة[٢]، والمعتزلة[٣]، وغيرهم.

ثم قال: «مقالة أهل السنة[٤] وأصحاب الحديث جملة[٥]: قول[٦]

= ويعدون من غلاة الشيعة، وهم فرق شتى، منها: الجارودية، والإمامية، والاثنا عشرية، والكيسانية، والهاشمية، والغرابية ..

ويزعمون أن النبي ﷺ نص على استخلاف علي بن أبي طالب باسمه، وتبرؤوا من أبي بكر وعمر، وأن أكثر الصحابة ضلوا بتركهم الاقتداء بعلي بعد وفاة النبي ﷺ، وأن الأمة ارتدت بتركها إمامته، وادعى كثير منهم العصمة لأئمتهم، إلى غير ذلك من عقائدهم مما هو موضح في موضعه.

انظر: مقالات الإسلاميين ص١٦، التبصير في الدين ص١٦، التنبيه والرد للملطي ص١٥٦، اعتقاد فرق المسلمين والمشركين للرازي ص٧٧، البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ص٦٥، خبيئة الأكوان ص٢٩.

(١) الخوارج: سبق التعريف بهم، انظر ص٢٠٤.

(٢) المرجئة: من الإرجاء وهو التأخير، ومنه قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ ﴾ [الأعراف: ١١١]، وسموا بذلك؛ لأنهم أخروا العمل عن مسمى الإيمان، فقالوا: الإيمان هو الاعتقاد بالقلب فقط، ومنهم من قال: الإيمان هو: الاعتقاد والنطق فقط.

وقيل: سموا بذلك لإعطائهم الرجاء، حيث قالوا: لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة. وهم فرق شتى؛ منها: الجهمية، واليونسية، والغسانية، والتومنية، والثوبانية، والمريسية، وغيرهم.

انظر مقالات الإسلاميين ص١٣٢، الملل والنحل (١/ ١٦١)، التبصير في الدين ص٥٩، الفرق بين الفرق ص١٩٠، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص١٠٧، البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ص٣٣، ذكر مذاهب الفرق الثنتين والسبعين لليافعي ص١٣٢.

(٣) المعتزلة: سبق التعريف بهم، انظر ص٢٨١.

(٤) في (ع) زيادة: «وأصحاب السنة» بعد: أهل السنة.

(٥) في المقالات: «حكاية جملة قول أصحاب الحديث وأهل السنة».

(٦) في (ع) زيادة «واو» بعد: قول.

أصحاب الحديث وأهل السنة[١] : الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله، وبما جاء[٢] عن الله[٣]، وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ، لا يردون شيئاً من ذلك[٤]، وأن الله واحد أحد[٥]، فرد صمد، لا إله غيره، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن الجنة حق، وأن[٦] النار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وأن الله على عرشه كما قال تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥] ، وأن له يدين بلا كيف كما قال تعالى: ﴿خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص:٧٥]، وكما قال تعالى: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤]، وأن له عينين بلا كيف كما قال تعالى: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ [القمر:١٤]، وأن له وجهاً كما قال تعالى: ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ [الرحمن:٢٧] .

وأن أسماء الله تعالى لا يقال : إنها غير الله كما قالت المعتزلة والخوارج[٧] وأقروا أن لله[٨] علماً كما قال تعالى : ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ﴾ [النساء:١٦٦]، وكما قال تعالى: ﴿وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ﴾ [فاطر:١١]، وأثبتوا السمع والبصر، ولم ينفوا ذلك عن الله كما نفته المعتزلة،

---

(١) في المقالات: «جملة ما عليه أهل الحديث والسنة».

(٢) في المقالات: «وما جاء».

(٣) في المقالات: «من عند الله».

(٤) في المقالات: «من ذلك شيئاً».

(٥) في المقالات: «وأن الله سبحانه إله واحد» وفي (ع) دون «أحد».

(٦) «أن» سقطت من (ج).

(٧) هذه المسألة سبق الكلام عليها في «الاسم والمسمى» وهل يقال: الاسم هو المسمى أو غيره؟ انظر ص٤٥٠.

(٨) في (ع) «الله».

وأثبتوا لله القوة كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت:١٥] وذكر مذهبهم في القدر. إلى أن قال : ويقولون : القرآن كلام الله غير مخلوق ، والكلام في اللفظ والوقف[(١)] من قال

---

(١) والمراد بالوقف هنا: التوقف في القرآن، فلا يقال: هو مخلوق ولا غير مخلوق، وهؤلاء هم الذين أطلق عليهم أهل السنة «الواقفة »، وقد أنكر عليهم الأئمة هذه البدعة، وشنعوا عليهم.

سئل الإمام أحمد: هل لهم رخصة أن يقول الرجل: القرآن كلام الله ثم يسكت؟ قال: «ولم يسكت! لولا ما وقع فيه الناس كان يسعه السكوت، ولكن حيث تكلموا فيما تكلموا لأي شيء لا يتكلمون». اهـ.

قال الآجري معلقاً على ذلك: «معنى قول أحمد بن حنبل في هذا المعنى: يقول: لم يختلف أهل الإيمان أن القرآن كلام الله عز وجل. فلما جاء جهم فأحدث الكفر بقوله: إن القرآن مخلوق، لم يسع العلماء إلا الرد عليه بأن القرآن كلام الله عز وجل غير مخلوق بلا شك، ولا توقف فيه، فمن لم يقل: «غير مخلوق » سمي واقفياً شاكاً في دينه. اهـ.

وعن أبي طالب قال: سألت أبا عبدالله – يعني الإمام أحمد – عمن أمسك فقال: لا أقول: ليس هو مخلوق. إذا لقيني بالطريق وسلّم علي، أسلم عليه؟ قال: لا تسلم عليه ولا تكلمه، كيف يعرفه الناس إذا سلمت عليه؟ وكيف يعرف هو أنك منكر عليه؟ فإذا لم تسلم عليه عرف الذل، وعرف أنك أنكرت عليه، وعرف الناس. اهـ.

وقال أبو داود: سمعت أحمد، وقيل له: ما ترى في الصلاة خلف من يقول في القرآن: كلام الله ويقف؟ قال: «يعجبني أن يُجفَوا » . بل إن العلماء ألحقوهم بالجهمية؛ فقد قال الإمام أحمد: «افترقت الجهمية على ثلاث فرق: فرقة قالوا: القرآن مخلوق، وفرقة قالوا: كلام الله وتسكت، وفرقة قالوا: لفظنا بالقرآن مخلوق». اهـ.

وقال ابن أبي بزة: «من قال القرآن مخلوق أو وقف، ومن قال: لفظي بالقرآن مخلوق أو شيئاً من هذا، فهو على غير دين الله عز وجل، ودين رسول ﷺ حتى يتوب ». اهـ.

وأكثر العلماء في الرد على هؤلاء وشددوا عليهم، وخاصة الإمام أحمد.

انظر تفصيل ذلك في: السنة لعبدالله ابن الإمام أحمد (١/ ١٧٩)، مسائل الإمام أحمد لأبي داود ص٢٦٣، ٢٧٠، ٢٧١، الرد على الجهمية للدارمي ص١٦٨-١٧٠، الشريعة =

باللفظ و[1] بالوقف فهو مبتدع عندهم، لا يقال: اللفظ بالقرآن مخلوق، ولا يقال: غير مخلوق[2].

ويقرون[3] أن الله يرى بالأبصار يوم القيامة، كما يرى القمر ليلة البدر يراه المؤمنون ، ولا يراه الكافرون؛ لأنهم عن الله محجوبون ، قال عز وجل ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥] .

وذكر قولهم في الإسلام والإيمان والحوض والشفاعة وأشياء، إلى أن قال: ويقرون بأن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، ولا يقولون مخلوق[4][5]، ولا يشهدون على أحد من أهل[6] الكبائر بالنار. إلى أن قال: وينكرون الجدل والمراء في الدين والخصومة فيه[7] والمناظرة فيما يتناظر فيه أهل الجدل، ويتنازعون فيه من دينهم[8]، ويسلمون[9] للروايات الصحيحة، ولما جاءت بها[10] الآثار التي جاءت بها[11] الثقات عدلاً عن

= للآجري ص٨٧-٨٨، شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (١/ ٣٢٣)، الحجة للأصبهاني (١/ ٣٩٠).

(١) في المقالات: «أو» بدل الواو.

(٢) انظر: ص٤٤٩.

(٣) في المقالات: «ويقولون ».

(٤) في المقالات زيادة: « ولا مخلوق، ويقولون : أسماء الله هي الله ..».

(٥) انظر: ص٤٥١.

(٦) «أهل» سقطت من (ع).

(٧) في المقالات: «في القدر» بدل: فيه، وفي (ع) «فيه» غير موجودة.

(٨) انظر: ص٤٤٧.

(٩) في المقالات: «بالتسليم».

(١٠) في (ج، ع) «به».

(١١) في المقالات: «التي رواها».

عدل حتى ينتهي ذلك إلى رسول الله ﷺ، لا يقولون: كيف ولا لم؟ لأن ذلك بدعة.

إلى أن قال: ويقرون أن الله يجيء يوم القيامة كما قال تعالى : ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر:٢٢]، وأن الله يقرب من خلقه كيف يشاء؛ كما قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق:١٦] [١].

إلى أن قال: ويرون مجانبة كل [٢] داع إلى بدعة، والتشاغل [٣] بقراءة القرآن، وكتابة الآثار، والنظر في الفقه، مع الاستكانة والتواضع، وحسن الخلق، مع بذل المعروف، وكف الأذى، وترك الغيبة والنميمة والسعاية، وتفقد [٤] المآكل والمشارب [٥]. قال : فهذه جملة ما يأمرون به ، ويستسلمون [٦] إليه، ويرونه، وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول وإليه نذهب، وما توفيقنا إلا بالله وهو المستعان» [٧][٨].

وقال الأشعري أيضاً «في اختلاف أهل القبلة في العرش» [٩] :

«قال أهل السنة وأصحاب الحديث: ليس بجسم ولا يشبه الأشياء، وأنه

---

(١) سبق الكلام على أن القول الراجح في أن القرب في هذه الآية هو قرب الملائكة، وليس قرب الله، انظر: ص٤٠٢.

(٢) «كل » تكررت في (ج).

(٣) في (ج) «فالتشاغل».

(٤) في (ع) «يفقد».

(٥) في المقالات: «المأكل والمشرب»، وكذا في (ع).

(٦) في المقالات: «ويستعملونه».

(٧) في المقالات: «وهو حسبنا ونعم الوكيل وبه نستعين وعليه نتوكل وإليه المصير». اهـ.

(٨) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، للأشعري ص٢٩٠-٢٩٧.

(٩) في (ج، ع) زيادة: «فقال».

استوى على العرش[١] كما قال تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، ولا نتقدم[٢][٣] بين يدي الله ورسوله[٤] في القول؛ [بل][٥] نقول: استوى بلا كيف، وأن له وجهاً كما قال تعالى: ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ [الرحمن:٢٧] ، وأن له يدين كما قال تعالى: ﴿خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص:٧٥] ، وأن له عينين كما قال: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ [القمر:١٤]، وأنه يجيء يوم القيامة هو وملائكته[٦] كما قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾ [الفجر: ٢٢]، وأنه ينزل إلى السماء الدنيا كما جاء في الحديث[٧]، ولم يقولوا شيئاً إلا ما وجدوه[٨] في الكتاب و[٩] جاءت به الرواية عن رسول الله ﷺ .

وقالت[١٠] المعتزلة : إن الله استوى على العرش[١١] بمعنى : استولى وذكر مقالات أخرى[١٢].

قول الأشعري في كتابه الإبانة

وقال أيضاً أبو الحسن الأشعري[١٣] في كتابه الذي سماه[١٤] «الإبانة في

(١) في المقالات: «وأنه على العرش» وكذا في (ع).
(٢) في المقالات: «ولا نقدم» وكذا في (ع).
(٣) في (ع) زيادة «ولا يتأخر».
(٤) «ورسوله» غير موجودة في (ج، ع)، وكذا في المقالات.
(٥) «بل» غير موجودة في (الأصل)، وما أثبت من (ج، ع)، وكذا في المقالات.
(٦) في (ع) «الملائكة».
(٧) انظر: ص٣٥٥.
(٨) في (ع) «وجدوه» بدون الميم.
(٩) في المقالات: «أو» بدل الواو، وكذا في (ج، ع).
(١٠) في (ج) «وقال» بدل: وقالت.
(١١) في المقالات: «عرشه».
(١٢) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين لأبي الحسن الأشعري ص٢١١.
(١٣) «الأشعري» سقطت من (ع).
(١٤) «الذى سماه» سقطت من (ع).

أصول الديانة»[١] وقد[٢] ذكر أصحابه أنه آخر كتاب صنفه، وعليه يعتمدون في الذب عنه عند من يطعن[٣] عليه . فقال :

«فصل في إبانة قول[٤] أهل الحق[٥] والسنة» .

فإن قال[٦][٧] قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة[٨]، والقدرية[٩]،

(١) هذا الكتاب طبع عدة طبعات، باسم «الإبانة عن أصول الديانة » منها ما هو محقق، ومنها ما طبع مجرداً، فهناك نسخة طبعت مجردة طبعتها «جامعة الإمام » ١٤٠٠هـ، وأيضاً طبع بتحقيق دكتورة فوقية حسين محمود، الطبعة الأولى١٣٩٧هـ، دار الأنصار، مما تميزت به هذه الطبعة اعتمادها على أكثر من نسخة خطية، واشتمالها على دراسة مطولة عن أبي الحسن الأشعري، مع أن هذه الطبعة عليها بعض الملحوظات، من أهمها: اعتماد إحدى النسخ الخطية التي انفردت بزيادات ليست موجودة في النسخ الأخرى، وقد أثبتت هذه الزيادات في النص الأصلي، وبعض هذه الزيادات مخالف للمنهج السلفي الغالب على الكتاب. وهذا الكتاب من أهم كتب الأشعري، ومما كثر حوله الجدل، ذلك لأنه يخالف ما عليه كثير من متأخري الأشاعرة، خاصة في مسألة الصفات الخبرية.

وقد أفرد الدكتور عبدالرحمن المحمود في رسالته للدكتوراه «موقف ابن تيمية من الأشاعرة» (٢/ ٣٧٤-٤١٥) دراسة وافية عن هذا الكتاب، فلتراجع.

(٢) «قد» سقطت من (ج، ع).

(٣) في (ع) «يطغى» بدل: يطعن.

(٤) «قول» سقطت من (ج).

(٥) «الحق» سقطت من (ج).

(٦) «قال» سقطت من (ج).

(٧) في الإبانة زيادة: «لنا».

(٨) المعتزلة: سبق التعريف بهم: انظر: ص٢٨١.

(٩) القدرية: إذا أطلق هذا الاسم، فالمقصود به غالباً من يقول: إن العبد يخلق فعل نفسه، وهم «المعتزلة»، وأما إذا قيل: المعتزلة والقدرية، فالمقصود هنا : هم الجبرية، والجبرية سبق التعريف بهم، انظر: ص٤٢٦.

والجهمية[١]، والحرورية[٢]، والرافضة[٣]، والمرجئة[٤]؛ فعرفونا قولكم الذي به[٥] تقولون، وديانتكم التي بها تدينون.

تصريح الأشعري الالتزام بمنهب الإمام أحمد

قيل له: قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي[٦] ندين بها: التمسك بكلام[٧] ربنا وسنة[٨] نبينا، وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول[٩] أبوعبدالله أحمد بن حنبل ـ نضَّر[١٠] الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته ـ قائلون، ولما خالف قوله مخالفون، لأنه الإمام الفاضل، والرئيس الكامل؛ الذي أبان الله به الحق، ودفع به الضلالة، وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع المبتدعين، وزيغ الزائغين، وشك الشاكّين؛ فرحمة الله عليه من [إمام مقدَّم][١١]،

---

(١) الجهمية: سبق التعريف بهم، انظر ص٢٣٤.

(٢) الحرورية: اسم من أسماء الخوارج، وقد سبق التعريف بهم. انظر ص٢٠٨.

(٣) الرافضة: سبق التعريف بهم قريباً ص٤٩٢.

(٤) المرجئة: سبق التعريف بهم قريباً ص٤٩٣.

(٥) في (ع) تأخرت «به» بعد: تقولون.

(٦) في (ع) «الذي».

(٧) في الإبانة: «بكتاب».

(٨) في الإبانة: «بسنة» نبينا.

(٩) في الإبانة: زيادة «به».

(١٠) نَضَّر الله وجهه: تُروى بالتشديد، وبالتخفيف «نَضَر»: والمعنى: حسنه ونعمه، ومنه قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) ﴾ [القيامة:٢٢، ٢٣].

ومنه أيضاً قول الأصمعي:

نضَّر اللهُ أعظماً دفنوها بسجستان طلحة الطلحات

لسان العرب (٥/ ٢١٢-٢١٣).

(١١) بياض في (الأصل)، وما أثبت من (ج، ع) وكذا في الإبانة.

[وجليل معظَّم، وكبير مفهّم][١].

وجملة قولنا: أنّا[٢] نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله، وبما جاؤوا[٣] به من عند الله، وبما[٤] رواه الثقات عن رسول الله ﷺ، لا نرد من ذلك شيئاً؛ وأن الله[٥][٦] واحد لا إله إلا هو، فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، وأن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق؛ وأن الجنة حق، والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور.

وأن الله مستوٍ[٧] على عرشه[٨] كما قال تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه :٥]، وأن له[٩] وجهاً[١٠] كما قال تعالى: ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ [الرحمن:٢٧] ، وأن له يدين بلا كيف، كما قال تعالى: ﴿خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص:٧٥] ، وكما قال تعالى : ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ﴾ [المائدة:٦٤]، وأن له عينين بلا كيف، كما قال: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ [القمر:١٤] .

---

(١) ما بين المعكوفتين من (ج، ع) وكذا في الإبانة.

(٢) في (الأصل): «أن » وكذا في (ج)، وما أثبت من الإبانة، وكذا في (ع).

(٣) في (ج) «جاء ».

(٤) في الإبانة: «وما » بدل: وبما.

(٥) في (ج) في تكررت «وأن الله ».

(٦) في الإبانة زيادة : إله.

(٧) في الإبانة : «استوى ».

(٨) في (ع) «العرش ».

(٩) في (ع) «الله » بدل: له.

(١٠) في (ع) بدل : وجها.

وأن مَـنْ[١] زعم [أن][٢] أسماء الله غيره[٣] كان ضالاً[٤]. وذكر نحواً مما ذكر في الفرق، إلى أن قال[٥]:

ونقـول[٦]: إن الإسـلام أوسع من الإيمان، وليس كل إسلام[٧] إيماناً[٨]، ونديـن[٩] بأن[١٠] الله يقلب القلوب بين أصبعين من أصابع الله عز وجل[١١]

---

(١) «من» سقطت من (ج).

(٢) ما بين المعكوفتين من (ج، ع) وكذا في الإبانة.

(٣) في (ع) «غير الله» بدل: غيره.

(٤) تقدَّم الكلام على هذه المسألة، انظر: ص٤٥٠.

(٥) قوله: «في الفرق. إلى أن قال» بياض في (ع).

(٦) في (ع) «ويقول».

(٧) في (ج) «اسم» بدل: إسلام وهو خطأ.

(٨) مسألة الإسلام والإيمان، وهل يدخل مسمى كل واحد منهما في الآخر؟

الإسـلام والإيـمـان بيـنهما عموم وخصوص، فهما كما قيل: إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجـتمعا. بمعـنى: أنـه إذا ذكر الإسلام مع الإيمان، فالإيمان ما يقوم بالقلب من الإيمان بالله وملائكته ... ويراد بالإسلام الأعمال الظاهرة: الشهادتان، والصلاة والزكاة.. إلخ.

وهـذا التفصيل جاء في حديث جبريل المشهور حينما سأل النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسـان. رواه الـبخاري (١/ ١١٤) رقـم ٥٠، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عـن الإيـمان والإسـلام ...، ومسلم (١/ ٣٦) رقم ٨، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسـلام والإحسـان... أما إذا أفرد اسم الإيمان، فإنه يتضمن الإسلام، إذا أفرد الإسلام فقد يدخل فيه مسمى الإيمان.

انظـر: الإيمـان لشيخ الإسلام ص١-١٠، ١٥٣-١٦٣، ٢٤٦ وما بعدها، شرح الطحاوية (٢/ ٤٨٨-٤٩٤).

(٩) في (ع) «ونذير» بدل: وندين.

(١٠) في الإبانة «بأنه» بدل: بأن الله.

(١١) تقديم إيراد الدليل على هذا، انظر ص١٧٦.

وأنه عز وجل يضع السماوات على أصبع، والأرضين على أصبع، كما جاءت[١] الرواية عن رسول ﷺ[٢].

إلى أن قال[٣]: والإيمان[٤] قول وعمل، يزيد وينقص، ونسلم الروايات الصحيحة [عن رسول الله ﷺ][٥] التي رواها الثقات عدلاً عن عدل حتى ينتهي[٦] إلى رسول الله ﷺ.

إلى أن قال: ونصدق بجميع الروايات التي يثبتها أهل النقل من النزول إلى السماء الدنيا، وأن الرب[٧] عز وجل يقول: **«هل من سائل؟ هل من مستغفر؟»**[٨] وسائر ما نقلوه وأثبتوه، خلافاً لما[٩] قال أهل الزيغ والتضليل[١٠].

ونعوّل[١١] فيما اختلفنا فيه على كتاب ربنا وسنة نبينا، وإجماع المسلمين

---

(١) في (ج) زيادة «به».

(٢) تقدم إيراد الدليل على هذا انظر: ص٢٨٤.

(٣) في (ع) سقطت هنا نحو من ورقة من المخطوط، من قوله: «والإيمان قول وعمل يزيد وينقص» إلى قوله «لم يجز أن يكون الاستواء على العرش بمعنى الاستيلاء الذي هو عام في الأشياء كلها».

(٤) في الإبانة: «وأن الإيمان».

(٥) ما بين المعكوفتين من (ج) وكذا في الإبانة.

(٦) في الإبانة «تنتهي».

(٧) «الرب» سقطت من (ج).

(٨) تقدم تخريج الحديث في ذلك، انظر: ص٣٥٩.

(٩) «لما» سقطت من (ج).

(١٠) انظر ص٣٥٥.

(١١) نعوِّل: من العَول وهو: من يستعان به، وأعْوَل عليه وعَوَّل، يقال عوَّلَ عليه: أي اتكل واعتمد ومنه قول تأبط شراً:

لكنما عِوَلي، إن كنت ذا عِوَلِ … على بصير بكسب المجد سباق

لسان العرب (١١/ ٤٨٤) – بتصرف.

وما كان في معناه، ولا نبتدع في دين الله[1] ما لم يأذن لنا به، ولا نقول على الله ما لا نعلم، ونقول: إن الله يجيء يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾ [الفجر:٢٢].

وأن الله يقرب من عباده كيف شاء كما قال تعالى: ﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ﴾ [ق:١٦]، وكما قال: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ۝٩﴾ [النجم:٨-٩][2].

إلى أن قال: وسنحتج لما ذكرناه من قولنا وما بقي[3] مما لم نذكره باباً باباً. ثم تكلم على أن الله يُرى، واستدل على ذلك، ثم تكلم على أن القرآن غير مخلوق، واستدل على ذلك، ثم تكلم على من وقف في القرآن وقال: لا أقول: إنه مخلوق، ولا غير مخلوق ورد عليه.

قول الأشعري في الاستواء والعلو

ثم قال: «باب في ذكر الاستواء على العرش».

فقال: إن قال قائل: ما تقولون في الاستواء؟ قيل[4] له: إن الله مستو على عرشه كما قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، وقد قال الله: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠]، وقال: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ﴾ [النساء:١٥٨]، وقال: ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ﴾ [السجدة:٥]، وقال تعالى حكاية عن فرعون: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ۝٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗا﴾ [غافر:٣٦-٣٧] كذب موسى في

---

(١) لفظة «الله» سقطت من (ج).

(٢) انظر: ص٤٠٠.

(٣) في الإبانة زيادة: «منه».

(٤) في (ج) «قلنا» بدل: قيل.

قولـه: إن الله فـوق السـماوات، وقال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ [الملك:١٦]، فالسـماوات فوقهـا العـرش فـلما كان العرش فوق السـماوات قال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ لأنه مستو على العرش الذي فوق السـماوات، فكـل[١] مـا عـلا فهـو سماء[٢]، فالعرش أعلى[٣] السماوات، ولـيس إذا قـال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ يعـني جمـيع السـماء[٤]، وإنمـا أراد العـرش الـذي هـو أعـلى[٥] السـماوات، ألا تـرى أن الله عـز وجـل ذكر السـماوات فقـال: ﴿وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ [نوح:١٦] فلم[٦] يرد أن القمر يملؤهن، وأنه فيهن جميعاً.

ورأينا المسـلمين جمـيعاً يـرفعون أيديهـم إذا دعوا نحو السماء، لأن الله[٧] عـلى العـرش الـذي[٨] فـوق السـماوات، فلـولا أن الله عـلى[٩] العـرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش، كما لا يحطونها[١٠][١١] إذا دعوا إلى[١٢] الأرض.

---

(١) في (ج) «وكل» وكذا في الإبانة.

(٢) انظر: لسان العرب (١٤/ ٣٩٧-٣٩٨).

(٣) في (ج) «على» بدل: أعلى.

(٤) في الإبانة «السموات».

(٥) في (ج) «على».

(٦) في الإبانة «ولم» بدل: فلم

(٧) في الإبانة زيادة: «مستو».

(٨) في الإبانة زيادة : «هو».

(٩) في (ج) «فوق» بدل: على.

(١٠) في (ج) «يحيطونها» وهو خطأ.

(١١) يحطونهـا: مـن الحـط، وهو: الوضع والإنزال، ومن حط يحط حطاً. يقال: حط الله عنه وزره، أي: وضعه، وحط الحمل عن البعير، أي: أنزله. لسان العرب (٧/ ٢٧٢-٢٧٣).

(١٢) في (ج) «نحو» بدل: إلى.

ثم قال:

رد أبي الحسن على من فسر الاستواء بالاستيلاء

فصلٌ: وقد قال قائلون من المعتزلة، والجهمية، والحرورية: إن معنى قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥] أنه استولى وملك[١] وقهر[٢]، وأن الله عز وجل في كل مكان، وجحدوا أن يكون الله على عرشه كما قال أهل الحق، وذهبوا في الاستواء إلى القدرة، فلو كان[٣] كما ذكروه كان لا فرق بين العرش والأرض السابعة، لأن الله قادر على كل شيء. والأرض فالله قادر عليها وعلى الحشوش[٤] وعلى كل ما في العالم، فلو كان مستوياً على العرش بمعنى الاستيلاء – وهو عز وجل مستول على الأشياء كلها – لكان مستوياً على العرش وعلى الأرض وعلى السماء وعلى[٥] الحشوش والأقذار، لأنه قادر على الأشياء[٦] مستول عليها، وإذا كان قادراً على الأشياء كلها، ولم يجز عند أحد من المسلمين أن يقول: إن الله مستوٍ على الحشوش والأخلية، لم يجز أن يكون الاستواء على العرش بمعنى[٧]: الاستيلاء الذي هو عام في الأشياء كلها، ووجب أن يكون معنى

---

(١) في (ج) «قهر وملك».

(٢) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار ص٢٢٦، مقالات الإسلاميين ص١٥٧، ٢١١، أصول الدين للبغدادي ص١١٢.

(٣) في الإبانة: «ولو كان هذا».

(٤) الحشوش، وهي: الكنف، ومواضع قضاء الحاجة، الواحد: حش بالفتح، وأصله من الحش: البستان، لأنهم كانوا كثيراً ما يتغوطون في البساتين.

النهاية في غريب الحديث (١/ ٣٩٠)، لسان العرب (٦/ ٢٨٦).

(٥) «على» سقطت من (ج).

(٦) في (ج) زيادة «كلها».

(٧) «بمعنى » غير موجودة في (ج) وكذا في الإبانة.

الاستواء يخص[١] العرش دون الأشياء كلها[٢] وذكر دلالات من القرآن والحديث والإجماع والعقل[٣] ثم قال: «باب الكلام في الوجه والعينين والبصر واليدين» .

منهب أبي الحسن في الصفات الخبرية

وذكر الآيات في ذلك، ورد على المتأولين بكلام طويل لا يتسع هذا الموضع لحكايته : مثل قوله : فإن سئلنا : أتقولون لله يدان؟[٤] .

قيل : نقول ذلك، وقد دل عليه قوله تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح:١٠] ، وقوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥]، وروي عن النبي ﷺ أنه قال : «**إن الله مسح ظهر آدم بيده، فاستخرج منه ذريته**»[٥] وقد جاء في الخبر المأثور عن النبي ﷺ : «**إن الله خلق آدم بيده، وخلق جنة عدن بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس شجرة طوبى بيده**»[٦][٧] .

---

(١) في الإبانة: «يختص ».

(٢) « كلها» سقطت من (ج).

(٣) وقد رد الإمام ابن القيم على هذا التأويل الباطل من اثنين وأربعين وجهاً، فشفى وكفى. انظر: مختصر الصواعق (٢/ ١٣٧-١٥٢)، وانظر: قسم الدراسة ص١٢٤.

(٤) في الإبانة: «إن لله يدين».

(٥) هذا الحديث سبق تخريجه، انظر: ص٤٨٨.

(٦) أسقط الشيخ هنا ثلاثة أدلة مذكورة في الإبانة.

(٧) لم أقف على هذا الحديث بهذا اللفظ، وإنما ورد نحو من هذا عند البيهقي في «الأسماء والصفات » (٢/ ٤٧) عن عبدالله بن الحارث عن أبيه رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ : «**إن الله عز وجل خلق ثلاثة أشياء بيده: خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس الفردوس بيده ...**» الحديث. وقال: هذا حديث مرسل.

ورواه أبو نعيم في «صفة الجنة » (١/ ٤٨-٤٩) رقم ٢٣، وورد نحو من هذا موقوفاً على ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أخرجه الحاكم (٢/ ٣١٩) بلفظ: «**خلق الله أربعة بيده: العرش، وجنات عدن، وآدم، والقلم..**» وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم =

ولـيس يجوز في لسان العرب ولا في عادة أهل الخطاب أن يقول القائل: عملـت كـذا بـيدي، ويـريد[١] بـه النعمة، وإذا كان الله إنما خاطب العرب بلغـتها، ومـا يجـري مفهوماً من كلامها، ومعقولاً في خطابها، وكان لا يجوز في خطـاب أهـل اللسان أن يقول القائل: فعلت[٢][٣] بيدي، ويعني[٤] به[٥] الـنعمة، بطل أن يكون معنى قولـه تعالى: ﴿بِيَدَيَّ﴾ النعمة[٦]. وذكر كلاماً طويلاً في تقرير هذا ونحوه»[٧].

قول الباقلاني في كتابه الإبانة

وقـال القاضي أبو بكر «محمد بن الطيب[٨] [الباقلاني][٩] المتكلـم[١٠]»[١١]

= يخـرجاه، ووافقـه الذهـبي، وورد أيضاً نحو من هذا موقوفاً عن جابر بلفظ: «إن الله تبارك وتعـالى لم يمـس بيده من خلقه غير ثلاثة أشياء، خلق الجنة بيده... وخلق آدم بيده، وكتب الـتوراة لموسـى» رواه ابـن أبي شيبة في «مصنفه» (١٣/ ٩٦)، وعبدالله ابن الإمام أحمد في «السـنة» (١/ ٢٩٥) رقـم ٥٧٠. وورد أيضـاً نحـو مـن هـذا موقوفـاً، عن كعب الأحبار، بلفـظ: «إن الله عـز وجـل لم يمـس بـيده إلا ثلاثة أشياء: آدم، والتوراة، فإنه كتبها لموسى، وطوبى شجرة في الجنة. غرسها الله بيده ...» رواه الآجري في «الشريعة» ص٣٠٣.

(١) في الإبانة «ويعني» وفي (ع) «ويرد».

(٢) في (ج) «علمت» بدل : فعلت.

(٣) في (ج) زيادة «وكذا».

(٤) في (ج) «ويريد» بدل : ويعني.

(٥) في الإبانة بدون «به».

(٦) انظر: الفتاوي (٦/ ٣٦٣-٣٧٣)، مختصر الصواعق (٢/ ١٥٣-١٧٤).

(٧) الإبانة عن أصول الديانة، لأبي الحسن الأشعري. ص١٥-٥٤، ط. جامعة الإمام. والنسخة التي بتحقيق دكتورة فوقية حسين ص٢٠-١٢٦.

(٨) في (ج، ع) «الخطيب» والصواب ما أثبت.

(٩) ما بين المعكوفتين من (ج، ع).

(١٠) «المتكلم» سقطت من (ج).

(١١) الباقلاني هو: محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن قاسم البصري، ثم البغدادي. =

ـ وهوأفضل المتكلمين المتسبين إلى الأشعري، ليس فيهم مثله لا قبله ولا بعده ـ قال في كتاب «الإبانة»[١] تصنيفه:

= القاضي أبو بكر المشهور بالباقلاني. كان إماماً كبير القدر، وكان غاية في الذكاء والفطنة، حاضر الحجة، سريع البديهة.

يقال: إن الخليفة بعثه إلى ملك الروم، فلما انتهى إليه إذا هو لا يدخل أحد إلا من باب قصير كهيئة الراكع، ففهم ذلك الباقلاني، فاستدار ودخل بظهره يمشي إليه القهقرى .

فلما وصل إليه انفتل فسلم عليه، وجرت بينه وبين هذا الملك مناقشات وأمور تدل على سعة علمه ودقة فهمه. وقد صنف في الرد على الرافضة والمعتزلة والخوارج والجهمية والكرامية، وجرت بينه وبين المعتزلة مناقشات طويلة في مجلس الخلافة.

أما مذهبه في الفروع، فهو على مذهب الإمام مالك، وأما في الأصول، فيعد من متقدمي الأشاعرة، بل من العلماء من يعده المؤسس الثاني للمذهب الأشعري.

قال عنه القاضي عياض: «أبو بكر محمد بن الطيب.. الملقب بشيخ السنة، ولسان الأمة، المتكلم على مذهب المثبتة وأهل الحديث، وطريقة أبي الحسن الأشعري.» اهـ.

وقال عنه الذهبي: «الإمام العلامة، أوحد المتكلمين ومقدم الأصوليين .. انتصر لطريقة أبي الحسن الأشعري، وقد يخالفه في مضائق، فإنه من نظرائه، وقد أخذ علم النظر عن أصحابه، كان سيفاً على المعتزلة والرافضة والمشبهة، وغالب قواعده على السنة ..» اهـ.

توفي سنة ثلاث وأربعمائة. له مصنفات عديدة؛ منها إعجاز القرآن، والتمهيد، والإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، وغير ذلك.

انظر: ترتيب المدارك (٢/ ٥٨٥)، وفيات الأعيان (٤/ ٢٦٩)، السير (١٧/ ١٩٠)، البداية والنهاية (١١/ ٣٥٠)، وما كتبه عنه د. عبدالرحمن المحمود في رسالته للدكتوراه «موقف ابن تيمية من الأشاعرة» (٢/ ٥٥٤).

(١) كتاب «الإبانة عن أبطال مذهب أهل الكفر والضلالة» من كتب الباقلاني المشهورة، ولا يزال مفقوداً، وقد ذكره القاضي عياض في «ترتيب المدارك» (٢/ ٦٠١)، وشيخ الإسلام في «درء تعارض العقل والنقل» (٣/ ٣٨٢) (٣/ ٢٠٦)، وفي نقض التأسيس (٢/ ٣٤)، وابن القيم في اجتماع الجيوش ص٣٠٣، وابن كثير في «البداية والنهاية» (١١/ ٣٥٠) باسم «شرح الإبانة »، والذهبي في العلو ص١٧٣، وأشار سزكين إلى هذا الكتاب ضمن مؤلفات الباقلاني (٤/ ٥١)، ولم يذكر له نسخاً خطية.

«فإن قال[١]: فما الدليل على أن لله وجهاً ويداً؟ قيل له: قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٧]، وقوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥] فأثبت لنفسه وجهاً ويداً[٢].

فإن قال: فما أنكرتم[٣] أن يكون وجهه ويده جارحة إذ كنتم لا تعقلون وجهاً ويداً إلا جارحة؟.

قلنا: لا يجب هذا كما لا يجب إذا لم نعقل[٤] حياً عالماً قادراً إلا[٥] جسماً أن نقضي[٦] نحن وأنتم بذلك على الله سبحانه، وكما لا يجب في كل شيء كان قائماً بذاته أن يكون جوهراً،[٧] لأنا لا نجد قائماً بنفسه[٨] في شاهدنا إلا كذلك، وكذلك الجواب لهم، إن قالوا: فيجب أن يكون علمه وحياته وكلامه وسمعه وبصره وسائر صفاته عرضاً واعتلوا بالوجود[٩].

قال[١٠]: فإن قال[١١]: [١٢] تقولون: إنه في كل مكان؟

---

(١) في (ع) زيادة «قائل».

(٢) وذكر نحواً من هذا الكلام في كتابة «التمهيد» ص٢٩٥-٢٩٦. وفيه «فأثبت لنفسه وجهاً ويدين».

(٣) في (ج) «أنكر» بدل: أنكرتم.

(٤) في (ع) «يعقل».

(٥) «إلا» سقطت من (ع).

(٦) في (ع) «يقضي».

(٧) الجوهر، في مفهوم المتكلمين، سبق تعريفه، انظر: ص٢٦٨.

(٨) في (ج) «في نفسه» بدل: بنفسه.

(٩) أي: يجابون بالجواب السابق بأنه لا يلزم من إثبات العلم والحياة والكلام..إلخ لله أن تكون أعراضاً لا نجد في الشاهد هذه الأشياء إلا أعراضاً.

(١٠) «قال» سقطت من (ع).

(١١) في (ج) «قيل» بدل: قال.

(١٢) في (ج، ع) زيادة « فهل ».

قيل لـه : معاذ الله؛ بل هو مستو على العرش كما أخبر في كتابه فقال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طـه:٥] ، وقال تعالى: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ [فاطر:١٠] ، وقال :﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ﴾ [الملك:١٦] .

قال : ولو[١] كان في كل مكان، لكان في بطن الإنسان وفمه، والحشوش، والمواضع التي يرغب عن ذكرها، ولوجب أن يزيد بزيادة الأمكنة إذا خلق منها ما لم يكن ، وينقص بنقصانها إذا بطل منها ما كان[٢]، ولصح أن يرغب إليه إلى[٣] نحو الأرض، وإلى خلفنا وإلى يميننا[٤] وإلى[٥] شمالنا[٦]، وهذا قد أجمع المسلمون على خلافه وتخطئة قائله.

وقال أيضاً في هذا الكتاب : صفات ذاته[٧] التي لم يزل ولا يزال موصوفاً بها، وهي : الحياة ، والعلم والقدرة، والسمع والبصر، والكلام، والإرادة والبقاء، والوجه، والعينان، واليدان، والغضب، والرضا»[٨].

---

(١) في (ج) «فلو» بدل: ولو.

(٢) في (ج) «ما بطل» بدل: ما كان.

(٣) «إلى» سقطت من (ع).

(٤) في (ج) «أيماننا».

(٥) «إلى» سقطت من (ع).

(٦) في (ج) «شمائلنا».

(٧) الصفات الذاتية، تأتي في مقابل الصفات الفعلية، والمقصود بالذاتية: هي التي لا تنفك عن الله بحال، التي لم يزل متصفاً بها، مثل: ما ذكر المؤلف الحياة، والعلم، والقدرة ..إلخ.
أما الصفات الفعلية، فهي المتعلقة بالإرادة والمشيئة، كالخلق، والرزق، والمجيء، والاستواء، والثواب، والعقاب ..إلخ.
انظر: التمهيد للباقلاني ص٢٩٨-٢٩٩، وانظر «قسم الدراسة» ص١٣٩.

(٨) ذكر شيخ الإسلام في نقض التأسيس (٢/ ٤٣٤-٤٣٥) جزءاً من هذا النص. =

الكتاب والسنة فيهما الغنى عن كلام كل أحد

وقال في كتاب «التمهيد»[١] كلاماً أكثر من هذا[٢]، وكلامه كلام غيره من المتكلمين في هذا الباب مثل هذا كثير لمن يطلبه، وإن كنا مستغنين[٣] بالكتاب والسنة وآثار السلف عن كل كلام.

وملاك الأمر أن يهب الله للعبد حكمةً وإيماناً بحيث يكون له عقل ودين، حتى يفهم ويدين، ثم نور الكتاب والسنة يغنيه عن كل شيء؛ ولكن كثير من الناس قد صار منتسباً إلى بعض طوائف المتكلمين، ومحسناً

= وانظر: العلو للذهبي ص١٧٣-١٧٤، ومختصره ص ٢٥٨، اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم ص٣٠٣، والصواعق المرسلة (٤/ ١٢٥٢)، شذرات الذهب (٣/ ١٦٩-١٧٠).

وهذا المقطع الأخير، وهو قوله «صفات ذاته التي لم يزل ولا يزال موصوفاً بها.. إلخ ذكره الباقلاني نصاً في كتابه «التمهيد» ص٢٩٨-٢٩٩.

وأما وجه جعله صفتي «الغضب والرضا» من الصفات الذاتية، فقد أوضحه بقية كلامه حيث أوّلها «بالإرادة» فقال في المصدر السابق ص٢٩٩ تكملة: «.. والغضب والرضا وهما الإرادة ..» إلخ وهذا مذهب جمهور الأشاعرة في مثل هذه الصفات، بل إن الباقلاني بين ذلك جلياً في أول كتابه السابق «التمهيد» ص٤٧-٤٨ وعقد له باباً مستقلاً، فقال: «باب في الرضا والغضب وأنهما من الإرادة. فإن قال قائل: فهل تقولون: إنه تعالى غضبان راض، وإنه موصوف بذلك؟ قيل له: أجل، وغضبه على من غضب عليه ورضاه عمن رضي عنه هما إرادته لإثابة المرضي عنه، وعقوبته المغضوب عليه لا غير ذلك..» اهـ.

(١) كتاب التمهيد، ويسمى كتاب «تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل» للباقلاني نفسه، وهذا الكتاب من أشهر كتبه، وقد طبع أكثر من مرة آخرها: طبع بتحقيق عماد الدين أحمد حيدر. ط: مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى عام١٤٠٧هـ، وقد خرج في سبع وستين وخمسمائة صحيفة مع الدراسة الموجزة للمؤلف.

وقد ألفه الباقلاني بطلب من ابن عضد الدولة وولي عهده، كما نص في مقدمة الكتاب ص٢٣-٢٤.

(٢) انظر التمهيد للباقلاني ص٢٩٥-٢٩٩.

(٣) في (ج) «مستعينين» بدل: مستغنين.

للظن بهم دون غيرهم، ومتوهماً أنهم حققوا في هذا الباب ما لم يحققه غيرهم، فلو أُتي بكل آية ما تبعها حتى يُؤتى بشيء من كلامهم.

مخالفة المتكلمين لأسلافهم

ثم هم مع هذا مخالفون لأسلافهم غير متبعين لهم، فلو أنهم أخذوا بالهدى الذي يجدونه في كلام أسلافهم لرُجي لهم مع الصدق في طلب الحق أن يزدادوا هدى، ومن كان لا يقبل الحق إلا من طائفة معينة، ثم لا يستمسك بما جاءت به من الحق، ففيه شبه من اليهود الذين قال الله[1] فيهم: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٩١].

مشابهة من تعصب لطائفة معينة ثم لم يقبل ما معها من الحق لليهود

فإن اليهود قالوا: لا نؤمن إلا بما أنزل الله علينا. قال الله لهم: فلم قتلتم الأنبياء من قبل إن كنتم مؤمنين[2] بما أنزل عليكم، يقول[3] سبحانه: لا ما جاءتكم به[4] أنبياؤكم[5] تتبعون، [ولا لما جاءتكم به سائر الأنبياء تتبعون][6]. ولكن إنما تتبعون[7] أهواءكم، فهذا حال من لم يتبع الحق، لا[8] من طائفته ولا من غيرهم، مع كونه يتعصب لطائفة دون طائفة بلا

(١) لفظة «الله» لم ترد في (ع).

(٢) سقطت من (ع) قوله: «فإن اليهود قالوا... إلى قوله: إن كنتم مؤمنين».

(٣) في (ع) «بقوله».

(٤) في (ج) زيادة «فيه»، وفي (ع) زيادة «سائر».

(٥) في (ع) «الأنبياء» بدل: أنبياؤكم.

(٦) ما بين المعكوفتين من (ج).

(٧) «ولكن إنما تتبعون» سقطت من (ج).

(٨) في (ج) «إلا» وهو خطأ.

برهان من الله ولا بيان[١].

قول أبي المعالي في رد التأويل

وكذلك[٢] قال «أبو المعالي الجويني»[٣] في كتاب[٤] «الرسالة النظامية»[٥]:

---

(١) كأن شيخ الإسلام يعرض ببعض متأخري الأشاعرة الذين تعصبوا لطوائفهم، فلا يخرجون عن كلامهم، ومع هذا هم مخالفون لما عليه بعض أسلافهم المتقدمين، كما هو الحال في مخالفة جمهور الأشاعرة المتأخرين لكلام أكبر أئمتهم المتقدمين كأبي الحسن الأشعري، وأبي بكر الباقلاني.

(٢) في (ع) «وذلك ».

(٣) أبو المعالي الجويني، هو: عبدالملك بن عبدالله بن يوسف، الجويني، الشافعي، اشتهر بإمام الحرمين، تربى في حجر والده وتتلمذ عليه، ذاع صيته، وكان إماماً في مذهب الشافعي، أما في الأصول فمن كبار أئمة الأشاعرة، وذكر الذهبي أنه رجع في آخر حياته إلى مذهب السلف، يروى عنه أنه قال: «لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما اشتغلت بالكلام». اهـ. ويروى عنه أيضاً أنه قال في مرضه: «اشهدوا علي أني قد رجعت عن كل مقالة تخالف السنة، وأني أموت على ما يموت عليه عجائز نيسابور». اهـ وقد تقدم في أول الكتاب (الحموية) شيء من ذلك، ورحل في آخر حياته إلى بيت الله الحرام، وبقي مجاوراً هناك إلى أن توفي سنة ثمان وسبعين وأربعمائة، وكان قد ولد سنة تسع عشرة وأربعمائة.

من مؤلفاته: الإرشاد في أصول الدين، الشامل في أصول الدين، البرهان في أصول الفقه، لمع الأدلة، العقيدة النظامية.

انظر : تبيين كذب المفتري ص٢٧٨، ذيل تاريخ بغداد (١/ ٨٥)، وفيات الأعيان (٣/ ١٦٧)، السير (١٨/ ٤٦٨)، شذرات الذهب (٣/ ٣٥٨).

(٤) في (ع) «كتابه».

(٥) الرسالة النظامية، هذا الكتاب من مؤلفات أبي المعالي وقد طبع باسم «العقيدة النظامية» بتحقيق: محمد زاهد الكوثري بمطبعة الأنوار بمصر عام ١٣٦٧هـ، ثم طبع بتحقيق د. أحمد السقا بمطبعة دار الشباب بمصر عام ١٣٩٨هـ مع إبقاء المحقق تعليقات الكوثري عليها.

وتسمية الرسالة «بالنظامية» نسبته إلى الوزير في عهد المؤلف «نظام الملك» الذي كان إذ ذلك متقلداً أمور الدولة، وقد أوضح المؤلف هذا في بداية كتابه ص١٠-١٢، وذكر الزبيدي في «إتحاف السادة المتقين» (٢/ ١١١) أن هذا الكتاب من آخر مؤلفات الجويني.

اختلفت[١] مسالك العلماء في هذه[٢] الظواهر[٣]، فرأى[٤] بعضهم تأويلها، والتزم[٥] ذلك[٦] في آي الكتاب، وما يصح من السنن[٧] وذهب أئمة السلف إلى الانكفاف[٨] عن التأويل، وإجراء الظواهر على مواردها، وتفويض معانيها إلى الرب.

قال: والذي نرتضيه رأياً وندين الله به عقداً[٩][١٠]: اتّباع سلف الأمة[١١]، والدليل السمعي القاطع في ذلك أن إجماع الأمة حجة متبعة، وهو مستند معظم الشريعة.

---

(١) في الأصل «اختلف» وما أثبت من النظامية.

(٢) في النظامية: دون «هذه».

(٣) في النظامية: زيادة «التي وردت في الكتاب والسنة. وامتنع على أهل الحق اعتقاد فحواها. وأجراؤها على موجب ما تبتدره أفهام أرباب اللسان منها».

(٤) في (الأصل، ج) «فروى» وما أثبت من (ع) وكذا في النظامية.

(٥) في النظامية: «والتزام» وكذا في (ع).

(٦) في النظامية: «هذا المنهج» بدل: «ذلك».

(٧) في النظامية: «من سنن الرسول ﷺ».

(٨) في (ج) «انكفاف» بدل: الانكفاف.

(٩) في النظامية: «عقلاً» بدل «عقداً».

(١٠) العُقْدَة عند العرب: الحائط الكثير النخل. ويقال للقرية الكثيرة النخل: عقدة، وكأن الرجل إذا اتخذ ذلك فقد أحكم أمره عند نفسه، واستوثق منه، ثم صيروا كل شيء يستوثق الرجل به نفسه ويعتمد عليه عقده، وأصل العقد نقيض الحل، عقده يعقده عقداً، وعقد قلبه على الشيء: لزمه، ثم استعمل في التصميم والاعتقاد الجازم.
لسان العرب (١/ ٢٩٨-٢٩٩)، تاج العروس (٨/ ٣٩٤).

(١١) في النظامية: زيادة «فالأولى الاتباع، وترك الابتداع» وفي (ع) «السلف» بدل: سلف الأمة.

وقد درج صحب رسول الله ﷺ[١] على ترك التعرض لمعانيها[٢] ودَرْك[٣] ما فيها ـ وهم صفوة الإسلام، والمستقلون بأعباء الشريعة، وكانوا لا يألون جهداً[٤] في ضبط قواعد الملة، والتواصي بحفظها، وتعليم الناس ما يحتاجون إليه منها ـ فلو كان تأويل هذه[٥] الظواهر مسوغاً أو[٦]

---

(١) في النظامية: زيادة «ورضي عنهم».

(٢) لا شك أن الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ لم يتعرضوا لمعانيها من حيث الكيفية، لا أنهم كانوا يستمعون هذه النصوص ويقرؤونها، وكأنهم أمام ألفاظ أعجمية حاشاهم ذلك، فهم يفهمون ويعقلون معنى السمع والبصر، والمجيء والنزول، .. وأن هذا غير هذا.

فأبو رزين يسمع النبي ﷺ يقول: « **يضحك ربنا لقنوط عباده..** » قال أبو رزين: أوَ يَضحك ربُّنا؟ قال النبي ﷺ: «**نعم**» قال أبو رزين: لا نعدم من رب يضحك خيراً. الحديث، تقدم تخريجه ص٣١٧.

فهذا الصحابي بفطرته السليمة فهم معنى الضحك، ولم ينكر عليه النبي ﷺ هذا الفهم، وهكذا جميع الصحابة مع هذه النصوص.

ولعل مراد المؤلف ترك التعرض لمعانيها من حيث الكيفية، وصرفها إلى معان باطلة كما نهج أهل البدع في ذلك، يوضحه الأسطر القادمة حينما تكلم على ترك الصحابة التأويل، ومعلوم أن التأويل عند المتأخرين هو: صرف اللفظ عن ظاهره.

(٣) الدرْك أو الدرَك: اللحاق والوصول إلى شيء، ومنه الحديث أن النبي ﷺ كان يتعوذ من جهد البلاء، ودرك الشقاء وسوء القضاء.. الحديث رواه البخاري (١١/ ١٤٨) رقم ٦٣٤٧، كتاب الدعوات، باب التعوذ من جهد البلاء.

النهاية في غريب الحديث (٢/ ١١٤)، لسان العرب (١٠/ ٤١٩).

(٤) لا يألون جهداً: من: ألا يألو ألواً وأُلُوّاً، وفلان لا يألو خيراً، أي: لا يدعه ولا يزال يفعله، ويقال: لا آلوك نصحاً، أي: لا أفتر ولا أقصر. ومنه قوله وتعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النور:٢٢]. لسان العرب (١٤/ ٤٠).

(٥) في النظامية: زيادة «الآي و..».

(٦) في النظامية: «واو» بدل: أو.

محتوماً : لأوشك[١] أن يكون اهتمامهم بها فوق اهتمامهم بفروع الشريعة، وإذا انصرم عصرهم وعصر التابعين على الإضراب عن التأويل ، كان ذلك هو الوجه المتبع[٢]، فحق على ذي الدين[٣] أن يعتقد تنزيه الله[٤] عن صفات المُحدَثين، ولا يخوض في تأويل المشكلات، ويَكِلْ معناه إلى الرب[٥]؛ فليجر[٦] آية الاستواء والمجيء وقوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥]، ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٧]، وقوله: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر:١٤]، وما صح من أخبار الرسول ﷺ كخبر النزول[٧] وغيره على ما ذكرنا[٨]»[٩][١٠].

قلت[١١]: وليعلم السائل أن الغرض من[١٢] هذا الجواب[١٣] ذكر ألفاظ

---

(١) في (ع) «ولا شك».

(٢) في النظامية: «كان ذلك قاطعاً بأنه الوجه المتبع ..».

(٣) في النظامية: «دين» بدل: الدين.

(٤) في (ج،ع) «الباري» بدل: الله، وكذا في النظامية.

(٥) أسقط المؤلف هنا عدة أسطر موجودة في «الرسالة النظامية» ولعله قصد ذلك للاختصار.

(٦) في النظامية: «فلتجري».

(٧) تقدم ص٣٥٥.

(٨) في النظامية: «ما ذكرناه».

(٩) أي ما ذكر من ترك التأويل، وإجراء الظواهر على مواردها، كما وردت.

(١٠) الرسالة النظامية: تحقيق د. أحمد السقا ص٣٢-٣٤.

(١١) في (ج) «فصل» بدل: قلت.

(١٢) في (ج،ع) «في» بدل: من.

(١٣) الجواب: أي: جواب السؤال الوارد إلى شيخ الإسلام في أول الرسالة، والرسالة كلها جواب لهذا السؤال.

ليس كل من حكى الشيخ قوله هذا يقول بجميع ما يقول به أهل السنة

بعض الأئمة الذين نقلوا مذهب السلف في هذا الباب، وليس كل من[1] ذكرنا شيئاً من قوله من المتكلمين وغيرهم يقول[2] بجميع ما نقوله[3] في هذا وغيره؛ ولكن الحق يقبل من كل من تكلم به[4]؛ كان معاذ بن جبل يقول في كلامه المشهور عنه، الذي رواه أبو داود في سننه: «اقبلوا الحق من كل مَنْ[5] جاء به؛ وإن كان كافراً - أو قال فاجراً - واحذروا زيغة[6] الحكيم. قالوا: كيف نعلم أن الكافر يقول الحق؟ قال: إن على الحق نوراً»[7] أو كلاماً هذا معناه.

---

(١) في (ج) «ما» بدل: من.

(٢) «يقولون» سقطت من (ج).

(٣) من قوله: «في هذا الباب ...» إلى قوله «بجميع ما نقوله» سقط من (ع).

(٤) وسبق كلام شيخ الإسلام قريباً حيث عاب على كثير من متأخري الأشاعرة الذين لم يقبلوا الحق عن أئمتهم ولا عن غيرهم، وشبههم في هذه الناحية باليهود الذين لم يقبلوا الحق من كتبهم، ولا من كتب غيرهم.

(٥) في (ع) «ما» بدل: من.

(٦) الزيغة: من الزيغ، وهو: الميل، انظر ص٤٢٥.

(٧) والأثر كما في سنن أبي داود (٥/ ١٧-١٨) رقم ٤٦١١، كتاب السنة، باب لزوم السنة. عن ابن شهاب، أن أبا إدريس الخولاني عائذ الله أخبره، أن يزيد بن عميرة ـ وكان من أصحاب معاذ بن جبل ـ أخبره، قال: كان لا يجلس مجلساً للذكر حين يجلس إلا قال: الله حكم، قسط، هلك المرتابون، فقال معاذ بن جبل يوماً : إن من ورائكم فتناً يكثر فيها المال، ويفتح فيها القرآن حتى يأخذه المؤمن والمنافق والرجل والمرأة والصغير والكبير والعبد والحر، فيوشك قائل أن يقول: ما للناس لا يتبعوني وقد قرأت القرآن؟ ما هم بمتبعي حتى أبتدع لهم غيره، فإياكم وما ابتدع، فإن ما ابتدع ضلالة، وأحذركم زيغة الحكيم، فإن الشيطان قد يقول كلمة الضلالة على لسان الحكيم، وقد يقول المنافق كلمة الحق، قال: قلت لمعاذ: ما يدريني رحمك الله أن الحكيم قد يقول كلمة الضلالة، وأن المنافق قد يقول كلمة الحق؟ قال: بلى، اجتنب من كلام الحكيم المشتهرات التي يقال لها ما هذه، =

الفتوى لا تتسع لعرض الشبه والآراء والرد عليها

فأما تقرير ذلك بالدليل، وإماطة[١] ما يعرض من الشبه، وتحقيق الأمر على وجه يخلص إلى القلب ما يبرد[٢] به من اليقين ويقف على مواقف آراء العباد في هذه المهامه[٣]، فما تتسع[٤] له هذه الفتوى، وقد كتبت شيئاً من ذلك قبل هذا، وخاطبت ببعض ذلك بعض[٥] من يجالسنا، وربما أكتب ـ إن شاء الله ـ في ذلك ما يحصل المقصود به[٦].

الكتاب والسنة فيهما النور والهدى

وجماع الأمر في ذلك: أن الكتاب والسنة يحصل منهما كمال الهدى والنور لمن تدبر كتاب الله وسنة نبيه، وقصد اتباع الحق وأعرض عن تحريف الكلم عن مواضعه، والإلحاد في أسماء الله وآياته.

= ولا يثنيك ذلك عنه، فإنه لعله أن يراجع، وتلقَّ الحق إذا سمعته؛ فإن على الحق نوراً».اهـ .

وأخرجه الحاكم في مستدركه (٤/ ٤٦٦) مع اختلاف يسير في الألفاظ وذكر أنه على شرط مسلم ولم يخرجاه. وسكت عنه الذهبي. ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١١/ ٣٦٣-٣٦٤) رقم ٢٠٧٥٠. والآجري في «الشريعة» ص٤٧-٤٨. واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (١/ ٨٨-٨٩) رقم ١١٦. وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٣٢-٢٣٣). وابن بطة في الإبانة (١/ ٣٠٧-٣٠٨). والفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٢/ ٣٢١-٣٢٢). والبيهقي في «المدخل إلى السنن الكبرى» ص٤٤٤ رقم٨٣٤. والفريابي في «صفة النفاق وذم المنافقين» ص٨١-٨٢، رقم ٣٩.

(١) الإماطة، من: ماط ميطاً، ميطاناً، وأماط: تنحى وبعد وذهب. ومنه حديث «إماطة الأذى عن الطريق صدقة» رواه البخاري (٥/ ١١٤) كتاب المظالم، باب إماطة الأذى.
لسان العرب (٧/ ٤٠٩).
والمراد هنا: إزالة وتنحيته ما يعرض من الشبه.

(٢) في (ج) «يرد» بدل: يبرد.

(٣) المهامه: جمع مَهْمَه، والمهمه: المفازة البعيدة، أرض مهامه، أي: بعيده.
لسان العرب (١٣/ ٥٤٢)، المعجم الوسيط ص٨٩٠.

(٤) في (الأصل) «يتسع» وما أثبت من (ج، ع).

(٥) «بعض» سقطت من (ج).

(٦) في (ج، ع) تقدمت «به» على «المقصود».

لا تعارض بين نصوص المعية وبين نصوص العلو

ولا يحسب [الحاسب أن شيئاً من ذلك][1] يناقض بعضه بعضاً[2] البتة، مثل أن يقول القائل: ما في الكتاب والسنة من أن الله فوق العرش يخالفه في الظاهر قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:٤]، وقوله ﷺ: «**إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الله قبل وجهه**»[3] ونحو ذلك، فإن هذا غلط.

الله معنا حقيقة وفوق العرش حقيقة

وذلك أن الله[4] معنا حقيقة، وهو فوق العرش حقيقة كما جمع الله بينهما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد:٤].

فأخبر أنه فوق العرش يعلم كل شيء وهو معنا أينما كنا، كما قال النبي ﷺ في حديث الأوعال: «**والله[5] فوق العرش، وهو يعلم ما أنتم عليه**»[6].

---

(١) طمس في (الأصل)، وما أثبت من (ج، ع).

(٢) «بعضاً» سقطت من (ج).

(٣) الحديث رواه البخاري (٢/ ٢٣٥) رقم ٧٥٣، كتاب الأذان، باب هل يلتفت لأمر ينزل به، أو يرى شيئاً أو بصاقاً في القبلة، من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: رأى النبي ﷺ نخامة في قبلة المسجد وهو يصلي بين يدي الناس فحكها، ثم قال حين انصرف: «**إن أحدكم إذا كان في الصلاة فإن الله قبل وجهه، فلا يتنخمن أحدكم قبل وجهه في الصلاة**».

ورواه مسلم (١/ ٣٨٨) رقم ٥٤٧، كتاب المساجد، ومواضع الصلاة، باب النهي عن البصاق في المسجد، وفي الصلاة وغيرها.

(٤) لفظة «الله» من (ج).

(٥) في (ع) «أن الله».

(٦) الحديث تقدم تخريجه، انظر: ص٢٠٧.

كلمة مع في اللغة لا تقتضي المماسة أو المحاذاة

وذلك أن كلمة «مع» في اللغة إذا أطلقت، فليس في ظاهرها في اللغة إلا المقارنة المطلقة من غير وجوب مماسة أو محاذاة عن يمين و[١] شمال، فإذا قيدت بمعنى من[٢] المعاني دلت على المقارنة في ذلك المعنى، فإنه يقال: ما زلنا نسير والقمر معنا، أو[٣] النجم معنا[٤]. ويقال: هذا المتاع معي لمجامعته[٥] لك، وإن كان فوق رأسك، فالله مع خلقه حقيقة، وهو فوق عرشه[٦] حقيقة[٧].

معنى قول السلف: معهم بعلمه

ثم هذه المعية تختلف أحكامها بحسب الموارد، فلما قال: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ﴾ [الحديد:٤] دل ظاهر[٨] الخطاب على أن حكم هذه المعية ومقتضاها أنه مطلع عليكم، شهيد عليكم[٩] ومهيمن عالم بكم. وهذا معنى قول السلف: «إنه معهم بعلمه»، وهذا ظاهر الخطاب وحقيقته.

وكذلك في قوله ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ إلى

---

(١) في (ع) «أو».

(٢) في (ع) «في» بدل: من.

(٣) في (ج) تكررت «أو».

(٤) في (ع) «معناها».

(٥) في (ع) «بمجامعته».

(٦) في (ع) «العرش».

(٧) انظر: الفتاوى (٣/ ١٤٢-١٤٣) (٥/ ٤٩٥-٤٩٩) (١١/ ٢٤٩-٢٥١)، مختصر الصواعق (٢/ ٢٦٥-٢٦٩).

وانظر: المفردات للراغب الأصفهاني ص٤٧٠، تاج العروس (٢٢/ ٢١٠-٢١١).

(٨) «ظاهر» سقطت من (ع).

(٩) «شهيد عليكم» سقطت من (ع).

قولـه: ﴿هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة:٧]، ولما قال النبي ﷺ لصاحبه في الغار: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:٤٠] كان هذا أيضاً حقاً على ظاهره، ودلت الحال على أن حكم المعية هنا ـ مع الاطلاع[١] ـ[٢] النصر والتأييد[٣].

وكذلك قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]، وكذلك قوله لموسى وهارون: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه:٤٦]. هنا المعية على ظاهرها، وحكمها في هذا الموطن النصر والتأييد[٤].

وقد يدخل على صبي من يخيفه، فيبكي، فيشرف عليه أبوه من فوق[٥] السقف ويقول[٦]: لا تخف[٧]، أنا معك[٨]، أو[٩] أنا حاضر ونحو ذلك، ينبهه على المعية الموجبة بحكم الحال دفع[١٠] المكروه، ففَرْقٌ بين معنى[١١]

---

(١) في (ع) «الإطلاق» بدل: الاطلاع.

(٢) في (ع) زيادة «واو».

(٣) في (ج) جاءت العبارة هكذا: «أن حكم الآية هنا معية الاطلاع والنصر والتأييد»، ولعل ما أثبت هو الصحيح.

(٤) وهذه المعية هي المعية الخاصة.
انظر الفتاوي (١١/٢٤٩-٢٥٠).

(٥) في (ع) «قول» بدل: فوق.

(٦) في (ج، ع) «فيقول».

(٧) «لا تخف» سقطت من (ج).

(٨) في (ع) زيادة «وأنا هنا».

(٩) في (ع) «واو» بدل: أو.

(١٠) في (ج) «الدفع».

(١١) «معنى» سقطت من (ج، ع).

المعية وبين مقتضاها، وربما صار مقتضاها من معناها، فتختلف باختلاف المواضع.

استعمال لفظ المعية في الكتاب والسنة في مواضع مختلفة

فلفظ المعية قد استعمل في[١] الكتاب والسنة في مواضع يقتضي في كل موضع أموراً لا يقتضيها في الموضع الآخر، فإما أن تختلف دلالتها بحسب المواضع، أو تدل على قدر مشترك بين[٢] جميع مواردها ـ وإن امتاز كل موضع بخاصية ـ فعلى التقديرين ليس مقتضاها أن تكون ذات الرب مختلطة بالخلق حتى يقال: قد صرفت عن ظاهرها.

لفظ الربوبية والعبودية واشتراك الخلق فيهما

ونظيرها من بعض الوجوه الربوبية والعبودية، فإنها وإن اشتركت في أصل الربوبية والتعبيد، فلما قال: ﴿بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٢١ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [الأعراف :١٢١-١٢٢] كانت ربوبية[٣] موسى وهارون لها اختصاص زائد على الربوبية العامة للخلق، فإن من أعطاه الله من الكمال أكثر مما أعطى غيره : فقد[٤] ربه ورباه، و[٥] ربوبيته[٦] وتربيته[٧] أكمل من غيره.

وكذلك قوله : ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان :٦] و﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء:١] .

فإن العبد تارة يعنى به المعبد فيعم الخلق كما في قوله : ﴿إِن كُلُّ مَن

---

(١) في (ج) زيادة «لفظ».

(٢) في (ع) «في» بدل: بين.

(٣) في (ع) «ربوبيته».

(٤) «فقد» سقطت من (ع).

(٥) في (ج، ع) دون «واو».

(٦) في (ع) «ربوبية».

(٧) في (ع) «وتربية».

فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴾ [مريم : ٩٣] ، وتارة يعنى به العابد فيخص، ثم يختلفون، فمن كان أعبد علماً وحالاً، كانت عبوديته أكمل، فكانت الإضافة في حقه أكمل، مع أنها حقيقة في جميع المواضع.

لفظ المعية هل هو من قبيل المتواطئة أو من قبيل المشترك؟

ومثل هذه الألفاظ يسميها بعض الناس «مشككة»[١] لتشكيك[٢] المستمع فيها، هل هي من قبل الأسماء المتواطئة[٣]، أو من قبل[٤] المشتركة في اللفظ فقط[٥]، والمحققون يعلمون أنها ليست خارجة عن جنس المتواطئة؛ إذ واضع اللغة إنما وضع اللفظ بإزاء القدر المشترك، وإن كانت نوعاً مختصاً من المتواطئة، فلا بأس بتخصيصها بلفظ[٦].

---

(١) المشكك: عبارة عما يدل على أشياء فوق واحد باعتبار معنى واحد تختلف فيما بينها فيه بشدة أو ضعف، أو تقدم أو تأخر، كإطلاق لفظ الأبيض على العاج والثلج، والموجود على الجوهر والعرض. المبين في شرح ألفاظ الحكماء والمتكلمين للآمدي ص٧١.
وانظر: المعجم الفلسفي ص١٨٤، معيار العلم للغزالي ص٨٢-٨٣.
ويمكن أن يقال بعبارة أخرى: المشكك: هو اللفظ الدال على معنى يوجد في أفراده بنسب مختلفة، مثل «نور» يطلق على نور الشمس، ونور القمر، ونور المصباح...

(٢) في (ع) «لتشككه».

(٣) المتواطئة: هي التي تدل على أعيان متعددة بمعنى واحد مشترك بينها، كدلالة اسم «الإنسان» على: زيد، وعمرو. معيار العلم للغزالي ص٨١، وانظر: المبين للآمدي ص٧٠-٧١، المعجم الفلسفي ص١٦٩.

(٤) في (ج) «قبيل».

(٥) المشترك اللفظي: هو عبارة عن لفظ واحد يدل على عدة معان، كإطلاق «العين» على العين الباصرة، وينبوع الماء، والجاسوس.
المعجم الفلسفي ص١٨٣، المبين للآمدي ص٧١، معيار العلم ص٨١، بتصرف.

(٦) ومجمل معنى كلام المؤلف هنا: أن بين أسماء الله وصفاته وأسماء خلقه وصفاتهم قدراً مشتركاً، ولا يمكن فهم خطاب الشارع إلا بوجود هذا القدر المشترك. =

ومن علم أن المعية تضاف إلى كل نوع من أنواع المخلوقات ـ كإضافة الربوبية مثلاً ـ وأن[1] الاستواء على الشيء ليس إلا للعرش، وأن الله يوصف بالعلو والفوقية الحقيقية، ولا يوصف بالسفول ولا بالتحتية[2] قط، لا حقيقة ولا مجازاً : علم أن القرآن على ما هو عليه من غير تحريف .

معنى أن الله في السماء

ثم من توهم أن كون الله في السماء بمعنى[3] أن السماء تحيط به و[4] تحويه فهو كاذبٌ ـ إن نقله عن[5] غيره ـ ، وضالٌّ ـ إنْ اعتقده في ربه ـ وما سمعنا أحداً يفهمه من اللفظ، ولا رأينا أحداً نقله عن أحد، ولو سئل سائر المسلمين : هل تفهمون من قول الله تعالى ورسوله «أن الله في السماء» أن السماء تحويه ؟ لبادر كل أحد منهم[6] إلى أن يقول : هذا شيء لعله لم يخطر ببالنا.

وإذا كان الأمر هكذا فمن التكلف[7] أن يجعل ظاهر اللفظ شيئاً محالاً لا يفهمه الناس منه، ثم يريد أن يتأوله[8] بل[9] عند المسلمين أن الله في

= انظر: الفتاوي (٣/ ٧٦-٨٧، ١٨٨-١٩١) (٥/ ٢٠٤-٢١٢، ٣٢٨-٣٣١) (٩/ ١٤٥-١٤٧) (٢٠/ ٤٢٣-٤٣١)، نقض التأسيس (٢/ ٣٧٨-٣٨٢).

(١) من قوله: «تضاف إلى كل نوع من ...» إلى قوله: «الربوبية مثلاً وأن» سقط من (ع).

(٢) في (ع) «والتحية» بدل: ولا بالتحتية.

(٣) «بمعنى» سقطت من (ع).

(٤) في (ع) «أو» بدل: الواو.

(٥) في (ج) «من».

(٦) «منهم» سقطت من (ع).

(٧) في (ع) «التكليف».

(٨) في (ج) «يتوله» بدل: يتأوله، وهو خطأ.

(٩) «بل» سقطت من (ج، ع).

السماء وهو على العرش واحد، إذ[١] السماء إنما يراد[٢] به العلو،[٣] فالمعنى أن الله في العلو لا في السفل، وقد علم المسلمون أن كرسيه سبحانه وسع السماوات والأرض وأن الكرسي في العرش كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وأن العرش خلق من مخلوقات الله لا نسبة [له][٤] إلى قدرة الله وعظمته، فكيف يتوهم بعد هذا أن خلقاً يحصره ويحويه[٥] ، وقد قال سبحانه : ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧١] ، وقال تعالى: ﴿فَسِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران :١٣٧] بمعنى «على»[٦] ونحو ذلك ، وهو كلام عربي حقيقة لا مجازاً وهذا يعلمه[٧] من عرف حقائق معاني الحروف، وأنها متواطئة في الغالب لا مشتركة[٨] .

وكذلك قول النبي ﷺ : **«إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الله قبل وجهه، فلا يبصق[٩] قبل وجهه »**[١٠] الحديث حق على ظاهره، وهو سبحانه فوق العرش، وهو قبل وجه المصلي، بل هذا الوصف يثبت للمخلوقات؛ فإن الإنسان لو أنه يناجي السماء و[١١] يناجي الشمس والقمر لكانت السماء والشمس والقمر فوقه وكانت أيضاً قبل وجهه.

---

(١) في (ع) «إذا».
(٢) في (ع) «يريد».
(٣) انظر: لسان العرب (١٤/ ٣٩٧).
(٤) بياض في (الأصل) وما أثبت من (ج، ع).
(٥) «ويحويه» سقطت من (ع).
(٦) في (ع) زيادة «الأرض».
(٧) في (ج) «يعرفه».
(٨) انظر: نقض التأسيس (١/ ٥٥٧ وما بعدها)، الفتاوي (٣/ ٥٢) (٥/ ٢٥٦-٢٥٨).
(٩) في (ج، ع) «يبصقن» بدل: يبصق.
(١٠) الحديث: تقدم تخريجه قريباً، انظر: ص٥٢٠.
(١١) في (ع، ج) «أو».

وقد ضرب النبي ﷺ المثل بذلك ـ ولله المثل الأعلى، ولكن المقصود بالتمثيل بيان جواز هذا وإمكانه لا تشبيه[١] الخالق بالمخلوق ـ فقال النبي ﷺ : **«ما منكم من أحد إلا سيرى ربه مخلياً[٢] به»** . فقال له[٣] أبو رُزين العقيلي: كيف يا رسول الله، وهو واحد ونحن جميع؟ فقال النبي ﷺ: **«سأنبئك مثل ذلك في آلاء[٤] الله، هذا القمر كلكم يراه مخلياً به وهو آية من آيات الله، فالله أكبر»** أو كما قال النبي ﷺ[٥].

وقال : **«إنكم سترون ربكم كما ترون الشمس والقمر[٦]»**[٧]

---

(١) في (ع) «يشبه».

(٢) مخلياً به: يقال: خلوت به، ومعه، وإليه. وأخليت به إذا انفردت به: أي كلكم يراه منفرداً بنفسه. النهاية في غريب الحديث (٢/ ٧٤).

(٣) «له» سقطت من (ع).

(٤) «آلاء» سقطت من (ع).

(٥) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وإنما ورد بلفظ قريب من هذا:
عن أبي رزين العقيلي، قال: يا رسول الله أكلنا يرى ربه يوم القيامة؟ وما آية ذلك في خلقه؟ فقال رسول الله ﷺ: **«أليس كلكم ينظر إلى القمر مخلياً به؟»** قلت: بلى. قال: **«فالله عز وجل أعظم»** . الحديث رواه أبو داود (٥/ ٩٩-١٠٠) رقم ٤٧٣١، كتاب السنة، باب في الرؤية . وابن ماجه (١/ ٦٤) رقم ١٨٠، المقدمه، باب فيما أنكرت الجهمية. وأحمد في مسنده (٤/ ١١-١٤) . والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٦٠)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وعبدالله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ٢٤٤-٢٤٥) رقم ٤٤٧-٤٤٨. وأبو داود الطيالسي ص١٤٧-١٠٩٤. وابن حبان في صحيحه ص٤٠ رقم ٣٩، بنحو من هذا. وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٠٠) رقم ٤٥٩، ٤٦٠. وابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٤٣٨-٤٣٩) رقم ٢٥٣-٢٥٤. والآجري في «التصديق بالنظر إلى الله بالآخرة» ص٥٣-٥٤. واللالكائي في «أصول اعتقاد أهل السنة » (٢/ ٤٨٣).

(٦) «والقمر» سقطت من (ع).

(٧) الحديث: تقدم تخريجه، انظر: ص٣١٢.

فشبه[١] الرؤية بالرؤية، وإن لم يكن المرئي مشابهاً للمرئي، فالمؤمنون إذا رأوا ربهم يوم القيامة وناجوه كل يراه فوقه قبل وجهه كما يرى الشمس والقمر، ولا منافاة أصلاً.

هل ظاهر النصوص مراد أو غير مراد

ومن كان له نصيب من المعرفة بالله والرسوخ في العلم بالله يكون إقراره بالكتاب[٢] والسنة على ما هما عليه أوكد.

واعلم أن من المتأخرين من يقول: مذهب السلف إقرارها على ما جاءت به مع اعتقاد أن ظاهرها غير مراد[٣][٤]، وهذا لفظ مجمل، فإن قوله: ظاهرها غير مراد، يحتمل أنه أراد بالظاهر نعوت المخلوقين وصفات المحدثين، مثل أن يراد بكون الله «قبل وجه المصلي» أنه مستقر في الحائط الذي يصلي إليه، وأن «الله معنا» ظاهره أنه[٥] إلى جانبنا، ونحو ذلك، فلا شك أن هذا غير مراد.

ومن قال: إن مذهب السلف : أن هذا غير مراد، فقد أصاب في المعنى، لكن أخطأ في إطلاق القول بأن هذا هو[٦] ظاهر الآيات والأحاديث، فإن

---

(١) في (ج) «فتشبه».

(٢) في (ج، ع) «للكتاب».

(٣) « مراد » سقطت من (ج).

(٤) مسألة : إطلاق لفظ الظاهر، وهل ظاهر النصوص مراد، أو غير مراد، هذه المسألة قد أشبعها شيخ الإسلام بحثاً، وأسهب في ذلك في غير ما موضع.

انظر: التدمرية، القاعدة الثالثة ص٦٩ وما بعدها، تحقيق د. محمد السعوي، وانظر: الفتاوي (٣/ ٢٠٧)(٦/ ٣٥٥-٣٥٨)(٢٠/ ٢١٨)(٣٣/ ١٧٧-١٨٦).

(٥) «أنه» سقطت من (ع).

(٦) «هو» سقطت من (ع).

هذا هو[١] المحال ليس هو الأظهر على ما قد[٢] بيناه في غير هذا الموضع. اللهم إلا أن يكون هذا [المعنى][٣] الممتنع[٤] صار يظهر لبعض الناس، فيكون القائل[٥] لذلك مصيباً بهذا الاعتبار، معذوراً في هذا الإطلاق.

فإن الظهور والبطون قد يختلف باختلاف أحوال الناس[٦] وهو من الأمور النسبية. وكان[٧] أحسن[٨] من هذا أن يبين لمن اعتقد أن هذا هو الظاهر: أن هذا ليس هو الظاهر، حتى يكون[٩] أعطى كلام الله وكلام[١٠] رسوله حقه لفظاً ومعنى.

وإن كان الناقل عن[١١] السلف أراد ـ بقوله الظاهر غير مراد عندهم ـ أن المعاني التي ظهرت[١٢] من هذه الآيات والأحاديث مما يليق بجلال الله وعظمته، لا يختص بصفة[١٣] المخلوقين، بل هي واجبة لله، أو جائزة عليه جوازاً ذهنياً، أو جوازاً خارجياً: غير مراد، فقد أخطأ فيما نقله عن

---

(١) «هو» سقطت من (ع).

(٢) «قد» سقطت من (ع).

(٣) ما بين المعكوفتين من (ج، ع).

(٤) وهو : أن ظاهر الآيات والأحاديث يقتضي التشبيه ولا يفهم من إلا هذا.

(٥) «فيكون القائل» تكررت في (ع) مرتين.

(٦) «الناس» سقطت من (ج).

(٧) في (ع) «وهو» بدل: وكان.

(٨) في (ج) زيادة «له».

(٩) في (ج، ع) زيادة «قد».

(١٠) «كلام» سقطت من (ج).

(١١) في (ع) «من».

(١٢) في (ج، ع) «تظهر».

(١٣) في (ج) «بصفات».

السلف، أو تعمد الكذب[١]، فما يمكن أحد قط أن ينقل عن واحد من السلف ما يدل ـ لا نصاً ولا ظاهراً ـ أنهم كانوا يعتقدون أن الله ليس فوق العرش[٢]، ولا أن الله ليس له سمع وبصر ويد حقيقة.

مخالفة طريقة السلف لطريقة المتكلمين

وقد رأيت هذا المعنى ينتحله بعض من يحكيه عن السلف، ويقول: إن طريقة أهل التأويل[٣] هي ـ في الحقيقة ـ طريقة السلف، بمعنى أن الفريقين اتفقوا على أن هذه الآيات والأحاديث لم تدل على صفات الله سبحانه، ولكن السلف أمسكوا عن تأويلها، والمتأخرون رأوا المصلحة تأويلها، لمسيس الحاجة إلى ذلك[٤] ويقول: الفرق أن هؤلاء[٥] يعينون المراد بالتأويل، وأولئك لا يعينون[٦] لجواز أن يراد غيره.

تصريح السلف بعلو الله على عرشه

وهذا القول على[٧] الإطلاق كذب صريح على[٨] السلف: أما في كثير من الصفات فقطعاً، مثل: أن الله فوق العرش، فإن من تأمل كلام السلف المنقول عنهم ـ الذي لم يحك[٩] هنا عشره ـ علم بالاضطرار أن القوم[١٠] كانوا مصرحين بأن الله فوق العرش حقيقة، وأنهم ما اعتقدوا خلاف هذا

---

(١) في (ج) «كذباً».

(٢) «العرش» سقطت من (ج).

(٣) «طريقة أهل التأويل» تكررت في (ع) مرتين.

(٤) وهذا معنى مقولتهم الباطلة التي رد عليها شيخ الإسلام في أول الرسالة «أن طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم».

(٥) في (ج، ع) زيادة «قد».

(٦) في (ع) «يعتنون».

(٧) «القول على» سقطت من (ع).

(٨) في (ع) «عن».

(٩) «لم يحك» سقطت من (ج).

(١٠) في (ع) «القول» وهو خطأ.

قط، وكثير منهم قد صرح في كثير[1] من الصفات بمثل[2] ذلك.

إجماع السلف على إثبات الصفات الخبرية

والله يعلم أني بعد البحث التام[3]، ومطالعة ما أمكن من كلام السلف، ما رأيت كلام أحد منهم يدل ـ لا نصاً ولا ظاهراً، ولا بالقرائن ـ على نفي الصفات الخبرية في نفس الأمر؛ بل الذي رأيته أن كثيراً من كلامهم يدل ـ إما نصاً، وإما ظاهراً ـ على تقرير جنس هذه الصفات، ولا أنقل عن كل واحد منهم إثبات كل صفة[4]، بل الذي رأيته أنهم يثبتون جنسها في[5] الجملة؛ وما رأيت أحداً منهم نفاها، وإنما ينفون التشبيه[6]، وينكرون على المشبهة[7] الذين يشبهون[8] الله بخلقه؛ مع إنكارهم على من نفى[9] الصفات؛ كقول نعيم بن حماد الخزاعي[10] ـ شيخ البخاري ـ: «من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف الله به نفسه[11] ولا رسوله تشبيهاً»[12].

(١) في (ج) «بكثير».

(٢) في (ع) «بنحو» بدل: بمثل.

(٣) «التام» سقطت من (ع).

(٤) في (ج) «كصفة» بدل: كل صفة.

(٥) «في» سقطت من (ج).

(٦) في (الأصل) «للتشبيه»، وفي (ع) «التشبه»، وما أثبت من (ج).

(٧) في (ج) «المشبه».

(٨) في (ع) «شبهوا».

(٩) في (ج) «ما ينفي»، وفي (ع) «من ينفي».

(١٠) نعيم بن حماد الخزاعي، سبقت ترجمته، انظر: ص٢٦٢.

(١١) قوله «فقد كفر، وليس ما وصف الله به نفسه» سقط من (ع).

(١٢) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٢/ ٥٣٢) رقم ٩٣٦، والذهبي في «العلو» ص١٢٦، المختصر ص١٨٤، وفي السير (١٣/ ٢٩٩) وقال: رويناه بأصح =

وكانوا إذا رأوا الرجل قد أغرق[١] في نفي التشبيه من غير إثبات الصفات قالوا[٢] : جهمي معطل ؛ وهذا كثير جداً في كلامهم، فإن الجهمية والمعتزلة إلى اليوم يسمون من أثبت شيئاً من الصفات مشبهاً ـ كذباً منهم وافتراء ـ حتى إن منهم من غلا ورمى الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم بذلك، حتى قال ثمامة بن أشرس[٣] من رؤساء الجهمية[٤]:

= إسناد. اهـ. وقد صححه الألباني أيضاً وذكر أن رجال الإسناد كلهم ثقات، انظر: «مختصر العلو» ص١٨٤، وذكره ابن القيم في «اجتماع الجيوش» ص٢٢١، وشيخ الإسلام في الفتاوى (٥/ ٢٦٣).

(١) في (ع) «أعرق».

(٢) في (ع) زيادة «هذا».

(٣) ثمامة بن أشرس أبو معن النميري البصري، من كبار المعتزلة، بل من غلاتهم، تروى عنه بعض الأقوال الجسيمة؛ كقوله : المقلدون من أهل الكتاب، وعبدة الأوثان، لا يدخلون النار، بل يصيرون تراباً، أما من مات مسلماً وهو مصر على كبيرته خلّد في النار، وأن أطفال المؤمنين يصيرون تراباً، إلى غير ذلك من الأقوال الشنيعة.

قال عنه ابن قتيبة: «ثم نصير إلى ثمامة، فنجده من رقة الدين ونقص الإسلام، والاستهزاء به، وإرساله لسانه على ما لا يكون على مثله رجل يعرف الله ويؤمن به ..» اهـ.

وقال عنه ابن حجر: «ثمامة بن أشرس من كبار المعتزلة، ومن رؤوس الضلالة..». اهـ توفي سنة ثلاثة عشرة ومائتين. وإليه تنسب فرقة «الثمامية» من كبار فرق المعتزلة.

انظر: فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ص٢٧٢، تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص٣٥، تاريخ بغداد (٧/ ١٤٥)، السير (١٠/ ٢٠٣)، لسان الميزان (٢/ ٨٣)، وانظر الفرق بين الفِرق ص١٥٧ التبصير في الدين ص٤٨، الفصل لابن حزم (٥/ ٦٢) الملل والنحل (١/ ٨٤) .

(٤) لفظ «الجهمية» قد يطلق على كل من عطل الصفات أو بعضها، فيطلق على المعتزلة «جهمية» بسبب تعطيل الصفات، وأيضاً يطلق على الأشاعرة «جهمية» بسبب تعطيل =

«ثلاثة من الأنبياء مشبهة، موسى حيث قال: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ [الأعراف : ١٥٥]، وعيسى حيث قال: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة : ١١٦]، ومحمد حيث قال: **«ينزل ربنا»**[(١)][(٢)].

وحتى أن جُلَّ المعتزلة تدخل عامة الأئمة مثل: مالك وأصحابه والثوري وأصحابه، والأوزاعي[(٣)] وأصحابه ، والشافعي وأصحابه، وأحمد وأصحابه، وإسحاق بن راهويه[(٤)]، وأبي عبيد[(٥)][(٦)] وغيرهم، في قسم المشبهة.

وقد صنف أبو إسحاق إبراهيم بن عثمان بن درباس[(٧)] الشافعي جزءاً

= بعض الصفات، أما مسمى «الجهمية» عموماً لا يطلق في الغالب إلا على من أنكر جميع الأسماء والصفات، وخاصة إذا عطف اسم الجهمية على المعتزلة والأشاعرة، كأن يقال: الجهمية، والمعتزلة والأشاعرة.

انظر: الفتاوي (٣/ ٩٩)(٦/ ٥٥، ٣٥٨)، الرسالة المدنية ـ تحقيق الوليد الفريان ـ ص٣٦.

(١) الحديث سبق تخريجه، انظر ص٣٥٥.

(٢) قول ثمامة بن أشرس لم أعثر عليه، وبمعناه روي عن ابن أبي دؤاد، ذكره الذهبي في كتابه العلو (ص١٤٠) من طريق ابن أبي حاتم في كتابه «الرد على الجهمية».

(٣) الأوزاعي، هو: عبدالرحمن بن عمرو، سبقت ترجمته، انظر ص٢٩٦.

(٤) إسحاق بن راهويه، سبقت ترجمته، انظر ص٢٤٣.

(٥) في (ع) «وأبي عيينة» وهو خطأ.

(٦) أبو عبيد، هو: القاسم بن سلام، سبقت ترجمته، انظر ص٣٣٠.

(٧) إبراهيم بن عثمان بن عيسى بن درباس، أبو إسحاق، جلال الدين المارني الكردي المصري. قال عنه الذهبي: «كان عارفاً بمذهب الشافعي... وكان خيراً صالحاً زاهداً قانعاً مقبلاً مقبلاً على شأنه». توفي بين الهند واليمن سنة اثنتين وعشرين وستمائة وله خمسون سنة . سير أعلام النبلاء (٢٢/ ٢٩٠).

إطلاق أهل البدع الألقاب الشنيعة على أهل السنة

أسماه[١] : «تنزيه الشريعة عن الألقاب الشنيعة »[٢] وذكر[٣] فيه كلام السلف وغيرهم من معاني هذه الألقاب، وذكر أن[٤] أهل البدع كل صنف منهم يلقب[٥] أهل السنة[٦] بلقب افتراه، يزعم أنه صحيح على رأيه الفاسد، كما أن المشركين كانوا[٧] يلقبون النبي ﷺ بألقاب افتروها[٨].

فالروافض[٩] تسميهم نواصب[١٠]، والقدرية[١١] يسمونهم مجبرة[١٢]،

---

(١) في (ج) «سماه».

(٢) لم أعثر على هذا الكتاب.

(٣) في (ج، ع) «ذكر» بدون الواو.

(٤) «أن» سقطت من (ج).

(٥) قوله «وغيرهم من معاني هذه الألقاب وذكر أن أهل البدع كل صنف منهم يلقب» سقطت من (ع).

(٦) في (ع) «وأهل السنة».

(٧) «كانوا» سقطت من (ع).

(٨) في (ع) زيادة «يزعم أنه صحيح على رأيه الفاسد كما أن المشركين».

(٩) الروافض: سبق التعريف بهم، انظر: ص٤٩٢.

(١٠) النواصب : أصل النصب: هو العداوة ، يقال: نصب فلان لفلان نصباً : إذا عاداه وتجرد له . لسان العرب (١/ ٧٦١) - بتصرف.
والنواصب عموماً تطلق على: من يبغض علياً وأصحابه، ويدخل في هذا الاسم الخوارج، بفرقهم المختلفة.
أما الرافضة زعماً فتطلق هذا الاسم على كل من أحب أبا بكر وعمر ـ رضي الله عنهم ـ وتولاهما، زعماً منهم أن من تولاهما فقد أبغض علياً. ولهذا أطلقت على أهل السنة : النواصب. انظر: الفرق وأصناف الكفرة للعراقي ص٣٦، رسالة ماجستير، الفتاوي (٢٥/ ٣٠١)، التدمرية ص١٢٢-١٢٣، لسان العرب (١/ ٧٦٢).

(١١) والقدرية هنا هم: النفاة، وغالباً ما يطلق هذا الاسم على المعتزلة، وقد سبق التعريف بهم، انظر: صفحة٢٨١.

(١٢) المجبرة: هذا الاسم في الغالب يطلق على الغلاة في إثبات القدر، ومن يسلبون الإنسان =

والمرجئة[١] يسمونهم[٢] شكاكاً[٣]، والجهمية[٤] تسميهم مشبهة[٥]، وأهل الكلام[٦] يسمونهم حشوية[٧] ونوابت[٨]، وغثاء[٩]،

= حرية الاختيار، وهؤلاء هم: الجبرية، وسبق التعريف بهم، انظر: ص٥٣٤.
أما القدرية النفاة، فيطلق هذا الاسم أيضاً على أهل السنة، وذلك لأن أهل السنة يقولون: كل شيء بقدر الله ومشيئته.

(١) المرجئة: سبق التعريف بهم، انظر ص٤٩٣.

(٢) في (ج، ع) «تسميهم».

(٣) شكاكاً، من الشك وهو ضد اليقين، وأصله التردد. انظر: لسان العرب (١٠/ ٤٥١).
وأطلق المرجئة هذا الاسم على أهل السنة؛ لأنهم يجيزون الاستثناء في الإيمان، وهو قولهم: «أنا مؤمن إن شاء الله» ـ مع العلم أنهم لا يجيزون الاستثناء بإطلاق على الأصح ـ وقال المرجئة: إن أهل السنة باستثنائهم هذا يدل على شكهم في أصل إيمانهم، ولهذا أطلقوا عليهم اسم «شكاكاً». انظر: الفتاوي (٧/ ٤٢٩، ٤٥٠، ٦٦٦)، شرح الطحاوية (٢/ ٤٩٧).

(٤) الجهمية: سبق التعريف بهم، انظر: ص٢٣٤.

(٥) بسبب أن أهل السنة يثبتون لله الأسماء والصفات، ولا يتعرضون لها بالتأويل والتعطيل، كما فعل الجهمية.

(٦) لعل الشيخ أراد بأهل الكلام هنا الأشاعرة؛ لأنهم أكثر من يطلق على أهل السنة الحشوية، وكتبهم مليئة بذلك.

(٧) الحشوية: مأخوذة من «الحشو»، وحشو الكلام: الفضل الذي لا يعتمد عليه، وحشو الناس: أراذلهم. انظر: لسان العرب (١٤/ ١٨٠).
ومرادهم بالحشوية هنا أي: من العامة الذين هم حشو الناس، أو: نسبة إلى حشو القول، الذي هو فضل الكلام. ولفظة «الحشوية» لفظة مبتدعة، أول من تكلم بها عمرو بن عبيد؛ حيث قال: «كان عبدالله بن عمر حشوياً». انظر: الفتاوي (٤/ ٢٣، ١٤٤-١٤٨)(١٢/ ١٧٦)، منهاج السنة (٢/ ٥٢٠-٥٢٢).

(٨) النوابت: هم: الصغار، يقال: نبتت لهم نابتة، إذا نشأ لهم نشء صغار.
انظر: لسان العرب (٢/ ٩٦)، النهاية في غريب الحديث (٥/ ٥).

(٩) الغثاء في الأصل: ما يحتمله السيل من القماش والقمام، ويشبه به كل شيء رديء من =

وغثراً(١)، إلى أمثال ذلك(٢)، كما كانت قريش تسمي النبي ﷺ تارة مجنوناً،

= الناس وغيرهم، قال الضبي:

لهم أذرع باد نواشر لحمها ... وبعض الرجال من الحروب غثاء

وفي الأثر عن الحسن: «هذا الغثاء الذي كنا نحدث عنه» اهـ يريد أراذل الناس وسقطهم. غريب الحديث للخطابي (٣/ ٩٧) بتصرف، وانظر: لسان العرب (١٥/ ١١٦)، النهاية في غريب الحديث (٣/ ٣٤٣).

(١) غثراً: الغثرة: الجماعة الجهال، يقال: رجل أغثر، إذا كان جاهلاً، وقد قال عثمان رضي الله عنه حينما دخل عليه القوم ليقتلوه، قال: «إن هؤلاء رعاع غثرة». اهـ أي: جهال. وفي أثر أويس: «أكون في غثراء الناس». اهـ.

وأصل الغثرة: لون الضبع المختلط بين السواد والصفرة. ومنه قول عمارة:

حتى اكتسبت من المشيب عمامة ... غثراء، أعفر لونها بخضاب

لسان العرب (٥/ ٧)، غريب الحديث للخطابي (٢/ ٢٧٦)، النهاية في غريب الحديث (٣/ ٣٤٣)، الفائق للزمشخري (٣/ ٥٤).

(٢) وقد أثر عن كثير من الأئمة، كالإمام أحمد، وأبي حاتم الرازي، وابن قتيبة، وأبي القاسم الأصفهاني، وغيرهم، أنهم جعلوا من علامات أهل البدع والأهواء إطلاق مثل هذه الأسماء والأوصاف القبيحة - نواصب، مشبهة، حشوية.. - على أهل السنة بقصد التشنيع عليهم، والطعن فيهم، والإزراء بهم، وفي الحقيقة هم أولى بهذه الأوصاف، وأحق بهذه الأسماء. ولقد صدق الشاعر حيث يقول:

لا يضر البحر أمسى زاخراً ... أن رمى فيه غلام بحجر

وقال غيره:

تقول هذا جنى النحل تمدحه ... وإن تشأ قلت ذا قَيءُ الزنابير

مدحاً وذماً وما جاوزت ... والحق قد يعتريه سوء تعبير

قال الإمام ابن القيم في الصواعق المرسلة (٣/ ٩٤٠-٩٤١) بعد أن ذكر بعض الصفات لله: «فهذه المعاني ثابتة للرب تعالى، وهو موصوف بها، لا ننفيها عنه بتسميتكم للموصوف بها جسماً، كما أنا لا نسب الصحابة لأجل تسمية الروافض لمن يحبهم =

وتارة شاعراً، وتارة كاهناً، وتارة مفترياً.

قالوا[1]: وهذا علامة الإرث الصحيح والمتابعة التامة، فإن السنة هي ما كان عليه رسول الله ﷺ[2] اعتقاداً واقتصاداً[3] وقولاً وعملاً؛

= ويواليهم نواصب، ولا ننفي قدر الرب، ونكذب به لأجل تسمية القدرية لمن أثبته جبرياً، ولا نرد ما أخبر به الصادق عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله لتسمية أعداء الحديث لنا حشوية، ولا نجحد صفات خالقنا وعلوه على خلقه واستواءه على عرشه، لتسمية الفرعونية المعطلة لمن أثبت ذلك مجسماً مشبهاً.

فإن كان تجسيم ثبوت استوائه ... على عرشه إني إذاً لمجسِّم

وإن كان تشبيهاً ثبوت صفاته ... فمن ذلك التشبيه لا أتكتَّمُ

إلى أن قال: ورضي الله عن شيخنا - يعني ابن تيمية - إذ يقول:

فإن كان نصباً ولاء الصحاب ... فإني كما زعموا ناصبي

وإن كان رفضاً ولا آله ... فلا برح الرفض من جانبي

انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (١/ ١٧٩-١٨٢)، إبطال التأويلات لأبي يعلى ص٤٥-٤٦، تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص٥٥، عقيدة السلف للصابوني ص١٠٥، طبقات الحنابلة (١/ ٣٥-٣٦)، العلو للذهبي ص١٣٩، درء تعارض العقل والنقل (٤/ ١٤٨)، الفتاوي (٣٣/ ١٧١)، عقيدة ابن أبي حاتم وأبي زرعة، جمع محمود الحداد ص٦٩.

(١) أي: السلف.

(٢) في (ع) زيادة «وأصحابه».

(٣) اقتصاداً: من القصد وهو: استقامة الطريق، ومنه قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النحل:٩] أي: على الله تبيين الطريق المستقيم والدعاء إليه بالحجج والبراهين الواضحة. أو بمعنى: العدل، أي: الاعتدال في الأمور بلا زيادة ولا نقصان. لسان العرب (٣/ ٣٥٣-٣٥٤) - بتصرف.

فكما[١] أن المنحرفين عنه[٢] يسمونه بأسماء مذمومة مكذوبة ـ وإن اعتقدوا صدقها بناء على عقيدتهم الفاسدة ـ فكذلك[٣] التابعون له على بصيرة الذين هم أولى الناس به في المحيا[٤] والممات، باطناً وظاهراً.

أما الذين وافقوا ببواطنهم وعجزوا عن إقامة الظواهر، والذين وافقوه بظواهرهم وعجزوا عن تحقيق البواطن، أو الذين وافقوه ظاهراً وباطناً بحسب الإمكان: لا بد للمنحرفين عن سنته أن يعتقدوا فيها[٥] نقصاً [يذمونهم به][٦]، ويسمونهم بأسماء مكذوبة – وإن اعتقدوا صدقها – كقول الرافضي: من لم يبغض أبا بكر وعمر، فقد أبغض علياً، لأنة لا ولاية لعلي إلا بالبراءة منهما، ثم يجعل من أحب أبا بكر وعمر[٧] ناصبياً، بناءً على[٨] هذه الملازمة الباطلة، التي اعتقدوها صحيحة، أو[٩] عاندوا فيها وهو الغالب[١٠].

---

(١) في (ع) « وكما » .

(٢) «عنه» سقطت من (ع).

(٣) في (ع) «فذلك».

(٤) في (ع) «الحياة».

(٥) في (ع) «فيهم».

(٦) طمس في (الأصل)، وما أثبت من (ج).

(٧) «وعمر» سقطت من (ع).

(٨) في (ع) زيادة «أن».

(٩) في (ع) «واو» بدل: أو.

(١٠) وهذا ما يسمى عندهم: التولي والتبري، وقالوا: لا ولاء إلا ببراء، وسبق الكلام عليها، انظر: ص٤٤٦.

وكقول القدري[١][٢]: من اعتقد أن الله أراد الكائنات وخلق أفعال العباد، فقد سلب[٣] العباد القدرة والاختيار[٤] وجعلهم مجبورين كالجمادات التي لا إرادة لها ولا قدرة.

وكقول الجهمي: من قال: إن الله فوق العرش، فقد زعم أنه محصور، وأنه جسم مركب[٥] وأنه مشابه[٦] لخلقه[٧].

وكقول الجهمية والمعتزلة: من قال: إن لله[٨] علماً وقدرة، فقد زعم أنه جسم مركب، وهو[٩] مشبه، لأن هذه الصفات أعراض، والعرض[١٠] لا

---

(١) في (ج) «القدر» ولعله خطأ.

(٢) القدري النافي للقدر.

(٣) «سلب» سقطت من (ج).

(٤) في (ج، ع) تقديم وتأخير «الاختيار والقدرة».

(٥) ومن أعظم شبه نفاة الصفات «شبهة التجسيم» و«شبهة التركيب». حيث قالوا: إن إثبات الصفات لله يقتضي أن يكون الله جسماً، لأنا لا نجد في الشاهد متصفاً بهذه الصفات إلا ما هو جسم، والأجسام متماثلة. وأيضاً شبهة التركيب، فقد قالوا: إن إثبات الصفات لله يستلزم تعدد الصفات، وهذا تركيب ممتنع. وقد ناقش شيخ الإسلام هاتين الشبهتين، وبسط القول فيها. انظر: التدمرية ص٣٥، ٤٠، الفتاوي (٥/ ٢١٢-٢٢٥، ٤٢١-٤٣٥) (٦/ ٣٣-٥١، ٧٣-٧٥، ١٠٢-١٠٤، ٣٤٤-٣٥١) (١٣/ ٢٩٨-٣٠٥) (١٧/ ٣١٢)، وانظر قسم الدراسة ص١٢٥.

(٦) في (ج) «مشبه».

(٧) في (ع) «الخلق».

(٨) في (ج) «الله».

(٩) في (ج) «وهذا».

(١٠) العرض: سبق تعريفه، انظر: ص٢٦٩.

يقوم إلا بجوهر[1] متحيز[2]، وكل متحيز[3] فجسم مركب[4]، أو جوهر فرد[5]، ومن قال ذلك فهو مشبه، لأن الأجسام متماثلة .

ومن حكى عن[6] الناس «المقالات» وسماهم بهذه الأسماء المكذوبة بناءً على عقيدتهم التي هم مخالفون له فيها، فهو وربه[7]. والله من ورائه بالمرصاد، ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله.

---

(١) الجوهر: سبق التعريف به. انظر ص٢٦٨.

(٢) الحيز: عبارة عن المكان، أو تقدير المكان. ومن المتكلمين من يجعل كل جسم متحيزاً. المبين في شرح معاني ألفاظ الحكماء والمتكلمين للآمدي ص٩٦، منهاج السنة (٢/ ٥٥٥).
والمتحيز من الألفاظ المجملة التي لم ترد في الكتاب ولا في السنة، وهي تحتمل حقاً وباطلاً، فلا يجوز إطلاقها على الله إلا بعد الاستفسار عن مراد من أطلقها، مثلها مثل بقية الألفاظ المحدثة كالجسم، والجهة، والتركيب...، مع أن الأصل عدم إطلاقها على الله ابتداء؛ لأنها ألفاظ مبتدعة، ولكن من أطلقها استفسر عن مراده منها.
يقول شيخ الإسلام: «وما تنازع فيه المتأخرون نفياً وإثباتاً فليس على أحد، بل ولا له أن يوافق أحداً على إثبات لفظ أو نفيه، حتى يعرف مراده، فإن أراد حقاً قبل، وإن إراد باطلاً رد، وإن اشتمل كلامه على حق وباطل لم يقبل مطلقاً ولم يرد جميع معناه، بل يوقف اللفظ، ويفسر المعنى، كما تنازع الناس في الجهة والتحيز وغير ذلك». اهـ . التدمرية ص٦٥-٦٦.
وانظر: الفتاوي (٣/ ٢٩٨-٣٠٩)، (١٢/ ١١٤-١١٦)، (١٣/ ١٤٥-١٤٦،٣٠٤-٣٠٥)، التدمرية ص٦٦-٦٨، منهاج السنة (٢/ ١٣٥، ٥٢٧، ٥٥٥، ٥٦١)، نقض التأسيس (١/ ٤٧٧-٤٧٨)(٢/ ١٣-١٤)، وانظر: قسم الدراسة ص١٠٩-١١٠.

(٣) «وكل متحيز» سقطت من (ع).

(٤) الجسم المركب: سبق تعريفه، انظر ص:٢٦٨.

(٥) الجوهر الفرد: سبق تعريفه، انظر: ص٢٦٨.

(٦) في (ع) «من».

(٧) في (الأصل، ج، ع) زيادة «أعلم»، وفي بعض النسخ من دونها، ولعل أسلوب الكلام من دونها أوضح.

أقسام الناس في نصوص الصفات

وجماع الأمر : أن الأقسام الممكنة في آيات الصفات وأحاديثها ستة أقسام[١]، كل قسم عليه طائفة من أهل القبلة.

«قسمان» يقولان : تجرى على ظواهرها.

«وقسمان» يقولان : هي على خلاف ظاهرها.

«وقسمان» يسكتون.

أما الأولان[٢] : فقسمان :

من يقول تجرى على ظاهرها، ١ـ أهل السنة. ٢ـ المشبهة

أحدهما : من يجريها على ظاهرها، ويجعل ظاهرها[٣] من جنس صفات المخلوقين، فهؤلاء المشبهة، ومذهبهم باطل، أنكره السلف، وإليه توجه[٤] الرد بالحق[٥].

والثاني : من يجريها على ظاهرها اللائق بجلال الله، كما يجرى ظاهر

---

(١) «أقسام» سقطت من (ج).

(٢) في (ج) «الأولون» ، وفي (ع) «الأول».

(٣) في (ع) زيادة «هذا».

(٤) توجه : وضح وبان، ومنه قولهم: خرج القوم فوجهوا للناس الطريق، إذا وطئوه وسلكوه حتى استبان أثر الطريق. انظر: لسان العرب (١٣/ ٥٥٨)

(٥) وعلى رأس هؤلاء المشبهة : الحكمية، أصحاب : هشام بن الحكم الرافضي، وقد زعم أن الله ـ تعالى عن ذلك ـ جسم له حد ونهاية، وأنه طويل عريض، طوله مثل عرضه. ومنهم: الجواليقية، أتباع: هشام بن سالم الجواليقي، الرافضي، وذهب إلى أنه تعالى على صور الآدمي. ومنهم: الحوارية، أتباع: داود الحواري، الذي وصف معبوده بجميع أعضاء الإنسان عدا الفرج واللحية. ومن المشبهة: بعض غلاة الصوفية، أهل الحلول والاتحاد. ومن المشبهة أيضاً: الكرامية الذين يزعمون أن الله جسم. =

اسم «العليم، والقدير، والرب، والإله، والموجود، والذات » ونحو ذلك، على ظاهرها اللائق بجلال الله، فإن ظواهر هذه الصفات في حق المخلوقين[١] : إما جوهر محدث، وإما عرض قائم[٢] به.

فالعلم والقدرة والكلام والمشيئة والرحمة والرضا ، والغضب، ونحو ذلك : في حق العبد أعراض.

والوجه واليد والعين في حقه أجسام.

فإذا كان الله موصوفاً عند عامة أهل الإثبات بأن له علماً وقدرة وكلاماً ومشيئة – وإن لم يكن ذلك عرضاً، يجوز عليه[٣] ما يجوز على صفات المخلوقين – جاز أن يكون وجه الله ويداه ليست أجساماً يجوز عليها ما يجوز على صفات المخلوقين[٤].

= وغير هؤلاء كثير.

وقد تصدى لهم العلماء والأئمة بالرد، وأنكروا عليهم هذه الأقوال الشنيعة، بل كفروا كثيراً منهم، وعدوهم غلاة خارجين عن الإسلام.

انظر: الفرق بين الفرق ص٢١٤-٢١٩، أصول الدين للبغدادي ص٣٣٧-٣٣٨، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص٩٧-١٠٠، الملل والنحل (١/ ١١٨-١٣١)، منهاج السنة (٢/ ٥٩٨ وما بعدها)، مجموعة الرسائل الكبرى (١/ ١١٥) ، الفتاوى (٣/ ١٨٦)(٤/ ١٣٨) ، (٦/ ٣٥-٣٦) (١٢/ ٢٦٤-٢٦٥).

(١) في (ج) «المخلوق».

(٢) في (ع) «قابل»، وهو خطأ.

(٣) «عليه» سقطت من (ع).

(٤) قوله «جاز أن يكون وجه الله ويداه ليست أجساماً يجوز عليها ما يجوز على صفات المخلوقين» سقط من (ع).

القول في الصفات كالقول في الذات

وهذا هو المذهب الذي حكاه «الخطابي»[١] وغيره من السلف[٢]، وعليه يدل كلام جمهورهم، وكلام الباقين لا يخالفه، وهو أمر واضح، فإن الصفات كالذات، فكما أن ذات الله ثابتة حقيقة من غير أن تكون من جنس المخلوقات، فصفاته ثابتة حقيقة من غير أن تكون من جنس صفات المخلوقات[٣].

فمن قال: لا أعقل علماً ويداً إلا من جنس العلم واليد المعهودين.

قيل له: فكيف تعقل ذاتاً من غير جنس ذوات المخلوقين[٤]؟ ومن المعلوم أن صفات كل موصوف تناسب ذاته وتلائم حقيقته، فمن لم يفهم من[٥] صفات الرب ـ الذي ليس كمثله شيء[٦] ـ إلا ما يناسب المخلوق فقد ضل في عقله ودينه.

من سأل عن كيفية الصفات سئل عن كيفية الذات

وما أحسن ما قال بعضهم[٧]: إذا قال لك الجهمي: كيف استوى، وكيف[٨] ينزل إلى السماء الدنيا، وكيف[٩] يداه ونحو ذلك؟

---

(١) الخطابي، هو: أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي، سبق التعريف به، انظر: ص٣٦١.

(٢) وقد سبق أن أورد له شيخ الإسلام قوله: «فإن مذهب السلف إثباتها وإجراؤها على ظاهرها، ونفي الكيفية والتشبيه عنها ..». انظر: ص٣٦٢.

(٣) وقد فصل هذا شيخ الإسلام في القاعدة التي ذكرها في «التدمرية» ص٤٣-٤٦، وهي قوله «القول في الصفات كالقول في الذات». وانظر: كلام الخطيب البغدادي عن ذلك فيما نقله عنه الذهبي في كتابه «العلو» ص١٨٥.

(٤) في (ع) «المخلوقات».

(٥) «من» سقطت من (ع).

(٦) في (ج) زيادة «وهو السميع البصير».

(٧) لم أقف على من قاله. وقد ذكره شيخ الإسلام في «التدمرية» ص٤٤، ولم ينسبه إلى أحد، بل ظاهر النص أنه من كلامه رحمه الله.

(٨) في (ج، ع) «أو كيف».

(٩) في (ج، ع) «أو كيف».

فقل له : كيف هو في(١) نفسه؟ .

فإذا قال لك : لا يعلم(٢) ما هو إلا هو، وكنه الباري(٣) غير معلوم للبشر.

فقل له : فالعلم بكيفية الصفة مستلزم للعلم(٤) بكيفية الموصوف، فكيف يمكن أن تعلم(٥) بكيفية صفة الموصوف(٦)، ولم تعلم(٧) كيفيته(٨)، وإنما تعلم الذات والصفات من حيث الجملة على الوجه الذي [ينبغي له، بل هذه](٩) المخلوقات(١٠) في الجنة قد(١١) ثبت عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أنه قال: «ليس في الجنة مما في الدنيا إلا الأسماء»(١٢).

---

(١) «في» سقطت من (ع).

(٢) في (ع) «تعلم».

(٣) كنه الباري: كنه الشيء: ما يتوقف عليه وجوده، ولا يمكن تصوره دونه، ويطلق على حقيقه الشيء، وقدره ونهايته وغايته.
المعجم الفلسفي ص١٥٦، لسان العرب (١٣/ ٥٣٦-٥٣٧).

(٤) في (ع) «بالعلم».

(٥) في (ج) «نعلم» وفي (ع) «يعلم».

(٦) في (ع) «الموصوف».

(٧) في (ج، ع) «نعلم».

(٨) في (ع) «كيفيه».

(٩) غير واضحة في (الأصل)، وما أثبت من (ج، ع).

(١٠) في (ج) «المخلوق».

(١١) في (ع) «فقد».

(١٢) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١/ ١٧٤). وأبو نعيم في «صفة الجنة» (١/ ١٦٠) رقم ١٢٤، ١٢٥. وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٩٦) من رواية: مسدد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم. وذكره أيضاً ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٩١) .

لا يلزم من الاشتراك في الأسماء العلم بالكيفية

وقد أخبر الله : أنه لا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين(١)، وأخبر النبي ﷺ: أن « في الجنة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر »(٢).

فإذا كان نعيم الجنة وهو خلقٌ من مخلوقات(٣) الله كذلك، فما الظن بالخالق سبحانه وتعالى(٤).

وهذه(٥) الروح التي(٦) في بني آدم قد علم العاقل اضطراب الناس فيها(٧)،

---

(١) وذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].

(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله: «**قال الله تبارك وتعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر...**».

رواه البخاري (٨/ ٥١٥) رقم ٤٧٧٩، كتاب التفسير، باب ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾. ومسلم (٤/ ٢١٧٤) رقم ٢٨٢٤، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٣) في (ج، ع) «خلق» بدل: مخلوقات.

(٤) فبعض ما في الدنيا وما في الآخرة بينهما اتفاق في الأسماء كما أخبر سبحانه أن في الجنة: لبناً وعسلاً ولحماً... إلخ، ومعلوم أن هناك تبايناً في المسمى بين هذه وتلك، وكلاهما خلق لله، فالخالق أعظم مباينة للمخلوقات، وليس هناك أدنى مقارنة.

انظر: التدمرية ص٤٦-٥٠، الفتاوي (٦/ ٣٤٧).

(٥) في (ع) «هذا».

(٦) في (ع) «الذي» بدل: التي.

(٧) اختلف الناس في ماهية الروح، وتباينت أقوالهم فيها ؛ فذهب بعضهم إلى أن الروح جسم، وهي النفس. وذهب آخرون إلى أن الروح عرض، وقيل: لا ندري الروح جوهر أو عرض، وقيل: هي اعتدال الطبائع الأربع، وهي الحرارة والبرودة، والرطوبة واليبوسة. وقيل: الروح معنى خامس غير الطبائع الأربع، وقيل: الروح: الدم الصافي الخالص من الكدر والعفونات...إلى غير ذلك من الأقوال. =

وإمساك النصوص عن[1] بيان كيفيتها، أفلا يعتبر العاقل بها عن الكلام في كيفية الله تعالى؟[2] مع أنا نقطع بأن الروح في البدن،

= قال ابن القيم: «الروح جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس، وهو جنس نوراني علوي خفيف حي متحرك، ينفذ في جوهر الأعضاء، ويسري فيها سريان الماء في الورد، وسريان الدهن في الزيتون، والنار في الفحم، فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف بقي ذلك الجسم مشابكاً لهذه الأعضاء، وأفاد هذه الآثار من الحس والحركة الإرادية، وإذا فسدت هذه الأعضاء بسبب استيلاء الأخلاط الغليظة عليها، وخرجت عن قبول تلك الآثار، فارق الروح والبدن وانفصل إلى عالم الأرواح.

ثم قال : وهذا القول هو الصواب في المسألة، وهو الذي لا يصح غيره، وكل الأقوال سواه باطلة، وعليه دل الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، وأدلة العقل والفطرة... ثم ساق الأدلة على هذا».اهـ.

وهذا القول هو الذي رجحه ابن أبي العز الحنفي.

أما كيفية الروح وحقيقتها، فهذا مما استأثر الله بعلمه ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء:٨٥].

وقد ذكر شيخ الإسلام أنه ليس في الكتاب والسنة أن المسلمين نهوا أن يتكلموا في الروح بما دل عليه الكتاب والسنة، لا في ذاتها ولا في صفاتها، وأما الكلام بغير علم فذلك محرم في كل شيء.

وذكر أن الواجب الوقوف مع النص في ذلك، فما ورد به النص أثبت، وما لا فلا، وذكر أنه يعلم ما يعلم من صفاتها وأحوالها، وأنه ليس لها مثل من جنس ما يشاهد من الأجسام. انظر: الروح لابن القيم ص٢٤٥-٢٤٩، التدمرية ص٥٠-٥٢، الفتاوي (٤/ ٢١٦-٢٣١)(٩/ ٢٨٩-٣٠٢)، مقالات الإسلاميين للأشعري ص٣٣٣-٣٣٦، الإرشاد للجويني ص٣٧٧، الغنية في أصول الدين لأبي سعيد النيسابوري ص١٦٥، شرح الطحاوية (٢/ ٥٦٤-٥٦٥).

(١) في (ع) «على» بدل : عن.

(٢) وذلك أن الروح حية، تصعد وتنزل، وتذهب وتجيء، ومع ثبوت هذه الصفات، فلا =

وأنها[(١)] تخرج منه وتعرج إلى السماء، وأنها تُسلّ منه وقت النزع كما نطقت بذلك النصوص الصحيحة، لا نغالي في تجريدها غلو المتفلسفة[(٢)] ومن وافقهم؛ حيث نفوا عنها الصعود والنزول، والاتصال[(٣)] بالبدن والانفصال عنه، وتخبطوا فيها[(٤)] حيث رأوها من[(٥)] غير جنس البدن وصفاته،[(٦)] فعدم مماثلتها للبدن لا ينفي[(٧)] أن تكون الصفات ثابتة لها بحسبها، إلا أن يفسروا كلامهم بما يوافق النصوص، فيكونون قد أخطؤوا في اللفظ، وأنى لهم بذلك؟[(٨)].

= يستطيع أحد أن يكيفها ويحددها، لأنه ليس لها نظير فيما نشاهده، ومع هذا فالروح مخلوقة، وهي أقرب الأشياء إلى الإنسان، فالخالق أولى ألاَّ يعلم العبد كيفيته ويحيط علماً بحقيقته. انظر: التدمرية ص٥٦-٥٧، الفتاوي (٩/ ٢٩٥-٢٩٨)، (٦/ ٣٥٤).

(١) في (ع) «وأنما».

(٢) المتفلسفة: سبق التعريف بهم، انظر : ١٩٣.

(٣) «الاتصال» سقطت من (ع).

(٤) «فيها» سقطت من (ج).

(٥) في (ع) «في» بدل: من.

(٦) انظر: التدمرية ص٥١.

(٧) في (ع) «تنفي».

(٨) والتمثيل بموجودات الجنة بالروح من المثل الأعلى - الخاص بالله تعالى - وهو: أن كل كمال اتصف به المخلوق لا نقص فيه بوجه من الوجوه بالخالق أولى به، وكل نقص تنزه عن المخلوق لا كمال فيه بوجه من الوجوه، فالخالق أولى بالتنزه عنه.
والمقصود هنا: أن المخلوق منزه عن مماثلة المخلوق مع اتفاقهما في الاسم، فالخالق أولى أن ينزه عن مماثلة المخلوق وإن حصل الاتفاق في الاسم.
فالروح والجنة متصفتان بهذه الصفات المذكورة مع عدم مماثلتهما لما يشاهد من المخلوقات، بالرب أولى بمباينته لمخلوقاته. انظر: التدمرية ص٥٠، ٥٦.

من يقول تجرى على خـلاف ظاهـرها

وأمـا «القسـمان» اللـذان ينفـيان ظاهرها؛ أعني الذين يقولون : ليس لها في الـباطن مدلـول هو صفة الله[1] تعالى قط، وأن الله لا صفة له ثبوتية، بل صفاته إمـا سـلبية[2] وإمـا إضافية[3][4] وإما مركبة منهما، أو يثبتون بعض الصفات[5] ـ السـبعة، أو الثمانـية أو الخمس عشرة[6] ـ أو يثبتون الأحوال دون الصفات[7].

---

(١) في (ج) «الله».

(٢) في (ج، ع) «سلب».

(٣) في (ج، ع) «إضافة».

(٤) السلب والإضافة: سبق التعريف بهما، انظر: ص٢٤٠.

(٥) هذا مذهب الأشاعرة، فهم الذين يثبتون بعض الصفات دون بعض.

(٦) الصـفات السـبعة الـتي يـتفق الأشاعرة على إثباتها غالباً، هي: القدرة، والعلم، والإرادة، والحياة، والسـمع، والبصـر، والكـلام النفسـي. وذهب أكثرهم إلى أثبات صفة ثامنة هي «الـبقاء». أمـا مـا ذكـره الشيخ من أن منهم من يثبت خمس عشرة صفة؛ فالظاهر – والله أعـلم – أنهـم لم يـتفقوا عـلى هذا العدد كما هو في الصفات السبع أو الثمان، بل يذهب الـبعض إلى إثـبات صـفات لا يثبـتها الآخر، وفي مجموعها قد تصل إلى خمس عشر صفة، فمـثلاً: يثبت البعض منهم صفة الوجه، والعين، واليدين، والرضا، والغضب، والاستواء، والحـب، ونحـو ذلـك. انظـر: التمهـيد للـباقلاني ص٢٢٧، ٢٩٨-٢٩٩، أصـول الديـن للـبغدادي ص٩٠، الإرشـاد لـلجويني ص١٣٨-١٤٠، ١٥٥، ١٥٨، الغنـية في أصـول الديـن ص١١٠، ١١٣-١١٧، نهايـة الإقـدام للشهرستاني ص١٠٦-١٠٨، درء تعارض العقل والنقل (٣/ ٣٨٠-٣٨٣)، المواقف للإيجي ص٢٩٦-٢٩٩.

(٧) وهـذا مذهـب أبـي هاشـم عبدالسـلام بن محمد الجبائي، أحد كبار المعتزلة، وإليه تنسب فرقة «البهشمية» من فرق المعتزلة.

وأبـو هاشـم أول مـن قـال بـأن الصـفات أحوال. وقد أثبت الأحوال من الأشاعرة إمام الحرمين الجويني، والباقلاني.

قـال الآمـدي : «والأحوال عبارة عن صفات إثباتيه غير متصفة بالوجود ولا بالعدم، وقد يمكن أن يعبر عنها بما به الاتفاق والافتراق بين الذوات».اهـ .

وعرّفها الإيجي بأنها الواسطة بين الموجود والمعدوم . اهـ . =

....

= أما الشهرستاني فقد ذكر أنه ليس للحال حد حقيقي يذكر حتى تعرف بحدها وحقيقتها على وجه يشمل جميع الأحوال، وقال: «بل لها ضابط وحاصر بالقسمة، وهي تنقسم إلى ما يعلل وإلى ما لا يعلل، وما يعلل: فهي أحكام لمعان قائمة بذوات. وما لا يعلل: فهو صفات ليس أحكاماً للمعاني. اهـ .

وقال ابن حزم : «وأما الأحوال التي ادعتها الأشعرية، فإنهم قالوا: إن ها هنا أحوالاً ليست حقاً ولا باطلاً، ولا هي مخلوقة ولا غير مخلوقة، ولا هي موجودة ولا معدومة، ولا هي مجهولة ولا معلومة، ولا هي أشياء ولا هي لا أشياء، وقالوا: من هذا علم العالم بأن له علماً .. وكذلك قالوا في قدم القديم، وبقاء الباقي وفناء الفاني... وقالوا: لو كان للباقي بقاء وهكذا أبداً إلى ما لا نهاية له. قالوا: فهذا يوجب أشياء لا نهاية لها وهذا محال...» . اهـ. ثم أسهب أبو محمد في الرد عليهم، وعد هذا سفسطة وهذياناً محضاً.

وذكر في «المعجم الفلسفي» أنها مجرد اعتبار ذهني.

وقد أشكلت على العلماء أحوال أبي هاشم هذه، وجهلوه بها، وشنعوا عليه.

يقول البغدادي في كلامه على هذه الأحوال: «وزعم أن الله عالم لكونه على حال، قادر لكونه على حال، وزعم أنه لكونه عالماً بكل معلوم حالاً دون الحال التي لأجلها كان عالماً بالمعلوم الآخر، وكذلك لكونه قادراً على المقدور حال، لا يقال: إنها الحال التي لكونها عليها كان قادراً على المقدور الآخر ... إلى أن قال: وزعم أن الأحوال لا موجودة ولا معدومة ولا معلومة.. إلى أن قال: وهذا مذهب لا يعقله هو عن نفسه، فكيف يناظر في تصحيحه خصمه ..» اهـ.

وأحسن ما قيل في هذا :

مما يقال ولا حقيقة تحته ... معقولة تدنو إلى الأفهام

انظر: التمهيد للباقلاني ص٢٣٠-٢٣٣، أصول الدين للبغدادي ص٩٢-٩٣، الفرق بين الفرق ص١٨٠-١٨٢، التبصير في الدين ص٥٣-٥٤، الإرشاد للجويني ص٨٠-٨٤، الفصل (٥/ ٤٩-٥٤)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي ص٤٠-٤١، الملل والنحل (١/ ٩٢-٩٤)، نهاية الإقدام للشهرستاني ص١٣١، المبين في شرح معاني=

كما[١] عرف من مذاهب المتكلمين. فهؤلاء قسمان :

«قسم» يتأولونها[٢] ويعينون[٣] المراد مثل قولهم: استوى بمعنى استولى، أو بمعنى علو المكانة و[٤] القدر، أو بمعنى ظهور نوره للعرش، أو بمعنى انتهاء الخلق إليه، إلى غير ذلك من معاني المتكلفين[٥].

و«قسم» يقولون : الله أعلم بما أراد بها، لكنا نعلم أنه لم يرد إثبات صفة خارجة عما علمنا[٦].

وأما «القسمان» الواقفان :

من يفوض المعنى ولا يقول ظاهرها مراد أو غير مراد

«فقسم » يقولون: يجوز[٧] أن يكون المراد[٨] ظاهرها الأليق[٩] بجلال الله، ويجوز أن لا يكون المراد صفة لله[١٠] ونحو ذلك. وهذه طريقة كثير من الفقهاء وغيرهم[١١].

وقوم يمسكون عن هذا كله، ولا يزيدون على تلاوة القرآن وقراءة

= ألفاظ الحكماء والمتكلمين للآمدي ص١٢١، المواقف للإيجي ص٥٧-٥٩، المعجم الفلسفي ص٦٦.

(١) في (ج،ع) «على ما قد» بدل: كما.

(٢) في (الأصل) «يتأولها» وما أثبت من (ج، ع).

(٣) في (ج) «ينفون» بدل: يعينون.

(٤) في (ع) «أو» بدل: الواو.

(٥) انظر: «قسم الدراسة» ص١٢١-١٢٢ .

(٦) انظر: قسم الدراسة ص١٢٣.

(٧) في (ع) «بجواز».

(٨) في (ع) زيادة «صفة لله».

(٩) في (ج) «اللائق».

(١٠) في (ج) «الله».

(١١) «وغيرهم» سقطت من (ع).

الحديث، معرضين بقلوبهم وألسنتهم عن هذه التقديرات.

فهذه الأقسام[١] الستة[٢] لا يمكن الرجل أن يخرج عن قسم منها[٣].

الطريقة الصحيحة في آيات الصفات وأحاديثها

الصواب في كثير من آيات الصفات وأحاديثها، القطع بالطريقة الثابتة[٤] كالآيات والأحاديث الدالة على أن الله سبحانه فوق عرشه، وتعلم طريقة الصواب في هذا وأمثاله بدلالة الكتاب والسنة والإجماع على ذلك، دلالة لا تحتمل النقيض، وفي بعضها قد يغلب على الظن ذلك مع احتمال النقيض، وتردد المؤمن في ذلك هو بحسب ما يؤتاه من العلم والإيمان، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور.

المخرج لمن اشتبه عليه الأمر

ومن اشتبه عليه ذلك أو غيره[٥] فليدع بما رواه مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها، قالت: كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل يصلي[٦] يقول: **«اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل[٧] فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك[٨] إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»[٩]**، وفي

---

(١) في (ع) زيادة «كلها».

(٢) في (ج) زيادة «كلها».

(٣) انظر: الفتاوى (١٦/ ٣٩٨-٣٩٩).

(٤) في (ع) «الثانية» بدل: الثابتة.

(٥) «أو غيره» سقطت من (ج).

(٦) في (ج، ع) تقدمت «يصلي» على «من الليل».

(٧) بياض في (ج).

(٨) في (ع) زيادة «أنت تحكم بين عبادك».

(٩) رواه مسلم (١/ ٥٣٤) رقم ٧٧٠، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه.

رواية لأبي داود : كان يكبر في صلاته ثم يقول ذلك[١].

فإذا افتقر العبد إلى الله ودعاه، وأدمن[٢] النظر في كلام الله[٣] وكلام رسوله وكلام الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين : انفتح له طريق الهدى.

سبب ضلال كثير من المتفلسفة والمتكلمين في هذا الباب

ثم إن كان قد خبر نهايات إقدام[٤] المتفلسفة والمتكلمين في هذا الباب، وعرف غالب ما يزعمونه برهاناً وهو[٥] شبهة، رأى أن[٦] غالب ما يعتمدونه يؤول إلى دعوى لا حقيقة لها، أو شبهة مركبة من قياس فاسد[٧]،

---

(١) رواه أبو داود (١/ ٤٧٨) رقم ٧٦٨، كتاب الصلاة، باب ما يستفتح به الصلاة من الدعاء. وأحمد (٦/ ١٥٦).

(٢) أدمن: الإدمان : الملازمة والمداومة، ومنه قولهم: أدمن على كذا، أي: داوم عليه ولازمه. انظر: لسان العرب (١٣/ ١٥٩).
والمعنى هنا : أدام النظر في كلام الله وكلام رسوله ﷺ ... ولازمه.

(٣) في (ج) «كلامه» بدل: كلام الله.

(٤) في (ع) «الإقدام».

(٥) «وهو» سقطت من (ج).

(٦) «أن» سقطت من (ع).

(٧) يذكر شيخ الإسلام أن عامة ضلال من ضل من الفلاسفة والمتكلمين هو بسبب الأقيسة الفاسدة، نحو التي يسوى فيها بين الشيئين لاشتراكهما في بعض الأمور، مع أن بينهما من الفرق ما يوجب أعظم المخالفة. وضرب مثلاً لذلك بوجود الرب ووجود المخلوقات.
وذكر في موضع آخر بعض الأقيسة الفاسدة؛ حيث قال: «كل قياس دل النص على فساده فهو فاسد، وكل من ألحق منصوصاً بمنصوص يخالف حكمه فقياسه فاسد، وكل من سوى بين شيئين أو فرق بين شيئين بغير الأوصاف المعتبرة في حكم الله ورسوله ، فقياسه فاسد». اهـ. الفتاوي (١٩/ ٢٨٧-٢٨٨).
وانظر: رسالة شيخ الإسلام في القياس ضمن الفتاوي (٢٠/ ٥٠٤-٥٤٢)، وقد طبعت مفردة بعناية محب الدين الخطيب، ط: الثالثة ١٣٩٤هـ. =

أو قضية[١] كلية[٢] لا تصلح إلا[٣] جزئية[٤]، أو دعوى إجماع لا حقيقة له، أو[٥] التمسك في المذهب والدليل بالألفاظ المشتركة[٦][٧].

= وذكر الخطيب البغدادي أن القياس على ضربين: ضرب منه في التوحيد، وضرب في الأحكام، وذكر أن القياس في التوحيد على ضربين: قياس صحيح ، وقياس فاسد، وذكر أن القياس الفاسد المذموم هو الذي يؤدي إلى البدعة والإلحاد، نحو تشبيه الخالق بالخلق، وتشبيه صفاته بصفات المخلوقين، ودفع قياسه ما أثبت الله لنفسه، ووصفته به رسله مما ينفيه القياس بفعله.

الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (١/ ٢٠٩).

(١) القضية عند المناطقة هي: قول يحتمل الصدق والكذب. المعجم الفلسفي ص١٤٧.

(٢) الكلية: معنى يصدق على كثيرين يمكن أن يشتركوا في هذا المعنى، ويقابل الجزئي، مثل: الإنسان والحيوان.

والقضية الكلية، هي: الحكم على جميع الأفراد، نحو قول بعض المتكلمين: كل موصوف فهو جسم.

انظر: المبين للآمدي ص٧٢، ٧٧، المعجم الفلسفي ص١٥٤، الإشارات لابن سينا – مع شرح الطوسي ص١٩٧، آداب البحث والمناظرة للشنقيطي (١/ ٢١).

(٣) «إلا » سقطت من (ع).

(٤) الجزئية: عبارة عما مفهومه غير صالح أن يشترك فيه كثيرون، كزيد وعمرو.

والقضية الجزئية: هي الحكم على بعض الأفراد، كقولهم: بعض الموصوفات: ليس بجسم. المبين ص٧٢.

وانظر: المعجم الفلسفي ص٦١، الإشارات لابن سينا – مع شرح الطوسي – ص١٩٧، آداب البحث والناظرة للشنقيطي (١/ ٢١).

(٥) في (ج،ع) «واو » بدل: أو.

(٦) في (ج) «مشتركة ».

(٧) المشترك اللفظي سبق التعريف به قريباً، انظر: ص٥٢٤.

ثم إن ذلك إذا ركب بألفاظ كثيرة طويلة غريبة عمن لم[1] يعرف اصطلاحهم، أوهمت الغر[2] ما يوهمه السراب للعطشان[3]، ازداد إيماناً وعلماً بما جاء به الكتاب والسنة، فإن الضد يظهر حسن الضد، وكل من كان بالباطل أعلم كان للحق أشد تعظيماً، وبقدره أعرف.

حال المتوسطين في أهل الكلام

فأما المتوسط من المتكلمين، فيخاف عليه ما لا يخاف على من لم يدخل فيه، وعلى من قد أنهاه نهايته، فإن من لم يدخل فيه[4] هو في عافية، ومن أنهاه قد عرف الغاية، فما بقي يخاف من شيء آخر[5]، فإذا ظهر له الحق وهو عطشان إليه قبله[6]، وأما المتوسط فمتوهم بما تلقّاه من المقالات المأخوذة تقليداً لمعظمه وتهويلاً.

وقد قال الناس: أكثر ما يفسد الدنيا: نصف متكلم، ونصف متفقه، ونصف متطبب، ونصف نحوي، هذا يفسد الأديان، وهذا يفسد البلدان، وهذا يفسد الأبدان، وهذا يفسد اللسان.

المتكلمون في قول مختلف

ومن علم أن المتكلمين من المتفلسفة وغيرهم هم في الغالب في ﴿قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩﴾ [الذريات:٨-٩] يعلم الذكي منهم

---

(١) في (ج) «لا».

(٢) الغر: هو: الذي لا يفطن للشر ويغفل عنه. لسان العرب (٥/ ١٦)، النهاية في غريب الحديث (٣/ ٣٥٥).

(٣) في (ع) زيادة «إن».

(٤) قوله «وعلى من قد أنهاه نهايته، فإن من لم يدخل فيه» سقط من (ع).

(٥) «آخر» سقطت من (ج).

(٦) في (ع) «قلبه» بدل: قبله: وهو خطأ.

العاقل: أنه ليس هو فيما يقوله على بصيرة، وأن حجته ليست بيِّنة، وإنما هي كما قيل فيها:

حججٌ تهافتُ كالزجاج تخالها[١] حقاً وكلٌّ كاسر مكسور[٢]

النظر إلى أهل الكلام بعين الشرع وبعين القدر

ويعلم العليم أنهم[٣] من وجه مستحقون ما قاله الشافعي ـ رضي الله عنه ـ حيث قال: «حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد[٤] والنعال، ويطاف بهم في القبائل والعشائر، ويقال[٥]: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة، وأقبل على الكلام»[٦].

ومن وجه آخر إذا نظرت إليهم بعين القدر ـ والحيرة مستولية عليهم، والشيطان مستحوذ عليهم ـ رحمتَهم ورفقتَ عليهم، أُوتُوا ذكاءً وما أُوتوا

---

(١) تخالها: خال الشيء يخاله: ظنه، من يسمع يخل. أي: يظن. لسان العرب (١١/ ٢٢٦).

(٢) هذا البيت أنشده سليمان حمد بن محمد الخطابي في كتابه «الغنية عن الكلام »، ذكره عنه شيخ الإسلام. انظر: الفتاوي (٤/ ٢٨)، درء تعارض العقل والنقل (٧/ ٣١٤)، نقض المنطق ص٢٦، وانظر: صون المنطق للسيوطي ص٩٩.

(٣) في (ع) «بأنهم».

(٤) الجريد: جمع جريدة، وهي: سعفة النخل إذا كانت رطبة مقشورة من خوصها. انظر: لسان العرب (٣/ ١١٨).

(٥) «ويقال» سقطت من (ج).

(٦) روى هذا الأثر أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ١١٦). والخطيب البغدادي في «شرف أصحاب الحديث» ص٧٨. والبغوي في «شرح السنة» (١/ ٢١٨). والأصبهاني في «الحجة» (١/ ٢٠٨). وذكره ابن عبدالبر في «الانتقاء» ص٨٠. والذهبي في « السير» (١٠/ ٢٩). والسيوطي في «الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع» ص٢٧، وفي «صون المنطق » ص٣١، ٦٥. وابن أبي العز في «شرح الطحاوية» (١/ ١٧-١٨). وابن مفلح في «الآداب الشرعية» (١/ ٢٢٥). والغزالي في «الإحياء» (١/ ٩٥) من رواية الزعفراني.

زَكاءً[١]، وأُعطوا فُهُوماً وما أُعْطُوا علوماً[٢] وأعطوا سمعاً وأبصاراً وأفئدة ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٦] .

ومن كان عليماً[٣] بهذه الأمور : تَبَيَّنَ له بذلك حذق[٤] السلف وعلمهم وخبرتهم، حيث حذروا [عن الكلام ونهوا عنه، وذمُّوا][٥] أهله وعابوهم، وعلم[٦] أن من ابتغى الهدى في[٧] غير الكتاب والسنة لم يزدد إلا بعداً[٨] .

فنسأل الله العظيم[٩] أن يهدينا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم[١٠] عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، آمين[١١] .

* تمت الحموية *

---

(١) زكاء: الزكاء، هو: الصلاح والتقى. انظر: لسان العرب (١٤/ ٣٥٨)، المعجم الوسيط ص٣٩٦.

والمراد هنا: أنهم أوتوا فطنة وذكاء، ولكن لم يؤتوا صلاحاً.

(٢) في (ج) «أعطوا علوماً وما أعطوا فهوماً».

(٣) في (ج) «عالماً» بدل: عليماً.

(٤) حذق: الحذق، والحذاقة: المهارة في كل عمل، من حذق الشيء يحذقه، وحذقه حذقاً، وحذق الغلام في القرآن، أي : مهر فيه. لسان العرب (١٠/ ٤٠).

(٥) طمس في الاصل، وما أثبت من (ج، ع).

(٦) في (ج) «وعلموا».

(٧) في (ج) «من» بدل : في.

(٨) انظر: ص١٩٧.

(٩) في (ج) زيادة : «رب العرش الكريم».

(١٠) في (ج) «أنعم الله»، وفي (ع) «أنعمت» بدل: أنعم.

(١١) في (ع) زيادة «والحمد لله رب العالمين وصلاته وسلامه على محمد خاتم النبيين وآله وأصحابه أجمعين».



الفهارس العامة

وتشتمل على ما يلي:





فهرس الآيات القرآنية



فهرس الأحاديث

الحديث	الصفحة

* * *

فهرس الآثار والأقوال

* * *

فهرس الأعلام المترجم لهم في الحاشية

العلـم	الصفحة

العلم	الصفحة

* * *

فهرس الفرق

* * *

فهرس الأماكن والبلدان



فهرس المصطلحات العلمية

* * *

فهرس الألفاظ الغريبة

اللفظ	الصفحة

اللفظ	الصفحة

* * *

فهرس الأبيات الشعرية

* * *

فهرس الكتب التي ذكرها المؤلف

* * *

فهرس المصادر والمراجع

١- آداب البحث والمناظرة لمحمد الأمين الشنقيطي . ط الجامعة الإسلامية مطابع شركة المدينة – جدة.

٢- الآداب الشرعية لابن مفلح. ط ١٩٧٧م، توزيع رئاسة البحوث العلمية والإفتاء – الرياض.

٣- الإيمان لابن أبي شيبة – ضمن أربع رسائل من كنوز السنة - ت / محمد ناصر الدين الألباني ، ط دار مصر للطباعة، نشر وتوزيع دار الأرقم – الكويت.

٤- الإيمان لأبي عمر العدني. ت/ حمد بن حمدي الجابري الحربي، ط الأولى ١٤٠٧ هـ،الدار السلفية – الكويت.

٥- الإيمان لابن منده.ت/ د. علي بن محمد الفقيهي، ط الثانية ١٤٠٦هـ مؤسسة الرسالة- بيروت.

٦- الإيمان لأبي عبيد. ضمن أربع رسائل من كنوز السنة - ت/ محمد ناصر الدين الألباني، ط دار مصر للطباعة ، ونشر وتوزيع دار الأرقم – الكويت.

٧- الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية. ط. الثانية ١٣٩٢هـ، المكتب الإسلامي – بيروت.

٨- الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري. ط. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ المملكة العربية السعودية .

٩- الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري.ت/ د. فوقية حسين. ط الأولى ١٣٩٧هـ توزيع دار الأنصار – القاهرة.

١٠- الإبانة عن شريعة الفرق الناجية لابن بطة.ت/ رضا نعسان، ط الأولى ١٤٠٩هـ، دار الراية للنشر والتوزيع – الرياض.

١١- إبطال التأويلات لأخبار الصفات للقاضي أبي يعلى. ت/ محمد بن حمد النجـدي، ط الأولى ١٤١٠هـ، مكتبة دار الإمام الذهبي للنشر والتوزيع.

١٢- ابن تيمية حياته وعصره، آراؤه الفقهية لأبي زهرة. ط دار الفكر العربي.

١٣- ابن تيمية المفترى عليه لسليم الهلالي.ط الأولى١٤٠٥هـ المكتبة الإسلامية – عمان، الأردن.

١٤- ابن تيمية وجهوده في التفسير لإبراهيم خليل بركة. ط الأولى ١٤٠٥هـ المكتب الإسلامي – بيروت.

١٥- أبوحامد الغزالي والتصوف لعبد الرحمن دمشقية. ط الثانية ١٤٠٩هـ دار طيبة للنشر والتوزيع- الرياض.
١٦- إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة لحمود بن عبد الله التويجري. ط الأولى ١٣٩٤هـ
١٧- إتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين للزبيدي.ط دار إحياء التراث العربي – بيروت.
١٨- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي. مصورة عن الطبعة الثالثة ١٣٧٠هـ.
١٩- إثبات صفة العلو لابن قدامة.ت/ د. أحمد عطية الغامدي، ط الأولى ١٤٠٩هـ، مؤسسة علوم القرآن – بيروت الناشر مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة.
٢٠- اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية لابن القيم. ت/ عواد بن عبد الله المعتق ، ط الأولى ١٤٠٨هـ مطابع الفرزدق التجارية – الرياض.
٢١- الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب. ت/ محمد عبد الله عنان، ط الثانية ١٣٩٣هـ، الناشر مكتبة الخانجي- القاهرة.
٢٢- الأحدية لابن عربي. ضمن رسائل ابن عربي ـ الرسالة الثانية ط مصورة عن الطبعة الأولى بمطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية ١٣٦١هـ، تصوير : دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
٢٣- الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان، ترتيب علاء الدين الفارسي. تقديم كمال الحوت، ط الأولى ١٤٠٧هـ، دار الكتب العلمية ـ بيروت.
٢٤- إحياء علوم الدين للغزالي. وبذيله المغني عن حمل الأسفار ـ ط دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت.
٢٥- أخبار الحلاج. اعتنى بنشره وتصحيحه وتعليق الحواشي عليه ل. ماسنيون دب كراوس ،ط مكتبة المثنى- بغداد.
٢٦- الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة لابن قتيبة. ط. الأولى ١٤٠٥هـ، دار الكتب العلمية ـ بيروت، توزيع دار الباز للنشر والتوزيع ـ مكة.
٢٧- الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة لشيبة الحمد. ط مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر ـ جدة.
٢٨- الأذكار النووية للنووي. ط ١٣٩١هـ، مطبعة الملاح.

٢٩- الأربعون لشيخ الإسلام. ت/ حسن بن أمين آل مندوه، ط دار المطبعة ـ القاهرة.

٣٠- الأربعين في أصول الدين للرازي. ط الأولى ١٣٥٣هـ مطبعة دائرة المعارف العثمانية- حيدر أباد.

٣١- الأربعين في دلائل التوحيد لأبي إسماعيل الهروي. ت/ د. علي فقيهي، ط الأولى ١٤٠٤هـ

٣٢- الأربعين في صفات رب العالمين للذهبي. ضمن ست رسائل للحافظ الذهبي ـ ت/ جاسم الدوسري، ط١٤٠٨هـ، الدار السلفية للنشر والتوزيع.

٣٣- الأربعين النووية مع ما زادها ابن رجب. شرح /عبدالله بن صالح المحسن، ط. الثانية ١٣٩٠هـ مطبعة السعادة.

٣٤- الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد للجويني. ت/د. محمد يوسف موسى، علي عبد المنعم عبد الحميد، ط ١٣٦٩هـ مطبع السعادة بمصر، الناشر مكتبة الخانجي- مصر.

٣٥- إرشاد الفحول للشوكاني. ط ١٣٩٩هـ، دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت.

٣٦- أساس التقديس للرازي. ـ مع كتاب الدرة الفاخرة ـ ط١٣٢٨هـ، كردستان العملية.

٣٧- الاستبصار لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي. ط.١٣٩٠هـ، دار الكتب الإسلامية ـ طهران .

٣٨- الاستقامة لشيخ الإسلام ابن تيمية. ت/د. محمد رشاد سالم، ط الأولى ١٤٠٣هـ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٣٩- الاستيعاب لابن عبد البر. بهامش الإصابة ـ مصورة عن ط، ١٣٢٨. هـ، مكتبة المثنى- لبنان.

٤٠- أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية لابن القيم. ت/ د. صلاح الدين المنجد، ط الرابعة ١٤٠٣هـ، دار الكتاب الجديد ـ بيروت.

٤١- الأسماء والصفات للبيهقي. ت/ عماد الدين أحمد حيدر، ط الأولى ١٤٠٥هـ دار الكتاب العربي ـ بيروت.

٤٢- أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب لمحمد درويش الحوت. ط الثانية ١٤٠٣ هـ دار الكتاب العربي بيروت.

٤٣- الإشارات والتنبيهات لابن سينا. مع شرح ابن الطوسي- ت/ سليمان دينا، ط دار المعرفة ـ بيروت.

٤٤- الاعتصام للشاطبي. ط ١٤٠٢هـ دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت.
٤٥- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي. مراجعة علي سامي النشار، ط ١٤٠٢هـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.
٤٦- الاعتقاد للبيهقي.تصحيح/ أحمد محمد مرسي، ط المطبعة العربية ـ باكستان.
٤٧- الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد لعلاء الدين ابن العطار. ت/علي حسن عبد الحميد ، ط الأولى ١٤٠٨هـ، دار الكتب الأثرية.
٤٨- إعلاء السنن للتهانووي. ت / عبد الفتاح أبوغدة ، من منشورات إدارة القرآن والعلوم الإسلامية- كراتشي.
٤٩- الأعلام للزركلي. ـ ط الخامسة ١٩٨٠م، دار العلم للملايين ـ بيروت.
٥٠- أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري للخطابي. – ت/ د. محمد بن سعد آل سعود، ط الأولى ١٤٠٩هـ، شركة مكة للطباعة والنشر، جامعة أم القرى، مركز إحياء التراث الإسلامي.
٥١- الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية للبزار. ـ ت/زهير الشاوش، ط الثانية ١٣٩٦هـ المكتب الإسلامي ـ بيروت.
٥٢- أعلام الموقعين لابن القيم. مراجعة / طه عبد الرؤوف سعد، ط ١٩٧٣هـ، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة ـ بيروت.
٥٣- إعلام الورى بأعلام الهدى للطبرسي. ت/ علي أكبر الغفاري، ط ١٣٩٩هـ، دار المعرفة ـ بيروت.
٥٤- إغاثة اللهفان لابن القيم . ت/ محمد حامد الفقي، الناشر دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت.
٥٥- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني. ـ مصورة عن الطبعة الأولى ١٣٢٨هـ ، مكتبة المثنى ـ لبنان.
٥٦- أصول الدين للبغدادي. ـ ط الثالثة ١٤٠١هـ، دار الكتب العلمية ـ بيروت.
٥٧- الأصول والفروع لابن حزم. ـ صححه جماعة من العلماء، ط الأولى ١٤٠٤هـ، دار الكتب العلمية - بيروت، الناشر عباس أحمد الباز- مكة المكرمة.
٥٨- أضواء البيان لمحمد أمين الشنقيطي. ـ طبع وتوزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء ١٤٠٣هـ.

٥٩- أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات لمرعي بن يوسف الحنبلي. — ت/ شعيب الأرنؤوط، ط الأولى ١٤٠٦هـ، مؤسسة الرسالة- بيروت.

٦٠- الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي. —ت/ محمد مصطفى أبو العلاء مكتبة الجندي- مصر.

٦١- اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام ابن تيمية. — ت/ محمد حامد الفقي، الناشردار المعرفة للطباعة والنشر-بيروت.

٦٢- الاكتساب في الرزق المستطاب لمحمد بن الحسن الشيباني.- ت/محمد عرنوس، ط الأولى ١٤٠٦هـ دار الكتب العلمية — بيروت.

٦٣- الأم للشافعي. ـ وبهامشه مختصر الإمام إسماعيل بن يحيى المزني، نشر دار الشعب ـ مصر.

٦٤- الإمام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل لمحمد الجليند.- ط الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٣٩٣هـ .

٦٥- الإمام الشافعي وعلم الكلام لمحمد ربيع جوهري. ط الأولى ١٤٠٧هـ، دارالطباعة المحمدية.

٦٦- الإمام عثمان بن سعيد الدارمي ودفاعه عن عقيدة السلف لمحمد أبو رحيم.- ط الأولى ١٤١٠هـ، دار الكتاب العربي- بيروت.

٦٧- أم البراهين في العقائد لأبي عبدالله السنوسي ضمن مجموعة مهمات المتون ـ ط المتون- ط الرابعة ١٣٦٩هـ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي- مصر.

٦٨- الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع للسيوطي.- ت/ مشهور حسن سلمان، ط الأولى ١٤١٠هـ، الناشر دار ابن القيم.

٦٩- الانتقاء في فضل الثلاثة الأئمة الفقهاء لابن عبد البر. ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٧٠- الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف للمرداوي.- ت/ محمد حامد الفقي. ط. الأولى ١٣٧٤هـ، مطبعة السنة المحمدية-القاهرة.

٧١- الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به للباقلاني.- ت/ عماد الدين أحمد حيدر، ط الأولى ١٤٠٧هـ، عالم الكتب.

٧٢- الأنساب للسمعاني.- ت/ عبد الله عمر البارودي، ط الأولى ١٤٠٨هـ، دار الجنان — بيروت.

٧٣- أوراق مجموعة من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية لمحمد بن إبراهيم الشيباني.- ط الأولى ١٤٠٩هـ، مكتبة ابن تيمية – الكويت.
٧٤- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام.- ومعه كتاب عدة السالك - ط الخامسة ١٣٩٩هـ، دار الجيل - بيروت.
٧٥- إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل لبدر الدين ابن جماعة.- ت/ وهبي سليمان الألباني، ط الأولى ١٤١٠هـ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع - مصر.
٧٦- باعث النهضة الإسلامية ابن تيمية السلفي لمحمد خليل هراس. ط الأولى ١٤٠٤هـ، دار الكتب العلمية- بيروت.
٧٧- بحار الأنوار لمحمد باقر المجلسي.- طبعة حجرية قديمة.
٧٨- بدائع الفوائد لابن القيم.- تصحيح وتعليق إدارة الطباعة المنيرية، الناشر دار الكتب العربي- بيروت.
٧٩- بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد.- تقديم / السيد سابق، مراجعة وتصحيح/ عبد الحليم محمد عبد الحليم، عبد الرحمن حسن محمود ، مطبعة حسان - القاهرة، يطلب من دار الكتب الحديثة.
٨٠- البداية والنهاية لابن كثير. - مصورة عن ط. الأولى ١٩٦٦م، الناشر مكتبة المعارف- بيروت.
٨١- البدر الطالع للشوكاني.- الناشر دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت.
٨٢- البدع والنهي عنها لابن وضاح. - تصحيح/ محمد أحمد دهمان، دار الأصفهاني وشركاه.
٨٣- البرهان في عقائد أهل الأديان للسكسكي.- ت/ د. بسام علي سلامة العموش، الأولى ١٤٠٨هـ، مكتبة المنار- الأردن.
٨٤- البعث والنشور للبيهقي. - ت/ عامر أحمد حيدر، ط الأولى ١٤٠٦هـ، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية- بيروت.
٨٥- بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل الإلحاد من القائلين بالحلول والاتحاد لشيخ الإسلام ابن تيمية.- ت/ د. موسى بن سليمان الدوش، ط الأولى ١٤٠٨هـ، مكتبة العلوم والحكم.
٨٦- بغية الملتمس في تاريخ أهل الأندلس للضبي.- مطابع سجل العرب- القاهرة، نشر دار الكتاب العربي.

٨٧- بيان فضل علم السلف على علم الخلف لابن رجب. - ت/ محمد بن ناصر العجمي، ط الأولى١٤٠٤هـ، دار الأرقم للنشر والتوزيع.

٨٨- بيان مذهب الباطنية وبطلانه للديلمي. - تصحيح/ شدو طمان، ط الثانية ١٤٠٢هـ، جاويد رياض- باكستان ، نشر إدارة ترجمان السنة- لاهور.

٨٩- البيهقي وموقفه من الإلهيات لأحمد بن عطية الغامدي. - ط الثانية ١٤٠٢هـ، المجلس العلمي لإحياء التراث - الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة.

٩٠- تاج العروس للزبيدي.- ت/ مصطفى حجازي، مراجعة/ عبد الستار أحمد فراج ط. الثانية ١٤٠٨هـ مطبعة حكومة الكويت.- تاج العروس للزبيدي.- ط دار مكتبة الحياة.

٩١- تاريخ الأدب العربي لبروكلمان.- نقله إلى العربية/ د. عبد الحليم النجار، ط الرابعة، دار المعارف - القاهرة.

٩٢- تاريخ الأمم والملوك للطبري.- ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان- بيروت.

٩٣- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي.- الناشر دار الكتاب العربي- بيروت.

٩٤- تاريخ التراث العربي لسزكين.- نقله إلى العربية د. محمود فهمي حجـازي، ط ١٤٠٣هـ، أشرفت على طباعته ونشره: إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية - الرياض.

٩٥- تاريخ الثقات للعجلي. - ت/ د. عبد المعطي قلعجي، ط الأولى ١٤٠٥هـ، دار الكتب العلمية- بيروت، توزيع دار الباز- مكة المكرمة.

٩٦- تاريخ خليفة بن خياط.- ت/ د. أكرم ضياء العمري، ط الثانية ١٣٩٧هـ، مؤسسة الرسالة - بيروت.

٩٧- تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي.- مطابع سجل العرب - القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

٩٨- تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام لمحمد علي أبو ريان. - ط ١٩٨٥م دار المعرفة الجامعية.

٩٩- التاريخ الكبير للبخاري.- دار الكتب العلمية- بيروت.

١٠٠- تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر.- ت/ مجموعة من العلماء ، ط الأولى ١٩٨٢م، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.

١٠١- تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة .- دار الكتاب العربي- بيروت
١٠٢- التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكة للأسفراييني.- ت/ محمد زاهد الكوثري، ط الأولى ١٣٥٩هـ، مطبعة الأنوار.
١٠٣- تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري لابن عساكر - ط ١٣٩٩هـ، الناشر دار الكتاب العربي - بيروت.
١٠٤- تحريم النظر في كتب الكلام لابن قدامة. - ت/ عبد الرحمن دمشقية، ط الأولى ١٤١٠هـ، دار عالم الكتب- الرياض.
١٠٥- تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي للمبارك فوري.- عني بنشره/ الحاج حسن إيراني، دار الكتاب العربي - بيروت.
١٠٦- تحقيق البرهان في إثبات حقيقة الميزان لمرعي بن يوسف الحنبلي. - ت/ د. سليمان بن صالح الخزي، ط الأولى ١٤٠٩هـ.
١٠٧- تخريج أحاديث إحياء علوم الدين.- استخراج محمود بن محمد الحداد، ط الأولى ١٤٠٨هـ، دار العاصمة للنشر- الرياض.
١٠٨- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي للسيوطي- ت/ عبد الوهاب عبد اللطيف،ط الثانية ١٣٩٩هـ، دار إحياء السنة النبوية.
١٠٩- التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية. - ت/د. محمد بن عودة السعوي، ط الأولى ١٤٠٥هـ، شركة العبيكان للطباعة والنشر.
١١٠- تذكرة الحفاظ للذهبي.- دار إحياء التراث العربي - بيروت.
١١١- التذكرة في أحوال الموتى والآخرة للقرطبي. - ت/ د. أحمد حجازي السقا، مطبعة الحلبي، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية- القاهرة.
١١٢- التذكرة والاعتبار والانتصار للأبرار « دفاعاً عن ابن تيمية » لعماد الدين الواسطي. ت/ علي حسن عبد الحميد، ط الأولى ١٤٠٨هـ، مكتبة ابن الجوزي - الرياض.
١١٣- ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض.ت/ د. أحمد بكير محمود، مطبعة فؤاد بيبان وشركاه- لبنان، منشورات دار مكتبة الحياة- بيروت.
١١٤- الترغيب والترهيب للحافظ المنذري. - تعليق/ مصطفى محمود عمارة، مطابع قطر الوطنية.

١١٥- التصديق بالنظر إلى الله في الآخرة للآجري. – ت/ سمير بن أمين الزهيري، ط الأولى ١٤٠٨هـ مؤسسة الرسالة – بيروت.
١١٦- التصوف المنشأ والمصادر لإحسان إلهي ظهير. – ط الأولى ١٤٠٦هـ، الناشر إدارة ترجمان السنة – باكستان.
١١٧- التعرف لمذهب أهل الصوف للكلاباذي. – ت/ محمود أمين النواوي، ط الأولى ١٣٨٨هـ، دار الاتحاد العربي للطباعة، والناشر مكتبة الكليات الأزهرية.
١١٨- تعظيم قدرة الصلاة للمروزي. ت/ د. عبد الرحمن الفريوائي، ط الأولى ١٤٠٦هـ، دار الأرقم للطباعة والنشر- استنبول مكتبة الدار بالمدينة المنورة.
١١٩- تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر. – تقديم ودراسة / محمد عوامة، ط الأولى ١٤٠٦هـ، دار النشر الإسلامية للطباعة والنشر- بيروت.
١٢٠- تقريظ الحافظ ابن حجر العسقلاني على الرد الوافر لابن ناصرالدين. – ت/ محمد بن إبراهيم الشيباني، ط الأولى ١٤٠٩هـ، مكتبة ابن تيمية- الكويت
١٢١- تفسير البغوي. ـ بهامش تفسير الخازن ـ ط الثانية ١٣٧٥هـ، مصطفى البابي الحلبي – مصر.
١٢٢- تفسير الخازن. ـ وبهامشه تفسير البغوي ـ ط الثانية ١٣٥٧هـ، مصطفى البابي الحلبي – مصر.
١٢٣- تفسير القرآن لعبد الرزاق بن همام الصنعاني. – ت/ د. مصطفى مسلم، ط الأولى ١٤١٠هـ، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع – الرياض.
١٢٤- تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير.– ت/ عبد العزيز غنيم، محمد أحمد عاشور، محمد إبراهيم.
١٢٥- التفسير الكبير للرازي.- مطبعة العامرة الشرقية.
١٢٦- التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير للحافظ ابن حجر. – تحقيق وتعليق/ د. شعبان محمد إسماعيل، ط ١٣٩٩هـ، مكتبة الكليات الأزهرية- القاهرة .
١٢٧- تلخيص المستدرك للإمام الذهبي. ـ بهامش المستدرك للحاكم ـ نشر مكتبة ومطابع النصر الحديثة ـ الرياض.
١٢٨- تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل للباقلاني.- ت/ عماد الدين أحمد حيدر، ط الأولى ١٤٠٧هـ، مؤسسة الكتب الثقافية- بيروت

١٢٩- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبد البر. ت/ مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية- المملكة المغربية.

١٣٠- التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية لعبدالعزيز بن ناصر الرشيد. ط الثالثة ١٣٨٩هـ.

١٣١- التنبية بالتنزيه للمدراسي. - أهتم بطبعها وتصحيحها/ غلام أحمد، ط ١٣٠٩هـ، في مطبعة المحبو شاهية الكائنة في حيدر أباد.

١٣٢- تنبية الغبي إلى تكفير ابن عربي للبقاعي. ت/ عبد الرحمن الوكيل، ط ١٤٠٠هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.

١٣٣- تنبيه النبية والغبي في الرد على المدراسي والحلبي لابن عيسى.- ضمن سبع رسائل في العقيدة- جميع وترتيب/ فرج الله زكي الكردي، ط ١٣٢٩هـ، مطبعة كردستان العلمية - مصر.

١٣٤- التنبية والرد على أهل الأهواء والبدع للملطي. تقديم وتعليق/ محمد زاهد الكوثري، ط ١٣٨٨هـ، مكتبة المثنى - بغداد، مكتبة المعارف بيروت.

١٣٥- تنزية الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة للكتاني. ت/ محمد عبد الوهاب عبد اللطيف، عبدالله محمد الصديق، ط الأولى ١٣٩٩هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.

١٣٦- التنكيل للمعلمي. ت/ محمد ناصر الدين الألباني، ط ١٤٠١هـ المطبعة العربية- لاهور، باكستان.

١٣٧- تهذيب الآثار لابن جرير الطبري.قرأه وخرج أحاديثه / محمود محمد شاكر، ط مطبعة المدني- مصر.

١٣٨- تهذيب الأسماء واللغات للنووي.- عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، يطلب من دار الكتب العلمية - بيروت.

١٣٩- تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر.- هذبه ورتبه عبد القادر بدران، ط الثانية ١٣٩٩هـ، دار المسيرة - بيروت.

١٤٠- تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر. - مصور عن ط الأولى ١٩٦٨م - بيروت.

١٤١- تهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي. – ط الأولى ١٤٠٢هـ، دار المأمون للتراث – دمشق.
١٤٢- تهذيب اللغة للأزهري. ت عبد السلام هارون، راجعه / محمد علي النجار، ط دار القومية العربية للطباعة.
١٤٣- التوحيد لابن منده. ت/ د. علي فقيهي ، ط الأولى، الجامعة الإسلامية.
١٤٤- التوحيد لأبي منصور الماتريدي. ت/ فتح الله خليف، الناشر دار الجامعة المصرية – الإسكندرية.
١٤٥- التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل لابن خزيمة. ت/ د. عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، ط الأولى ١٤٠٨هـ، دار الرشد للنشر والتوزيع – الرياض.
١٤٦- التوسل أنواعه وأحكامه للألباني.- يطلب من الدار السلفية – الكويت.
١٤٧- توفيق الفريقين على خلود أهل الدارين لمرعي بن يوسف الحنبلي. ط الأولى ١٤١١هـ، مطابع دار طيبة – الرياض.
١٤٨- تيسير العزيز الحميد لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ط الثالث ١٣٩٧هـ، المكتب الإسلامي.
١٤٩- تيسير مصطلح الحديث لمحمود الطحان. ط الثانية ١٣٩٩هـ، دار القرآن الكريم – بيروت.
١٥٠- الثقات لابن حبان. ط الأولى ١٣٩٣هـ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية- حيدر أباد.
١٥١- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي .ط الثالثة عن طبعة دار الكتب المصرية. دار الكتاب العربي للطباعة والنشر.
١٥٢- جامع الأصول للنقشبندي. ط الأولى ١٣٢٨هـ، مطبعة الجمالية – مصر.
١٥٣- جامع البيان عن تأويل القرآن لابن جرير الطبري. ط الثالثة ١٣٨٨هـ، مصطفى البابي الحلبي- مصر.
١٥٤- جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر. ـ دار الفكر ـ بيروت
١٥٥- جامع العلوم والحكم لابن رجب. ط الثالثة ١٣٨٢هـ مصطفى البابي الحلبي- مصر.
١٥٦- الجرح والتعديل لابن أبي حاتم. مصورة عن ط الأولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية- حيدر أباد.

١٥٧- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس للحميدي. مطابع سجل العرب – القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
١٥٨- جلاء العينين في محاكمة الأحمدين لابن الألوسي. دار الكتب العلمية – بيروت، نشر دار الباز للنشر والتوزيع- مكة المكرمة.
١٥٩- جواب أهل السنة النبوية في نقض الكلام الشيعة والزيدية لعبد الله بن محمد بن عبد الوهاب. – ضمن كتاب في عقائد الإسلام – تصحيح وتعليق/ محمد رشيد رضا، ط الأولى ١٤٠١هـ منشورات دار الآفاق الجديدة – بيروت.
١٦٠- الجواب الباهر في زوار المقابر لشيخ الإسلام ابن تيمية.- ت/ سليمان عبدالرحمن الصنيع، عبدالرحمن بن يحيى اليماني، ط الرابعة ١٤٠١هـ، المطبعة السلفية- القاهرة.
١٦١- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم.- دار الكتب العلمية – بيروت.
١٦٢- الجواهر المضية في طبقات الحنفية لأبي الوفاء القرشي. – ت /د. عبد الفتاح محمد الحلو، ط ١٣٩٨هـ، عيسى البابي الحلبي وشركاه.
١٦٣- حادي الأرواح لابن القيم.ت/ د. السيد الجميلي،ط الأولى ١٤٠٥هـ، دار الكتاب العربي.
١٦٤- حاشية الأمير على شرح الإمام عبد السلام على الجوهر في علم الكلام. ط ١٣٠٩هـ، المطبعة الأزهريةالمصرية.
١٦٥- حاشية الدسوقي على أم البراهين.- ط ١٣٤٧هـ، عيسى البابي الحلبي.
١٦٦- الحاشية على المواقف لعبد الحكيم السيالكوتي، حسن جلبي. تصحيح / السيد محمد بدر الدين النعساني، ط الأولى ١٣٢٥هـ، مطبعة السعادة – مصر.
١٦٧- حاشية كتاب التوحيد « الشيخ محمد عبدالوهاب » لعبد الرحمن بن قاسم. ط الأولى ١٣٩٦هـ، المطابع الأهلية للأوفست – الرياض.
١٦٨- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة للأصبهاني. ت/ محمد بن محمود أبو رحيم، محمد بن ربيع بن هادي المدخلي ، ط الأولى ١٤١١هـ، دار الراية للنشر والتوزيع – الرياض.
١٦٩- الحث على التجارة والصناعة والعمل والإنكار على من يدعي التوكل في ترك العمل للخلال.- ط الأولى ١٤٠٧هـ، دار العاصمة – الرياض.

١٧٠- الحقائق الجلية في الرد على ابن تيمية فيما أورده في الفتوى الحموية لابن جهبل.- ت/ د. الدسوقي حبيشي، ط ١٩٨٧، مطبعة الفجر الجديد.

١٧١- حقيقة مذهب الاتحاديين، أو وحـــدة الوجـــود وبيان بطلانه بالبراهين النقلية والعقلية لشيخ الإسلام ابن تيمية. أشرف على تصحيحه وعلق عليه/ السيد محمد رشيد رضا، إدارة الترجمة والتأليف- باكستان.

١٧٢- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم.- ط الثالثة١٤٠٠هـ، دار الكتاب العربي – بيروت.

١٧٣- حياة شيخ الإسلام ابن تيمية لمحمد بهجة البيطار. – ط الثانية، المكتب الإسلامي.

١٧٤- الحيدة لعبد العزيز بن يحيى الكناني.- الناشر عبد الرحمن آل الشيخ ، مطبعة الإمام.

١٧٥- خبيئة الأكوان في افتراق الأمم علىالمذاهب والأديان لمحمد صديق حسن خان. – ط الأولى ١٤٠٥هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.

١٧٦- خطط المقريزي «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» - دار صادر – بيروت.

١٧٧- الحطة في ذكر الصحاح الستة لأبي الطيب القنوحي.ط الأولى ١٤٠٥هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.

١٧٨- خلاصة تذهيب تهذيب الكمال لصفي الدين الخزرجي.ت/ محمود عبد الوهاب فايد ، ط ١٣٩٢هـ، مطبعة الفجالة الجديدة، الناشر مكتبة القاهرة.

١٧٩- الخلاصة في أصول الحديث للطيبي.- ت/ صبحي السامرائي، ط الأولى ١٤٠٥ هـ، عالم الكتب – بيروت.

١٨٠- خلق أفعال العباد للبخاري. – ت/ عبد الرحمن عميرة، ط الثانية، دار عكاظ للطباعة والنشر- جدة

١٨١- الخوارج عقيدة وفكراً وفلسفة للنجار.- ط الأولى ١٤٠٦ هـ عالم الكتب – بيروت.

١٨٢- دائرة معارف القرن الرابع عشر لمحمد فريد وجدي. – ط الثانية ١٣٤٣هـ، مطبعة معارف القرن العشرين.

١٨٣- درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام ابن تيمية - ت/ د. محمد رشاد سالم،ط الأولى ١٣٩٩هـ، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض.

١٨٤- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة للحافظ ابن حجر. ت/ محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة.

١٨٥- الدر المنثور في التفسير المأثور للسيوطي. ط/ الأولى ١٤٠٣هـ، دار الفكر للنشر والتوزيع - بيروت.

١٨٦- الدرة فيما يجب اعتقاده لابن حزم. ت/ د. أحمد بن ناصر الحمد، د. سعيد بن عبدالرحمن القزقي، ط الأولى ١٣٠٨هـ، مطبعة المدني - القاهرة.

١٨٧- دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب لمحمد الأمين الشنقيطي. - ملحق بالجزء العاشر من أضواء البيان- ط ١٤٠٣هـ، طبع وتوزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء - الرياض.

١٨٨- دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه لابن الجوزي. ت/ محمد زاهد الكوثري، صدَّر له محمد أبو زهرة، قدم له د. جمعة الخولي، الناشر المكتبة التوفيقية - مصر.

١٨٩- دلائل النبوة للبيهقي.- وثق أصوله وخرج حديثة وعلق عليه/ د. عبد المعطي قلعجي، ط الأولى ١٤٠٥هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.

١٩٠- دول الإسلام للذهبي.ط ١٤٠٥ هـ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات- بيروت.

١٩١- ديوان أمية بن أبي الصلت.- جمع بشير يموت، ط الأولى ١٣٥٢هـ المطبعة- بيروت.

١٩٢- ذكر أخبار أصبهان لأبي نعيم الأصبهاني .ط الثانية ١٤٠٥هـ، الدار العلمية - الهند.

١٩٣- ذكر مذاهب الفرق الثنتين وسبعين لليافعي. ت/ د. موسى بن سليمان الدويش، ط الأولى ١٤١٠هـ، دار البخاري للنشر والتوزيع.

١٩٤- ذم ما عليه مدعو التصوف من الغناء والرقص والتواجد لابن قدامة.ط الثانية ١٤٠٣هـ، المكتب الإسلامي - بيروت.

١٩٥- ذم الملاهي لابن أبي الدنيا. ت/ محمد عبد القادر عطا، دار النصر للطباعة الإسلامية - مصر، نشر دار الاعتصام.

١٩٦- ذيل تاريخ بغداد لابن النجار البغدادي. - ط الأولى ١٣٩٨، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية- حيدر آباد،

١٩٧- الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب. - ملحق بطبقات الحنابلة - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت.

١٩٨- ذيل مرآة الزمان لليونيني. – ط الأولى ١٣٧٤هـ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية- حيدر آباد

١٩٩- ذيول العبر في خبر من غبر للذهبي.– ملحق بكتاب العبر- ت/ أبوهاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ط الأولى ١٤٠٥هـ، دار الكتب العلمية – بيروت، توزيع دار الباز للنشر والتوزيع – مكة المكرمة.

٢٠٠- رؤية الله تبارك وتعالى لابن النحاس ت/ د. محفوظ الرحمن السلفي، ط الأولى ١٤٠٧هـ، الدار العلمية للطباعة والنشر والتوزيع- الهند.

٢٠١- رؤية الله جل وعلا للدارقطني. ت/ مبروك إسماعيل مبروك ط مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع – القاهرة.

٢٠٢- رجال الفكر والدعوة في الإسلام – خاص بحياة شيخ الإسلام – لأبي الحسن الندوي. تعريب/ سعيد الأعظمي الندوي ،ط الرابعة ١٤٠٧هـ، مطبعة الفيصل، دار القلم للنشر والتوزيع – الكويت.

٢٠٣- رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد، تعليق وتصحيح/ محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية – بيروت.

٢٠٤- الرد على الأخنائي لشيخ الإسلام ابن تيمية. ت/ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني ط ١٤٠٤هـ، شركة الطباعة العربية السعودية- الرياض ، نشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء- الرياض.

٢٠٥- الرد على الجهمية لابن منده.ت/ د. علي بن محمد بن ناصر فقيهي،ط الثانية، ١٤٠٢هـ.

٢٠٦- الرد على الجهمية للدارمي.ت/ بدر البدر، ط الأولى ١٤٠٥هـ، مطابع القبس التجارية، الناشر الدار السلفية – الكويت.

٢٠٧- الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد. ت/ د. عبد الرحمن عميرة، ط ١٤٠٢هـ دار اللواء للنشر والتوزيع .

٢٠٨- الرد على الرافضة لأبي حامد المقدسي.ت/ عبد الوهاب خليل الرحمن. ط الأولى ١٤٠٣هـ، الدار السلفية- الهند.

٢٠٩- الرد على المنطقيين لشيخ الإسلام ابن تيمية. ط الثالثة ١٣٩٨هـ، مطبعة معارف لاهور، تولى إعادة طبعه ونشره إدارة ترجمان السنة- لاهور.

٢١٠- الرد على من يقول القرآن مخلوق لأحمد بن سلمان النجاد.ت/ رضا الله محمد إدريس، مطبعة الصحابة الإسلامية - الكويت.

٢١١- الرد الكافي على مغالطات د. علي عبد الواحد وافي لإحسان إلهي ظهير. ط الثانية ١٤٠٦هـ، إدار ترجمان السنة - لاهور.

٢١٢- الرد الوافر على من زعم بأن من سمى ابن تيمية « شيخ الإسلام » كافر لابن ناصر الدمشقي. ت/ زهير الشاويش، ط الأولى ١٤٠٠هـ، المكتب الإسلامي- بيروت.

٢١٣- رسائل من السجن لابن تيمية. جمع وتقديم/ محمد العبدة، ط الثالثة ١٤٠٣هـ ، دار طيبة للنشر والتوزيع - الرياض.

٢١٤- رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء. ط دار صادر للطباعة والنشر ، دار بيروت للطباعة والنشر.

٢١٥- الرسالة للإمام الشافعي .ت/ أحمد محمد شاكر، ط الثانية ١٣٩٩هـ، مطابع المختار الإسلامي، دار السلام، مكتبة التراث - القاهرة.

٢١٦- رسالة إلى أهل الثغر لأبي الحسن الأشعري. ت/ عبد الله شاكر محمد الجندي ، ط الأولى ١٤٠٩هـ، مؤسسة علوم القرآن - بيروت، مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة.

٢١٧- الرسالة العرشية لشيخ الإسلام ابن تيمية. نشرها قصي محب الدين الخطيب، ط الأولى ١٣٩٩هـ، المطبعة السلفية- القاهرة.

٢١٨- رسالة في القياس لشيخ الإسلام ابن تيمية.ت/ محب الدين الخطيب، ط الثالثة ١٣٩٤هـ، المطبعة السلفية.

٢١٩- رسالة في كيفية صلاة الجماعة لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز .- ضمن ثلاث رسائل في الصلاة - ط مؤسسة مكة للطباعة والإعلام، توزيع الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة.

٢٢٠- الرسالة القشيرية لعبد الكريم القشيري. ت/ معروف رزيق علي عبد الحميد، ط الثانية ١٤١٠هـ، دار الجيل - بيروت.

٢٢١- رسالة قصيرة في فضل شيخ الإسلام ابن تيمية ومحبة أهل العلم له لعبد الله بن حامد. ت/ محمد الشيباني، ط الأولى ١٤٠٩هـ، مكتبة ابن تيمية- الكويت.

٢٢٢-الرسالة المدنية في تحقيق المجاز والحقيقة في صفات الله تعالى الإسلام. ت/ تصحيح وتعليق/ محمد عبد الرزاق حمزة، ط الثانية ١٣٥١هـ، المطبعة السلفية- مكة المكرمة.

٢٢٣- الرسالة المدنية لشيخ الإسلام . ت/ الوليد بن عبد الرحمن الفريان، ط الأولى ١٤٠٨هـ، دار طيبة – الرياض.

٢٢٢- الرسالة المستطرفة للكتاني. كتب المقدمة ووضع الفهارس محمد المنتصر بن محمد الكتاني، ط الرابعة ١٤٠٦هـ، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت.

٢٢٣- الرسالة النظامية لأبي المعالي الجويني.ت/ د. أحمد حجازي السقا، ط الثانية ١٣٩٩هـ مطبعة دار الشباب بالعباسية، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة.

٢٢٤- رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار للصنعاني. ت/ د. محمد ناصر الألباني، ط الأولى ١٤٠٥هـ، المكتب الإسلامي- بيروت.

٢٢٥-الروح لابن القيم. ت/ عبد الفتاح محمد عمر، ط ١٩٨٥م، دار الفكر – عمان.

٢٢٦- روضة المحبين لابن القيم. دار الكتب العلمية – بيروت.

٢٢٧- روضة الناظر لابن قدامة. – ومعها شرحها نزهة الخاطر العاطر لعبد القادر الدمشقي- ط الثانية ١٤٠٤هـ، مكتبة المعارف – الرياض.

٢٢٨- زاد المسير في علوم التفسير لابن الجوزي « تفسير ابن الجوزي ». ط المكتب الإسلامي – بيروت

٢٢٩- زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم.ت/ شعيب الأرنؤوط، عبد القادر الأرنؤوط، ط الثالثة ١٤٠١هـ، مؤسسة الرسالة- بيروت، مكتبة المنار الإسلامية.

٢٣٠- سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني. منشورات المكتب الإسلامي.

٢٣١- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني. ط الأولى ١٤٠٨هـ، مكتبة المعارف – الرياض.

٢٣٢- سنن ابن ماجه. ت/ محمد فؤاد عبد الباقي، ط ١٣٩٥هـ دار إحياء التراث العربي.

٢٣٣- سنن أبي داود. تعليق/ عزت عبيد الدعاس، ط الأولى ١٣٨٨هـ، نشر وتوزيع محمد علي السيد – حمص.

٢٣٤- سنن الترمذي «الجامع الصحيح». ت/ أحمد محمد شاكر، الناشر المكتبة الإسلامية.

٢٣٥- سنن الدارمي.- طبع بعناية محمد أحمد دهمان، دار الكتب العلمية - بيروت، نشر دار إحياء السنة النبوية.
٢٣٦- سنن الدارقطني ت/ السيد عبد الله هاشم يماني المدني، دار المحاسن للطباعة - القاهرة.
٢٣٧- السنن الكبرى للبيهقي.- وفي ذيله الجوهر النقي لابن التركماني- دار الفكر.
٢٣٨- سنن النسائي . ومعه شرح الحافظ السيوطي ـ دار الفكر - بيروت ، ١٣٩٨هـ.
٢٣٩- السنة لابن أبي عاصم.- ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة اللألباني ، ط الأولى ١٤٠٠هـ المكتب الإسلامي- بيروت.
٢٤٠- السنة للخلال. ت/ عطية الزهراني، ط الأولى ١٤١٠هـ، دار الراية للنشر والتوزيع - الرياض.
٢٤١- السنة لعبد الله ابن الإمام أحمد ت/ محمد سعيد القحطاني، ط الأولى ١٤٠٦هـ، دار ابن القيم - الدمام.
٢٤٢- السنة للمروزي. تخرج وتعليق/ سالم بن أحمد السلفي، ط الأولى ١٤٠٨هـ، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت.
٢٤٣- سير أعلام النبلاء. ت/ جماعة من العلماء، ط الأولى ١٤٠١هـ، مؤسسة الرسالة- بيروت.
٢٤٤- سيرة الشيخ الكبير أبي عبد الله محمد بن خفيف الشيرازي لإبراهيم الدسوقي شتا. الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية- القاهرة ، ١٣٩٧هـ، مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الأمانة العامة، إدارة الثقافة الإسلامية، منشورات المكتبة العصرية - بيروت.
٢٤٥- سيرة النبي ﷺ لابن هشام. مراجعة وتعليق/ محمد محيي الدين عبد الحميد، توزيع رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء - الرياض.
٢٤٦- الشافي في شرح أصول الكافي لعبد الحسن المظفر. ط ١٣٧٨هـ، مطبعة النعمان - النجف.
٢٤٧- الشامل في أصول الدين لأبي المعالي الجويني.ت/ د. علي سامي النشار، فيصل عون، سهير مختار، الناشر مكتبة المعارف - الإسكندرية.
٢٤٨- الشامل- معجم في اللغة العربية ومصطلحاتها- لمحمد سعيد إسبر، وبلال جندي. ط الأولى ١٩٨١هـ، دار العودة - بيروت.

٢٤٩- شرح أسماء الله الحسنى للرازي « لوامع البينات في شرح أسماء الله تعالى والصفات ».مراجعة وتعليق/ طه عبد الرؤوف سعد، ط الأولى ١٤٠٤هـ، دار الكتاب العربي – بيروت.

٢٥٠- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي. ت/ د. أحمد سعد حمدان، ط الأولى ١٤٠٩هـ، دار طيبة للنشر والتوزيع الرياض.

٢٥١- شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار. تعليق / الإمام أحمد بن الحسين بن أبي هاشم ، ت/ د. عبد الكريم عثمان، ط الثانية ١٤٠٨هـ، أم القرى للطباعة والنشر، الناشر مكتبة وهبه – مصر.

٢٥٢- شرح جوهرة التوحيد للبيجوري. ط الأولى ١٤٠٣هـ دار الكتب العلمية – بيروت.

٢٥٣- شرح حديث النزول لشيخ الإسلام ابن تيمية.ط/ الرابعة ١٣٨٩هـ، منشورات المكتب الإسلامي.

٢٥٤- شرح السنة للبغوي. ت/ شعيب الأرنؤوط، ط الأولى ١٣٩٠هـ المكتب الإسلامي .

٢٥٥- شرح صحيح مسلم للنووي .ط الثالثة ١٣٩٨هـ، دا رالفكر بيروت.

٢٥٦- شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ت/ د. عبد الله التركي، شعيب الأرنؤوط، ط الأولى ١٤٠٨هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٢٥٧- شرح العقيدة الواسطية لمحمد خليل هراس. ضبط نصه وخرَّج أحاديثه/ علوي السقاف، ط الأولى ١٤١١هـ، دار الهجرة للنشر والتوزيع.

٢٥٨- شرح الفقة الأكبر للماتريدي .– ضمن الرسائل السبعة في العقائد – ط الثالثة ١٤٠٠هـ، دائرة المعارف العثمانية – حيدر آباد

٢٥٩- شرح الفقه الأكبر لملا علي القاري. ط الأولى ١٤٠٤هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.

٢٦٠- شرح الفقه الأكبر لأبي المنتهى المغنيساوي. – ضمن الرسائل السبعة في العقائد – ط الثالثة ١٤٠٠هـ، دائرة المعارف العثمانية – حيدر أباد.

٢٦١- شرح لمعة الاعتقاد للشيخ محمد بن عثيمين. ط الثانية ١٤٠٤هـ، مؤسسة الرسالة – بيروت.

٢٦٢- شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري لعبد الله الغنيمان. ط الأولى ١٤٠٥هـ، مطبعة المدني– القاهرة، توزيع مكتبة الدار بالمدينة المنورة.

٢٦٣- شرح معاني الآثار للطحاوي. ت/ محمد سيد جاد الحق، الناشر مطبعة الأنوار المحمدية- القاهرة.

٢٦٤- شرح النونية لابن القيم. شرح وتعليق/ د. محمد خليل هراس ، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر.

٢٦٥- شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي. ت/ د. سعيد خطيب أوغلي، ط الثانية ١٩٧٤م، دار إحياء السنة النبوية.ط

٢٦٦- شروط الأئمة الستة للحافظ المقدسي. ـ ومعه كتاب شروط الأئمة الستة للحافظ الحازمي ـ ط دار الكتب العلمية – بيروت.

٢٦٧- الشريعة للآجري. ت/ محمد حامد الفقي، ط الأولى ١٤٠٣هـ، مطابع الأشرف- لاهور، الناشر حديث أكاديمي- باكستان.

٢٦٨- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي، ط الثانية ١٣٩٩هـ، دار المسيرة – بيروت.

٢٦٩- الشعر والشعراء لابن قتيبة. ت/ أحمد شاكر، ط دار المعارف.

٢٧٠- شفاء العليل في القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن القيم. الناشر مكتبة دار التراث – القاهرة.

٢٧١- الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية لمرعي بن يوسف الحنبلي. ت/ نجم عبدالرحمن خلف، ط الأولى ١٤٠٤هـ، مؤسسة الرسالة – بيروت، دار الفرقان للنشر والتوزيع.

٢٧٢- شيخ الإسلام ابن تيمية إمام السيف والقلم لسعد صادق محمد .ط الأولى ١٤٠٧هـ مطابع اللواء بالرياض، دار اللواء للنشر والتوزيع – الرياض.

٢٧٣- شيخ الإسلام سيرته وأخباره عند المؤرخين لصلاح الدين المنجد. ط الأولى ١٩٧٦م، دار الكتاب الجديد - بيروت.

٢٧٤- الشيعة والسنة لإحسان إلهي ظهير، ط السادسة ١٣٩٨هـ، مطبعة وفاق، لاهور، الناشر إدارة ترجمان السنة – باكستان.

٢٧٥- الصارم المنكي في الرد على السبكي لابن عبد الهادي. تصحيح وتعليق / إسماعيل بن محمد الأنصاري، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء - الرياض ١٤٠٣هـ.

٢٧٦- الصاعقة المحرقة على المتصوفة الرقصة المتزندقة لمحمد صفي الدين الحنفي. ت/ عبد الرحمن بن محمد سعيد دمشقية، ط الأولى ١٤١٠هـ، دار عالم الكتاب – الرياض.

٢٧٧- صحيح ابن خزيمة، ت/ محمد مصطفى الأعظمي، ط الأولى ١٣٩١هـ، المكتب الإسلامي.

٢٧٨- صحيح سنن ابن ماجه للألباني.ط/ الأولى ١٤٠٧هـ المكتب الإسلامي – بيروت.

٢٧٩- صحيح مسلم. ت/ محمد فؤاد عبد الباقي، ط الثانية ١٣٩٨ دار الفكر – بيروت.

٢٨٠- صريح السنة لابن جرير الطبري.ت/ بدر بن يوسف المعتوق، ط الأولى ١٤٠٥ هـ، مطابع القبس التجارية، الناشر دار الخلفاء للكتاب الإسلامي.

٢٨١- الصفات للدارقطني. ـ مع كتاب النزول للمؤلف نفسه ـ ت/ د. علي بن محمد فقيهي، ط الأولى ١٤٠٣هـ.

٢٨٢- صفة الجنة لأبي نعيم الأصبهاني.ت/ علي رضا عبد الله، ط الأولى ١٤٠٦هـ، دار المأمون للتراث – دمشق.

٢٨٣- صفة الصفوة لابن الجوزي. ت/ محمود فاخوري، خرج أحاديثه/ د. محمد رواس قلعه جي، ط الثالثة ١٤٠٥هـ، دار المعرفة للطباعة والنشر – بيروت.

٢٨٤- صفة النفاق وذم المنافقين للفريابي. ت/أبي عبد الرحمن المصري الأثري، ط الأولى ١٤٠٨هـ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، دار الصحابة للتراث.

٢٨٥- الصلاة لابن القيم.– ضمن مجموعة الحديث النجدية- تعليق/ السيد رشيد رضا، ط الثالثة ١٣٨٣هـ، الناشر المكتبة السلفية – المدينة المنورة.

٢٨٦- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم ت/ د. علي بن محمد الدخيل الله، ط الأولى ١٤٠٨هـ، دار العاصمة- الرياض.

٢٨٧- صورة الأرض لابن حوقل.ط فؤاد بيبان وشركاه – لبنان، منشورات دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر- بيروت.

٢٨٨- صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام للسيوطي. تعليق / علي سامي النشار، دار الكتب العلمية - بيروت.

٢٨٩- الضعفاء الكبير للعقيلي. ت/ د. عبد المعطي أمين قلعجي، ط الأولى ١٤٠٤هـ، دار الكتب العلمية ـ بيروت، توزيع دار الباز ـ مكة المكرمة.

٢٩٠- ضعيف سنن ابن ماجه للألباني. ط الأولى ١٤٠٨هـ،المكتب الإسلامي- بيروت.
٢٩١- طبقات الأولياء لابن الملقن. ت/ نور الدين شربية، ط الأولى ١٣٩٣هـ،
٢٩٢- طبقات الحفاظ للسيوطي. ط الأولى ١٤٠٣هـ، دار الكتب العلمية- بيروت، دار الباز مكة المكرمة.
٢٩٣- طبقات الحنابلة لأبي يعلى. ـ الناشر دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت.
٢٩٤- طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة. ـ تعليق /د. الحافظ عبد العليم خان، ط الأولى ١٤٠٧هـ، عالم الكتب ـ بيروت.
٢٩٥- طبقات الشافعية الكبرى للسبكي.- ط الثانية دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت، توزيع دار الباز- مكة المكرمة
٢٩٦- طبقات الصوفية للسلمي. ت/ نور الدين شربية، ط الأولى ١٣٧٢هـ، دار الكتاب العربي بمصر، الناشر جماعة الأزهر للنشر والتأليف.
٢٩٧- الطبقات الكبرى لابن سعد. دار صادر – بيروت.
٢٩٨- الطبقات الكبرى لابن سعد- « القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم »، ت/ زياد محمد منصور، ط الأولى ١٤٠٣هـ، المجلس العلمي لإحياء التراث الإسلامي، الجامعة الإسلامية – المدينة المنورة.
٢٩٩- الطبقات الكبرى لعبد الوهاب الشعراني. ط ١٢٨٦هـ حجرية قديمة.
٣٠٠- العبر في خبر من غبر للذهبي.ت/ أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ط الأولى ١٤٠٥هـ، دار الكتب العلمية، توزيع دار الباز- مكة المكرمة.
٣٠١- محمد بن حمد الحمود.ط الأولى ١٤٠٦هـ، مكتبة المعلا- الكويت
٣٠٢- العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني. ت/ رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، ط الأولى ١٤٠٨هـ، دار العاصمة- الرياض.
٣٠٣- العقود الدرية لابن عبد الهادي. ت/ محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية- بيروت.
٣٠٤- عقيدة أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي، وأبي زرعه عبيد الله بن عبد الكريم الرازي.- جمع/ محمود بن محمد الحداد، ط دار الفرقان.
٣٠٥- عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن لحمود التويجري. ط الثانية ١٤٠٩هـ، دار اللواء – الرياض.

٣٠٦- عقيدة السلف أصحاب الحديث لأبي إسماعيل الصابـــوني. ت/ بدر البدر، ط الأولى ١٤٠٤هـ، الناشر الدار السلفية – الكويت.
٣٠٧- العقيدة السلفية في كلام رب البرية لعبد الله الجديع. ط/ الأولى ١٤٠٨هـ، مطابع دار السياسة- الكويت.
٣٠٨- العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية. ت/ زهير الشاويش، ط الثانية ١٤٠٩هـ المكتب الإسلامي – بيروت.
٣٠٩- علل الحديث لابن أبي حاتم. مصورة عن ط الأولى ١٣٤٣هـ دار السلام، حلب.
٣١٠- العلل المتناهية في الأحاديث الواهية لابن الجـــوزي. ت/ إرشاد الحق الأثري، ط الأولى ١٣٩٩هـ، الناشر إدارة العلوم الأثرية- فيصل أباد.
٣١١- علماء نجد خلال ستة قرون لعبد الله بن بسام. ط الأولى ١٣٩٨هـ، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة – مكة المكرمة.
٣١٢- العلو للعلي الغفار للذهبي.قدم له وصححه/عبد الرحمن محمد عثمان، ط الثانية ١٣٨٨هـ، مطبعة العاصمة – القاهرة، الناشر المكتبة السلفية- المدينة المنورة
٣١٣- عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني. ط١٣٩٩هـ، دار الفكر.
٣١٤- عمل اليوم والليلة للنسائي.– ت/ د. فاروق حمادة ، ط الثانية ١٤٠٦هـ، مؤسسة الرسالة- بيروت.
٣١٥- عوارف المعارف للسهروردي. « ملحق بكتاب إحياء علوم الدين » ، دار المعرفة للطباعة والنشر- بيروت.
٣١٦- عون المعبود شرح سنن أبي داود لأبي الطيب آبادي. « مع شرح الحافظ ابن القيم الجوزية » ، ت/ عبد الرحمن محمد عثمان، ط. الثانية ١٣٨٨هـ، مطابع المجد- القاهرة ، الناشر المكتبة السلفية – المدينة المنورة.
٣١٧- العين للخليل بن أحمد. ت/ د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، ط الأولى ١٤٠٨هـ، نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
٣١٨- العين والأثر في عقائد أهل الأثر لعبد الباقي الحنبلي. ت/عصام رواس قلعجي، راجعه، عبد العزيز رباح، ط الأولى ١٣٠٧هـ، دار المأمون للتراث.
٣١٩- غاية المرام في علم الكلام للآمدي. ت/ حسن محمود عبد اللطيف/ ط ١٣٩١هـ لجنة إحياء التراث الإسلامي.

٣٢٠- غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام. ط ١٣٩٦هـ مصورة عن السلسلة الجديدة من مطبوعات دائرة المعارف العثمانية، الناشر دار الكتاب العربي – بيروت.
٣٢١- غريب الحديث للخطابي ت/ عبد الكريم إبراهيم العزباوي ، ط ١٤٠٢هـ، دار الفكر – دمشق مركز البحث العلمي إحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى – مكة المكرمة.
٣٢٢- الغنية للجيلاني.-مع كتاب فتوح الغيب- ط ١٣٢٢هـ، المطبعة الإسلامية – لاهور.
٣٢٣- الغنية في أصول الدين لأبي سعيد النيسابوري. ت/ عماد الدين أحمد حيدر، ط الأولى ١٤٠٦هـ مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت.
٣٢٤- الغيبة للنعماني.ط الأولى ١٤٠٣هـ، مؤسسة الأعلمي- بيروت
٣٢٥- الفائق في غريب الحديث للزمخشري. ت/ علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، الثانية دار المعرفة للطباعة والنشر – بيروت.
٣٢٦- الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام. تقديم/ حسنين محمد مخلوف، ط دار المعرفة للطباعة والنشر- بيروت.
٣٢٧- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.جمع وترتيب/ الشيخ أحمد بن عبد الرزاق الدويش، الأولى ١٤١١هـ، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء – الرياض.
٣٢٨- فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر.ت/ عبد العزيز بن باز، نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والرياض.
٣٢٩- فتح رب البرية بتلخيص الحموية للشيخ محمد بن عثيمين. ط الخامسة ١٣٩٩هـ، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
٣٣٠- فتح القدير للشوكاني. ط الثالثة ١٣٩٣هـ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت.
٣٣١- الفتح المبين في طبقات الأصوليين للمراغي. ملتزم الطبع والنشر والتوزيع – بيروت.
٣٣٢- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد لعبد الرحمن بن حسن آل شيخ. الناشر مكتبة الرياض الحديثة.

٣٣٣- فتح الملهم شرح صحيح مسلم لشبير أحمد العثماني. المكتبة الرشيدية – باكستان.
٣٣٤- الفتوحات المكية لابن عربي. ت/ د. عثمان يحيى، تصدير ومراجعة / د. إبراهيم مدكور، ط ١٣٩٥هـ، الهيئة المصرية العامة الكتب – القاهرة.
٣٣٥- فتيا وجوابها في ذكر الاعتقاد وذم الاختلاف لأبي العلا الهمذاني. ت/ عبدالله ابن يوسف الجديع، ط الأولى ١٤٠٩هـ، دار العاصمة – الرياض
٣٣٦- الفراسة للفخر الرازي. ت/ مصطفى عاشور، ط مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع – القاهرة.
٣٣٧- فردوس الأخبار للديلمي. ت/ فواز أحمد الزمرلي، محمد المعتصم بالله البغدادي ط الأولى ١٤٠٧هـ، دار الكتاب العربي – بيروت.
٣٣٨- الفرق بين الفرق للبغدادي.ط/ الثالثة ١٩٧٨م، منشورات دار الآفاق الجديدة – بيروت.
٣٣٩- الفرق الكلامية الإسلامية مدخل ودراسة لعلي عبد الفتاح المغربي. ط الأولى ١٤٠٧هـ، دار التوفيق النموذجية للطباعة، الناشرمكتبة وهبة.
٣٤٠- الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري. ت/ لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، ط الخامسة ١٤٠٣هـ، منشورات الآفاق الجديدة – بيروت.
٣٤١- الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم. – وبهامشه الملل والنحل للشهرستاني – ط الثانية ١٣٩٥هـ، دار المعرفة للطباعة والنشر- بيروت.
٣٤٢- فصوص الحكم لابن عربي. تعليقات أبي العلاء عفيفي، ط ١٣٦٥هـ، عيسى البابي الحلبي.
٣٤٣- فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة لأبي القاسم البلخي، والقاضي عبد الجبار، الحاكم الجُشمي. ت/ فؤاد سيد ، ط الدار التونسية.
٣٤٤- فهرس المخطوطات بدار الكتب المصرية. تصنيف فؤاد سيد ط١٣٨٣هـ، مطبعة دار الكتب- القاهرة.
٣٤٥- الفقة الأكبر رواية أبي مطيع البلخي. « ضمن مجموعة العالم والمتعلم » ت/ محمد زاهد الكوثري، ط ١٣٦٨هـ، مطبعة الأنوار- القاهرة،الناشر مكتبة الخانجي.
٣٤٦- الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي. تصحيح وتعليق/ إسماعيل الأنصاري، ط الأولى ١٣٨٩هـ، مطابع القصيم – الرياض.

٣٤٧- الفكر الفلسفي في الإسلام لعبد اللطيف محمد العبد.ط الأولى ١٤٠٦هـ، شركة درا الإشعاع للطباعة – القاهرة، الناشر دار الثقافة العربية – القاهرة.
٣٤٨- الفنون لأبي الوفاء ابن عقيل الحنبلي. ت/ جورج المقدسي، دار المشرق – بيروت.
٣٤٩- فهم القرآن للحارث المحاسبي. – مع كتاب العقل للمؤلف نفسه- ت/ حسين القوتلي، ط الثالثة ١٤٠٢هـ،
٣٥٠- الفوائد البديعة في فضائل الصحابة وذم الشيعة لأحمد فريد. ط الأولى ١٤٠٩هـ، الناشر دار القضاء – الرياض.
٣٥١- الفوائد البهية في تراجم الحنفية للكنوي. ط ١٣٩٣هـ، الناشر نور محمد.
٣٥٢- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني.ت/ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي / الثانية ١٣٩٢هـ، المكتب الإسلامي – بيروت.
٣٥٣- فوات الوفيات والذيل عليها للكتبي. ت/ د. إحسان عباس، دار صادر – بيروت.
٣٥٤- فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي. ط الثانية ١٣٩١هـ، دار المعرفة للطباعة والنشر- بيروت.
٣٥٥- القاموس المحيط للفيروزآبادي. المؤسسة العربية للطباعة والنشر- بيروت، دار الجيل.
٣٥٦- قدوة الغازي لابن أبي زمنين. ت/ د. عائشة السليماني، ط الأولى ١٩٨٩هـ، دار الغرب.
٣٥٧- القرامطة لابن الجوزي ت/ محمد الصباغ، ط السادسة ١٤٠٤هـ المكتب الإسلامي.
٣٥٨- قطر الولي على حديث الولي للشوكاني « ولاية الله والطريق إليها ». ت/ إبراهيم هلال، دار الكتب الحديثة- مصر.
٣٥٩- قطعة من مكتوب الشيخ الإمام الزاهد شهاب الدين أحمد بن أحمد بن مري الحنبلي إلى حنابلة دمشق. ت/ محمد الشيباني ط الأولى ١٤٠٩هـ، مكتبة ابن تيمية- الكويت.
٣٦٠- قواعد التحديث للقاسمي.الأولى ١٣٩٩هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.
٣٦١- قواعد العقائد لأبي حامد الغزالي. ت/ موسى محمد علي، ط الثانية ١٤٠٥هـ، عالم الكتب- بيروت.

٣٦٢- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى للشيخ ابن عثيمين. ط ١٤٠٦هـ، نشر وتوزيع مكتبة وتسجيلات الكوثر الإسلامية.
٣٦٣- القول الجلي في ترجمة الشيخ تقي الدين ابن تيمية الحنبلي لصفي الدين الحنفي. ضمن تسع رسائل في العقيدة – ط ١٣٢٩هـ، مطبعة كردستان العلمية – مصر.
٣٦٤- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة للذهبي.ت/ عزت علي عطية، موسى محمد الموش، ط الأولى ١٤٩٢هـ، دار النصر للطباعة – القاهرة، دار الكتب الحديثة – القاهرة.
٣٦٥- الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي . ت/ لجنة من المختصين بإشراف الناشر، ط الأولى ١٤٠٤هـ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت.
٣٦٦- كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي.طبع بتصحيح المولوي محمد وجيه عبد الحق، والمولوي غلام قادر، وباهتمام: الويس اسبرنكر، ط ١٤٠٤هـ، استانبول.
٣٦٧- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل للزمخشري. ت/ محمد الصادق قمحاوي، ط الأخيرة ١٣٩٢هـ، مصطفى البابي الحلبي.
٣٦٨- كشف الأستار عن زوائد البزار للهيثمي.ت/ حبيب الرحمن الأعظمي ، ط الأولى ١٣٩٩هـ، مؤسسة الرسالة – بيروت.
٣٦٩- كشف الأستار لإبطال ادعاء فناء النار لعلي بن علي اليماني.ط الأولى دار طيبة – الرياض.
٣٧٠- كشف الخفاء ومزيل الإلباس للعجلوني. تصحيح وتعليق/ أحمد القلاش، نشر وتوزيع مكتبة التراث الإسلامي- حلب، دار التراث.- القاهرة.
٣٧١- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة.ط ١٤٠٢هـ، دار الفكر.
٣٧٢- الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة لمحمد عبد الرؤوف القاسم. ط/ الأولى ١٤٠٨هـ، توزيع دار الصحابة للطباعة والنشر – بيروت.
٣٧٣- كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع لابن حجر الهيتمي.ت/ عادل عبد المنعم أبو العباس، مكتبة القرآن للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة.
٣٧٤- الكنى للبخاري. ط ١٣٦٠هـ، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية – حيدر آباد.
٣٧٥- الكنى والأسماء للدولابي. ط الثانية ١٤٠٣هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.
٣٧٦- الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية للمناوي. ت/ محمد حسن ربيع، ط الأولى ١٣٥٧هـ.

٣٧٧- الكواكب الدرية في مناقب المجتهد ابن تيمية لمرعي بن يوسف الحنبلي.ت/ نجم عبد الرحمن خلف ، ط الأولى ١٤٠٦هـ، دار الغرب الإسلامي- بيروت.
٣٧٨- لباب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الأصول لأبي الحجاج المكلاتي. ت/ دكتورة فوقية حسين محمود، ط الأولى ١٩٧٧م، توزيع دار الأنصار – القاهرة.
٣٧٩- لسان العرب لابن منظور. دار صادر – بيروت.
٣٨٠- لسان الميزان للحافظ ابن حجر. ط/ الثانية ١٣٩٠هـ، شركة علاء الدين للطباعة والتجليد – بيروت، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات- بيروت.
٣٨١- لقط اللآلئ المتناثرة في الأحاديث المتواترة للزبيدي.ت/ محمد عبدالقادر عطا، ط الأولى ١٤٠٥هـ دار الكتب العلمية- بيروت.
٣٨٢- اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير الجزري. ط١٤٠٠هـ، دار صادر – بيروت.
٣٨٣- لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة لأبي المعالي الجويني.ت/ دكتورة فوقية حسين محمود، ط الثانية ١٤٠٧هـ، عالم الكتب- بيروت.
٣٨٤- لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد لابن قدامة تعليق/ بدر البدر، ط الأولى ١٤٠٦هـ، الدار السلفية- الكويت.
٣٨٥- لوامع الأنوار البهية للسفاريني. ط الثانية ١٤٠٢هـ، منشورات مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق.
٣٨٦- المبين في شرح معاني ألفاظ الحكماء والمتكلمين للآمدي. ت/ د. حسن محمود الشافعي، ط ١٤٠٣هـ.
٣٨٧- المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين لابن حبان. ت/ محمود إبراهيم زايد، ط الأولى ١٣٩٦هـ، دار الوعي- حلب.
٣٨٨- مجمع الأمثال لأبي الفضل الميداني. ت/ محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة - بيروت.
٣٨٩- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي. ط/ الثالثة١٤٠٢هـ، منشورات دار الكتاب العربي- بيروت.
٣٩٠- المجموع شرح المهذب للنووي. ت/ محمد نجيب المطيعي، دار النصر للطباعة – القاهرة، مطبعة عابدين، توزيع المكتبة العالمية، مكتبة الإرشاد – جدة.

٣٩١- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية. جمع وترتيب / عبد الرحمن بن قاسم، ط الأولى ١٣٨١هـ، مطابع الرياض.

٣٩٢- المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث للحافظ الأصفهاني ت/ عبد الكريم العزباوي ط الأولى ١٤٠٨هـ، مركز إحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى – مكة المكرمة.

٣٩٣- مجموعة الرسائل الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية. دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣٩٤- مجموعة الرسائل المنيرية. تصحيح وتعليق ونشر إدارة الطباعة المنيرية، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣٩٥- مجموعة الرسائل والمسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية. تعليق / محمد رشيد رضا، لجنة التراث العربي، توزيع دار الباز للنشر والتوزيع- مكة المكرمة.

٣٩٦- مجموعة الرسائل والمسائل النجدية لبعض علماء نجد الأعلام. ط الثانية ١٤٠٩هـ دار العاصمة، الرياض.

٣٩٧- محاضرات في النصرانية لمحمد أبو زهرة. ط الرابعة ١٤٠٤هـ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء- الرياض.

٣٩٨- محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين للرازي. تعليق وتقديم / طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية.

٣٩٩- المحصول في علم أصول الفقه للرازي. ت/ طه جابر فياض العلواني. ط الأولى ١٣٩٩هـ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- الرياض.

٤٠٠- المحلى لابن حزم. تصحيح حسن زيدان، طلبة ط ١٣٩٢هـ، دار الاتحاد العربي للطباعة، الناشر مكتبة جمهورية مصر.

٤٠١- مختصر التحفة الاثني عشرية للدهلوي. اختصره وهذبه/ السيد محمود شكري الألوسي، ت/ محب الدين الخطيب، ط ١٣٧٣هـ، المطبعة السلفية.

٤٠٢- مختصر سنن أبي داود للمنذري . – ومعه معالم السنن للخطابي، تهذيب ابن القيم – ت/ أحمد شاكر، محمد حامد الفقي، دار المعرفة للطباعة والنشر- بيروت.

٤٠٣- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم. اختصره/ محمد الموصلي، الناشر مكتبة الرياض الحديثة – الرياض.

٤٠٤- مختصر العلو للعلي الغفار للذهبي. اختصره وحققه / محمد ناصر الدين الألباني، ط الأولى ١٤٠١هـ المكتب الإسلامي- بيروت.
٤٠٥- مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة. تعليق / شعيب الأرنؤوط، عبد القادر الأرنؤوط، ط ١٣٩٨هـ، مؤسسة علوم القرآن للطباعة والنشر - بيروت الناشر مكتبة دار البيان- دمشق.
٤٠٦- مدارج السالكين لابن القيم ت/ محمد حامد الفقي، ط ١٣٩٢هـ، الناشر دار الكتاب العربي - بيروت.
٤٠٧- المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي. ت / محمد ضياء الرحمن الأعظمي، الناشر دار الخلفاء للكتاب الإسلامي - الكويت.
٤٠٨- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع لصفي الدين البغدادي. ت/ علي البجاوي، مصورة عن ط الأولى ١٣٧٣هـ، دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت.
٤٠٩- المرشد الأمين إلى اعتقاد فرق المسلمين والمشركين لطه عبد الرؤوف سعد، ومصطفى الهواري . - مع كتاب اعتقاد فرق المسلمين والمشركين للرازي - ط ١٣٩٨هـ، شركة الطباعة الفنية المتحدة. الناشر مكتبة الكليات الأزهرية.
٤١٠- مسائل الإيمان للقاضي أبي يعلى. ت/ سعود بن عبد العزيز الخلف، ط الأولى ١٤١٠هـ، دار العاصمة - الرياض.
٤١١- مسائل الإمام أحمد لأبي داود. تقديم / محمد رشيد رضا، دار المعرفة للطباعة والنشر- بيروت، توزيع مكتبة المعارف- الرياض.
٤١٢- المسائل الخمسون في أصول الدين للرازي. ت/ أحمد السقا، ط الأولى ١٤٨٩هـ، المكتب الثقافي للنشر والتوزيع.
٤١٣- المستدرك على الصحيحين للحاكم. - وفي ذيله تلخيص المستدرك للذهبي - الناشر مكتبة ومطابع النصر الحديثة - الرياض.
٤١٤- المستصفى من علم الأصول لأبي حامد الغزالي. ط الأولى ١٣٥٦هـ، مطبعة مصطفى محمد بمصر.
٤١٥- مسند أبي داود الطيالسي. مصورة عن ط الأولى ١٣٢١هـ، بمطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية- الهند، الناشر دار الكتاب اللبناني، دار التوفيق.
٤١٦- مسند أبي عوانة. الناشر دار المعرفة للطباعة والنشر- بيروت.

٤١٧- مسند أبي يعلى الموصلي ت/ حسين سليم أسد، ط الأولى ١٤٠٤هـ، دار المأمون للتراث.
٤١٨- مسند الإمام أحمد. - وبهامشه منتخب كنز العمال - ، فهرس الألباني، ط الرابعة ١٤٠٣هـ، المكتب الإسلامي - بيروت.
٤١٩- مسند الإمام أحمد. شرح وفهرسة / أحمد شاكر، مصورة عن ط ١٣٧٧هـ، دار المعارف مصر.
٤٢٠- مسند الحميدي. ت/ حبيب الرحمن الأعظمي، عالم الكتب بيروت، مكتبة المتنبي- القاهرة.
٤٢١- مسند الشافعي. ط الأولى ١٤٠٠هـ، دار الكتب العلمية - القاهرة.
٤٢٢- مشاهير علماء نجد لعبد الرحمن بن عبد اللطيف آل شيخ. ط الأولى ١٣٩٢هـ، بإشراف دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر.
٤٢٣- مشكاة المصابيح للتبريزي. ت/ محمد ناصر الدين الألباني،ط الثانية ١٣٩٩هـ المكتب الإسلامي - بيروت.
٤٢٤- مشكل الحديث وبيانه لابن فورك. ط ١٤٠٠هـ، دار الكتب العملية - بيروت.
٤٢٥- مصباح الزجاجة للبوصيري. ت/موسى علي، عزت عطية ط مطبعة حسان - القاهرة.
٤٢٦- مصرع التصوف أو تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي- للبقاعي. ت/ عبد الرحمن الوكيل، ط ١٤٠٠هـ ، دار الكتب العلمية - بيروت.
٤٢٧- مصنف ابن أبي شيبة. ت حبيب الرحمن الأعظمي، ط الثانية ١٤٠٣هـ، المكتب الإسلامي - بيروت.
٤٢٨- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية للحافظ ابن حجر. ت / حبيب الرحمن الأعظمي، ط الأولى ١٣٩٣هـ، المطبعة العصرية- الكويت.
٤٢٩- معارج القبول لحافظ حكمي. من مطبوعات الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء- الرياض.
٤٣٠- المعارف لابن قتيبة. ط الأولى ، دار الكتب العلمية - بيروت.
٤٣١- معالم أصول الدين - أو أصول الدين - للرازي، تعليق / طه عبد الرؤوف سعد، ط ١٤٠٤هـ، دار الكتاب العربي - بيروت.

٤٣٢- معالم السنن للخطابي. مع مختصر سنن أبي داود للمنذري – ت/ أحمد شاكر، محمد حامد الفقي، ط ١٤٠٠هـ، دار المعرفة للطباعة والنشر- بيروت

٤٣٣- المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منهم لعواد المعتق.ط الأولى ١٤٠٩هـ، دار العاصمة- الرياض.

٤٣٤- معجم الأدباء لياقوت الحموي. ط الأخيرة دار أحياء التراث العربي- بيروت.

٤٣٥- المعجم الأدبي لجبور عبد النور.ط الأولى ١٩٧٩م، دار العلم للملايين – بيروت.

٤٣٦- معجم البلدان لياقوت الحموي. دار الفكر دار صادر – بيروت.

٤٣٧- معجم الشيوخ للذهبي.ت/ د. محمد الحبيب الهيلة. ط الأولى ١٤٠٨هـ، مكتبة الصديق للنشر والتوزيع – الطائف

٤٣٨- المعجم الصغير للطبراني. تصحيح ومراجعة / عبد الرحمن محمد عثمان، ط ١٣٨٨هـ، دار النصر للطباعة- القاهرة، الناشر المكتبة السلفية- المدينة المنورة.

٤٣٩- المعجم الفلسفي لجميل صليبا. ط ١٩٧٨م، دار الكتاب اللبناني.

٤٤٠- المعجم الفلسفي. مجمع اللغة العربية بجمهورية مصر العربية، طبع بالهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ١٣٩٩هـ.

٤٤١- المعجم الكبير للطبراني. ت/ حمدي عبد المجيد السلفي،ط ١٤٠٠هـ، الدار العربية للطباعة، مطبعة بغداد.

٤٤٢- معجم المصطلحات الصوفية لعبد المنعم الحنفي. ط الأولى ١٤٠٠هـ، دار المسيرة- بيروت.

٤٤٣- معجم المصطلحات العربية في اللغة العربية لمجدي وهبة، وكامل المهندس. ط الثانية ١٩٨٤م مكتبة لبنان – بيروت.

٤٤٤- معجم مقاييس اللغة لأبي الحسـين ابن فارس. ت/ عبد السلام محمد هارون، ط الأولى ١٣٦٩هـ، عيسى البابي الحلبي.

٤٤٥- معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة. دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت.

٤٤٦- المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية. ط الثانية المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع- استانبول.

٤٤٧- معرفة علوم الحديث للحاكم. اعتنى بنشره وتصحيحه والتعليق عليه /د. السيد معظم حسين، ام ، ا، دى، أكسن، ط الثانية ١٩٧٧م المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر – بيروت.

٤٤٨- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار للذهبي.ت/ بشار معروف، شعيب الأرنؤوط، صالح مهدي عباس، ط الأولى ١٤٠٤هـ، مؤسسة الرسالة – بيروت.

٤٤٩- المعرفة والتاريخ للفسوي أو البسوي.ت/ د. أكرم ضياء العمري، ط الثانية ١٤٠١هـ، مؤسسة الرسالة - بيروت.

٤٥٠- معيار العلم للغزالي. ت / سليمان دنيا، ط الثانية، دار المعارف – مصر.

٤٥١- المغني لابن قدامة، مكتبة الريـاض الحديثة - الرياض، توزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء – الرياض.

٤٥٢- المغني في ضبط أسماء الرجال لمحمد طاهر الهندي. ط ١٣٩٩هـ، دار الكتاب العربي – بيروت.

٤٥٣- مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة للسيوطي. نشرها قصي محب الدين الخطيب، ط الثانية ١٣٩٧هـ، المطبعة السلفية- القاهرة.

٤٥٤- مفتاح السعادة ومصباح السيادة لطاش كبري زاده. ط الأولى ١٤٠٥هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.

٤٥٥- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ت/ محمد سيد كيلاني، ط الأخيرة ١٣٨١هـ، مصطفى البابي الحلبي.

٤٥٦- المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات للمغراوي. ط الأولى ١٤٠٥هـ، دار طيبة للنشر والتوزيع – الرياض.

٤٥٧- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة للسخاوي. تصحيح وتعليق / عبد الله محمد الصديق، تقديم / عبد الوهاب عبد اللطيف، ط الأولى ١٣٩٩هـ، دار الكتب العلمية- بيروت.

٤٥٨- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين لأبي الحسن الأشعري. عني بتصحيحه / هلموت ريتر، ط الثالثة، دار إحياء التراث العربي- بيروت.

٤٥٩- مقدمة ابن خلدون.دار الفكر

٤٦٠- مقدم ابن الصلاح في علوم الحديث لابن الصلاح ط ١٣٨٩هـ، دار الكتب العلمية- بيروت.

٤٦١- مقدمة في أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية. نشرها/ قصي محب الدين الخطيب، ط الثالثة ١٣٩٧هـ، المطبعة السلفية – القاهرة.

٤٦٢- المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى للغزالي بعناية/ بسام عبد الوهاب الجابي، ط الأولى ١٤٠٧هـ، الجفان للطباعة والنشر.

٤٦٣- الملل والنحل للشهرستاني. ت/ عبد الأمير علي مهنا، علي حسن فاعور، ط الأولى ١٤١٠هـ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت.

٤٦٤- مناقب الإمام أحمد بن حنبل لأبي الفرج ابن الجوزي، ط الأولى ١٣٩٣هـ، دار الآفاق الجديدة- بيروت.

٤٦٥- المنتقى النفيس من تلبيس إبليس للإمام ابن الجوزي انتقاء/ علي حسن علي عبد الحميد، ط الأولى ١٤١٠هـ، دار الصحابة للطباعة والنشر – بيروت، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع- الدمام.

٤٦٦- منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز لمحمد الأمين الشنقيطي. – ملحق بكتاب أضواء البيان – طبع وتوزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء- الرياض، ١٤٠٣هـ.

٤٦٧- منهاج السنة لشيخ الإسلام ابن تيمية. ت / محمد رشاد سالم، ط الأولى ١٤٠٦هـ أشرفت على طباعته ونشره إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٤٦٨- منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات للشنقيطي. ط مؤسسة مكة للطباعة والإعلام، توزيع الجامعة الإسلامية – المدينة المنورة.

٤٦٩- المنهل الصافي لجمال الدين أبي المحاسن.ت/ د. محمد محمد أمين، تقديم / د. سعيد عبد الفتاح عاشور، مطبعة دار الكتب- الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤م.

٤٧٠- موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان للحافظ نور الدين الهيثمي. ت/ محمد عبدالرازق حمزة، المطبعة السلفية.

٤٧١- المواقف في علم الكلام للإيجي. عالم الكتب – بيروت.

٤٧٢- الموسوعة العربية الميسرة. إشراف / محمد شريف غربال، ط ١٩٨٠م، دار نهضة لبنان للطبع والنشر- بيروت.
٤٧٣- موطأ الإمام مالك. تصحيح وتعليق / محمد فؤاد عبد الباقي، ط عيسى البابي الحلبي.
٤٧٤- موقف المعتزلة من السنة النبوية لأبي لبابة حسين. ط الثانية ١٤٠٧هـ، دار اللواء للنشر والتوزيع- الرياض.
٤٧٥- ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي. ت/ علي محمد البجاوي، مصورة عن ط. الأولى ١٣٨٢هـ، دارالمعرفة للطباعة والنشر- بيروت، توزيع دار الباز للنشر والتوزيع – مكة المكرمة.
٤٧٦- ناحية من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية لخادمه إبراهيم بن أحمد الغياني. ت/ محب الدين الخطيب، ط الثالثة ١٣٩٦هـ، المطبعة السلفية
٤٧٧- نزهة الأسماع في مسألة السماع لابن رجب. ت/ أم عبد الله بنت محروس العسلي، إشراف / محمود الحداد، ط الأولى ١٤٠٧هـ، دار العاصمة- الرياض.
٤٧٨- نزهة النظر شرح نخبة الفكر للحافظ ابن حجر. ط ١٤٠٠هـ، منشورات مؤسسة ومكتبة الخافقين.
٤٧٩- النزول للدارقطني. – معه كتاب الصفات للمؤلف نفسه- ت/ د. علي بن محمد فقيهي، ط الأولى ١٤٠٣هـ،
٤٨٠- نصيحة عامة نافعة إلى جميع المسلمين للشيخ محمد بن إبراهيم.ط ١٣٧٨هـ، مطابع الرياض.
٤٨١- النصيحة في صفات الرب جل وعلا- وتتضمن عقيدة الإمام عبد الله بن يوسف الجويني- لابن شيخ الحزاميين. ت/ زهير الشاويش، ط الثانية ١٣٩٤هـ، المكتب الإسلامي- بيروت.
٤٨٢- نظم المتناثر من الحديث المتواتر للكتاني.ط ١٤٠٠هـ دار الكتب العلمية- بيروت.
٤٨٣- نقض تأسيس الجهمية – مطبوع- لشيخ الإسلام ابن تيمية. تصحيح وتعليق/ محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، مؤسسة قرطبة.
٤٨٤- نقض المنطق لشيخ الإسلام ابن تيمية. ت/ محمد عبد الرازق حمزة، سليمان بن عبد الرحمن الصنيع، مكتبة السنة المحمدية – القاهرة.
٤٨٥- النهاية لابن كثير. تصحيح وتعليق/ إسماعيل الأنصاري، ط الأولى ١٣٨٨هـ،

مطابع مؤسسة النور- الرياض.
٤٨٦- نهاية الإقدام في علم الكلام للشهرستاني.تصحيح / الفرد جيوم، مكتبة المتنبي - القاهرة.
٤٨٧- النهاية في غريب الحديث لابن الأثير. ت/ محمود محمد الطناحي، ط دار إحياء التراث العربي- بيروت، الناشر المكتبة الإسلامية.
٤٨٨- نهج الحق في كشف الصدق للحلي.تعليق/ فرج الله الحسيني، ط ١٩٨٢م، دار الكتاب اللبناني.
٤٨٩- نوادر الأصول للحكيم الترمذي.ط دار صادر.
٤٩٠- النور من كلمات أبي طيفور ينسب للسَّهْلجي.- ضمن كتاب شطحات الصوفية- ت/ عبد الرحمن بدوي، ط مكتبة النهضة المصرية.
٤٩١- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار للشوكاني.ط الأخيرة ، مصطفى البابي الحلبي.
٤٩٢- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم. ط دار الكتب العلمية- بيروت.
٤٩٣- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون لإسماعيل باشا البغدادي. ط ١٤٠٢هـ، دار الفكر.
٤٩٤- الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم.ط الرابعة ١٣٩٨هـ، المطبعة السلفية، نشرها قصي محب الدين الخطيب.
٤٩٥- الوافي بالوفيات للصفدي. اعتناء/ إحسان عباس، ط ١٤٠٢هـ دار النشر فرانز شتايز.
٤٩٦- الوصية الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية. ت/ محمد بن حمد الحمود، ط الأولى ١٤٠٧هـ.
٤٩٧- الوفا بأحوال المصطفى لابن الجوزي. تصحيح وتعليق / محمد زهري النجار، المؤسسة السعدية - الرياض.
٤٩٨- وفيات الأوعيان لابن خلكان.ت/ د. إحسان عباس، دار صادر - بيروت.

* * *

المخطوطات والرسائل العلمية

٤٩٩- الإبانة لابن بطة . - مخطوط - تركيا ، مكتبة كوبولي رقم ٢٣١.
٥٠٠- الأسنى للقرطبي - مخطوط - مصورة من مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة ٨٨ أدعية، موجودة بجامعة الإمام رقم ١٨٨.
٥٠١- أصول الدين عند أبي حنيفة. - رسالة دكتوراة - بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بكلية أصول الدين ، جامعة الإمام بن سعود الإسلامية، ١٤١١هـ، إعداد/ د. محمد بن عبد الرحمن الخميس.
٥٠٢- أصول السنة لابن أبي زمنين. - رسالة ماجستير - بشعبة العقيدة، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٠٣هـ- ١٤٠٤هـ، تحقيق / محمد إبراهيم محمد هارون.
٥٠٣- تجريد أسانيد الكتب المشهورة والأجزاء المنثورة لابن حجر. - مخطوط - مصورة عن دار الكتب المصرية رقم ١٣٨/ ٥٣١.
٥٠٤- التسعينية لشيخ الإسلام ابن تيمية. - رسالة دكتوراة - بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بكلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٨هـ، تحقيق/ د. محمد بن إبراهيم العجلان.
٥٠٥- الرد على المعطلة للحكيم الترمذي.- مخطوط - مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، قسم التصوير، رقم ١٩٣٥م.
٥٠٦- السنة للخلال. مصورة عن المتحف البريطاني برقم ٢٦٧٥.
٥٠٧-الفرق وأصناف الكفرة لأبي محمد عثمان بن عبد الله العراقي. ـ رسالة ماجستير ـ بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بكلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٩هـ، تحقيق/ عبد الله بن سليمان العمر .
٥٠٨- مجمع البحرين بزوائد المعجمين للهيثمي.- مخطوط- مصور عن مكتبة أحمد الثالث- استانبول، تركيا، رقم ٤٦٣.
٥٠٩- مختصر تفسير يحيى بن سلام لابن أبي زمنين. - رسالة ماجستير - بقسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٩هـ، تحقيق/ عبد الله بن المديميغ.

٥١٠- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية للحافظ ابن حجر. - مخطوط - وقف المدرسة المحمودية - المدينة المنورة.
٥١١- مغني ذوي الأفهام عن الكتب الكثيرة في الأحكام ليوسف بن عبدالهادي. - مخطوط - بجامعة الإمام رقم ١٨٦٦ف.
٥١٢- موقف ابن تيمية من الأشاعرة. رسالة دكتوراة - بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، بكلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٨، إعداد/ د. عبد الرحمن بن صالح المحمود.
٥١٣- نقض التأسيس لشيخ الإسلام ابن تيمية. - مخطوط - مصورة من المكتبة المركزية بجامعة الملك سعود - الرياض، قسم المخطوطات رقم ٢٥٩٠/ ٣.

* * *

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
دلالة القرآن على علو الله	٢٠١
تواتر أدلة السنة على إثبات صفة العلو	٢٠٢
الكلام على حديث « الأوعال » رواية ـ ت ـ	٢٠٩
الكلام على حديث «أين الله؟» - ت -	٢١١
قول نفاة العلو ليس له مستند من الكتاب والسنة ولا عن أحد من سلف الأمة	٢٢٠
بعض اللوازم الباطلة المترتبة على قول النفاة	٢٢٣
منهج النفاة في نفي الصفات	٢٢٤
مشابهة النفاة للمنافقين	٢٢٧
مصادر شبهاتهم	٢٢٨
عود على اللوازم الباطلة المترتبة على قول النفاة	٢٢٩
افتراق الأمة وبيان الفرقة الناجية	٢٣٠
أصل مقالة التعطيل	٢٣٢
تأثر الجعد بالبيئة التي نشأ فيها	٢٣٥
الرازي وكتابه « السر المكتوم » - ت -	٢٣٦
مذهب النفاة من الصابئين في صفات الله تعالى	٢٣٩
ذم الأئمة لبشر المريسي وأتباعه	٢٤٢
الثناء على كتاب الدارمي	٢٥٠
إجماع الأئمة على ذم المريسية	٢٥١
بعض الكتب التي عنيت بنقل مذهب السلف	٢٥٢
فصل : مجمل مذهب أهل الحق في صفات الله تعالى	٢٦٥
مذهب السلف وسط بين التمثيل والتعطيل	٢٦٧
بيان أن التعطيل تمثيل والتمثيل تعطيل	٢٦٧
إثبات العلو والاستواء لله تعالى	٢٧٠
موافقة مذهب السلف للعقل والنقل	٢٧١
اضطراب أهل التأويل	٢٧١

الموضــــوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضــــوع	الصفحة

* * *